

الجزء الأول

تأليف الشيخ

حماد بن الأمين المجلسي الموريتاني

وعليه

التعليق الصواب على تحفة الألباب

للشيخ أحمد المختار الجكني الشنقيطي

المدرس بالمسجد الحرام

عني بنشره وطباعته

الشيخ عبدالله بن إبراهيم الأنصاري

من مطبوعات إدارة إحياء التراث الإسلامي

بدولة قطر

مقدمة

بقلم

فضيلة الشيخ عبد الله ابراهيم الأنصاري

الحمد لله أكمل الحمد وأتمه ، والصلاة والسلام على هادي هذه الأمة ، نبيّ الله الذي ختم به الرسل وأنار به السبل ، محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

أمّا بعد :

فان من أشرف العلوم وأهمها علم يجلو الظلام عن أخبار وأنساب الأمة الأعلام ، علم به يعرف النسب الشريف ، الذي هو عمود نسب رسول الله ﷺ ، الذي جعل الله حبه شرطا في الإيمان بدليل قوله ﷺ «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَمِنْ نَفْسِهِ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ» . أو كما قال ﷺ .

ويبحث كذلك عن أنساب أصحابه من المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ، وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا .

ومن أنساب أنصار الله وعيبته وشعاره الذين آووه ﷺ وأصحابه ، ونصروه وعزروه ووقروه وبذلوا النفس والنفيس في سبيل الله ؛ استشهد منهم سبعون رجلا في يوم أحد ، وسبعون في بئر معونة وسبعون في قتال مسيلمة الكذاب باليمامة ، وسبعون يوم ابي عبيد الثقفي ، أرأيت كيف يضحون بأنفسهم في سبيل الله ؟ ! . إن هؤلاءِ القوم جعل رسول الله ﷺ حبّهم آية الإيمان وبغضهم آية النفاق .

وإذاً ، فكيف تحب من لاتعرف ؟ ! . فقد يتعين البحث عن هؤلاء وعن أخبارهم وأنسابهم وأحسابهم حتى كأنك تراهم بعين الحس .

وقد كنت أسمع مراراً من الصديق أحمد بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي ، المدرس بالمسجد الحرام ، أسمعه يتمثل بأبيات من عمود النسب ، فسألته عن هذا التأليف واشتقت إليه ، فأخبرني عنه وعن مؤلفه ، فطلبت منه البحث عن هذا التأليف الجليل المعروف بـ(**حماد على الأنساب**) الذي شرح به العلامة حماد بن الأمين نظم عمه أحمد بن محمد الشهير بالبدوي ، وأسماه : (**تحفة الألباب في شرح الأنساب**) فلما وجد الكتاب رأيت بأنه تكملة للفائدة ، لابدّ من تعليق على بعض ماورد فيه من ألفاظ وعبارات فأشرت على أخي وصديقي بضرورة ذلك ، فوضع عليه (**التعليق الصواب**) وتمم منه ماكان توفي الشيخ حماد قبل إكماله ، فجاء بحمد الله الأصل والتعليق جزأين نفيسين ،

والجزء الثالث (**تكملة تحفة الألباب في شرح الأنساب**) من تأليف المعلق .

وإن إدارة إحياء التراث الاسلامي في دولة قطر ليسعدها ويشرفها أن تقدم بالفخر والاعتزاز إلى طلبة العلم هذا الإنجاز النفيس ، بدون تعليق وبدون إطراء ، فإنه هو يعرّف نفسه ويطريها إن شاء الله . غير أن الإدارة لتؤكد بأن المكتبة الإسلامية حرية بأن تراه يزين رفوفها وتكمل به فوائدها .

والله أرجو أن يجزل الثواب للناظم والشارح والمعلق المكمل ، وألا يحرمنا من الأجر وحسن الجزاء . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الشيخ عبدالله بن إبراهيم الأنصاري
مدير إدارة إحياء التراث الإسلامي
بدولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله لاربَّ سواه ، المنزه عن النظراءِ والأشباه . الحمد لله الذي هدانا لهذا وماكنالنهتديَ لولا أن هدانا الله . اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد بن عبد الله ، النبى العربي القرشي الهاشمي الأواه ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ، واستن بسنته إلى يوم الدين . أما بعد فإن من أهم ماتشتغل به العقول وتعكف على تدوينه الفحول ؛ علم به تنوير القلوب بمعرفة سيرة رسول الله ﷺ ونسبه ، وسيرة ونسب خلفائه الراشدين المهديين الذين أمر بالاقتداء بهم ، والاستنان بسنتهم . ثم معرفة سيرة وأنساب أصحابه الفقراء ﴿ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [1] ، ثم معرفة سيرة وأنساب أنصاره ﷺ ﴿الَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَايَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [2] . إن بمعرفة سيرة رسول الله ﷺ ونسبه وما إلى ذلك من ملابسات ، هى ضرورية للمسلم كي يمكنه التأسي به ﷺ المأمور به فى قوله تعالى :﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ إذْ لايمكنك أن تتأسى بمن لاتعرف ،

١ ـ سورة الحشر : ٨ .

٢ ـ سورة الحشر : ٩ .

٣ ـ سورة الأحزاب : ٢١ .

وأيضـاً فإن معـرفتـه من لوازم محبتـه الـواجبـة عينـاً على كل مسلم ، بنص قولـه ﷺ : « **وَالَّـذِي نَفْسُ مُحَمَّـدٍ بِيَـدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَـدُكُمْ حَتَّى أَكُـونَ أَحَـبَّ إِلَيْـهِ مِنْ أَهْلِهِ وَوَلَـدِهِ وَنَفْسِـهِ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْـهِ** » . أو كما قال ﷺ ، ولذلك كانت معرفته واجبة لتوقّف محبته عليها ، وعلى محبته يتوقف الإيمان ، ولا شك أن محبـة أصحـابـه من المهـاجـرين والأنصار فرع عن محبته ﷺ . وقد ثبت فى الحديث عنه ﷺ أن محبة الأنصار آية الإيمان ، وأن بغض الأنصار آية النفاق ، وإن من دواعي هذه المحبة الكشف عن أنساب هؤلاء وأحسابهم ؛ بحيث لو ترد نسبة خبر لأحدهم تشخص فى ذهنك مثل ماتتصور من رأيته بعينك ، وبدون تلك المعرفة تمر عليك الأخبار منسوبة لمجهولين ، فلا يكون لها من الوقع فى النفس ماللخبر المنسوب لمعروف ، أما إذا عرف الشخص وعرفت سيرته صرت كلما مررت على خبر منسوب إليه يتمثل لك صاحبه تماماً . مثل ما قال البدوي في بيته :

حَتَّـى كَأَنَّهُمُ بِعَـيْـنِ الـنَّـفْـسِ   فِي الصَّـكِّ قَدْ لَاحُوا لِعَيْنِ الْحِسِّ

وقد اشتغل كثير من أهل العلم بسيرته ﷺ ؛ فمنهم من أفرد مغازيه بالتأليف ، ومنهم من أفرد بعوثه ، ومنهم من جمع بين ذلك ، ومنهم من ألّف في شمائله ﷺ ، ومنهم من تعـرض لحياته عليه الصلاة والسلام ، بأبي هو وأمي ، وقـد رأيت الشيخ أحمـد البدويَّ المجلسيَّ ثم الموريتاني أفرد مغازيَه بتأليف أعمل فيه البراعة ، وقد تعرض له ابن أخيه حماد بن الأمين فشرحه شرحاً وافياً فى سفر عظيم [1] حاوٍ للمقصود منه . وقد أجاد فيه كل من الناظم والشارح ، ثم تعرض الشيخ أحمد البدوي ، رحمه الله ، في نظم آخر يسمى عمـود النسب ، تعرض فيه لنسب العدنانية من عدنان إلى محمد ﷺ كلما

---

(١) لايزال محفوظاً

تفرع فرع ذكره ، وشرع فى الفرع الذي منه النسب الشريف ، إلى أن وصل إليه ﷺ ، ثم يحمّض ذلك بالذكر أو بالاشارة لكل وقعة بمناسبة ذكر من كانت له فيها يد ، جاهلية أو إسلاماً ، ثم تعرض لعمود نسب أنصار الله ورسوله ، الذين أعز الله بهم دينه ونصر بهم نبيه ، وبذلوا أرواحهم وأموالهم فى سبيل الله ، فقد كانوا أعداءً ، دامت الحرب بينهم فيما يحكى نحو مائة وعشرين عاماً ، فألف الله بينهم على نصرة نبيه وإعلاءِ كلمة الله ، ولذلك قال قائلهم ، حين كرر رسول الله ﷺ : «**أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ**» - يوم بدر - قال سعد بن معاذ بن النعمان الأشهلي : وكأنك تعنينا معشر الأنصار يارسول الله ؟ . قال : أجَلْ . فقال سعد : أنا أجيب عن الأنصار ؛ والله لقد صدقناك وشهدنا أن الذي جئت به الحق ، وأعطيناك عهودنا ومواثقنا على السمع والطاعة ، فصِلْ منا من شئت واقطع منا من شئت ، وخذ من أموالنا ماشئت ، واترك منها ماشئت ، فوالله لما تأخذه من أموالنا أحب إلينا مما تركته ، وإنا لانكره أن تلقى بنا عدوك لترى منا ماتقر به عينك ؛ فإننا لقوم صدق عند اللقاء صبر لدى الهيجاءِ، ولقد تخلف عنك منا أقوام لو يعلمون أنك تلقى كيداً ماتخلفوا عنك ، لهم رغبة فى الخير ونية فى الجهاد . . الخ . أما هؤلاء فحري أن يعتنى بسيرتهم وأنسابهم ليحظى المرء إذا عرف ذلك بمحبتهم ، وقد قدمنا أن رسول الله ﷺ جعل محبتهم آية الإيمان وبغضهم آية النفاق نعيذ أنفسنا والمسلمين بالله منه .

وقد كنت أثناء مقامي في جمادى الآخرة سنة ١٣٩٨ هـ بمدينة الدوحة المحروسة ، كنت استدللت ببعض أبيات عمود النسب فى بعض الحديث مع خادم العلم الشريف الشيخ عبد الله بن ابراهيم الأنصاري ، أدام الله توفيقنا وإياه ، وختم لنا وله ولجميع المسلمين بالسعادة ، فسألني : هل يوجد شرح

لهذا النظم ؟ . فذكرت له أن ابن أخي الناظم حماد بن الأمين قد وضع عليه شرحاً فيما أسمع ، وأنه عزيز الوجود فى بلاد موريتانيا ، فكلفني الصديق العظيم بالبحث عن هذا الكتاب والعمل على تبييضه ليتمكن خادم العلم الشريف الشيخ عبد الله بن ابراهيم الأنصاري من طبعه ؛ خدمة للعلم وذويه ، كما هي عادته ، فتحملت له بالبحث عن هذا الكتاب فى موريتانيا حتى يتحقق مايريده منه ، وتعهدت له إن لم أجده أني أتكفل بوضع شرح عليه من نفسي مستعينا بالله تعالى ثم بما نشره علماء الامة في كتبهم ، وعندما وصلت موريتانيا في رجب سنة ١٣٩٨ هـ اتصلت ببعض من أعرف للبحث عن نسخة من هذا الكتاب ، وأغريت بالمال لمن وجدها لي ، فاتفق أن رجلا من تندغة أحضر لي نسخة خطية من الكتاب ، بخط جميل مقروءٍ ، ولما اتفقنا في الثمن الذي بالغ فيه ؛ لاطلاعه على حرصي على وجود النسخة ، شرعت أتصفحها فإذا النسخة تنتهي عند قول الناظم :

عتيبة وعتبة معتِّب ودرة إلى التبيب تنسب

فقلت لصاحبي : إن الكتاب ناقص وبيت القصيد من التأليف مفقود منه ، حيث إنه انتهى قبل نسب بني عبد مناف ونسب الأنصار ، وهما الغاية المطلوبة من التأليف أصلا ، وكان ذلك نتيجة لجهلي لهذا الكتاب جهلاً مطلقاً ، على الرغم من أني أزعم أني من أهل الفن ، لكن هذا الكتاب لم يقع بيدي قط ، ولم يبلغني أن المؤلف مات ، عليه رحمة الله ، قبل إكماله ، وأظن أن صاحبي أيضا ـ الذي كان يريد بيع الكتاب علي ـ كان يجهل هو الآخر أن المؤلف مات قبل إكمال الكتاب بدليل أنه لم يفدنى بذلك ، على الرغم من حرصه على بيع الكتاب ، فأخذه وانصرف ، وعند ذلك استخرت الله وشرعت في وضع شرح مختصر يعنى بالنسب فقط . دون الوقائع وما إلى

ذلك ، وذلك فى شهر شوال سنة ١٣٩٨ هـ ، وبعد أن وصلتُ البلاد المقدسة في صفر سنة ١٣٩٩ هـ وجدت نسخة من الكتاب عند أحد بني عمومتي ـ هو أحمد بن أحمد بن محمد المختار ، الشهير ببدِّي بن إنجِّيهْ ـ وذلك بعد أن وصلت فى كتابتي نسب الأنصار ، فكتبت إلى فضيلة الشيخ عبد الله بن ابراهيم الأنصارى بأنني حصلت على نسخة من الكتاب ، ولكن بعد ما بلغت قريباً من النهاية في كتابتي الخاصة ، فرد علي ، حفظه الله بأنه من الصالح العام أن يكون العمل على تبييض الكتاب مع بعض الاستدراكات والتعليقات من قبلي ، وأن ذلك هو الأنسب فى نظر فضيلته ، فاستعنت بالله وشرعت في تبييض الكتاب ، مع وضع ما لابد منه من التعليق ، وليت الشيخ كان أذن لي فى اختصار الكتاب ، لأنه طويل مليء بأمور لاتقرها الشريعة ، مبنية على نظام القوم الجاعل فرقاً بين الشريعة والحقيقة .

وعلاوة على ذلك فإن الكتاب تناولته يد النساخ فأذهبوا رونقه لما أودعوه من الأغلاط الإملائية والركاكة أحياناً ؛ من الحيلولة بين العامل ومعموله بأجنبي ، ومن إضمار في غير محله إلى غير ذلك ، مما جعلني وأنا أعتقد في المؤلف أنه من أهل التبريز في اللغة العربية ، لاشتغال أهل منطقته عادة بها ، ولأنه إذا شرع في تحليل حكم نحوي أبرز كفاءته ، فجعلني ذلك أنسب ماذكرت إلى النساخ ، الأمر الذي حملني على التصرف في الإنشاءِ أحياناً مع كامل المحافظة على جوهر المعنى المقصود منه [١] بالذات ، واذا كان لي اعتراض على أي معنى ، أتيت به فى زاوية التعليقات ، ولقد زدته رونقاً بذكر عنوان الموضوعات ، وبعض الطرف والحكايات ، وبالجملة فإنه كتاب أدب ممتع لمن أعطاه الله مكرعاً في هذا

---

(١) وربما زدت عبارة للايضاح فأجعلها بين قوسين

الفن ، وكأني بمن يطلع عليه ممن لم يعط من العلم إلا التهجي يقول : من أين له هذا الخبر ؟ . ومن راوي هذا ؟ . يريد منا أن نسجل التاريخ بأسانيد على شرط مسلم إن لم نستطع إخراجها على شرط البخاري ، والمصيبة المرة هي أن من كانت تعاليمه كلها نظامية واعتمد عليها ، ونصّب نفسه للتدريس والتوجيه ، أنشدته لسان حال العلم

لَقَـدْ هَزُلَتْ حَتَّىٰ بَدَا مِنْ هُزاِلهـا كُلَاهَـا وَحَتَّىٰ سَامَهَـا كُلُّ مُفْلِسِ

ومما تفضل الله عليَّ به في موضوع هذا الكتاب أني بمجرد ماشرعت في تبييضه وجدت عند ابن عمنا ، الشيخ محمد الأمين بن الحسين الجكني ، المدرس في مدرسة أُبيّ بن كعب لتحفيظ القرآن الكريم بالمدينة المنورة ، وجدت عنده نسخة أخرى كانت عنده عارية تملكها امرأة موريتانية شمسدية تدعى صفية ، فاستعرته تلك النسخة للمقابلة بينها وبين التي عندي ، فأعارنيها غير أنها بالية جداً ، مما حملني على شراءِ مكبر للحروف للاستعانة بالله ثم به على قراءة هذه النسخة ، فصار الكتاب لذلك مقابلاً على نسختين ولله الحمد .

وسوف أقوم ـ باذن الله وعونه ـ بتتمة شرح هذا النظم النفيس الذي توفي الشارح قبل تمام شرحه ، بل وعمدة المطلوب منه هو مابقي عنه إذ يحتوي الباقي على نسب ابن عبد مناف ونسب الأنصار ، ومااتى به باختصار من أنساب قبائل اليمن الأخرى . وسوف يكون بعنوان « **إكمال تحفة الألباب في شرح الأنساب**» لأن حماداً عليه رحمة الله تعالى أسمى كتابه هذا «**تحفة الألباب في شرح الأنساب**» وبتلك المناسبة فقد أسميت مجهودي هذا «**التعليق الصواب على تحفة الألباب**» .

ـ التعريف بالناظم والشارح ـ

أبـدي عميق أسفي على أني لست على بينة من أمر هذين الرجلين العظيمين، الطائر صيتهما بتآليفهما ، لأنهما ليسا من المنطقة التى أنتمي إليها من موريتانيا ، وهي بلاد مترامية الأطراف ولم يكن التاريخ محفوظاً بها ، غير أن الذي استطعت الحصول عليه هو أن الناظم الشيخ أحمد البدوي بن محمدا ـ بمد الدال المفتوحة ـ ابن حبيب الله بن أحمد بن محمدا ـ ضبطها كسابقتها ـ ابن أبيال بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن بادلِّي ـ بتشديد اللام المكسورة ـ ابن أُكْ ـ بضم الهمزة وسكون الكاف ـ المجلسي ثم البوحمدي منهم ، وقد أخـبرني صديقي العـلامة الشيخ محمد سالم بن محمد علي بن عبد الودود المباركي ، أن قبيلة الناظم تنتسب إلى ابراهيم الأموي الذي كان يلي القضاءَ للأمير أبي بكر بن عمر اللمتوني فاتح الصحراء ومؤسس دولة المرابطين التي مهـدت الحضـارة المغربية ، وقال الشيخ محمد سالم بن عبد الودود : إنهم يدعون أنهم يرجعون في نسبهم إلى عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه .

ولقـد أفـادني كذلـك أن الناظم تعلم هذا الفن ـ أعني سيرة النبي وأنساب العرب ـ على والده وعمه ؛ عبد الله الحاج بن المبارك وأخيه محمد وهما من علماءِ القرن الثاني عشر ، وقد قال فيهما يمتدحهما :

بَنُـو السَّيِّدِ الْقرْمِ الشَّرِيف[1] الْمُبَارَكِ

تَزَيَّـوْا بِزَيِّ الْمَـاجِـدِيـنَ الْـبرَامِكِي

---

(١) ذكر لي الصديق الشيخ محمد سالم أن نسبتهم إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما ولذلك قال فيهم : القرم الشريف ألخ .

هُمُ الـرَّهْطُ لَا آلُ الْـمُـهَـلَّبِ فَوْقَـهُمْ
وَمُـدْرِكُهُمْ في الـدِّينِ خَيْرُ الْمَـدَارِكِ
فَنـاهِـيـكَ مِمَّنْ حَجَّ لِلّهِ بَيْـتَـهُ
وَمِـنْ عَالِمٍ أَدْرَى بِمَـذْهَـبِ مَالِـكِ

وقال أيضاً في عبد الله الحاج بن المبارك ، وهو جد الشيخ محمد سالم :

النَّـاسُ بِاللَّهْـوِ وَالسَّفْسَـافِ في شُغُـلٍ
وَابْـنُ الْـمُـبَـارَكِ بِالْحَـوْبَـاءِ فِي شُغُـلِ
مَاذَا يُؤَنِّـبُ مِنْ نَفْسٍ مطَهَّـرَةٍ
قَبْـلَ الْجِـوَارِ وَقَـبْـلَ الْحَـجِّ فِي الْأَزَلِ
مَاذَا يُؤَنِّـبُ مِنْهَـا بَعْـدَ مَا حُفِـظَتْ
وَهَـلْ يَلِي الْحِفْظَ إِلَّا عِصْمَـةُ الـرُّسُلِ ؟

وسمعت من الشيخ محمـد سالم ومن غيره ، أن من دواعي شروع المؤلف فى تأليف نظمه هذا ، أنـه استضاف خيمة من تلك الناحية التي تليهم ، ومعروف عن بعض زواياها [1] عدم الاهتمام بالضيف ، فلما احتج على أهـل الخيمـة ، يريد جائـزة الضيف ، قالت له ولية بداخل الخباءِ : ولعلك لا تعرف من هي جدة النبي ﷺ لأمه ؟ . فخجل وانسحب وجدَّ في

---

(١) الزوايا يعبر بها في موريتانيا عن قوم أكثر ما يكون اشتغالهم بطلب العلم ا . هـ

طلب علم السيرة والنسب ، وبعد أن حصَّل ماحصَّل مر بنفس الخباءِ وسلم ، فردت له نفس المرأة السلام فأنشدها قوله :

وأُمُّ أُمِّ الْمُصْطَفَى إِذْ تُعْزَى ... بَرَّةُ بِنْتُ الْقِرْمِ عَبْدِ الْعُزَّى

فأجابه قائلة : بعد ماذا ؟!

وقد وجدت على نسخة الحرم المكى بالمكتبة وقف الدهلوى أنه مات نحواً من سنة ١٢٢٠ هـ وأما الشارح فإني لاأعلم عنه إلا أنه ابن أخي الناظم ؛ فهو الشيخ حماد بن الأمين بن محمدا ـ بالدال المفتوحة الممدودة ـ فالناظم عمه ، هكذا أفادني الشيخ محمد سالم بن عبد الودود ، العلامة الذي له اليد الطولى في الفقه وأصوله والتفسير والعربية والشعر . ومن شعره كما حدثنيه ، أنه مثَّل موريتانيا فى مؤتمر بجاكرتا بأندونيسيا فلما بحث مع بعض علمائها وسألهم عن معرفتهم بالموريتانيين فإذا هم لم يحدثوه عن عالم موريتاني إلا من الجكنيين ، قال فجادَت قريحتي بهذه الأبيات :

جَزَى الله عَنَّا الْحَيَّ جاكَانَ خَيْرَ مَا
جَزَى مَعْشَراً مِنْ حُسْنِ مَاصَنَعوا بِنَا
هُمُ خَلَّدُوا فِي كُلِّ قُطْرٍ ثَوَوْا بِهِ
مِنَ الذِّكْرِ مَجْداً شَامِخاً لِشُعُوبِنَا
وَنَحْسُدُهُمْ فِينَا وَنَجْحَدُ فَضْلَهُمْ
لِنَهْدِمَ مَاشَادوا وَقَدْ رَفَعُوا بِنَا[1]

---

(١) هذه الأبيات دليل واضح على سمو نفس هذا العالم وسلامتها من أدران الحسد ، الذي هو أول ذنب عصي الله به في السماءِ وأول ذنب عصي به في الارض ا . هـ .

هذا وأرجو الله السميعَ العليم أن يوفقنا جميعاً إلى مافيه خير الدنيا والآخرة ، وأن يتقبل منا ومن سائر المسلمين صالح الأعمال ، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه جلت قدرته . وأن يغفر لنا ولوالدينا ولمن نشر هذا الكتاب ، أو سعى فى نشره أو حصله بتعلُّم أو غيره . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . اللهم صلّ على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أحمد المختار الجكني الشنقيطي

المدرس بالمسجد الحرام

بسم الله الرحمن الرحيم

يقـول الشيخ حماد بن الأمين بن محمدا ـ بمد الدال المفتوحة ـ ابن حبيب الله بن أحمد بن محمدا ـ بمد الدال المفتوحة ـ أيضاً ـ ابن أبيال بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن بادلِّي بن أُكْ ، المجلسي ثم الموريتاني ، شارحاً نظم عمه الشيخ أحمد البدوي بن محمدا ـ وقد ضبطناه في نسب ابن أخيه الشارح عمود النسب ـ وقد أسمى هذا الشرح «**تحفة الألباب في شرح الأنساب**» :

الحمد لله المعين وبه أستعين ، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم ، اللهم صلّ على محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

حَمْداً لِمَن رَفَـعَ صِيتَ الْعَـرَب
وَخَصَّهُـمْ بَيْنَ الأَنَـامِ بِالـنَّبِيّ

قوله : حمداً ، مصدر نائب عن فعله ، والصِّيتُ ، بالكسر للصاد ، والصيتـة : الذكر الحسن ، والعرب بالتحريك وبالضم ضد العجم ويعم العاربة والمستعربة ، واشتقاقه من الإعراب ؛ وهو الإفصاح والبيان . وسمّوا بذلك لأن لغتهم كذلك ، أما من ألهمها منهم أو ارتجلها فهم العاربة وهم تسع قبائل : عاد وثمود وجرهم وجديس وطسم وأُميم ـ كزبير ـ وعَبِيِّل ـ كقنديل ـ وعملاق ـ كقرطاس ـ ووبار ، وهؤلاء يقال لهم العرب البائرة ، لأنهم باروا كلهم أي هلكوا ، وأما من تعلم العربية من هؤلاءِ فيقال لهم المستعربة وهم : قحطان وعدنان والمشهور أن قحطان هم العاربة والعرباءُ

لأنهم بقية هؤلاءِ ، ولاعبرة بالقول أن قحطان بن اسماعيل ؛ لضعفه[1] ، وأما عدنان فبالاتفاق أنهم المستعربة ؛ لتعلم أبيهم اسماعيل وأولاده العربية من العماليق وجرهم ، وسيأتي نسب الجميع إن شاء الله إلى سام بن نوح .

وقوله : وخصهم أي فضَّلهم . ويحتمل أن تكون الواو تفسيرية ، والأنام : ماعلى وجه الأرض ، والانس والجن ، ولعله المراد هنا . ويقال آنام كساباط . هذا مالخصته من القاموس والقلقشندي .

يقول : جعلت الحمد لمستحقه الذي رفع صيت العرب على غيرهم من بني آدم ؛ بأن فضَّلهم بالنبي ﷺ والنبي ـ بغير همز ـ المختار وهو فعيل بمعنى فاعل ، على أنه بمعنى النبإ وهو الخبر أي الآتي بالخبر عن الله تعالى ، وبمعنى مفعول على أنه من النبو ، أي الارتفاع . يقال : نبا نباً ونبوءً أي ارتفع ، أي المرفوع عن غيره من الخلق ، أي رفعه الله بالأوصاف الحميدة كالنبوّة وغيرها من الأخلاق الكريمة . قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[2] . مع أن النبوة لاتتفاضل ، وإنما يفضل بعض النبين بعضاً بكونه أبهر آية وأعظم خلقاً لا بتفاضل النبوة ، وبذلك فسر قوله ﷺ : « **لَاتُفَضِّلونِي عَلَىٰ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ** » ا . هـ . **من الشفاءِ للقاضي عياض** .

---

(١) قلت : تناقض ، عليه رحمة الله ، حيث يقرر أن العرب العاربة يقال لهم البائرة ؛ لأنهم باروا كلهم أي هلكوا ، ثم يقول بعد ذلك بسطر واحد : والمشهور أن قحطان هم العاربة والعرباء لأنهم بقية هؤلاءِ ، ثم إنه من المثير للتعجب ؛ كيف يصنف ماترجم به البخاري في صحيحه من جملة الأقاويل الضعيفة ؟! . وسوف نتعرض باذن الله لإيضاح ذلك في محله . وبالله تعالى التوفيق .

(٢) سورة القلم : ٤

وَعَمَّهُمْ إنْعَامُهُ بِنِسْبَتِهْ
فَدَخلوا بِيُمْنِهَا في زُمْرَتِهْ

عمهم أي العرب : أي عمهم إنعام الله تعالى عليهم بنسبة النبي ﷺ إليهم . قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ ﴾ [1] . وقرئ بفتح الفاء لأنه ﷺ سيدنا ونبينا ورسولنا من ربنا المنعم علينا به وملجؤنا[2] وملاذنا وشفيعنا محمد ﷺ ابن الذبيح عبد الله بن شيبة عبد المطلب ، وسمي به لأن أباه هاشماً حين حضرته الوفاة قال لأخيه المطلب : أدرك عبدك ابن عمرو هاشم بن المغيرة عبد مناف بن زيد قصي ؛ أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، وفيه يلتقى أبوه مع أمه ، لم يتزوج أبوه ولا أمه بأحد غيرهما[3]، مات أبوه وهو[4] بالمدينة حمْل ، ودفن فى دار من دور أخواله بني النجار ، وكان بعثه أبوه ليأتيه بتمر من المدينة ، وكفله جده وأرضعته خليمة السعدية من بني سعد بن بكر ، وشق صدره عندها ، وبشَّر به سيفُ بن ذي يزن عبد المطلب لما وفد عليه مع وجوه قريش وثقيف يهنئونه بفتح الحبشة ، قالوا : ولا[5]يكمل الإيمان إلا بمعرفة

---

(١) سورة التوبة : ١٢٨

(٢) قول الشارح : ملجؤنا وملاذنا ، يعني بهما رسول الله ﷺ عبارة بشعة حيث إن الملجأ والملاذ ربّ الجلال والكمال تبارك وتعالى ، غير أنه يستطاع أن يُلتمس له المخرج بحمل قوله على لجوء أهل المحشر إليه ﷺ يريدون منه الشفاعة الكبرى كما ثبت فى الصحيحين من حديث أنس .

(٣) يريد لم يتزوج أي منهما بغير الآخر .

(٤) قوله : مات أبوه وهو بالمدينة حمل . . ألخ . يعني أن أباه مات بالمدينة وهو ﷺ لايزال حملاً .

(٥) تعليقه ، رحمه الله ، كمال الإيمان على معرفة سلسلة أجداده ﷺ إلى قصي ، لم أقف له على دليل ، ولم أسمعه من غيره . والله تعالى أعلم .

ماذكرنا من نسبه ، وكونه قرشياً تهامياً حجازياً مكيَّ المولد والمبعث مدني المهاجر والروضة ، ويقبُح بالكريم ولو جاهلاً جهل كونه ولد عام الفيل بعد قدومه بخمسين يوماً ، وبعث على تمام أربعين سنة وقيل على رأسها كما في حديث أنس ، والصحيح الأول ، ومكث عشر سنين يدعو إلى مجرد التوحيد ، ثم أسري به وفرضت عليه الصلاة وهي أول الشرائع وأقام بعده ثلاث سنين على المشهور بمكة ، ثم هاجر ﷺ إلى المدينة لما أنزل عليه : ﴿ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾[1] . وأمر بالجهاد بقوله تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ﴾[2] . وقوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾[3] . ومكث عشر سنين بالمدينة وغزا منها جميع غزواته وبعث جميع سراياه . وتتابعت عليه الوفود سنة تسع من الهجرة ، ودخل الناس فى الدين أفواجاً ، ثم في سنة عشر حج حجة الوداع ، وفُرض الحج قبل ذلك بسنتين ، ولكن لاعلى الفور[4] . وقوله : بيمنها ، أي ببركتها أي نسبته . والزمرة : الجماعة ، يعني أن العرب عمهم إنعام الله تعالى عليهم ببركة نسبة النبي ﷺ ؛ ومن ذلك أنهم دخلوا في جماعته أي الاسلام ، ومامات ﷺ إلى أن أسلمت العرب جميعها إلا بقايا من غسان ولخم وجذام وعاملة ، ثم أسلموا في خلافة أبي بكر رضي الله عنه .

---

(١) سورة الاسراء : ٨٠

(٢) سورة الحج : ٣٩

(٣) سورة التوبة : ٧٣

(٤) قوله : وفرض الحج قبل ذلك بسنتين ولكن لاعلى الفور ، قول ينقصه التحقيق ، فالمسألة اختلفت فيها علماء الأمة : منهم من قال بمقالته هذه ، أنه على التراخي وبه قال الشافعي وأصحابه ، ومنهم من قال فرض على الفور ، وبه قال الإمام أحمد وأبو يوسف وجمهور =

وَدَوَّخُــوا بِسَــيْفِــهِ غُلْبَ الْعَجَمْ
إِذْ هُمْ بَنُــو أَبٍ وَأُمٍّ بِالْحَــرَمْ

دوخوا : ذللوا بسيفه ﷺ . وغُلب العجم قبائلها العزيزة المتمنعة ، أو جمع غَلِب كَفَرِح[1] لغليظ الرقبة ، وحق للعجم أن يوصفوا بذلك لتمتعهم بالدنيا ، وقوله : إِذْ هم بنو أب وأُم بالحرم ، أي حيث تحاووْا عند النبي ﷺ بالحرم . عبر[2] بالأم عن الإسلام ، يعني أنهم أشقاءُ لأن أباهم جدُّ العرب وأُمهم الإسلام .

إِذ الْخُيُــولُ الْبُلْقُ فِي فُتُــوحِهِمْ
وَالـرُّعْبُ وَالـظَّفَـرُ فِي مُسُوحِهِمْ

= أصحاب أبي حنيفة ، وأما مذهب مالك ـ وهو مذهب الشارح الذي نحن بصدد التعليق على شرحه ـ فإن لمالك فى المسألة قولين مشهورين ؛ أحدهما أنه على الفور ، والثاني أنه على التراخي . ومحل الخلاف مالم يخش الفوات وإلا كان على الفور اتفاقاً عندهم ، قال خليل في مختصره : وفي فوريته وتراخيه لخوف الفوات خلاف ،

وأما قوله أنه فرض عام ثمان ففيه نظر أيضاً لأن قوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ للهِ﴾ الآية سورة البقرة : ١٩٦ نزلت عام ست بلاخلاف ، في شأن ماوقع بالحديبية ، وفي المسألة غير ذلك . انظر أضواءَ البيان الجزء الخامس ابتداء من ص ١٠٨ .

(١) قوله : جمع غلب كفرح ، الذي معي أن غُلباً بضم الغين جمع أغلب وهو غليظ الرقبة ، وهي من أسماءِ الأسد ، ومن ذلك الاستعمال قوله تعالى : ﴿وَحَدَائِقَ غُلْباً﴾ سورة عيسى : ٣٠

(٢) تعبيره هنا غير سليم في نظري إذ أن مراد الناظم هو أن جميع العرب إخوة لأب واحد وهو ابراهيم وأُم واحدة وهي هاجر ، أو لاسماعيل وزوجته . والله أعلم .

يعني خيول الملائكة . وإنما كانوا يرونها بذلك اللون ، وهو ارتفاع التحجيل إلى الفخذين ، ومافقدوها إلى أن قتل عثمان ، رضي الله عنه ، وروي أن عبد الله بن سلام دخل على عثمان وهو محاصر فقال : ياأمير المؤمنين . حِلَّ لك القتال فمرنا أن نقاتل الناس . فقال : أنشدكم الله وذمتي عليكم أن لاتهرقوا فيَّ قدر محجمة من دم مسلم ، فخرج على القوم وقال لهم : أيها الناس أنشدكم الله فى هذا الرجل ، فإن الملائكة مازالت محيطة بمدينتكم هذه منذ قدوم رسول الله ﷺ عليها ، فإن قتلتم إمامكم فارقتكم الملائكة وبقيتم في شقاق بينكم ، وبؤتم بإثم قتل إمامكم ، فقالوا : اقتلوا اليهودي والنعثل ، أي عثمان رضي الله عنه . ا . هـ . من تذكرة القرطبي بمعناه . وكانوا يقولون لعثمان رضي الله عنه : النعثل . فُضَّت أفواههم . والنعثل الضبع .

والرعب : الفزع ، والظفر بالتحريك : الفوز بالمطلوب . والمراد هنا الظفر بالأعداءِ ، والمسوح : جمع مِسْح ، اللباس والثوب الخلق ، يعني أن من يُمن نسبة النبي ﷺ إلى العرب أنهم منذ يوم بدر ماقاتلوا الكفار إلا ريئت خيل الملائكة تقاتل معهم[1] ، وكلما رأت العجم لباسهم الخلق الخشن ألقى الله الرعب في قلوبهم ، ويتبع ذلك ظفرهم بهم فيفتحونهم أو يقرون بالجزية ، أما خيل الملائكة فيراها الخواصُّ من المسلمين ويراها الكفار ، كما في حديث أبى سفيان بن الحارث حين قدم مكة من هزيمة بدر ، فرآه أبو لهب فقال : إلي ابْنَ أخي فعندك الخبر ، فقال : نعم لقينا محمداً وأصحابه فما زالوا يقتلون فينا ويأسرون ووالله مالمت الناس . فقال أبو لهب : ولِمَ ؟ .

---

(١) التحقيق أن الملائكة لم تقاتل إلا يوم بدر ، والقول بعدم قتالهم يوم بدر ضعيف لايعول عليه . والله الموفق .

قال : رأيت رجالاً عليهم ثياب بيض على خيل بلق لايذرون شيئاً ولايقوم لهم شيءٌ ، فقام أبو رافع مولى العباس ـ وكان قد أسلم ـ فقال : تلك خيل الملائكة ، فقام إليه أبو لهب فصرعه وجلس على صدره يضربه ، فأخذت أم الفضل عمود فسطاط فضربت به أبا لهب فشجته وقالت : استضعفته حين غاب مولاه ، وحديث طليعة مالك بن عوف يوم حنين .

هُمْ صَفْـوَةُ الْأَنَـامِ مَنْ أَحَبَّهُمْ
بِحُـبِّـهِ أَحَـبَّـهُـمْ وَوِدَّهُـمْ
كَذَاكَ مَنْ أَبْـغَـضَـهُـمْ لِبُغْضِـهِ
أَبْـغَـضَـهُمْ تَبّـاً لَهُ مِنْ مُعْضِـهِ

صفـوة الشيءِ مثلثـة ماصفـا منـه . والأنـام تقـدم ، والحب والـود مترادفـان ، وتبـاً قطْعاً وضلالاً أو خُسْراناً أي أخسره الله وأضله وقطعه ، والعضه والإعضاه : الإتيان بالإفك والبهتان . يعني أن العرب صفوة الخلق كله لحديـث : «**إنَّ الله اصْطَفَى الْعَرَبَ مِنَ النَّاس ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّ النَّبِيِّ ﷺ أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِه أَبْغَضَهُمْ ، أَضَلَّهُ الله وَقَطَعَهُ مِنْ بَاهِتٍ وَآفِكٍ**» . وصفه بالإفك والبهتان [لأَن مبغض أحد[1] شأْنه أن يبغضه ويوفكه] وأشار في هذا البيت إلى حديث أسنده القاضي في الشفاءِ إلى ابن عمر ، رضي الله عنهما : «**مَنْ أَحَبَّ الْعَرَبَ** . . . **الحديث** .

---

(١) العبارة بين القوسين لم افهم مراده بها ، ولعله يريد أن من يبغض العرب من شأْنه أن يبغضه ﷺ ويوفكه . والله تعالى أعلم .

أئِمَّـةُ الـدِّينِ عِمَادُ السُّنَّـةْ
لِسَـانُهُمْ لِسَـانُ أَهْـلِ الْجَنَّـةْ

يعني أن العرب هم أئمة الدين ، جاءَ به النبي ﷺ فتلقّاه منه المهاجرون والأنصار فكانوا أئمة الدين وأساساً للشريعة ، وقوله : لسانهم لسان أهل الجنة ؛ قال ﷺ : «أُحِبُّ الْعَرَبَ لِثَلَاثٍ ؛ لأَنِّي عَرَبِيٌّ وَالْقُرْآنُ عَرَبِيٌّ وَلِسَانُ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَرَبِيٌّ» . وفيه المدح لهم مرتين ؛ موافقة أهل الجنة في اللغة وحب النبي ﷺ لهم .

جُمَانُ سِلْكِ نَسَبِ النَّبِيِّ
نَاهِيكَ مِنْ سِلْكٍ وَمِنْ نَبِيِّ
ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَرْمَدَا
عَلَىٰ أَجَلِّ الْعَالَمِينَ مَحْتِدَا

الجمان[1] : اللؤلؤ والخرز المنظوم في سلك ، وسلك النسب عموده ؛ وهو أجداد النبي ﷺ . وناهيك : كافيك ، أي حسبك سلك نسب النبي ﷺ من كل سلك غيره ، وحسبك النبي أي اتباعه من اتباع غيره من الأنبياءِ ، لأن اتباعه يستلزم اتباعهم ، يعني أن العرب لعمود النسب كالجمان للسلك ، وهو من باب الاستعارة ، والسرمد : الدائم . والمحتد الأصل ، ويقال فيه المحتد والمحكن . ا . هـ .

---

(١) أصل الجمان حب من فضة يعمل على شكل اللؤلؤ ، وقد يسمى به اللؤلؤ ، قال الشاعر :

كجمانة البحري جاءَ بها ... غواصها من لجة البحر

ثم بعد أن حمد الله ثنّى بالصلاة على النبي ﷺ امتثالاً للحديث : «كُلُّ أمرٍ ذِي بَالٍ لاَيُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ الله الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ، وفي رواية : بالْحَمْدِ لله . وفي رواية : بِالصَّلاَةِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ ، فَهُوَ أَجْذَمُ أي قَلِيلُ الْبَرَكَةِ» .

وَبَعْـدُ فَالْعُلُومُ مِنْ أَعْـظَمِهَـا
فَائِـدَةً فَكَـانَ مِنْ أَهَمِّـهَـا
عِلْمُ عَمُـودِ نَسَـبِ الْمُخْتَـارِ
ثُمَّ عَمُـودِ نَسَـبِ الأَنْـصَـارِ

أي : وبعد البسملة نثراً والحمد لله والصلاة على نبيه نظمًا ، فالعلوم المهمة من أعظمها فائدة علمُ عمود نسب النبي ﷺ وهو عدنان ، ثم عمود نسب أنصاره رضي الله عنهم وهو قحطان ، فبسبب كونه من أعظم العلوم فائدة كان من أهمها ، وعمود النسب وسلكه أجداده ﷺ .

إِذْ مِنْهُـمَا تَشَـعَّـبَ الإِيمَانُ
وَالنُّـورُ والحِكْمَـةُ وَالْفُـرْقَـانُ

تشعب : تفرق . والنور : الضوءُ . عبر به عن الاسلام لأن الكفر ظلمة والاسلام نور . قال تعالى : ﴿ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ ﴾[1] . والحكمة هنا العلوم . والفرقان : القرآن يعني أن من هذين العمودين تشعب الإيمان ، لأن أصله النبي ﷺ فتلقاه منه المهاجرون أول الأمر وهم من عدنان ، عمود نسب النبي ﷺ ، ثم الأنصار وعمود نسبهم قحطان ،

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٧

وتشعب منهما الإيمان المعبَّر عنه بالنور ، والعلم المعبر عنه بالحكمة والقرآن ، لأن أول من حفظه عنه المهاجرون والأنصار .

لَوْلاَهُمَــا مَاكَــانَ لِلْكَــوْنِ ثَمَــرْ

نَعَــمْ وَلاَ كَانَ وَلاَ كَانَ بَشَرْ

الكـون الـوجود ، والثمر حمل الشجر ، يعني فائدته أي لولا هذان العمـودان ماكانت فائدة للكون . نعم ، أي بَلَىٰ ولاكان الوجود من أصله ولاكان بشر ؛ لأن الكائنات كلها إنما كانت من نور النبي ﷺ لما ورد[1] : أول ماخلق الله نوره ﷺ ، قال الشاعر :

لولاك ماخلقت شمسٌ ولاقمر ... ولانـجـوم ولالـوح ولاقـلم

وقال البوصيري :

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من ... لولاهُ لم تخلق الـدنيـا من العـدم

أحَــقُّ مَاأُرْعِــفَــتِ الْــيَرَاعَــةْ

فِيــهِ وأُعْــمِلَتْ لَهُ الْــبراعَــةْ

عِلْمٌ بِهِ يُبْحَــثُ عَنْ نُورِ الــنَّبيّ

إذْ هُوَ فِي مَنْصِبِــهِ الْمُهَــذَّب

الـيراعـة . قصبة تعمل منها الأقلام . والبراعة : الغلبة في الفهم والعلم وغـيرهمـا ومنـه الجـمال البـارع ، والبحث : التفتيش ، والمنصب

(١) قلت : هذا الحديث موضوع دون ريب ، ومخالفته لما ثبت فى الصحيح تشهد لوضعه ، وهو قوله ﷺ : «أَوَّلَ مَاخَلَقَ الله الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ . قَالَ : رَبِّ وَمَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ : اكْتُب مَقَادِيرَ كُلِّ شيْءٍ» .

= وقول الشاعر الذي استدل به باطل ؛ لأن مؤداه أن الله تعالى خلق الدنيا من أجل محمد ﷺ وقد قال الله تعالى في محكم تنزيله ، إنه إنما خلق الثقلين لأجل عبادته ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ سورة الذاريات : ٥٦ وقال تعالى ﴿ **لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا** ﴾ سورة هود :٧ . وأثبت شيء وجدته لهذه المسألة حديث أخرجه عياض في الشفاءِ ؛ أن آدم لما أكل من الشجرة قال : اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي . قال الله : يا آدم من أين عرفت محمداً ولم أخلقه بعد ؟ . قال : لما خلقتنى بيدك وأدخلتنى جنتك وأسجدت لي ملائكتك رأيت مكتوباً على باب جنتك : لا إله الا الله محمد رسول الله . فعلمت أنه ليس أحد أكرم عليك ممن قرنت اسمه باسمك . وقد عرضت هذه المسألة على شيخي المرحوم الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني ثم اليعقوبي أمير المؤمنين في معقول العلوم ومنقولها ، فقلت : تعلمون أن أبرز شيوخ مشائخنا في بلادنا ـ أعني شنقيط فى موريتانيا ـ العلامة المختار بن بونه الجكني ، وقد قال فى رائيته المعروفة بالبراءة :

محمد المخلوق من بركاته ومن نوره أيوب والرسل النُّذر
فلولاه لم تخلق من العدم الدنا وضرتها والموت ولا الحشر والنشر . . . ألخ

وهذا عياض يقول في شفائه كذا للحديث المتقدم ، فما رأيكم ؟ . فقال : أما شيخ مشائخنا وابن عمنا أخطأ وعليه رحمة الله ويلتمس المخرج له من حيث إن كتب الرجال التي هي مجهر لعلل الحديث لم تكن موجودة في زمنه بتلك البلاد النائية ، وقد يطلع على بعض أحاديث يظنها صحيحة فيأخذ بها ، ولو اطلع على أن هذا الحديث مداره على عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم ، وأن عبد الرحمن من الضعف بحيث لايعبأ بحديثه لما قال ماقال ، ثم قال لي : يا إبني إن الله تبارك وتعالى بين في الكتاب العزيز حكمة خلقه للخلق فقال : ﴿ **لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا** ﴾ . ولم يقل فى آية واحدة أنه خلق الخلق من أجل محمد ﷺ =

= ولم يثبت عنه ﷺ في حديث صالح للاحتجاج به أنه خلق الخلق من أجله ، أو أن أول ماخلق الله نوره ﷺ بل ثبت عنه أن أول ماخلق الله القلم كما قدمنا ، لذلك فان الله تعالى يقول : ﴿ وَلَاتَقْفُ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ سورة الاسراء : ٣٦ . والنبي ﷺ يقول : «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» ، بل إن من أعظم وظيفة الشيطان أن يأمر الناس أن يقولوا على الله مالا يعلمون ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَىَ اللهِ مَالَا تَعْلَمُونَ﴾سورة البقرة : ١٦٩ . ولما بين الله للخلق ماحرم عليهم قال : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَابَطَنَ وَالْإِثْمَ» - إلى أن قال - : « وَأَنْ تَقُولُوا عَلَىَ اللهِ مَالَا تَعْلَمُونَ﴾ سورة الاعراف : ٣٣ . يتحصل من هذا أن القول بذلك من غير دليل من الله ورسوله تقوّل على الله ورسوله ، وليس فى عدم القول به غض من مقام رسول الله العظيم عند الله ، بل إن الله أعد له المقام الرفيع والمنزلة العظيمة ووعده الوسيلة وهو صاحب المقام المحمود ، آدم فمن دونه تحت لوائه يوم القيامة ، وهو صاحب الشفاعة الكبرى - بأبي وأمي هو - عليه صلوات الله وسلامه . ا. هـ . ولشيخنا رحمه الله شبه رسالة فى الموضوع .

قلت : ونظراً لتشبث بعض الناس بهذه القولة نثبت لكم ماذكره علماءُ العلل الحديثية في عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب الذي عليه مدار هذا الحديث ، فنقول وبالله تعالى التوفيق : قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب الجلد السادس ص ١٧٧/١٧٨ : عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم المدني . إلى أن قال : قال أبو طالب عن أحمد : ضعيف . وقال أبو حاتم : سألت أحمد عن أولاد زيد أيهم أحب إليك ؟ . قال : أسامة . قلت : ثم من ؟ . قال : عبد الله ثم ذكر عبد الرحمن وضجع في عبد الرحمن . وقال الميموني عن أحمد : عبد الله أثبت من عبد الرحمن ، قلت : فعبد الرحمن ؟ . قال : كذا ليس مثله وضعّف أمره قليلاً . وقال عبد الله بن أحمد : سمعت أبي =

الأصل ، والمهذب المخلص ، ورجل مهذب مطهر الأَخلاق . يقول : أُحق ما أُسيل فيه رعاف الأَقلام ، وهو المداد ، واستخدمت له البراعة ، علم يفتش فيه عن نور النبي ﷺ وقت كونه في أَصلاب أَجداده المطهرة الأَخلاق .
قال البوصيري :

= يضعف عبد الرحمن إلى أن قال : وقال البخاري وأبو حاتم : ضعفه علي بن المديني جداً . وقال أبو داود : أولاد زيد بن أسلم كلهم ضعيف وأمثلهم عبد الله . وقال أيضا : أنا لاأحدث عن عبد الرحمن . وقال النسائي : ضعيف . وقال ابن عبد الحكم : سمعت الشافعي يقول : ذكر رجل لمالك حديثاً منقطعاً فقال : اذهب إلى عبد الرحمن بن زيد يحدثْك عن أبيه عن نوح ، وقال خالد بن خداش : قال لي الداروردي ومعن وعامة أهل المدينة : لاترد عبد الرحمن إنه كان لايدرى مايقول . إلى أن قال : وقال الساجي : حدثنا الربيع حدثنا الشافعي قال : قيل لعبد الرحمن بن زيد : حدثك أبوك عن جدك أن رسول الله ﷺ قال : إن سفينة نوح طافت بالبيت وصلت خلف المقام ركعتين ؟ . قال : نعم . إلى أن ختم الترجمة بقوله : وقال الحاكم وأبو نعيم : روى عن أبيه أحاديث موضوعة . وقال ابن الجوزي : أجمعوا على ضعفه ا . هـ.

وفي ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي مانصه من الجلد الثانى ص ٥٦٤ : عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم العمري مولاهم المدني أخو عبد الله وأسامة ، قال أبو يعلى الموصلي : سمعت يحيى بن معين يقول : بنو زيد ليسوا بشيء . وروى عثمان الدارمي عن يحيى بن معين يقول : بنو زيد ضعفاءُ ، وقال البخاري : عبد الرحمن ضعفه علي جداً . ا . هـ . محل الغرض منه .

ان طالب العلم لايمكنه بحال من الاحوال ان يعتمد مسألة مدارها على من يقول فيه الحفاظ مثل هذا ، ومن المعلوم ان مدار العلم على الإسناد ولولا الإسناد لقال من شاء ماشاء . والله تعالى الموفق وهو حسبنا ونعم الوكيل .

لم تزل في ضمائر الكون تختا ر لك الأمهات والآباءُ

يعني بهذا العلم ؛ علم أنساب العرب لأنه يؤدي إلى معرفة الصحابة الذين حبُّهم يدخل الجنة . قال ﷺ لرجل قال له : إني أحبك : «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» . فكيف يحب المرءُ من لايعرفه ؟ .

وَبَعْـدَ أَنْ كَانَ وَعَنْ صَحَـابَتِـهْ
وَأَهْـلِ مَكَّـةَ وَأَهْـلِ طَابَتِـهْ

أي والبحث فيه أيضاً عن نور النبي ﷺ بعد مولده ؛ وهو أنساب العرب في زمنه وعن أنساب أصحابه أهل مكة وأهل طابة ، وهي من أسماء المدينة ، وأضافها إليه تشريفاً لها ولأهلها ، لأن أهل مكة وأهل المدينة صريح العمودين .

تنبيه : قال القسطلاني في المواهب ، الحكمة في هجرة النبي ﷺ إلى المدينة : ولم يقم بمكة حتى يأتيه فيها وعد الله له بالنصر ، لتتشرف به المدينة كما تشرفت مكة بابراهيم عليه السلام ، ولئلا يعتقد المعتقد أنه تشرف بمكة وهو ﷺ لايتشرف بالمخلوقات بل تتشرف به . ا . هـ .

وقد تشرفت به المدينة حتى اختلف فيها وفي مكة أيهما أفضل ، بعد الاجماع [1] على موضع قبره ﷺ أنه أفضل بقاع الأرض وأشرفها وأطهرها .

وَلَيْسَ لِلْبَاحِثِ عَنْ عِلْمِ السِّيَرْ
بدونِـهِ إلَّا حِكَـايَـةُ الْخَـبَرْ

(١) هذا الإجماع حكاه القاضي عياض اليحصبي .

إِذْ تُسْنَدُ الْأَحْكَامُ فِيهِ لِلرِّجَالْ
فِي كُلِّ مَا لَهُمْ هُنَاكَ مِنْ مَجَالْ
وَالْحُكْمُ إِنْ كَانَ عَلَىٰ مَجْهُولِ
لَمْ يُفِدِ السَّامِعَ لِلْمَقُولِ

يعني وليس للمفتش المطالع ، السير جمع سيرة أي سيرة النبي ﷺ وأصحابه ، وهي السنة والطريقة والهيئة ، وهي أصل عمود الدين ، بدونه : أي بدون معرفة علم الأنساب ، إلا رواية الخبر ، كأن يقول : كان كذا وسمعت كذا ، بصيغة التمريض التي لم يعمل فيها بالرواية ، لأن علم السير تسند فيه الأحكام لأهلها ؛ يقال : فعل فلان كذا ، وروى فلان الحديث الفلاني ، ونزلت آية كذا في فلان . ومن لم يعرف فلاناً ولا فلاناً لم يفده ذكره ، بل كان كحالب ناقته في غدير .

وَإِنْ جَمَعْتَ النَّسَبَ الْخَطِيرَا
وَسِيرَةً تَكُنْ بِهِمْ خَبِيرَا
حَتَّىٰ كَأَنَّهُمْ بِعَيْنِ النِّقْسِ
فِي الصَّكِّ قَدْ لَاحُوا لِعَيْنِ الْحِسِّ

الخطير : الرفيع . والنِّقْسُ بالكسر : المداد [الحبر] . والصك : الكتاب أي الكاغد . ولاحوا : ظهروا . وعين الحس : الباصرة . والتفت عما كان فيه إلى الخطاب قائلاً : وإن جمعت ، أيها المعتني بهذا الفن ، النسب الرفيع بالنبي ﷺ وسيرته وسيرة أصحابه اللتين هما أصل علوم الدين ، تكن خبيراً بالرجال ، الذين تسند إليهم الأحكام الشرعية ، حتى كأنك إذا

أبصرت كتابة أحدهم في الكاغد كأنك نظرت إليه عياناً ، فإذا نظرت كتابة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عرفته من غير تهجّ ولا هجاءٍ .

فَالْخُــبْرُ كُلُّ الْـخُبــر كَالْعِيَــانِ
والْخَــبَرُ الْمَنْسُــوبُ بِالإتْقَــانِ
أعْـلَقُ بالْـقَـلْبِ وَأشْـهَـىٰ مُخْبَرَا
مِنْ مُخْبَرٍ عَنْــهُ يَكُــونُ نُكْــرَا

الخبر بالكسر ويضم : العلم بالشيءِ قولهم : ليس الخبر كالعيان : أي لايبلغ حقيقته . وأما التشبيه فسائغ لأن المشبه بالشيءِ لايقوى قوته ، وقد يبلغ حقيقته كما شوهد ، يعني إن الخبر إذا حقق كان كالعيان ، فعلى هذا الخبر المنسوب المتقن نسبه أعلق أي ألصق بالقلب ، وأشهى أي أحلى خبراً من أحد يخبر عنه ، وهو نكر أي مجهول

خَدمْــتُــهُ صَلَّى عَلَيْــهِ اللهُ
بِنَشْرِ مَا مِنْ نَشْرِهِــمْ طَوَاهُ
مَرُّ الــزَّمَــانِ وجَهَــالَــةُ بَنِيــهْ
لَعَــلَّهُ يَرْحَمُــنِي بِمَا أَشِيــهْ

خدمته : الضمير عائد على النبي ﷺ ، والنشر الأول ضد الطيّ ، والثاني الرائحة الطيبة ، ومر الزمان : مروره ، والجهالة : الجهل ، وأشيه : من الوشي وهو التحسين ، يقول ، رحمه الله : خدمت النبي ﷺ المستحق الخدمة علي بنشر ، أي بمدٍّ ، ماطواه أي درسه أو طمسه طول مرور الزمان

وجهل بنيه من ذكره الطيب الرائحة الشهي المسمع ، وأخبار أصحابه وأجداده . لعله[1] أي لأجل أن يرحمنى بتحسيني ذكرهم وذكر أخبارهم بالنظم ، الذي هو أحسن الكلام ، غير القرآن وحديث النبي ﷺ .

وَمَــن رَأَىٰ خِلَافَ مَاذَكَــرْتُــهُ
فَلْيــتَّئِــدْ لَعَــلَّ مَاأَبْصَرْتُــهُ

فِي غَيْرِمَــا طَالَـعَــهُ إِذِ الــطُّرُقْ
لَاسِيَّــمَا فِي الْفَنِّ ذَا قَدْ تَفْــتَرِقْ

يتئد : يتأنَّ ويتبصر ، يقول : ومن رأى خلاف ماذكرته في هذا النظم ، فلا يعجل بمخالفتي وتكذيبي ، لعل الذي ذكرته اطلعت عليه في كتاب غير كتابه الذي طالعه ، فإن الطرق ربما تشعبت إلى بنيات وأمهات ، لاسيما في هذا الفن الذي هو من الأخبار ، إذ يكون فيها صحيح وضعيف[2] .

---

(١) لعل الناظم يعيد الضمير هنا إلى الله تعالى ، وهو جائز لاستحضاره في ذهن المسلم ضرورة ، لاسيما عند رجاء الرحمة . وعود الضمير على غير مذكور لحضوره بالذهن وارد ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ سورة ص : ٣٢ . أي الشمس ولم يَرِد لها ذكر قبل ذلك ، ولا يتأتّى أن يرجو مسلم الرحمة من غير الله تعالى . وبالله التوفيق .

(٢) لقد قضى بنفسه بعبارته هذه، ومادام يعلم أنه يأتي بالخبر الضعيف ، فلم يريد التريث ممن يريد رد ذلك الخبر الضعيف بل الموضوع الذي يورده ؟ . فلو كان ، رحمه الله ، يتعرض للحكم على الأخبار التى يوردها ، لكنه حاطب ليل كما ذكر عن نفسه يأتي بالصحيح والخبر الواهي ، ويريد فى نفس الوقت عدم التعرض لما يورده ، وهذا مشكل عند طلبة العلم ، رحمه الله .

وَمَنْ يَكُن مُسْتَوْعِباً مِثْلي ذَكَرْ

مُشْتَهِراً مِنْهَا وَغَيْرَ مَااشْتَهَرْ

استوعب الشيءَ : أخذه بجميعه ، أُخذ هذا من قول السيوطي في الخصائص الكبرى : ولما كنت مستوعباً أذكر المشتهر وغير المشتهر . ا . هـ . يعني أنه لما كان متصفاً بهذا لا يترك غير المشتهر لعدم شهرته ، بل يذكر ماأمكنه ذكره مشتهراً كان وغير مشتهر .

وَرُبَّمَا أنْكَرَ ضَيِّقُ الْعَطَنْ

وَالْبَاعِ والْبَحْثِ عَلَيَّ فَطَعَنْ

وَلَسْتُ إلَّا مِنْ مَشَاهِيرِ الكُتُبْ

آخُذُ فَلْيُزَكِّهَا أَوْ لِيَسُبّ

العطن ، محركة : وطن الإبل ومبركها حول الحوض ، ورحْب العطن كثير الماءِ ، فيلزم منه أن يكون قليل الماءِ ، متصفاً بضيق العطن . ويستعار للرجل القليل العلم ، والباع قدر مد اليدين ويستعار كذلك ، [والطعن يكون بالرمح [1] وبالقول] . يقال طعنه بالرمح وطعن فيه بالقول ، يقول ربما طالع كتابي هذا قصير الباع في العلم وقليل مطالعة الكتب ، فيطعن فيَّ بأن ينسبني إلى الكذب والقصور ، ولعل ذلك خطأ منه لأني لاآخذ إلامن الكتب المشهورة بين الناس ، كجمهرة قريش لأبي عبد الله المصعبي الزبيري ؛ وليس بينه وبين عبد الله بن الزبير إلا أبوان أو ثلاثة . وربما ينسب الرجل

---

(١) العبارة بين القوسين ليست فى الأصل عندي وإنما أوردتها من عندي لكي ينسجم بها الكلام في رأيي . والله الموفق .

ويقول : وهو حي اليوم ، وكحلة السيرى في أنساب الورى للولي محمد بن سعيد اليدالي [1] والـروض الأُنُف للإمـام السهيلي ، وغـيرهـا من الكتب المشهورة القديمة ، وحيث كنت آخذ من هذه الكتب فشأن الطاعن عليّ بها أن يزكيها أو يسبها .

(١) محمد اليدالي الديماني نسباً أو بالحلف والمجاورة ؛ علاّمة زمانه ، من علماءِ القرن الثاني عشر الهجري تقريباً . ولد ونشأ وتعلم ومات بموريتانيا ، وله تصانيف عدة منها حلة السيرى ، ومنها الذهب الابريز في تفسير كتاب الله العزيز وغير ذلك ، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وجميع المسلمين .

مقدمة

مقدمة بصفة اسم الفاعل أي مقدمة أمام الفن ، بمنزلة مقدمة أمام الجيش ، وعن ثعلب فتح دالها فتكون بصيغة اسم المفعول ، أي نبـذة قدمها المؤلف قبل تأليفه ليستمتع بها طالبه وينشط بها وتدل على قواعده وأصوله .

طَلِيعَـةٌ فِيمَنْ تَدَاوَلَ الْحَـرَمْ
وَمُـلَحٌ مُمْتِعَـةٌ قَبْـلَ الْأَهَـمْ

الـطليعـة : من يبعثه الجيش ليطلع له على العدو ويأتي بخبرهـم ، واستعـاره هنا لهذه المقدمة لأنها تعين على قراءة التأليف ، كما تعين طليعة الجيش بخبر العدو والاطلاع على عوراته ، والتداول : أخذ الشيء دولة لهذا ودولة لهذا ، والحرم : يعني به مكة ، والملح : جمع ملحة ـ بضم الميم ـ وهي المستطاب من الكلام والقصص ، والممتعة : من المتعة وهي مايبلغ به من الزاد وغيره . يقول : هذه نبذة أذكرها لك في ذكر من سكن مكة ، الأول فالأول إلى قريش ، وفي ملح تستمتع بها قبل الأهم وهو نظم الأنساب ، وسماه الأهم لأنه أهم من الذي يذكر قبله .

بِدِينِـهِ الْخَلِيـلُ فَرَّ بَعْـدَ مَا
مِنْ نَارِ نَمْـرُودَ نَجَـا وَأَشْـأَمَـا

الخليل : سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، والنمرود : الجبار المعروف . قيل إنه مولى للضحاك . وأشأم : قصد الشام ؛ يعني إن ابراهيم

عليه الصلاة والسلام لما نجّاه الله من نار نمرود ، كما ذكره في كتابه العزيز ، فرّ بدينه من مدينة كوثى إلى الشام ، ومن ذلك أُخذ وجوب الفرار بالدين من الأرض التي خيف فيها فساده ، وكوثى بالضم . قرية بالعراق فتحها سعد ابن أبي وقاص وخطب فيها المسلمين ، ومن خطبته : وتلك الأيام نداولها بين الناس ، هذا يومنا فيهم بعد يومهم فينا ، يعني يوم حبس ابراهيم وإيقاعهم فيه وإلقائهم له في النار العظيمة ، التي لم يقدروا على إلقائه فيها إلى أن أتاهم إبليس فضرب لهم المنجنيق ، وهو أول منجنيق صنع ، فلما أرادوا رمي ابراهيم بالمنجنيق ، جاء الملائكة وجلسوا على المنجنيق ، فأمرهم ابليس أن يكشفوا عن عوراتهم ، فطارت الملائكة ، فحينئذ كلم جبريل عليه السلام رب العزة : أي رب عبدك وخليلك ونبيك في هذه الحالة ، فقال الله تعالى : إيته . فأتاه فقال : ألك حاجة ؟ . قال أما إليك فلا ، وأما إلى الله فنعم ، قال : اسأله أن ينقذك ، قال : علمه[1] بحالي يغني عن سؤالي ، واراد الله تعالى تنبيه الملائكة في قولهم ﴿ **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ** ﴾ [2] بأن في بني آدم من هو أفضل منهم ، انتهى من كتاب التنوير في إسقاط التدبير لابن عطاء الله .

---

(١) لاشك ان هذه المقالة من الاسرائيليات ولا أساس لها إلا مارواه ابن جرير بسند فيه جهالة ، وقال ابن عراق في تنزيه الشريعة ١ / ٢٥٠ : قال ابن تيمية : موضوع . ا . هـ . وهو خبر ليس له أى نصيب من الصحة ؛ لأنه يشير الى ترك دعاءِ الله ، وهو من أفضل مايعبد الله تعالى به ، وأيضاً فإنه يتنافى مع ماثبت فى صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس قال : حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم ﷺ حين أُلقي فى النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا ﴿ **إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً** =

= ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ سورة آل عمران : ١٧٣

وفي رواية للبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما : كان آخر قول ابراهيم ﷺ حين ألقي في النار : حسبنا الله ونعم الوكيل . ومارواه ابن عطاء الله يفيد أنه كان آخر قول ابراهيم : علمه بحالي الخ . فأي القولين أحق بالمراعاة ياترى ؟ ! وأيضاً كيف يتأتى أن يعرض خليل الرحمن عن عبادته بدعائه جل جلاله ، وهو في أمس الحاجة إليه ؟! . روى الإمام أحمد بن حنبل في المسند ج ٤/ص ٢٧١ عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ » ، ثم قرأ : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ سورة غافر : ٦٠

وروى هذا الحديث أيضا أبو داود ،والترمذي ، وابن ماجه ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، كما ذكره السيوطي في الدر ٥/ص ٣٥٥ ، ونسبه لسعيد بن منصور أيضاً وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، والبخاري في الأدب المفرد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، وابن حبان والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، وأبي نعيم في الحلية ، والبيهقي في شعب الإيمان عن النعمان بن بشير ؛ ولقد نبذ أبو عبد الله القرطبي نسبة إعراض خليل الله عن دعاءِ ربه واستنكرها واستبشعها ، ولقد تلقتها أهل الأهواءِ بالقبول ، ونسجوا عليها من نسج العنكبوت مايحسّنون به لما يدعون الناس إليه من التواكل وترك الأسباب . وإلى ذلك يرمي عنوان الكتاب الذي عزا إليه حماد مقالته هذه وهو : التنوير في إسقاط التدبير لابن عطاء الله . وهو من القوم بمكان ، فالحذر الحذر أن يظن بخليل الله الزهد في دعاءِ الله ، والإلحاح عليه بحاجته . وبالله تعالى التوفيق .

وإن من تتبع القرآن يجد أن لسان الخليل يلهج دائمًا بدعاءِ ربه :

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وإِذَا مَرِضْتُ =

= فَهوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُم يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ واجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ وَلاَ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ سورة الشعراء : ٧٨ ـ ٨٧ ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ ابْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ سورة البقرة : ١٢٦ ـ ١٢٩ وهذا قليل من كثير مشحون منه القرآن العظيم ، من دعاءِ ابراهيم لربه جل وعلا ، فهلاَّ كان ابراهيم وقت دعواته هذه عالماً بأن الله عالم بحاله ؟ ! . أم تغير اعتقاده عند بعض المتصوفة ومن ينحو نحوهم ؟! . فالخلاصة : إن مقالة : علمه بحالي يغني عن سؤالي . لاتليق بمقام خليل الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام نسبتها إليه ، بل إنه دعا وألح وقال : حسبنا الله ونعم الوكيل . كما ثبت في صحيح البخاري . والعلم عند الله تعالى .

(٢) سورة البقرة : ٣٠

وَمَعَـهُ خَرَجَ لُوطُ ابـنُ أَخِيـهْ
وابْنَـةُ نُمْـرُوذَ وَصِنْـوُهَا النَّبيهْ
بَانِي دِمَـشْـقَ لِلْخَلِيـلِ وَبِـهِ
دِمَـشْـقُ تُعْـرَفُ لَدَىٰ الْمُنْتَبِـهِ

ومعه أي ابراهيم عليه السلام ، ولوط عليه السلام هو ابن هاران ، والصنو : الأخ الشقيق والابن والعم ، والنبيه : الفطن ، باني دمشق هو جِلِّق ، بكسرتين وتشديد اللام : المدينة بالشام العظيمة التى يقال لها دمشق الشام ، كما يقال بغداد العراق وصنعاء اليمن ، وهي دار مملكة آل جفنة فى الجاهلية ، ودار مملكة بني أُمية في الاسلام وقوله : وبه يعني ابن النمروذ لأن اسمه دمشق أو دمشاق ، سميت به المدينة لأنه هو الذي بناها .

يَغْـدُو عَلَىٰ الْـبُرَاقِ مِنْهَـا لِلْحَرَمْ
ثُمَّ يَرُوحُ رَاجِـعـاً كَبَـدْرِ تَمّ

البراق : كغُراب ، دابة فوق الحمار ودون البغل يضع حافره موضع طرْفه ، يركبها الأنبياءُ ، وقيل يركبها المؤمنون إذا كانوا في الجنة ، وركبها النبي ﷺ ليلة المعراج مع جبريل عليه السلام ، وربطها ببيت المقدس في الحلقة التي كانت الأنبياء تربطها فيها ، حتى إذا دخل المسجد وصلى فيه ، ومن هنا أخذ الأمر بالسبب ، إذ لا أحد أولى من النبي ﷺ وجبريل بالتوكل من غير سبب ، والضمير في منها عائد إلى دمشق ، وبدر تمّ وبدر تمام بالفتح والكسر يقال له إذا امتلأ وبهر ، يعني أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما سكن دمشق لم يزل يزور الحرم ، وكيفية زيارته ؛ إنه يركب البراق بالغداة

ويقيل بمكة ، ويروح منها إلى دمشق ، وقوله كبدر تم ، الأولى تشبيه البدر بابراهيم في السحر والجمال ، ولكنْ الراؤون لايعقلون أجمل من البدر فشبهه به .

وَمَــرَّ في فِرَارِهِ عَلَىٰ الَّــذي
غَصَــبَ سَارَةَ ولَمْ تُسْــتَـنْـقَـذِ
إلَّا بِشَــلِّ يَدِهِ وَصَرْعِــه
وَأُنْــقِــذَتْ سَارَةُ مِنْ طَبَــعِــهِ

سارة : بالتخفيف والتشديد زوج ابراهيم عليه السلام وأم اسحاق عليه السلام ، وهي في الأصل التى تسّر زوجها ، والذي غصبها ملك اسمه صيدوف وهـو على الأردن ، وقيل اسمـه عمـرو بن القيس بن سبإ ، ولم تستنقـذ : لم تستخلص ، والـطَبـع : الدنس ، يقول : إن ابراهيم عليه السلام لما نجا من نار نمروذ ، وفر بدينه قاصدا الشام مر ببحر عليه نوتي يجيز من أتـاه بالـربع ، فلم يزل يجيزهم ويأخذ الربع ، وكان آخرهم سارة في صنـدوق ، فأراد أن يفتـح الصندوق ليأخذ ربع مافيه ، فقال له ابراهيم لاتفتح وأعطيك ربع مافيه . فقال : لابد من فتحه ، فقال : هبه مملوءاً ذهباً وأعطيك ربعه ، قال : كلا . ففتحه فإذا فيه امرأة لم ير الراؤون مثلها . فخرج يسعى إلى الملك فأخبره بها ، فبعث الملك من يأتيه بها ، فلم يتمالك الملك أن أرخي عليهـا السـتـور ، فراودها فشلت يده ، فعزم على الاقلاع فبرىء ، ثم أرسل إلى ابراهيم فقال : من هذه منك ؟ . قال أختي . خاف أن يقتله إن أخبره أنها زوجته ، وللعلماء في قوله تأويلات : قيل أراد أختي في الله . وقيل أنها بنت أخيه ، ويجوز نكاح بنت الأخ في شرعه ، وقيل تعمد

الكذب لجواز ذلك ، وهي إحدى الكذبات التي اعتذر بها ابراهيم في حديث الشفاعة ، والثانية قوله :﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾والثالثة قوله :﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا﴾ قال القاضي عياض : ماوجه خوفه ؟ . وهي إما جائزة للضرورة . فأجاب بأنها في جانب الأنبياء كالخطيئة ، لعظم رتبتهم وشدة خوفهم ، يخافون أن يؤاخذهم الله بظاهرها ، وربما أخذهم بمثلها في الدنيا لتقريبهم ولإعلاء رتبهم ، كما فعل بأيوب وداود ويعقوب ، عليهم الصلاة والسلام . ا . هـ . منه بمعناه . وعدل عن طريقه إلى فراره خوف أن تلتبسَ بطريقه الى الحرم .

وَمِـن وَرَّاءِ الْحُجُبِ الْخَلِيلُ
عَايَنَ أنْ عَصَمَهـا الْجَلِيلُ

يعني إن ابراهيم عليه السلام كشف الله عنه الحجب المعنوية ، حجب الملك الحسية إلى أن شاهد أن عصم الله سارة ، أي منعها من دنس الملك وقاذوراته تطييبا لخاطره .

وَأتْحَفَ الْمَلِكُ زَوْجَةَ الْخَلِيلِ
بِهَاجَرٍ وَأَتْحَفَتْ بِهَا الْحَلِيلِ

أُتحف : أكرم . والملك : صيدوف لما شاهد من آل ابراهيم مابهره وروّعه ترضى سارة بأمة وهي هاجر فأكرمت بها ابراهيم عليه السلام . وفي هذين البيتين الجناس المحرف بالخليل والحليل .

وَسُبِيَتْ مِن مَّلِكِ الْقِبْطِ ابْنَتُهْ

هَاجَرُ ذي وَأَنْجَبَتْ رَيْحَانَتُهْ

إذْ وَلَدَتْ أَبَا عَمُودِ النَّسَب

وَلاَ مَحِيدَ عَنْهُ لِلْمُسْتَعْرِبِ

القبط : بالكسر جيل من ولد حام بن نوح ، وهُم أَصل مصر قبل فتحها ، ويلقب من ملكهم بفرعون ، وأما فرعون موسى فالمشهور أنه من العماليق . مات ملك أهل مصر فتنازعوا في الملك ، ثم اصطلحوا على تحكيم أول من يرد عليهم من مكان عينوه ، فورد عليهم منه الوليد بن مصعب العمليقي مستبضعاً مزادتين على بعير ، فذكروا له شأنهم وأنهم حكَّموا أول وارد عليهم من ذلك المكان ، فاستوثق عليهم بتحكيمه ، فملك عليهم نفسه ، فساسهم أحسن السياسة حتى إنه يبعث في زمن الحراثة بأرادب إلى كل جهة ، فإن زرع قتل والي تلك الناحية[1] . ا. هـ . من حسن المحاضرة بمعناه . ثم كان مثال أمره ماذكره الله سبحانه فى كتابه .

---

(١) قلت : وأين حسن السياسة في قتل الولاة هنا ؟

فخر عبد الرحمن بن حسان بن ثابت
بأنه ابن خالة ابراهيم بن النبي ﷺ

ومنهم مارية أُم سيدنا ابراهيم ابن النبي ﷺ وأُختها سيرين أم عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، وكان يفتخر بأنه ابن خالة ابراهيم بن محمد ﷺ ، وذكر السهيلي في الروض الأنف أن النبي ﷺ ترضَّى بها حسان ابن ثابت من ضربة صفوان بن المعطل له ، وقيل لمكافحته عنه شعراء قريش .

وهاجر ـ بفتح الجيم ـ ويقال فيها آجر ، والريحانة الولد ولعل أصلها من الريحان للنبت الطيب الرائحة ؛ وأبو عمود النسب هو اسماعيل عليه الصلاة والسلام . ويعني بالمستعربة عدنان ؛ يقول : إن أصل هاجر التي ترضى بها الملك سارة أنها بنت ملك القبط سباها منه صيدوف ، وأنجبت اي ولدت النجيب لأجل استيلاد ابراهيم عليه السلام لهما اسماعيل ، وهو أبو عدنان جميعاً بالاتفاق .

وَلَا للأَنْبِيَاءِ بَعْدُ عَنْ أَبِيهْ
وَكُلُّهُمْ كَانَ خُلَاصَةً نَبِيهْ
وَعَنْهُ حَادَ آدَمُ شِئْثُ الْوَصِي
إِدْرِيسُ نُوحُ هُودُ يونُسُ يَصِي
لُوطٌ وَصَالِحٌ فَهُمْ ثَمَانُ
حَادوا عَنِ الْخَلِيلِ واسْتَبَانُوا

يقول لامحيد للأنبياء عن ابراهيم عليه السلام بعد ؛ أي بعد أن ولد اسماعيل لأنه أكبر ولده ، وكلهم كان خلاصة نبيهاً . وخلاصة السمن والذهب والفضة ماصفا منه واستخلص ، وكذلك الأنبياء مع سائر بني ابراهيم ، ولم يجد أحد عن ابراهيم من الأنبياء إلا هؤلاء الثمانية المذكورون فإنهم حادوا عنه ، أي مالوا عنه ولم يخرجوا من ذريته ، وهم : أبونا آدم عليه السلام ومن بعده فإنهم سابقوه إلا لوط ابن أخيه ومعاصره ، ويونس يأتي الكلام عليه إن شاء الله ، أما آدم عليه السلام فأول الرسل ، أهبطه الله من الجنة إلى جبل يقال له سرنديب من أرض الهند ، وروي أن موضع قدميه ينزل عليه المطر كل يوم ، وكان يحج من الهند إلى مكة راجلاً ، قيل لابن عباس هل يركب ؟ . قال وأي دابة تحمله ؟ . وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً** » وقيل سبعة وستون ذراعاً فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن ومدة حياته ألف سنة ، ولما مات بكت عليه الخلائق سبعة أيام .

وأما شئث ـ بالياء وبالهمز ـ فهو ابن آدم أصالة ، وعلى القول برسالته فبمجرد التوحيد وتقرير شريعة آدم .

المسائل الخمس التي أوصى بها آدم بنيه

وقوله الوصي ، هل هو وصي آدم على بنيه وشريعته ، أو وصيه على المسائل الخمس التي أوصاه بها وأمره أن يوصي بها بنيه فقال : لا تطمئن إلى الدنيا الفانية فإني اطمأننت إلى الجنة الباقية ، فلم يرض ذلك ربي مني فأخرجني منها . الثانية : كل عمل فانظروا عاقبته ، فإني لو نظرت عاقبة الأمر ماأصابني الذى أصابني ـ الثالثة : لاتعملوا برأي نسائكم فإني عملت

برأي حواء فأكلت من الشجرة فندمت ، الرابعة : عليكم بمشورة الأخيار فإني لو استشرت الملائكة ما أصابني ماأصابني . الخامسة : إذا اضطربت قلوبكم فأرجئوها ، فإني لما هممت بالأكل من الشجرة ، فاضطرب قلبي فلم أرجئه فأكلت فندمت .

وأما إدريس عليه السلام فهو ابن هائل بن قيتان بن أنوش بن شئث ابن آدم وهو أول من خط بالقلم ، وأدرك من حياة أبيه آدم ثلاثمائة سنة وثمان سنين ، واختلف في قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً ﴾[1] قيل السماء الرابعة ، وقيل الجنة ، وقيل شرف النبوة والزلفى . وعن مجاهد رفع إلى السماء ولم يمُت كما رفع عيسى ، قال الشاعر :

في الأرض بليا وإلياس ومابليا وفي السماء سما عيسى وإدريس

وأما نوح : عليه السلام فهو لمك بالتحريك ، أو كهاجر كما في القاموس ابن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس ، وفي رواية بأطول من هذا ، وهو أول نبي بعثه الله بعد آدم بتحريم البنات والعمات والخالات ، ولد بعد موت آدم بمائة وعشرين عاماً ، ومات وعمره ألف وأربعمائة سنة ، ودفن بالمسجد الحرام وقيل غير ذلك .

روي أنه لما يئس من صلاح قومه دعا عليهم فغضب الله عليهم . قال تعالى : ﴿ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾[2] وأمره أن يغرس شجراً ليعمل منه السفينة : فغرسه وانتظره مائة سنة ثم نجره مائة سنة ، وأمره أن يجعل طولها ثمانين ذراعاً

---

(١) سورة مريم : ٥٧

(٢) سورة الصافات : ٧٥

وعـرضهـا خمسين ذراعاً ، وكانت ثلاث طبقات كل واحدة عشرة أذرع ، فالسفلى للدواب والوحش ، والوسطى للناس ، والعليا للطيور . وكان لها غطاءٌ من فوقها مطبق عليها ، وفتحت السماء بماءٍ منهمر ، وفجرت الأرض عيوناً ، فأمره الله أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين ، وسائر ماله ومن آمن به وأهل بيته ، إلا من كان كافراً وارتفع الماء على أعلى الجبل في الأرض ، خمسة عشر ذراعاً وعم الأرض كلها ، ولم يبق على وجه الأرض أحد ، وهذا يرد على من زعم أن عوج بن عوق ، على وزن لوط فيهما ، كان موجوداً قبل نوح عليه السلام وإلى زمن موسى .

وأما هود عليه السلام ، قال كعب الأحبار : كان أشبه الناس بآدم ، وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام ابن نوح . وكان قوم هود يسكنون بالشحر من اليمن وهي المراد بقوله تعالى : ﴿ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ ﴾[1] والحقف : الرمل . فكذبوا هوداً عليه السلام فأهلكهم الله بالريح ، كما قص في كتابه العزيز .

ولما أهلك الله عاداً ارتحل هود عليه السلام ومن معه من المؤمنين من أرضهم بعد هذا في قومه إلى موضع يقال له الشحر ـ بين عُمان وعدن من بلاد اليمن ـ فنزل هناك ثم أدركه الموت فدفن في أرض حضر موت . روي عن على كرم الله وجهه أن قبر هود بحضرموت ، وقال عبد الرحمن بن سياسة : بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبياً ، فإن قبر هود وصالح وشعيب واسماعيل عليهم الصلاة والسلام في تلك البقعة ، ويروى أنه مامن نبي من الأنبياءِ أهلك الله قومـه ، إلا جاءَ هو والصـالحون من قومه معه إلى مكة يعبدون الله حتى يموتوا بها .

---

(١) سورة الاحقاف : ٢١

وأما صالح عليه السلام ؛ فهو ابن عبد الله بن آسف بن عبيد الله بن عاد بن ثمود بن عاد بن أرفخشد بن إرم بن سام بن نوح ، وأخو جديس ، وكان من مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى وماحوله ، سميت ثمود لقلة مائها : والثمد : الماءُ القليل . سألوا نبيهم صالحاً أن يريهم آية ، قال جندع بن عمرو بن خراش ، وهو يومئذ سيد ثمود : ياصالح أخرج لنا من هذه الصخرة ـ لصخرة متفردة في ناحية الحجر يقال لها الكائبة ـ ناقة مخترجة جوفاءَ وبْراءَ عشراءَ ـ والمخترجة الخارجة على صفة الجمل ـ فإن فعلت آمنا بك وصدقناك . فصلى ركعتين وتحركت الهضبة عن ناقة كما سألوا ، ثم أنجبت سقباً مثلها في العظم ، فآمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه ، فانطلق قدار بن سالخ ـ ويزعمون أنه كان ابن زانية ، ولم يكن لسالف أو سالخ ولكنه ولد على فراشه ـ ومصدع بن مهرج ، كانا يشربان الخمر في رهط منهم ، وكانت ثمود يقتسمون الماءَ مع الناقة ؛ يوم لهم ويوم لها ، كما قال تعالى : ﴿ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾[1] ويحلبون منها مثل الماءِ أو أكثر ، فقال قدار ورهطه : نحن إلى الماءِ أحوج منا إلى لبن ناقة صالح ، فانتدب هو ومصدع بن مهرج فاستعانا غواة ثمود ، فاتبعتهم سبعة نفر فكانوا تسعة ، فمرت على مصدع فرماها فانتظم عضلة ساقها ، وشد عليها قدار بالسيف فكشف عرقوبها ، فكان من شأن ثمود ماقص الله في التنزيل ، فكانت الفرقة المؤمنة من قوم صالح أربعة آلاف خرج بهم صالح إلى حضر موت ، فلما دخلوا مات صالح فسمي حضرموت . وقال قوم من أهل العلم توفي صالح بمكة وهو ابن خمس وثمانين سنة . قال وهب : بعث عليه السلام

(١) سورة الشعراء : ١٥٥

إلى قومه حين راهق الحلم ، وكان أحمر إلى البياض ؛ سبط الشعر ، لبث فيهم أربعين سنة ، قال ابن حجر : عشرين سنة ، وقيل فى نسب صالح غير ماتقدم .

وَأمَّا لُوط عليه السلام ؛ فهو ابن هاران بن تارخ ابن أخي ابراهيم لأنه نبئ في عهده بنص الآية الكريمة ، وهل نبئ ابناه اسماعيل واسحاق فى حياته أو لا ؟ . ولينظر في كتاب الله وتفاسيره .

وأمـا يونس عليه الصلاة والسلام ؛ فهو ابن متَّى ـ كحتَّى أو متى مفكوكة ـ قال الثعالبي : هو من بني اسرائيل ، وعلى هذا لم يحد عن ابراهيم لأن اسرائيل هو الكـريم يعقوب عليه السلام ، ابن الكريم اسحاق عليه السلام ابن الكريم ابراهيم عليه السلام ، بعث الله يونس إلى أهل نينوى وهو من أرض الموصل .

قضية عداس مع النبي ﷺ

روي انه بعث عتبة وشيبة ابنا ربيعة الى النبي ﷺ يوم آذته ثقيف بطبق من عنب مع عبد لهما يقال له عداس ، فلما وضعه بين يديه قال ﷺ : بسم الله . فقـال عداس : من أين لك هذه الكلمـة التي لم تكن تقال في هذه البلاد ؟ . قال : من عند الله . ثم قال : ممن أنت ياعداس ؟ . قال : من أهـل نينوى ، فقال ﷺ : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ، فقال عداس : ما يدريك مايونس بن متى ؟ . قال أخي في الله . هو نبي وأنا نبي . فقام إليه يقبل رأسه ، فرآه عتبة وشيبة فقال أحدهما لصاحبه : أفسد عليك عبدك ، وأسلم عداس . قيل حينئذ ، وقيل بعد ذلك . انتهى بمعناه من سيرة ابن اسحاق وغيرها . .

وكـذّب أهل نينوى يونس ، فوعدهم الله بنزول العذاب عليهم في وقت معين ، ففارقهم إذ لم يتوبوا ، فلما دنا الموعد غامت السماءُ غيمًا أسود ذا دخـان شديد ، فهبط حتى علا مدينتهم فتابوا ، وطلبوا يونس فلم يجدوه فأيقنـوا بصـدقـه ، فلبسـوا المسـوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وأطفالهم ودوابهم ، وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض ، وعلت الأصوات وأخلصوا التوبة ، وأظهروا الإيمان وتضرعوا إلى الله تعالى ، فرحمهم وكشف عنهم العذاب ، وذلك قوله تعالى : ﴿ **فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ** ﴾ [1] . وأما يونس فلم يعرف الحال ، فظن أنه كذبهم وغضب من ذلك عليهم ، فذهب وركب في سفينة مع قوم ، فوقفت وركدت بعد أن بعدت في البحر وغيرها من السفن يجري يميناً وشمالاً فقال لهم يونس : معكم عبد آبق من ربه ، فإنها لاتسير حتى تلقوه فاقترعوا فخرجت القرعة عليه ثلاث مرات ، فطرح نفسه في البحر فالتقمه الحوت ، قال الثعالبي : روي أن الله تعالى أوحى إلى الحوت : أنا لم أجعل لك يونس رزقـاً ، وإنـما جعلنـا بطنـك له حرزاً وسجنـاً . وفي رواية : بطنـك له مسجداً . ا . هـ . فأمر الله الحوت فقذفه في الساحل ، وهو كهيئة الفرخ الممعوط - والممعوط المنتوف الشعر - وهيأ الله له أروية تنفشخ عليه - والتفشيخ بالفاء والشين والخاءِ : إرخاءُ المفاصل - فترويه من لبنها ، وأنبت عليه شجرة من يقطين مظلة عليه ، ويسمى ذا النون لالتقام [النون] الحوت له . ا. هـ . مالخصته مما لخص جدنا محمد رحمه الله من البخاري والقسطلاني واللباب وغيرها .

---

(١) سورة يونس : ٩٨

خصال القرع

واليقطين : القرع [1] وهو البطيخ ، وورقه أنفع شيءٍ لمن تفسخ جلده . وتجمع خصالاً حميدة منها ؛ برد الظل واللمس وإن الذباب لايقربها وروي أن ماءَ ورقه إذا رش به مكان لايقربه الذباب .

قال الضحاك بن قيس على منبره : اذكروا الله عباد الله في الرخاء يذكركم في الشدة ، إن يونس كان عبداً لله ذاكراً له ، فلما أصابته الشدة نفعه ذلك ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ [2] ، وإن فرعون كان طاغياً باغياً ، فلما أدركه الغرق قال : آمنت . فلم ينفعه ذلك ، فاذكروا الله في الرخاءِ يذكركم في الشدة . اهـ . من الثعالبي .

قوله : يصي ، أي يصل . قال الشاعر

نصي الليـل بالأيـام حتى صلاتنا مقـاسمـة شطرا صلاة المسـافـر

وثمان : كثمان عدد وليس ينسب ، أو في الأصل منسوب للثمن لأنه الجزءُ الذي يصيرِّ السبعة ثمانية فهو ثمنها ، وفتحوا أولها لأنهم يغيرون في النسب ، وحذفوا منها إحدى ياءَي النسب وعوَّضوا منها الألف ؛ كما فعلوا فى النسب إلى اليمن فثبتت ياؤه عند الإضافة كما ثبتت ياءُ القاضي ، فيقال : ثماني نسوة وثماني مائة ، وتسقط عند الرفع والجر وتثبت عند النصب ، وإذا أفردت فقد تعرب على النون كقوله

---

(١) تفسير تشبيهه بالبطيخ : لعله اسم دارج بالنسبة لبعض مناطق موريتانيا أما لغة فالبطيخ معروف وهو غير القرع .

(٢) سورة الصافات : ١٤٣

لها ثنايا أربعُ حسان وأربعُ فثغرها ثمان

انتهى من القاموس ، واستبانوا : ظهروا فعرفوا .

وَأَجْلَتِ الْحُرَّةُ هَاجَرَ إِلَىٰ
بُقْعَةِ بَيْتِ اللهِ إِذْ هِيَ خَلَا

جلا عن المكان : فارقه . لازم وعداه بالهمزة ، والحرة سارة ، والبقعة : بالضم بيت الله ، وتفتح ، وبيت الله الكعبة ، ذكر البقعة دونها لأنه إذ ذاك غير مبني ولا مأهول . يقول : لما أعطت سارة هاجر لابراهيم عليه السلام استولدها ، فولدت اسماعيل عليه السلام ، فأخذها [أي سارة] مايأخذ النساءَ من الطبع البشري الذي لايقدح فيها ، فخرج بها ابراهيم عليه السلام وبابنها اسماعيل إلى مكة .

وَدَلَّ جِبْرِيلُ عَلَيْهَا الظَّاعِنِين
وَاسْتَرْزَقَ الْخَلِيلُ رَبَّ الْعَالَمِينْ

جبريل معناه عبد الله ؛ وفيه لغات كثيرة منها إبدال اللام نوناً ، وزيادة همزة بين الراء والياءِ وإبدالها ياءً [أو غير[١] وغير] وضمير عليها للبقعة ، والظاعنين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وهاجر ، يعني أن هاجر لما ولدت اسماعيل غارت منها سارة غيرة هي بسبب ولادتها اسحاق ، وروي أن رجلاً اشتكى للنبي ﷺ عقم زوجته فقال : أغرها . [ومثلت[٢] سارة بهاجر مثلاً كانت بعد ذلك زيناً للنساءِ] ومكرمة ، وحلفت لاتقيم معها .

---

(١) هذه العبارة بين القوسين لم أفهم المراد بها .

(٢) وأيضا هذه المثل التي كانت بعد ذلك زيناً للنساءِ ومكرمة لم تتضح لي والله أعلم .

فخرج بها وبابنها ابراهيم قاصداً مكة وهي خلاءٌ ، ودليلهم عليها جبريل عليه السلام . فلما أراد ابراهيم الانصراف عن هاجر وابنها قالت له : إلى من تكلنا ؟ ! . قال : إلى الله . فقالت : إذاً لا يضيعنا . ولم يترك عندهما إلا ركوة ماءٍ ونحو صاع من التمر . فجعل يختفي بالشجر ويلتفت إليهما لئلا تراه هاجر [فتظن][1] أنه يبالي بهما ، ولما شق عليه ذلك استرزق الله لهما بقوله : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ﴾[2].

فَقَـدَّ جِبْرِيـلُ مِنَ الشَّـامِ لَهُمْ
أَوْ مِن سِوَاهُ طَائِـفـاً فَقَـاتَهُـمْ

قدَّ : قطع . والشام البلاد المعروفة ، سميت بسام بن نوح لأنه بالسريانية بالشين المعجمة ، أو لأن قوماً من بني كنعان تشاموا إليها أي تياسروا ، أو لأن أرضها شامات بيض وحمر وسود . ا . هـ . من القاموس . وهي الموصوفة بالبركة في القرآن بقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾[3] هي الشام بالإجماع . وقوله تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾[4] . هي الشام على قول الجمهور ؛ لأنها هي التي هاجروا إليها لما نجا ابراهيم عليه السلام من نار نمرود ، وكان لما خرج من النار أحضره وقال له في بعض قوله : أين جنود

---

(١) في الأصل عندي (فتزعم) فكانت غير مناسبة عندي فرأيت أولى بالمقام (فتظن) ولعلها أصوب . والله الموفق.

(٢) سورة ابراهيم : ٣٧

(٣) سورة سبأ : ١٨

(٤) سورة الانبياء : ٧١

ربك الذي تزعم ؟ . فقال له : سيريك أضعف جنوده . فأرسل الله على نمرود وأصحابه سحابة بعوض فأكلتهم عن آخرهم ودوابّهم ، حتى كانت العظام تلوح بيضاً ، فدخلت بعوضة منها في رأس نمرود فلم يزل يضرب رأسه إلى أن مات .

وقالت فرقة هي [أي الأرض الموصوفة بالبركة] مكة حرسها الله تعالى . انتهى من الثعالبي . قوله : أو من سواه ، أي من سوى الشام وهي جنة أصحاب الجنة الذين أقسموا : ﴿ **لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ** ﴾[1] . وفي قراءة : طيف من ربك ، وهو جبريل فوضعها في مكان الطائف اليوم ، ولم يزل يقوت أهل مكة إلى اليوم . قيل إنه ما مر يوم من الدنيا إلا قدمت مكة عير من الطائف تحمل الطعام ، وفي الثعالبي أن أصحاب الجنة إخوة كانت لأبيهم جنة ، وكان يحصدها ويمسك منها قوته ويتصدق بالباقي على المساكين ، وقيل بل كان يحمل المساكين معه فيجذلهم منها ، ومات الشيخ فقال ولده : نحن جماعة وفعل أبينا كان خطأً فلنذهبنَّ إلى جنتنا ولا يدخلها علينا مسكين ، ولا نعطى منها شيئا . قال فبيتوا أمرهم وعزمهم ، فبعث الله عليها طائفا من نار وغير ذلك فاحترقت ، فقيل أصبحت سوداءَ وقيل بيضاءَ كالزرع اليابس المحصود ، فلما أصبحوا نظروا إلى جنتهم فلم يروها ، فحسبوا أنهم قد أخطئوا الطريق ثم تبينوها فعلموا أن الله أصابهم فيها فتابوا حينئذ ، وكانوا مؤمنين أهل كتاب ، قال الثعالبي : قال ابن مسعود : بلغني أن القوم لما تابوا وعلم الله صدقهم أبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان ؛ فيها عنب يحمل البغل العنقود منها . وعن أبي خالد أنه رأى تلك الجنة ورأى كل عنقود منها كالرجل

(١) سورة القلم : ١٧ - ١٩

الأسود القائم ، انتهى . والطائف : بلاد ثقيف سميت بها قدمنا ، ولأنها طافت على الماءِ ولأن رجلاً من الصدق ـ وهم قبيلة من كندة ـ أصاب دماً في حضرموت ففر إلى وجٍّ ، فحالف مسعود بن معتب ، وكان له مال عظيم ، فقال : ألا أبني لكم طوقا يكون لكم ردءًا من العرب ؟ . فقالوا : نعم . فبناه ، وهو حصنهم المحيط بهم ، وهي [أي الطائف] [1] الثانية من القريتين في قول قريش [الذي [1] حكى الله عنهم في كتابه العزيز بقوله] : ﴿ **لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ** ﴾ [2] فعظيم مكة يعنون به الوليد بن المغيرة ، وعظيم الطائف عروة بن مسعود بن معتب الثقفي [رضى الله عنه] [1] .

يقول : لما ترك ابراهيم عليه الصلاة والسلام هاجر واسماعيل بمكة ، جعل يدعو ويسترزق الله لهم ، فأمر الله تعالى جبريل فقطع لهم الطائف من الشام ، وهو [3] الجنة المذكورة ، وذكر السهيلي أنها قرب صنعاءَ اليمن ، فكان فيه قوتهم وقوت أهل مكة بعدهم إلى اليوم .

---

(١) العبارات بين القوسين ليست فى الأصل عندي ولكنني زدتها للتوضيح وللأحقية في نظري والله الموفق .

(٢) سورة الزخرف : ٣١

(٣) تصديره بأن الجنة المذكورة في القلم كانت في الشام فيه نظر ، لأن التصدير في الاصطلاح يقتضي التشهير للمصدر به ، والقول الصحيح في نظري هو ماذكره وعزاه للسهيلي فهو الصحيح ، وهذا قول بعض أهل التفسير : قال الزمخشري في جـ٤/ص ١٤٣ مانصه : ﴿ **كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ** ﴾ **سورة القلم**:٧ . وهم قوم من أهل الصلاة ، كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاءَ بفرسخين . انتهى محل الغرض منه . وقال ابن الجوزي جلد ٨/ص٢٣٥ مانصه : ذكر أهل التفسير أن رجلاً كان بناحية اليمن له بستان الخ . ا . هـ . محل الغرض منه .

وَبَعْدَ لأيٍ شَيَّدَ الْخَلِيلُ
قَوَاعِدَ الْبَيْتِ وَإسْمَاعِيلُ

شيد البناءَ : بناه مطولاً ، وقواعد البيت : أركانه التي يقوم عليها البناء ، وسيدنا اسماعيل هو أكبر أولاد ابراهيم على المشهور ، وهو الذبيح على أحد[1] القولين .

ومعناه : إن ابراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولداً ، وكان يقول له في دعائه : اسمع ياإيل ـ وإيل في السريانية هو الله ـ فلما ولد له ولد سماه بذلك ، وأمه هاجر كما تقدم .

يقول : وبعد مدة طويلة في مجيئه الثالث له قال ابراهيم لاسماعيل عليهما السلام : إن الله أمرني أن أبني له بيتاً هنا ، قال له : افعل ماأمرك الله به وأنا معك . أو كما قال .

وَدَلّتِ ابْراهِيمَ مُزْنَةٌ عَلَيْه
فَهْيَ عَلى قَدْرِ الْمَسَاحَةِ تُرِيه

(١) قوله : وهو الذبيح على أحد القولين ، يبدو منه أن الشارح ، عليه رحمة الله ، لم يظهر له أرجح القولين ، ولا ريب عند من له تحقيق في المسألة أن اسماعيل هو الذبيح والدليل واضح ، وإليك منه باختصار دلالة محلين من كتاب الله ، اولا : قال تعالى : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ . فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ . فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَاتُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ، فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ، =

= ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ سورة الصافات : ٩٩-١٠٦ . إن هذه الآ يات تدل على أن الذبيح ولد لإبراهيم قبل اسحاق فابتلي ، أي اختبر بالأمر بذبح فلذة كبده ووحيده في سبيل خليله وخالقه ، فعزم على تنفيذ أمر ربه ، فصرحت الآيات بعدها بأن الله فدى الذبيح بذبح عظيم ، وإنه كذلك الجزاءُ يجزي الله المحسنين ، ثم علاوة على ذلك بشره الله بإسحاق الذي يعيش عمراً يبلغ به مقام النبوة والصلاح ، قال تعالى : ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ . كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ . وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ سورة الصافات : ١٠٦ - ١١٢ . فهل من المعقول أن نبياً يوحى إليه ببشارة ؛ بولد يكون نبياً صالحاً ، ثم يبتلى بالأمر بذبحه في صغره ، وهو عنده اليقين ببقائه حياً حتى ينجز الله وعده فيه بنبوته وصلاحه ؟! وأيضا فإن آية الصافات هذه تفيد بأن الذبيح ولد لابراهيم بعد ذهابه الى ربه وسؤاله الولد مباشرة ، وآية هود ٧١ : ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ تفيد أن البشارة باسحاق إنما وقعت من قبل ضيف ابراهيم ، الذين قرب لهم القرى فلم يعبئوا به ، فنكرهم ثم أخبروه بأنهم رسل الله ، أرسلوا لهلاك قوم لوط ، وفي تلك اللحظة قدموا البشارة لزوجته بولدها اسحاق ، وإنه سيولد له يعقوب ، ومن المعلوم ضرورة أن عذاب الاستئصال إنما جاءَ قوم لوط بعد تكذيب نبي الله لوط ابن أخي ابراهيم ، الذي هاجر معه من كوثى ، ثم نُبِّيءَ وأُرسل إلى المؤتفكات ، فمكث فيهم ماشاءَ الله يدعوهم وهم معرضون عن دعوته ، حتى قضى الله عليهم بعذاب الاستئصال ؛ فأرسل رسله إليهم فاستضافوا ابراهيم فى هيئة البشر وبشروا امرأته بولد على كبر سنها وعقم رحمها ، وهذه المدة كانت بعد وصولهم الأرض المقدسة واستقرارهم فيها بكثير ، علماً بأن آية الصافات التي قدمنا تفيد أن الذبيح ولد له بعد الهجرة وسؤاله ربه الولد ، وهذا واضح لمن وفقه الله لفهمه . =

إبـراهيم : اسم عجمي ومعنـاه أب رحيم ، والمسـاحـة بالكسر : القدر ، يقول : لما أرادا أن يبنيا البيت [وكانا يجهلان قدر مساحته][1] أمر الله مزنة أظلت قدر المساحة فلم تتجاوزها ولم تقصر عنها بظلها .

= وهـذه الآيات من سورة هود قال تعـالى: ﴿ وَلَقَـدْ جَاءَتْ رُسُلُنَـا إِبْـرَاهِيمَ بِالْـبُشْرَىٰ قَالُـوا سَلَامـاً قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِـثَ أَنْ جَاءَ بِعِـجْـلٍ حَنِـيـذٍ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْـدِيَهُــمْ لَاتَـصِـلُ إِلَـيْـهِ نَكِـرَهُــمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُــمْ خِيفَـةً قَالُـوا لَاتَخَـفْ إِنَّـا أُرْسِـلْنَـا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ، وَامْـرَأَتُـهُ قَائِـمَـةٌ فَضَـحِـكَـتْ فَبَشَّرْنَـاهَـا بِإِسْـحَـاقَ وَمِـنْ وَرَاءِ إِسْـحَـاقَ يَعْـقُـوبَ . قَالَـتْ يَاوَيْـلَتَـا أأَلِـدُ وَأَنَـا عَجُوزٌ وَهٰذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ : ٦٩ ـ ٧٢ .

واليك ماكتبه ابن كثير في الموضوع قال تعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ وهذا الغلام هو اسماعيل عليه السلام ، فإنه أول ولد بشر به ابراهيم عليه السلام ، وهو أكبر من اسحاق باتفـاق المسلمـين وأهـل الكتاب ، إلى أن قال : وهذا كتاب الله شاهد ومرشد الى انه اسماعيل ، فإنه ذكر البشارة بغلام حليم وذكر أنه الذبيح ، ثم قال بعد ذلك : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَـاقَ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ . وقال : ولما بشرت الملائكة ابراهيم باسحاق قالوا ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ وقال ابن كثير في قوله عن امرأة ابراهيم عليه السلام : ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ أي بولد لها يكون له ولد وعقب ونسل ، فإن يعقوب ولـدُ اسحـاق ، قال : ومن هاهنـا استدل من استدل بهذه الآية على أن الذبيح إنما هو اسماعيل ، وإنما يمتنع أن يكون اسحاق لأنه وقعت البشارة به ، إنه سيولد له يعقوب ، قال : كيف يؤمر ابراهيم بذبحه وهو طفل صغير ، ولم يولد له بعد يعقوب الموعود بوجوده ، ووعد الله حق لاخلف فيه ؟! . فتعين أن يكون هو اسماعيل . قال : وهذا من أحسن الاستدلال وأوضحه وأبينه ولله الحمد .

(١) مابين القوسين ليس في الاصل عندي

وَقِيلَ دَلَّتْهُ خَجُوجٌ كَنَسَتْ
مَاحَوْلَهَ حَتَّى بَدَا مَا أَسَّسَتْ
قَبْلُ الْمَلاَئكُ مِنَ الْبِنَاءِ
قَبْلَ ارْتِفَاعِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ
خَوْفاً مِنَ الْغَرَقِ وَالْمَعْمُور هَا
هُوَ عَلَىٰ رَأيٍ رِجَالٍ نُبَهَا

الخجوج : الريح الشديدة المرِّ ، أو التي تلتوي في هبوبها . ويقال هبوبها الخجخجة . والملائكة : الجنس النوراني الممدوح بقوله تعالى : ﴿ لاَيَعْصُونَ الله مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [1] واحده الملأك ، والملاكة في الأصل الرسالة . يقال أَلِكْني إلى فلان : أي بلِّغه عني . قال ابن أبي ربيعة :

أَلِكْنِي إليها بالسلام فإنه ... يشهّر إلمامي بها ويذكّر

وأصله أَلئِكني فحذفت الهمزة ونقلت حركتها إلى ماقبلها ، فقيل أَلِكْني ، والمَلَكُ قيل له ملَكٌ لأنه مبلغ عن الله تعالى ، ووزنه مَفْعَلٌ ، والمعمور بيت الله في السماءِ ، وهو في السابعة ، يزوره كلِ يوم سبعون ألف ملك لايعودون إليه أبداً ، كما أن المسجد الحرام بيته في الأرض.وقوله : ها ، هي هاءُ التنبيه الداخلة على اسم الاشارة ، حذفه وأبقاها دالة عليه .

كقولهم : ها أنا وها أنت أي هٰذا أنا وهذا أنت ، ونُبَهَا : جمع نبيه للفطن ، أراد علماءَ .

---

(١) سورة التحريم : ٦

يقول : لما أراد ابراهيم واسماعيل ، عليهما السلام ، بناءَ بيت الله تعالى ، بأمر الله تعالى لهما ، ولم يهتديا لمساحته ، نعتته لهما ريح كنست ماحول مكان البيت حتى بدا ماأسسته الملائكة قبل ، أي أساس البناءِ الذي بنوه لآدم قبل رفع الله له إلى السماءِ ، حين أمر الماء بالانهمار لئلا يكون من المغرقين فينزه عن ذمهم بالإغراق ، وقال بعض العلماء : وهو الآن البيت المعمور ، وقيل هما مقترنان ولكن لايدرك ذلك الثقلان ، والدليل على ذلك أن السرب من الطيور يأتي مجتمعاً جاداً في طيرانه ، حتى يكاد يعلو البيت ، فيحيد [1] عنه كأنما عرض له شيءٌ أحاده ، وربما افترق حتى يجاوزه ثم يجتمع ، وأجيب بأن البيت لايعلوه الطير لئلا يطرح عليه فضلاته كما تفعله بغيره .

وَلِأَبِي قُبَيْسٍ أُودِعَ الْحَجَرْ
وَحِينَ أَنَّقَ الْخَلِيلُ فِي حَجَرْ

يَجْعَلُهُ مَكَانَهُ أَنْبَاهُ
أَبُو قُبَيْسٍ أَنَّهُ خَبَّاهُ

أبو قبيس : جبل بمكة في الجهة الشرقية . سمي برجل من مذحج حداد ، لأنه أول من بنى فيه . ا . هـ. القاموس . وفى سيرة ابن اسحاق : سمي برجل من جرهم هام ببنت عم له ، فخبله الحب حتى هام على وجهه ، فدخل في ذلك الجبل فلم يعلم له خبر بعد ذلك فسمي الجبل به . ا . هـ . والحجر : هو الحجر الأسعد وأصله ياقوتة أهبطت من الجنة

---

(١) قلت : لقد شاهدت عياناً بطلان ماقرره هنا من أن سرب الطير لايعلوه ، فقد رأيت الطير بعينى تأتي من فوقه أسراباً وأفراداً . والله الموفق .

لآدم ليتأنس بها ، وكانت تضيءُ ، وحيث بلغ ضوؤها هو الحرم ، وعليه نصب أعلام الحرم أجلة قريش حين بعثهم عمر يحدون الحرم ، وعن بعض معمري الصحابة أنه يعرفه أبيض ، وأنّق : تخير ، وأنبأه : أخبره ، وخبأه : ستره وغيبه .

يقول : لما بنى ابراهيم واسماعيل البيت ولم يجدا الحجر ، جعل ابراهيم عليه السلام يطوف بتلك الجبال يتخير حجراً يجعله في موضعه ، فناداه أبو قبيس وأخبره أنه أودعه له ، فأخذه ابراهيم فجعله مكانه في البيت .

كِلاَهُمَـا إذْ يَبْـنِـيَـانِ يَصْـدَعُ
بِأَمْـرِ الْآخَـرِ وَعَـنْـهُ يَسْمَـعُ
مَعَ تَخَالُـفِ الـلِّسَـانَـيْنِ وَفي
سَبْعِ جِبَالٍ أُخِذَتْ كُلُّ الصَّفي

يصدع : يحكم . يقول : إن كلاً من ابراهيم واسماعيل حين يبنيان البيت يسمع قول الآخر ويحكم بأمره ، وهما مختلفا اللغتين ؛ أما ابراهيم فأعجمي اللسان ؛ أول أمره سرياني ثم تكلم بالعبرانية ، وأما اسماعيل فعربي اللسان ؛ تعرّب من العماليق إذ ساكنوه بمكة .

الجبال التي اخذت منها حجارة البيت
عند بنائه

والصفي التي بني بها البيت أُخذت من سبع جبال أو ست ، وهي طور سينا وطور تيناءَ والجودي ولبنان بالشام وأبو قبيس وقعيقعان بمكة ؛ أما طور سينـاءَ فهـو الـذي كلم الله تعـالى موسى عليه السلام عنده ، كما أتي في القرآن ، وأنزل عليه التوراة بجانبه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾ [1] . قال الثعالبي : وقيل أيضاً في تفسير سورة التين ، أقسم الله بطور تيناءَ وطور زيتاءَ وهما جبلان ببيت المقدس ، وكذلك طور سينا ، وسينا الحجارة ، والطور الجبل ، وأما الجودي فهو الذي استوت عليه سفينة نوح عليه السـلام . وأما لبنان فجبل بالشام ، ويقال له جبل الأولياءِ لأنهم [2] يسكنونه أبداً ويلتقون به كثيراً ، وهو الذي في قول أبي ذهبل الجمحي يمدح به ابن الأزرق :

---

(١) سورة القصص : ٤٦

(٢) تسمية لبنان بهذا بادرة خرافة ، وإنه لمن المثير للسخرية وصف جبل لبنان بأنه تسكنه الأولياءُ ويلتقون به ، اللهم إلا إذا كان المراد بهذه اللفظة أولياءُ الشيطان ! . ومن يأخذ علي في عبارتي هذه فليتفضل لزيارة مصائف الجبل ، زحلة عالية ، وبحمدون وشتورة ونحو ذلك ، ولينظر في جماعة الأولياءِ هناك ! ؛ ﴿ رَبَّنَا لَاتُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ سورة آل عمران : ٨

إن تغدُ من منهلّي نجران مرتحلاً — يبنْ من اليمن المعروفُ والجودُ
إعلم بأني لمن عاديت مضطغن — صَبٌّ وإني عليك اليوم محسودُ
وإن شكرك عندي لا انقضاءَ له — مادام بالهضْب من لبنَان جلمودُ

وعندي أن السابع طور زيتاءَ ، ولكن لم يحضرني الآن عزوه ، وقيل غير هذا في عدد الجبال وتسميتها

وَكُلَّمَا طَالَ الْبِنَاءُ ارْتَفَعَا
بِهِ الْمَقَامُ في الْهَوىَ وَرَفَعَا
بِهِ الْقَوَاعِدَ وَفِيهِ الْقَدَمُ
تُشْبِهُهَا لِلْهَاشِمِيِّ قَدَمُ

يقول : كلما طال بناءُ البيت بابراهيم حتى يفوته أَعلاه ، طال به مقامه حتى يبلغ فوقه فيبني عليه ، ولم يزل كذلك إلى أَن تم بناءُ البيت ، وبقي في المقام وهو صخرة عظيمة أَثر قدم ابراهيم ، عليه السلام ، فيها ، حتى أَدركه المسنون [1] من الصحابة من قريش ، وكان أَبو جهم بن حذافة بن غَنْم العدوي يقول : مارأَيت شبها كشبه قدم النبي ﷺ بقدم ابراهيم ، التي كنا نجدها فى المقام ، وأَبو جهم حضر بناءَ البيت مرتين : بناءَ قريش وبناءَ ابن الزبير .

---

(١) بل كان الأَثر في حجر المقام إلى أَن حفره الطامعون في زوار بيت الله ، ليملؤوه من ماءِ زمزم ، ليشرب الحاج بهذه الحفرة ، في موضع القدمين الشريفتين ، موهماً إياه أَن ذلك يزيد زمزم بركة ، ليأْخذ منه أُجرة مقابل ذلك . وبالله تعالى التوفيق .

وَحِـينَ بِالْحَـجِّ الْخَلِيـلُ أَذَّنَـا
وَفِي كِلَا أُذْنَيْـهِ أُصْبُعـاً ثَنَىٰ

أَيْضـاً كَأطْوَلِ الْجِبَـالِ ارْتَفَعَـا
بِهِ وكُـلُّ مَنْ يَحُجُّ أَسْـمَـعَـا

يعني : إن المقام ارتفع أيضاً بابراهيم حتى بلغ أطول الجبال حين قال الله تعالى له : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾[1] قال : ياربّ مايبلغ دعائي في الناس ، قال : عليك النداءُ وعلي الإسماع . فثنى إصبعيه ووضعهما في أذنيه وقال : أيها الناس ، إن لله بيتاً فحجوه . فلباه كل من أراد الله به الحج في أصلاب الرجال .

وَرَبَـضـاً كَانَ وَحِـينَ انْفَجَـرَا
لِآجَرَ [1] الْمَاءُ لَهَا الْخَلْقُ جَرَىٰ

الربض : محركة مأوى الغنم . وانفجر : سال . والماءُ يعني زمزم . وآجر[2] : لغة في هاجر ، يعني أن البيت كان زريبة غنم اسماعيل قبل بنائه

---

(١) سورة الحج : ٢٧

(٢) قوله : آجر ، لغة في هاجر ؛ من إبدال الهاءِ همزة ، وقد سمع عند العرب ذلك ، وسمع أيضاً إبدال الهمزة هاءً . يقولون : هرقت الماءَ في أرقت الماءَ ، وقال الشاعر

ألا ياسـنـى برقٍ على قُلل الحِـمـىٰ   لِهَنَّـك من برق علي كريـم

غير أنه لم ترد بها قراءَة لكتاب الله إلا ماجرى به العمل في المغرب الأقصى وتونس وموريتانيا من إبدال الهمزة هاءً خالصاً عملاً بقول الناظم :

= ومـــابـــه العمـــل ذا المسهـــل يقـــرأ هاءً خالصـــاً ويقبـــلُ

وليت شعري ، كيف قبوله طالما أن مقرأ الامام نافع المعمول به في هذه الأقطار ، يقول ابن بري في عقده :

فنـــافـــع سهَّـــل أخـــرى الهمـــزتـــين بكلمـة فهي لذاك بين بين

أي بين الهمـزة وما يجانس حركتها ، وإن عجبي لاينقضي مما يقرره إدوعيشي في شرح هذا البيت حيث يقول : ولما كانت بين بين متعذرة ، وقد سمع إبدال العرب الهمزة هاءً خالصاً ، كما يقولون في ؛ أرقت الماءَ وهرقت الماءَ ، وكما قال الشاعر لهنَّك من برق علي كريم ، اختار الداني إبدال الهمزة هاءً خالصاً . انتهى بتصرف .

ومثـار عجبى من هذا كله أن القـراءَة سنـة متبعة إجماعاً ، فلابد فيها من رواية صحيحة متواترة متصلة الاسناد برسول الله ﷺ ، قال الراجز :

إن الإجـــازة اتـــصـــال الـــســـنـــد بالمـــصـــطفـى خير الـــورى محمـــد

وإنهم على الرغم من ذلك يبيحون فيها بلسان حالهم الرأي كما صرح به إدوعيشي بقوله : اختار الداني . . علمًا بأن الذي وقفنا عليه من كتب الداني هو « التيسير فى القراءات السبع المتواترة» ولا أثر فيه ولا عيثر للهاءِ بتاتاً ، ولا له أثر في الشاطبية وشروحها ، فكيف يعمل به إذاً ؟ ! أمر عجيب والله .

ولقد سمعت شيخنا العلامة أمير المؤمنين في المعقول والمنقول الشيخ محمد الأمين ابن محمد المختار بن عبد القادر الجكني ثم اليعقوبي ، عليه رحمة الله ، وهو صاحب «أضواءُ البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» وغيره من التآليف النافعة ، سمعته يقول : من قرأ بالهاءِ الخالصة فقد تعمد تكسير القرآن العظيم ، ومعلوم أن من غيّر حرفاً من القرآن عمداً يكفر بذلك ، كما حكاه القاضي عياض في الشفاءِ . =

هذا ، بعدما كانت البقعة خلاءً ، حتى تفجر الماءُ لآجر فجرى لها الناس يرغبون مساكنتها لدعوة ابراهيم عليه السلام : ﴿ **فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاس تَهْوِي إِلَيْهِمْ** ﴾[1] .. وسبب انفجار الماءِ أنه لما أودعهما ابراهيم عليه السلام ، واستودعهما الله وترك عندهما ركوة ماءٍ ، وصاع تمر ـ كما قدمنا ـ جعلت هاجر تأكـل من التمر وتشرب من الماءِ ويدر ثديها على الصبي ، حتى فرغ الماءُ وعطشت ، فغرز ثديا الصبي وعطش وجاع واشتد الحال .

= وألفت نظر من وقف عليه خوفاً من التلبيس والتدليس ، اني لست قدوة في فن المقرإ مع الأسف . وبالله تعالى التوفيق .

غير أني أنقل لك هنا ماكتبه شيخنا عليه رحمة الله في الجزء ٧/ص ٧٨١ ونصه : تنبيه : اعلم وفقني وإياك أن ماجرى في الأقطار الافريقية ؛ من إبدال الهمزة الأخيرة من هذه الهمز المذكورة وأمثالها في القرآن هاءً خالصة ، من أشنع المنكر وأعظم الباطل ، وهو انتهاك لحرمة القرآن العظيم ، وتعد لحدود الله ، ولا يعذر فيه إلا الجاهل الذي لايدري ، الذي يظن أن القراءَة بالهاءِ الخالصة صحيحة ، وإنما قلت هذا لأن إبدال الهمزة فيها ذكر هاءً خالصة لم يروه أحد عن رسول الله ﷺ ، ولم ينزل عليه به جبريل ألبتة ، ولم يروَ عن صحابي ولم يقرأ به أحد من القراءِ ولا يجوز بحال من الأحوال ، فالتجرؤ على الله بزيادة حرف في كتابه هو هذه الهاءُ التي لم ينزل بها الملك من السماءِ ألبتة هو كما ترى ، وكون اللغة العربية قد يسمع فيها إبدال الهمزة هاءً لايسوغ التجرؤ على الله بإدخال حرف في كتابه لم يأذن بإدخاله الله ولا رسوله ﷺ ودعوى أن العمل جرى بالقراءَة بالهاءِ لايعوّل عليها ، لأن جريان للعمـل بالبـاطل باطل ، ولا أسوة فى الباطل بإجماع المسلمين ، وإنما الأسوة في الحق ، والقراءَة سنة متبعة مروية عن رسول الله ﷺ ، وهذا لاخلاف فيه . ا . هـ . منه بلفظه .

(١) سورة ابراهيم : ٣٧

كُلُّ أمـر ناب الـنبيـين فالشـدْ دَةُ فيـه محمـودة والـرخـاءُ

ثم ذهبت تطلع هل ترى أَحداً أَو تجد شيئاً ؟ . فجاءَت إِلى الصفا والمروة ، فلم تزل تصعد إِحداهما وتهبط منها راملة أَو ساعية إلى أَن تصعد الأُخرى حتى فعلت ذلك سبعاً ، وهو أَصل السعي بين الصفا والمروة ، وفي أَثناءِ أَشواطها سمعت نبأَة فقالت : هيه ؟ . فلم تجد شيئاً . فسمعت ثانية إلى ثلاث مرات فقالت : قد أَسمعت إِن كان عندك غواث . فبادرت الصبي فوجـدت المـاءَ سائلاً تحت قدميه ، فجعلت تحفر له وتجمعه . قال ﷺ :

« رَحِمَ الله أُمَّ اسْمَاعِيلَ ، لَوْ تركَتْ زَمْزَمَ لَصَارَ عَيْناً مَعِيناً » .

أوَّلُ مَنْ سَكَـنَهَـا الْـعَـمَالِـقُ
وَإِذْ بَغَـىٰ في الْحَـرِمَ الـزَّنَـادِقُ
أخْـرَجَهُمْ مِنْهَا مِضَاضُ الْجُرْهُمِي
وَإِذْ إِلَى مَكَّـةَ سَيْـلُ الْـعَـرِمِ
أجْـلَى خُزَاعَـةَ وَضَـنَّتْ جُرْهُمُ
بأنْ يُقِـيـمَ سَبَـأُ مَعَـهُـمُ
بَقَـدْرِ مَايَـنْـتَـجِعُـونَ شرَّدَا
بِجُـرْهُـمٍ خُزاعَـةُ وكُـلُّ دَا

العماليق : القبيلة البائرة ، وهم المعنون بالزنادقة . وال ـ في الزنادقة للعهد .

زوج اسماعيل أم بنيه رعلة
بنت مضاض الجرهمي

ومضـاض بن عمـرو الجرهمي سيدهم ، وجدُّ مضاض الأَصغر بن عمرو بن مِضاض الأكبر بن عمرو ، وهو أَبو رعلة بنت مضاض ، تزوجها اسماعيل وولد له منها عشرة بنين ذكوراً ، منهم نابت بن اسماعيل الذي أَعطى المفاتيح مضاض الأَصغر .

والعَرِمُ : قيل اسم الجرذ الذكر ، وقيل : المطر الذي كان منه ذلك السيل ، وقيل اسم الوادي ، وضنت : بخلت . وسبأ : يعني خزاعة على القول بأَنهم بنو حارثة الغطريف إِخوة الأَوس والخزرج ، والانتجاع : طلب الكلإِ ، وهو هنا طلب المنزل ، والتشريد : الطرد .

يقـول : أَول من ساكن هاجـر ، بعـد الفرج عليها بتفجير الماءِ ، العماليق ؛ وابتداءُ أَمرهم أَن خرج منهم فتيان ينشدان ضالة ، فأَدركهم المقيل يومـا قرب مكـة ، فلما أَرادا الـرواح ذهب أَحدهما ليأْتى بالناضح ، فأَتى صاحبه فقال : لعل بهذا الوادي ماءً ، رأَيت طائراً يحوم ، ماأَراه يحوم إلا على الماءِ . فقال له صاحبه : والله مابه قط من ماءٍ . فأَبى إِلا أَن يتبعاه ، فتبعاه حتى هداهمـا إِلى هاجر واسماعيل فباتا معهما ، وأَطعمها هاجر من لحم كانا متزودين به ، فاستشاراها على الإِتيان بأَهلهما فقالت : نعم ، ولكن لا حق لكم في المـاءِ . فأَتيا بأَهلهـما فسـاكنـوهـا إِلى أَن أَدرك اسماعيل وشب مع فتيانهم ، فتزوج امرأَة منهم قيل اسمها عمارة بنت سعد ، وتزوجت هاجر برجل منهم يقال له أُروياءُ ، فلم يزالوا معها إِلى أَن بغوا في الحرم ، فسلط

الله عليهم جرهماً ، وسيدهم مضاض الأكبر بن عمرو . قال تعالى ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴾[1] فأخرجهم جرهم من مكة فساكنوا بها اسماعيل ، ولم يزل ابراهيم يزور اسماعيل بمكة من دمشق على البراق كما تقدم ، فجاءَ يوماً ولم يصادف اسماعيل ، فسأل عنه امرأته وسألها عن حالهم فأخبرته بشر الخبر ، فقال لها : إن أتى زوجك فقولي له ليحوّل عتبة بابه . فلما جاءَ اسماعيل آنس شيئاً فقال لها : هل أتاكم اليوم أحد ؟ قالت جاءَنا شيخ من أمره كذا وكذا وما مدحته ، فقال لها : هل قال لك شيئاً ؟ . قالت : نعم ، وأخبرته بما تقدم . فقال لها : ذلك أبي وأمرني أن أطلّقك فالحقي بأهلك . ثم تزوج الجرهمية . فجاءَ ابراهيم يوماً ولم يصادف اسماعيل فسأل عنه زوجته ، فقالت : يصطاد لنا . فسألها عن حالهم فاستبشرت به وقالت : ألا تنزل عندنا ؟ . فلم يفعل . فقالت : هلمَّ أغسل لك رأسك وأرجّله . فأومأ لها برأسه عن الدابة حتى رجلته ، وهو واطىءٌ بقدمه على حجر ، فبقي أثره فيه ، فرجلت شقه ثم أومأ لها بشقه الثاني ، وهو على الدابة ، ففعلت به كذلك ، وقال لها : إذا أتى زوجك فقولي له : ثبِّتْ عتبة بابك . وراح إلى دمشق ، فلما جاءَ اسماعيل آنس شيئاً فقال : هل دخل عليكم أحد ؟ . قالت : نعم ، دخل علينا شيخ حسن ، صفته كذا وكذا وأثنت عليه ، فقال : هل أوصاكم بشيءٍ ؟ . فقالت : أوصانا أن نقول لك : ثبِّتْ عتبة بابك ، قال : ذلك أبي ، وأمرني ألَّا أُطلقك . ثم ماتت هاجر ولها تسعون سنة ، قيل قبل بناءِ الكعبة ، وقيل حضرته ، وكانت تدعو وتقول : اللهم كذا وكذا ، وحج ابراهيم بعد بنائه مع سارة ثم رجع إلى الشام ومات بها . وبعد مابني البيت جاءَه جبريل يريه المناسك مع اسماعيل ، فلما كانوا بعرفة

(١) سورة الحج : ٢٥

قال له : عرفت كذا وعرفت كذا . فسميت عرفة . وقيل سميت لأن آدم وحواءَ تعارفا بها بعد الهبوط من الجنة .

ثم بعد مساكنة العماليق لها ساكنها جرهم ، فلما بغوا قيّض الله لهم جلاءَ اليمن بسيل العرم ، فانخزعت خزاعة عن ورد اليمن إلى مكة ، فنزلوا على جرهم فأقاموا معهم ثلاثاً يقرونهم ، ثم قالوا لهم : الضيافة ثلاثة أيام فارتحلوا عنا . قالوا : نعم ، ولكن أمهلونا اليوم حتى ننتجع منزلاً . فقالوا : لاتقيمـون معنـا ولو يوماً واحداً . فاقتتلوا ، فأعان الله خزاعة على جرهم بالأمـراض ؛ كالرعاف وغيره والقمل يدخل فى أعينهم ومناخرهم ، حتى هزموهم وأجلوهم ، فخلفوا بعدهم على الحرم وأخذوا المفاتيح . وبعد ذلك انفلتت إبـل عمرو بن الحارث بن مضاض فتوجهت إلى أوكارها بالحرم ، وتبعها عمرو بن الحارث فلم يقدر عليها إلى أن دخلت مكة على خزاعة ، فلما دنا عمرو من مكة أشرف على جبل ، فرأى إبله تنحر يميناً وشمالاً فأنشأ يقول :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصَّفا
أنـيس ولم يسـمـر بمكـة سامـرُ
بلى نحـن كنـا أهـلهـا فأبـادنـا
صروف الليـالي والجُـدود العـواثـر
وكـنـا ولاة الـبيت من بعـد نابت
نطوف بذاك البيت والخـيرُ ظاهـر
وكـنـا ولاة الـبيت من بعـد نابت
بعـز فما يحظى لدينـا المكـاثـر

ملكنــا فعــززنــا فأعــظِم بعــزنـا
فليس لحيٍّ غيرنــا ثَمَّ فاخــر [1]

وروى السهيلي أن امرأة من بقايا جرهم اكترت بعيراً من رجلين من جهينة من مكة إلى خيبر ، فلما كانوا قربها سلط الله عليها النمل فدخل فى منـافـذها ، فلما يئسا منها مضيا وتركاها تدعو بالويل والثبور . ثم رجعت جرهم إلى ديارهم باليمن فأقاموا بها حتى هلكوا ، وقال عمرو بن الحارث بن مضاض يذكر بكر بن كنانة وغبشان وسكان مكة الذين خلفوا فيها بعدهم :

ياأيهـا النـاس سيروا إن قصدَكم   أن تصبحـوا ذات يوم لاتسـيرونا

حُثّوا المـطيَّ وأرخـوا من أزمَّتِهَـا   قبــل المـمات وقضُّـوا ماتقضّـونـا

كنــا أُنــاســاً كما كنتم فغــيَّرنــا   دهــر فأنتم كما كنّـا تكــونـونا

وَجُــرْهُمْ سَليــلُ قَحْـطَانَ وَقَـدْ
قِيـلَ سَلِيلُ مَلَكٍ عَصَى الصَّمَدْ
وَيَــاضَــعَ المَلَكُ في الْـعَـمَالِقِ
وَذَاكَ بِالمـــنْــصَــبِ غَيْرُ لاَئِـقِ
بَلْ هُوَ مِنْ مُخْتَــلَقَــاتِ جُرْهُــم
وَعْنَــهُ يُعْــرِبُ مَقَـالُ الجُـرْهُمِي

---

١ ـ رتبنا الابيات كما وردت فى سيرة ابن هشام .

لَاهُــمَّ إِنَّ جُرْهُمــاً عِبَــادُكَــا

النَّــاسُ طَارِفُ وَهُمْ عِبَــادُكَــا

السليل : الولد ، والسليلة : البنت ، وقحطان : أصله في العجمية يقطن فعرِّب بقحطان بن عامر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح ، وهو أصل اليمنية [1] كلها ، ولا يشذّ عنه أحد منهم . ويقتضي الأخبار أن جرهماً كان قبل قحطان . انتهى من القلقشندى .

والجرهم : في اللغة الضخم ؛ يقال ناقة جرهمة وجراهمة إذا كانت ضخمة ، وباضع : تزوج أو جامع ، من المباضعة أو من البُضع بالضم وهو الجماع ، والفرج ، والمنصب : الأصل يعني منصب الملائكة ، والمختلقات : المفتريات . والطارف والطريف : المال المستحدث ، والتالد والتليد وغيرها من لغات كثيرة : ماولد عندك من مالك ، يعني أن جرهماً بن قحطان ، على قول ، وزعمت جرهم أنه من ملك عصى الله في السماءِ فأهبط إلى الأرض وألقي عليه الشهوة ، فتزوج من العماليق فولد جرهماً ، وهذا يدل [2] على أن جرهمــاً تأخــر عن العماليق في النسب ، وإذاً يجوز أن يكـون جرهم من قحـطان ، والقـول بأنهم من ملك لايليق بمنصب الملائكة ، بل ينزهون عنـه ، لكنـه من مفتريات جرهـم ، والافتراءُ : الإفك . وهو معنى قول الجرهمي أي بيته : **لاهُمَّ إن جُرهُماً عبادك ------ البيت**

---

(١) سبق أن نبهت على خطئه في المقدمة ، ووعدت إلى إيضاح ذلك في محله إن شاءَ الله عند ذكر نسب العرب .

(٢) انظر كيف يستدل بمثل هذه الأباطيل ويجعلها أساساً لشيءٍ مًا ! . اللهم إنا نعوذ بك من طمس البصيرة ، وهل بشيءٍ حتى يدل على شيءٍ ؟ .

وَغــاضَ زَمْــزَمٌ لِبَـغْيِ جُرْهُمِ
وَخَــبَّؤوا فِيــهِ هَدَايَــا الْحَــرمِ
لَيْـلاً إذْ ازْمَعُـوا الْجَـلاَ وَطَمَسُوهْ
وَلَمْ يَزَلْ غَفْــلاً لَدَى مَنْ أَلَّفُــوهْ

غاض المــاءُ : قلّ ونقص . قال تعــالى : ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ . ا . هـ. من القـامـوس والجـلال السيوطي ، وزمـزم : بئر بني عبد المطلب بالكعبة ، والبغي : الـظلم والعـدول عن الحق . وخبئـوا : غيّبوا وستروا . وهدايا الحرم : مايهدى إليه ، أزمعوا الجلاءَ : عزموا عليه ، وطمسوه : محوه ودرسوه واستصـالوا الأثر إليه ، وغفلاً : مجهولاً لاعلامة عليه ولا سمة عليه لدى الذين سكنوا مكة . وآلفوه : صاحبوه بالاجتماع معه .

يعني إن جرهماً لما بغوْا في الحرم ظهر لهم من العقوبة بالبغي أن غاض زمـزم ، ولمـا أرادوا الجـلاءَ ألقوا فيه هدايا الحرم وردموه عليها حسداً عليه لخزاعة ، فلم يزل مجهول المحل عند خزاعة ومن بعدهم من قريش إلى عبد المطلب .

وَدُلَّ شَيْــبَــةُ عَلَيْــهِ بِالــدَّمِ
وَالْفَرْثِ وَالنَّمْلِ ونَقْرِ الأعْصَمِ

شيبـة : هو عبـد المطلب ولد في رأسه شيبة فسمي بذلك ، يعني أن عبد المــطلب لما ترأس لقـريش وصــار إليه جل الأمـر ، وذلـك كله من بركـة النبي ﷺ ، صار من ليلة إلى ثلاث يأتيه آتٍ في المنام يقول له : اذهب إلى قرية النمل ونقر الغراب الأعصم بين الفرث والدم فاحفر تجد زمزم . فخرج

فوجد قرية النمل والغراب الأعصم ينقر فيها ، ولم يجد الفرث ولا الدم فبقي متحيراً لوجود بعض رؤياه وفقد بعضها . فبينا هو كذلك إذ أقبل نفر من الحمس يطردون بقرة فذبحوها ونثروا فرثها ودمها حيث كانت قرية النمل ، ونقر الغراب الأعصم بين الفرث والدم فشرع في الحفر ، وكلما مرَّ به أحد من قريش نهاه ويقول : أتعبتَ نفسك لاغير ، فلم يكترث بقولهم ، فلما عثر على أصل البئر طلبوا منه أن يُعينوه لئلا يستبد به فامتنع ، وكانوا يقولون له : إنه بيت بيننا ولم يكن لك خاصة ، فلما استخرج المال ونبع الماءُ قالوا : أما الماءُ فلا يكون لك دوننا ، قال أترضيكم مني واحدة ؟ . قالوا : ماهي ؟ . قال : القرعة ، فقالوا : زدت على الإنصاف . فجعلوا السهام ثلاثة ؛ سهم للبيت وسهم لعبد المطلب وسهم لقريش ، فوقع سهم عبد المطلب على السلاح المستخرج مع المال من البئر ، وسهم البيت على المال ، فغرز عبد المطلب خشبة طويلة في جانب البيت وعلق فيها المال ، وحفر حياضاً حول البئر يسقي منها الناس . انتهى من الكلاعي وغيره .

ومِــنْ خَبَــايَــاهُ غَزَالَا ذهَــب

أَهْـدَتْهُـمَا الفُـرْسُ لِبَيْتِ الْعَـرَب

يقول : ومن هدايا البيت التي خبأت جرهم في زمزم ؛ صورة غزالين من الذهب أهدتهما الفرس قبل لبيت العرب ـ وهو الكعبة ـ أضافه إلى العرب لأنهم جيرانه .

مرات بناء البيت

وهم الـذين بنـوه مرات ؛ أولهـا بناءُ جدهم اسماعيل مع ابراهيم ، والثانية بناءُ جرهم . قال الشاعر :

فأقسمت بالبيت الـــذي طاف حولــه
رجــالٌ بنـــوه من قريش وجـــرهـــم

والثالثة بناءُ قريش له وحضره النبي ﷺ ، وكان يحمل الحجارة على عاتقه بلا فراش خوف التعري ، وقريش يجعلون أُزرَهم بينهم وبين الحجارة فيتعرون ، فقال له عمه : ياابن أخي ، اجعل إزارك بينك وبين الحجارة كما يفعل الناس . ففعل فزجره الملك ، فخر مغشياً عليه فلم يعد إليها فقال له عمه : ياابن أخي مالك ؟! . قال : نُهيت ، فلما أتموا بناءَه تنافسوا فيمن يضع الحجر موضعه ، ثم تراضوا على أن يحكموا أول من يخرج عليهم ، فخرج عليهم النبي ﷺ فقالوا : هذا الأمين رضيناه ، وكانوا يسمونه بذلك الاسم في الجاهلية لصدقه ، فحكم بينهم ؛ أن يفرشوا ثوباً يضعونه فيه وكل قبيلة تأخذ طرفاً من أطراف الثوب فيحملونه إلى موضعه ، ففعلوا ذلك . فلما حملوه أخذه النبي ﷺ بيده الشريفة فوضعه ، ولم ينتبهوا لهذا ولم يقصده ﷺ ، ولكن خصه الله تعالى بهذه التكرمة ونزه الحجر عن لمس أيدي الكفرة النجسة .

الـرابعـة بنـاءُ عبـد الله بن الزبير له بعد ماصح الحديث من رواية الثقات ، وشاور قريشاً وأحضرهم وقال : لاتتحدث قريش أني غيَّرت شيئاً من قبلتهم . فلما أتم بناءَه على قواعد ابراهيم بمشاورة قريش وإشاراتهم ،

تأنّوا وتبصروا فيمن يضع الحجر مكانه ، فحانت الصلاة فأقاموها ، فقطع حمزة بن عبد الله بن الزبير صلاته فوضعه .

والخامسة بناءُ الحجاج له وسكت عنه ، وأول من بنى البيت الملائكة لآدم عليه السلام ، وأمرهم الله بذلك . ثم بناه آدم فكانت بناءَاته على الأصح سبعاً . وقيل بني عشر مرات . ا . هـ. من كلام الكلاعي والروض الأنف . وذكر في البحر الزاخر بقية العشرة ؛ إحداها بناءُ شئث وإخوته بعد آدم ، وبناه العمالق وبناه قصي قبل قريش ، والفرس الذين أهدوا الغزالين إلى البيت ، الجيل المعروف أهل الأكاسرة ، وهم أبناءُ كيومرت بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح .

وَلَمْ تَزَلْ خُزَاعَةٌ أَهْلَ الْحَرَمْ   حَتَّىٰ أَزَاحَهُمْ قُصَيٌّ الْخِضَمْ

أزاحهم : نحّاهم وأزالهم وأبعدهم . اي في المعنى والحكم على البيت ، لأنه لم يبعدهم في المسافة . وقصي كسُمَيّ ، سمي بذلك لأن أمه أقصته أي أبعدته . واسمه زيد ويقال له أيضا مجمِّع لأنه جمع قبائل قريش في مكة ، قال حذافة بن غانم العدوي :

أبوكم قصيٌّ كان يُدعى مجمِّعاً   به جمعَ الله القبائلَ من فهرِ

والخضم : كخدب السيد الحمول المعطاءُ ، خاص بالرجال ، وبه أثني على قصي وهو أهله ، يقول : لم يزل خزاعة بعد جرهم أهل مكة وسدنة البيت يفتحون ماشاءوا ولمن شاءوا ، حتى أزاحهم قصي عن حكم مكة والتحكم في البيت .

بِزقِّ خَمْرٍ مِنْ أبِي غُبْشَـــانِ
رَئِـيـسهِمْ ذِ الْغَبْنِ وَالْخُسْـــرَانِ
نَالَ الْـمَـفَــاتِـحَ قُصَـيٌّ وَذَمَــرْ
أَخَـاهُ مِن قُضَـاعَـةٍ حَتَّىٰ انْتَصَـرْ

الزق : بالضم الخمر ، وبالكسر السقاءُ ولعله المراد هنا ، أي سقاءُ خمر ، وأبـو غبشـان : ويضم خزاعي كان يلي سدانة البيت قبل قريش ، فاجتمع مع قصي في شرب بالطائف ، فأسكره قصي ثم اشترى منه مفاتيح البيت بزق خمر ، وأشهد عليه ودفعها لابنه عبد الدار وسيَّره بها إلى مكة ، فأفـاق أبو غبشان وندم ، وكان قبله يضرب المثل بالكسعي ، فضربت به الأمثال فى الحمق والندم وخسارة الصفقة ، وقيل فيه : أخسر صفقة من أبي غبشان . وفي خزاعة قيل:

باعت خزاعةُ بيت الله إذ سكرَتْ ... بزقِّ خمرٍ وبئست صفقـةُ البـادي

باعت سدانتهـا بالزق وانصرفت ... عن الحـطيم وظل البيت والنادي

ورئيس القوم سيدهم ، يقال فيه ريِّس ككيِّس ، قال :

مَلقى الأَمـان على حيـاض محمد ... شوْلَاءُ مجرفــة وذئــب أَطْـلَسُ

لا ذي تخاف ولا لذلــك جرأة ... تُهدىٰ الـرعيـة ماستقـام الـريِّسُ

وذمر ، حضَّ على القتال ، وأَخوه الذي ذمره من قضاعة رزاح بن ربيعة العذري ، وعذرة من قضاعة كما يأتي إن شاءَ الله تعالى ، وكان قصي في حجر ربيعة أَي رزاح ، أَقصته أُمه فشب ولم يتعلم أَن أَهله قريش ، ولا يرى إلا أَنه من عذرة ، فتكلم يوماً مع شباب منهم فقالوا : إنما أَنت ملصق فينا ولست منا . فدخل على أُمه فذكر لها ذلك فقالت : يابني إنما أَنت من الأَكابر الكرام جيران بيت الله الحرام .

يعني أَن قصياً لما أَخذ المفاتيح دفعها لابنه عبد الدار وطاربها إلى البيت فقال : يابني اسماعيل هذه مفاتيح أَبيكم اسماعيل قد ردها الله إليكم . فتقاتلت قريش وخزاعة ، فاستنصر قصي أَخاه رزاح بن ربيعة العذري ثم القضاعي فنصره ، ثم تحاكموا إلى حاكم كنانة يعمر ـ كيعلم ـ الليثي وهو ابن عوف بن كعب بن عامر بن ليث ، فشدخ دماءَ خزاعة ، أَي أَهدرها ، فسمي الشداخ ، وقضى لقصي بالمفاتيح .

واتَّخَذَ النَّدْوَةَ لاَيُخْتَرَعُ
في غَيْرِهَا أمْرٌ وَلا تُدَّرَعُ
جَارِيَةٌ أوْ يعْذَرُ الْغُلاَمُ
إلاَّ بِأمْرِهِ بِهَا يُرَامُ

الندوة : دار لقريش بمكة يجتمعون فيها للرأْي ، بمنزلة سقيفة بني ساعدة بالمدينة التى بويع فيها لأَبي بكر رضي الله عنه ، ودار الندوة أَي الجماعة ؛ وهى التي اجتمع فيها قريش للتشاور في أَمر النبي ﷺ ، وأَول من اتخذها قصي ، ويخترع : ينشأ ويبتدأ ، يعني أَن قصياً لما غلب خزاعة على

مكة ، اتخذ داراً للجماعة وسماها دار الندوة ، يجلس فيها ويأتونه يعرضون عليه الأمور يحكم فيها ، ولا ينشئون أمراً حتى يعرض عليه ، حتى أن الجارية لاتدَّرع حتى تعرض عليه ، هل تدَّرع أو تبقى في المجول ولا يعذر الغلام أي يختن حتى يشاور فيه في دار الندوة .

وبَاعَهَا بَعْدُ حَكيمُ بْنُ حِزَامْ
فَأَنَّبُوهُ وَتَصَدَّقَ الْهُمَامْ
سَيِّدُ نادِيهِ بِكُلِّ الثَّمَنِ
إِذِ الْعُلَا بِالدِّينِ لَا بِالدِّمَنِ

قوله : بعدُ : أي بعد الإسلام ، باعها من معاوية بن أبي سفيان بثلاثة آلاف[1]، وكان اشتراها في الجاهلية من بني عبد الدار ، وحكيم بن حزام هو السيد المشهور من سادات قريش في الجاهلية ، وهو ابن أخي أمنا خديجة ، اشترى زيد بن حارثة فوهبه لها ، فوهبته للنبي ﷺ ، شهد بدراً مع قريش فأشار عليهم بالرجوع فامتنعوا ، وفر فلحق بعبد الرحمن وعبد الله ابني العوام على جمل ، فنزل له عبد الرحمن واستنزل أخاه فلم ينزل ، وكان أعرج فأدرك وقتل ، ونجا عبد الرحمن ثم أسلم ، وكان اسمه عبْد الكعبة فسماه النبي ﷺ : عبد الرحمن . انتهى من الزبيري . أسلم حكيم يوم الفتح فقال له النبي ﷺ : أسلمت على ماسلف لك من خير . يؤخذ منه : أن الكافر يرى مافعل من الخيرات في كفره إذا أسلم ، واختلفت العلماءُ في ذلك[2]

(١) ورد في سيرة ابن كثير أنه باعها من معاوية بمائة ألف .

(٢) كيف يقول ذلك والله تعالى يقول : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَاعَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً =

حتى قيل : إنه يراه ولو لم يسلم ، لكن المآل الخلود في النار ـ أسأل الله العافية ـ لقول أبي لهب : ماوجدت بعدكم إلا أني سُقيت يوم الاثنين في مثل هذه لعتقي ثويبة ، وأشار إلى نقرة إبهامه .

وكان حكيم إذا اجتهد في يمينه يقول : والذي نجاني يوم بدر ، وأسلم يوم الفتح هو وبنوه ؛ هشام وخالد وعبد الله وغيرهم ، وسيأتي إن شاءَ الله بعض مناقب حكيم في الكلام على بني أسد ، وأنَّبوه اي لاموه ، والهمام : هو الذي يفعل ما اهتم به من الخبر : والنادى : الجماعة ، يقول : إن حكيم ابن حزام لما باع دار الندوة من معاوية بن أبي سفيان ، لامه أقاربه وقالوا له : بعت مكرمة قريش ، فقال لهم : العلا بالدين لا بالديار ، وقد تصدق بجميع الثلاثة الآلاف التي أخذ عنها .

حِجَابَةٌ سِقَايَةٌ رِفَادَةْ
لِوَاءُ النَّدْوَةُ بِالْقَلَادَةْ
أَتْحَفَ عَبْدَ الدَّارِ إِذْ رَآهُ
دُونَ مَدَى إِخْوَتِهِ مَدَاهُ

حجابة البيت : سدانته أي خدمته . والسقاية : سقاية الحاج . والرفادة : مال تجمعه قريش بينهم يرفدون به الحاج ، أي يكسونه إذا بلي ثوبه ، ويحملونه إذا عطب بعيره ويطعمونه ، وأتحف : أكرم والمدى : الغاية . يعني

= مَنْثُوراً ﴾ سورة الفرقان : ٢٣ وسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن عبد الله بن جدعان قالت : كان يطعم الطعام ويقري الضيف ويواسي الجار هل ذلك نافعه ؟ . قال : «لَا إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْماً وَاحِداً : رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ» .

إن قصياً لما رأى عبد الدار ، وهو أكبر بنيه ، لما رأى همته دون همم إخوته أكرمه بتقليده ، أي إعطائه هذه المكرمات الخمس ليبلغ بها رتبهم ، وقوله بالقلادة أي جعلها كالقلادة لأنها كالحلي ، أي حلاه بها ومنه تقليد الأمر لولاة الأعمال .

وَإِذْ بنــو عَبْــدِ مَنَــافٍ سَادُوا

أَخْــذَ حُلاَهُ كُلِّهــا أَرَادُوا

وَحَــالَفُــوا لِأَخْــذِهَــا بِالْقَهْــرِ

مِنْهُــمْ بُطُونــاً مِنْ صَمِيمِ فِهْــرِ

زُهْــرَةَ تَيْــمًا حَارِثــاً وَأَسَــدَا

خَمْســاً عَلَى أَمْثَــالِهَــا كَانَتْ يَدَا

يعني : إن بني عبد مناف لما سادوا وعرفت لهم السيادة ، استحقروا بني عبد الدار على أن تكون لهم هذه المكرمات ، فأجمعوا على أخذها منهم هاشمهم ومطّلبهم وعبد شمسهم ونوفلهم ، ويذكر أن أول من قام بذلك فتىً كان فيهم يقال له عمرو بن أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف ، فساعدوه على ذلك ، ثم تنافست قبائل قريش الاثنتي عشرة فاقتسمت بين هؤلاءِ ؛ فحالفت بني عبد مناف على أخذها منهم قهراً . بطون : جمع بطن وهو بين القبيلة والفخذ . من صميم أي من صريح قريش وهم : بنو زهرة ابن كلاب بن مرة ، أخوال النبي ﷺ ، بطن آمنة بنت وهب بن عبد مناف ابن زهرة ، وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ، وسعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة والبطن الثاني بنو تيم بن مرة بطن أبي بكر وطلحة بن عبيد الله وعبد الله بن جدعان . والبطن

الثالث : بنو الحارث بن فهر بطن أبي عبيدة بن الجراح والرابع : بنو أسد بن عبد العزى ، بطن الزبير بن العوام وحكيم بن حزام وأمنا خديجة بنت خويلد . وقوله خمساً جردها من التاءِ للمح القبيلة ونصبها على الحال ، أو صفة لألفاظ القبائل ، وخامستهم عبد مناف ، وقوله : على أمثالها ، أي على خمس قبائل أُخر . وكانت يداً أي جماعة . يقال : هم عليه يد واحدة .

وَعَـمَّـةُ الـنَّـبِيِّ طَيَّبَتْهُمُ

بِطِيبِهَـا الْمُطَيَّبُـونَ اسْمُهُمُ

وَغَمَسُـوا فِي الـطِّيبِ أَيْـدِيَهُمُ

وَمَسَحُـوا البَيْتَ بِهَا إِذْ أَقْسَمُـوا

عمة النبي هي أَم حكيم البيضاءُ ؛ توأمة عبد الله زوج كريز بن حبيب ابن عبد شمس أم أروى أُم عثمان ، يعني إن أُم حكيم هي التي صنعت لهم هذا الطيب الذي تقاسموا به ؛ ملأت جفنة من طيب وقربتها من البيت وقالوا : من كان منا فليغمسْ يده في هذا الطيب ، ثم يمسح به هذا البيت . فتتابعوا على ذلك فسموا المطيبين . قال يزيد بن معاوية :

ولها في المطيبين جدود ثم نالت ذوائب الأحلاف

وَحَـالَفَتْ كَذَاكَ عَبْـدَ الـدَّارِ

قَبَـائِلٌ مِنْ فِهْـرٍ الْأَخْـيَارِ

هُصَيْصُ مَخْزُمٌ عَدِيٌّ وَخَرَجْ
مُحَارِبٌ وعَامِرٌ عَنِ الْهَرَجْ

وَغَمَسُوا في الدَّمِ ثُمَّ لَعَقُوهْ
لَعَقَةُ الدَّمِ هُمُو إِذْ لَحَسُوهُ

يعني إنه كما حالفت عبد مناف أربعاً من قبائل قريش كذلك حالفت عبد الدار أربعاً أُخر ، وهم : هُصيص وهم قبيلتان ؛ بنو سهم بن عمرو بن هصيص ، رهط عمرو بن العاص ، وبني الحارث المهاجرين إلى الحبشة الستة أو السبعة . وقد نظمتهم في نظمي لمهاجري الحبشة :

هم معمر وحارث سعيد   وبُشرهم والسائب الشهيد
كذا أبو قيس كذا سعيد   أخ لهم من أُمهم سعيد

واختلف في أخيهم تميم ؛ فقيل هاجر إلى الحبشة ، وقيل شهد بدراً كافراً وأُسر ثم أسلم .

وبنو جمح بن عمرو بن هصيص رهط بني مظعون . والثالثة : بنو مخزوم المشهورون . والرابعة : بنو عدي رهط عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد . وخرج عن الهرج أي الوقوع في الفتنة ؛ بنو محارب بن فهر قبيلة ضرار ابن الخطاب وعقبة بن نافع ، وبنو عامر بن لؤي قبيلة سهيل بن عمرو ، وعبد[1] الله بن أُم مكتوم . وكيفية تحالفهم : أنهم نحروا جزوراً وقالوا : من

---

(١) عبد الله بن أُم مكتوم ليس من بني عامر بن لؤي وإنما هو من معيص أخوال أُمنا خديجة رضي الله عنها .

كان منا فليغمسْ يده في هذا الدم . فتواثبت القبائل إليه ، فقام الأَسود بن حارثة العدوي فغمس يده ولعقها ، ففعلوا مثل فعله ، فسموا لعقة الدم .

ثُمَّ بِصُلْحٍ أخَــذَتْ رِفَـادَهْ   سِقَـايَـةٌ عَبْـدُ مَنَـافِ السَّـادَهْ

ثم تزل القبيلتـان الخـارجتـان تمشيان بينهما إلى أَن رضوْا بالصلح ، فتصالحوا على أَن لعبد مناف السقاية والرفادة ، وبقيت الحجابة بيد بني عبد الدار إلى يوم القيامة ، وبقي اللواءُ بأَيديهم إلى الإسلام ، وبقيت دار الندوة بأَيديهم إلى أَن اشتراها حكيم بن حزام .

فصل فى مختلقات العرب

ولما أنهى الناظم الكلام على من تداول الحرم ، وهو أول الكلام على الأنساب ، لأنه ابتدأ أخبار ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وهما جدّا العرب ، ولأن البيت لم يتداوله إلا العرب ، شرع يتكلم على المُلَح التي وعد بها وهي المختلقات وشبهها فقال :

الْقَوْلُ فِيما اخْتَلَقُوا وَاخْتَرَقوا وَلَمْ يَقُدْ إلَيْهِ إلاَّ النَّزَقُ

الاختلاق والاختراق مترادفان . والنزق : الطيش والخفة . وحاملهم عليه البطنة ورغد العيش . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾[1] ويعني بالمختلقين والمخترقين العرب .

وَاخْتَلَقُوا أَنَّ سِوَى الْحُمْسِ إذَا

طَافَ بِثَوْبِهِ الْحَطِيمَ نُبِذَا

أَوْ مِنْهُمُ اسْتَعَارَ مايَطُوفُ بِهْ

أَوْ طَافَ عَارِياً فَكَانَ كالسَّبَهْ

الحمس : أهل مكة لأن حجرها أبيض إلى السواد . والحطيم : الحجر ، سمي بذلك لتحطم الناس فيه للدعاءِ ، وقيل لانحطام الذنوب

---

(١) سورة الاسراء : ١٦

فيه ، ونبذ : طرح ، يعني إن العرب اختلقوا أن غير أهل مكة إذا طاف بثوبه بالبيت طرحه في الحطيم ، ولم يزل مطروحاً تطؤه الناس ولا ينتفع به ويسمى اللّقى ، قال الشاعر :

فواحزناً كرّي عليه كأنه لَقىً بين أيدي الطائفين حريم

أو استعار منهم مايطوف أي من الحمس ، مايطوف به حتى يتم طوافه فيأخذه ربه . أو طاف غير لابس شيئاً حتى إذا أتم طوافه أخذ ثوبه ولبسه ، وقوله : فكان كالسَّبه ، أي كالخرق . والسَّبَه : ذهاب العقل من الهرم ، وكان عياض بن حمار يطوف في ثياب النبي ﷺ في الجاهلية لأنه كان صديقا له ﷺ وأسلم عياض بعد ذلك .

وَالْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ
وَمَابَدَا مِنْهُ فَلاَ أحِلُّهُ
قَالَتْهُ مَخْطُوبَةُ هَادِي أُمَّتِهْ
قَبْلُ لِذَاكَ لَمْ تَفُزْ بِعِصْمَتِهْ

الضمير في بعضه وكله لفرجها ، ولا أحله : أي على من ينظر إليه من أهل الطواف ، ومخطوبته ﷺ : هي ضباعة [1] بنت عامر بن قرط بن قشير رضي الله عنها ، أم سلمة بن هشام . وله تقول :

---

(١) هي ضباعة بنت عامر بن سلمة بن قشير العامرية ، أسلمت بمكة ، كان النبي ﷺ جاء بني عامر في سوق عكاظ يدعوهم إلى الله وإلى منعته ، فجاءَ ثجرة بن فراس القشيري فغمز ناقة النبي ﷺ ؛ فقمصت به ﷺ فألقته ، وكانت عندهم ضباعة زائرة فقالت : يابني عامر ولاعامر لي ، أيصنع هذا برسول الله ﷺ بين أظهركم لاينصره أحد منكم ؟ . فقام ثلاثة =

لاهُمَّ ربَّ الكعبة المحرمة أَظهرْ على كل عدوّ سلمة

وقـوله : ولم تفز أي لم تظفر ، والعصمة : بالكسر المنع والقلادة ، يقال : فلانة في عصمة فلان ؛ لأنه يمنعها من تزويج غيره ، ولا يقال فلان

= من بني عمها إلى ثجرة فأخذ كل رجل منهم برجل وجلد به الأرض ثم جلس على صدره ثم لطمـوا وجهـه . قال النبي : «اللّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ هٰؤُلاَءِ» . فأسلمـوا وقتـلوا شهداء . ا . هـ . من أُسد الغابة بتصرف .

وكانت ضباعة بنت عامر جاءَت لتطوف بالبيت في الجاهلية ، ولم تكن من الحمس ، فنزعت ثيابها وطافت عريانة وهي تنشد :

اليـومَ يبـدو بعضُـهُ أَو كله فما بدا منـه فلا أُحلـه

أضـخـم مثـل القعـب بادٍ ظله كأَن حُمَّىٰ خيـبرٍ تمله

فلما انتهت من طوافها تزوجها عبد الله بن جدعان التيمي ، تم جاءَ هشام بن المغيرة وقـال لها : أنـا خير لك من هذا الأَبخر . فقالت : وماذا أَصنع ؟ . قال : اطلبيه أن يطلقك . فقال ابن جدعان : أَقبل ؛ على أَن تنحري مائة بدنه للبيت ، وأَن توصلي مابين الصفا والمروة بخيط غزل ، فقال هشام بن المغيرة : أَما الإِبل فعلي نحرها ، وأَما الغزل فآمر نساءَ بني مخزوم بالغزل . ففعل وتزوجها . وأَنجبت سلمة بن هشام رضي الله عنه ، وفي القرطبي فى سورة الأَحزاب ، أَنها هاجرت ، فلما قدم سلمة على رسول الله خطبها منه . فقال : أَستشيرها ، فلما استشارها قالت : أَتستشير على رسول الله يابني ؟ . فلما أَراد الرجوع إليه قالت : لعله أَخبره من حضر أَني كبرت ومابقيت كما كان يعلم . فرجع سلمة إلى النبي ﷺ وقال : قد رضيت . فأَعرض عنه النبي ﷺ ولم يجبه . وبذلك صارت معدودة من مخطوباته ﷺ .

في عصمـة فلانـة لأنها لاتمنعـه من تزويج غيرهـا ، ولأنه تقلد لها بالنفقة والكسوة ونحوها . ا . هـ . من الروض الأنف ، وقوله : قبل لذاك ألخ ؛ هذا ممايقـوله السهيلي من نفسه ، قال : إن النبي ﷺ غيور ، فلو تزوجها وسمع البيت لاعترته الغيرة . ا . هـ . وهي إنما منعها تزويج النبي ﷺ أن أبا بكر أخبره أن بها كبرة . يقول الناظم : اليوم يبدو ألخ . هذا البيت قالته ضباغة بنت عامر بن قرط في الجاهلية .

وَاخْتَلَقُـوا التَّعْشِـيرَ أَنْ يُعَشِّرا
مِنَ الـنَّهِـيقِ بِحِـذَاءِ خَيْـبَرَا
وَطَـيْـبَـةٍ آتِـيهِـمَا لِيُسْلِمَا
بِذلِـكَ التَّعْشِـيرِ مِنْ وَبَـاهُمَـا

النهاق والنهيق للحمار . وخيبر : مدينة اليهود المعروفة ، فتحها النبي ﷺ في العام السابع . وطيبة : من أسماءِ المدينة التي من كتبها وغسلها[1] وشربها برئَ من حمىٰ الربع . ووباها : المراد به حمّاها التي انتقلت من المدينة بدعاءِ رسول الله ﷺ إلى الجحفة ، يقول : ومن مختلقاتهم أيضا أن آتي المدينة أو خيبر يعشّر حولها من نهيق الحمار جاثياً على ركبتيه ، فيسلم بذلك التعشير من حُمّاها . وفي ذلك يقول عروة بن الورد العبسي :

وقـالـوا احْثُ وانهقْ لاتضرُّك خيـبر
وذلـك من ديـن الـيـهـود ولـوعُ

---

(١) الله تعالى أعلم بدليله على ذلك ، وليس مما يتوصل إليه بالاجتهاد قطعاً فالله تعالى أعلم بدليله على ذلك .

لعمري لئن عشَّرت من خشية الردى
نهاق حمير إنـــي لجزوع

فلا والـت تلك النفــوس ولا أَتت
إلى روضـــة الأَحبــاب وهي جميع

ويروى أنهم لم ينج منهم غيره .

وَاخْـتَـلَقُــوا لِلْمَـيِّـتِ الْـبَـلِيَّــهْ
تَجْعَــلُ في عُنـقِـهَــا الْــوَلِـيَّــهْ
وَعِــنْــدَهُ تُرْبَطُ حَتَّــىٰ تَبْــرُدَا
يَرْكَــبُـهَــا في زَعْـمِ أَهْـلِهِ غَدَا

البلية : الناضح . قال عمير بن وهب يوم بدر : رأَيت البلايا تحمل المنايا ؛ نواضح يثرب تحمل الموت الناقع . والولية : البردعة ، قال :

وإذا قلت إني آئب أَهـل بلدة   وضعت بها عنه الولية بالهجر

وتبرد : تهلك . يقول : ومن مختلقاتهم ؛ أَنهم إذا مات أَحدهم ربطوا ناضحاً أي ناقة عند قبره ، يجعلون في عنقها البردعة ، ولاتزال مربوطة عنده حتى تموت ، يزعمون انه يركبها إلى المحشر . قال أَحدهم يوصي ابنه :

لاأَعرفنَّ أَباك يحشر مرة   عدواً يخر على اليدين وينكب

وَلِامْتِحَـانِ الْأَهْـلِ تَعْقَادُ الرَّتَمْ
يَعْــقِــدُهُ مَنْ كَانَ أَهْــلَهُ اتَّهَـمْ

إنْ غَابَ عَنْهَا فَإِذَا انْحَلَّ ادَّعَا
خِيَانَةً وَقَالَ فِيهِ مَنْ وَعَىٰ
هَلْ يَنْفَعَنْكَ الْيومَ إِنْ هَمَّت بِهِمْ
كَثْرَةُ مَاتُوصِي وَتَعْقَادُ الرَّتَمْ

الامتحان : الاختبار . والأهل : يعني به الزوجة . والرتم : شجر يشبه الأرطى في النبات والزهر ، والأرطى أقرب إلى السواد ، يقول : ومن مختلقاتهم أنهم إذا غاب أحدهم ، وكان متهمًا لزوجته يعقد غصناً من رتمة يختبرها به ، فإذا رجع من سفره جاءَ إلى الشجرة ؛ فإن وجد عقدته كما هي برَّأها ، وإن وجدها انحلت ادعى عليها الخيانة ، أي الريبة ، بإدخال غيره من الرجال عليها ، وأما قوله تعالى : ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ [1] أي بالكفر لما يقال من انه ما زنت امرأة نبي قط ، قاله السهيلي ، قلت [2] : وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ، إِنَّهُ عَمَلُ غَيْرِ صَالِحٍ ﴾ [3] بإضافة عمل إلى غير في قراءَة . هـ . وقال فيه من وعى : أي عقل كأنه يلومه ؛ هل ينفعك اليوم ؟ . أي لاينفعك عقدك الرتم وكثرة إيصائك عليها إن اهتمت بالريبة بعدك .

---

(١) سورة التحريم : ١٠

(٢) قلت : لقد يشم من رائحة استجلابه هنا للآية الكريمة الاعتراض ، والتحقيق إن شاءَ الله هو مانسبه للسهيلي من أنه لم تخن امرأة نبي زوجها ، روي ذلك عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وميمون بن مهران وثابت بن الحجاج ، وهو اختيار ابن جرير الطبري . قال ابن كثير ، وهو الحق إن شاءَ الله : قال ابن الجوزي : فعلى القول الأول يعني أن =

وَالْـبَـعْـرَةُ الَّـتِي بِهَا تَرْمِـي الَّـتِي
قَد انْـقَـضَـتْ عِدَّتُهُـا وَأَفْـضَت
بِكَــحِــمَارٍ وَيَــمُــوتُ عَاجِــلاَ
إِذْ لاَتَمَسُّ الْـمَــاءَ حَوْلاً كَامِــلاَ
وَلاَ الْحَــدِيــدَ فِي أَخَسِّ مَلْبَس
فِي الحِفْشِ والحِفْشُ أَضَرُّ مَكْنَس

يقول : ومن مختلقاتهم أن المرأة تمكث في عدتها سنة ، وهي في أخس ملبس وأضر مسكن وهو الحفش ، فإذا أتمت السنة أخذت بعرة ورمت بها ، ومعناها عندها أنها رمت بالعدة كما رمت هذه البعرة ، أو أن الرجال عندها مادامت في عدتها بمثابة هذه البعرة . وتفتض بكحمار أو طير أو ديك ، أي

= المعنى : ليس من أهلك الموعود بنجاتهم ، يكون في معنى قوله : «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ» قولان : أحدهما : ليس من أهل دينك . والثاني : ليس من أهلك الذين وعدتك نجاتهم .

قال ابن عباس : مابغت امرأة نبي قط ، وإنما المعنى : ليس من أهلكَ الذين وعدتك نجاتهم . وعلى القول الآخر الكلام على ظاهره ، والأول أصح لموافقته ظاهر القرآن ولاجتماع الأكثرين عليه ، وهو أولى من رمي زوجة نبي بفاحشة .

علما بأن القراءَة التى ذكرها بإضافة عمل إلى غير لم أرها مدونة عن أحد ، لكن توجد قراءَة : إنه عمل غير صالح ؛ بنصب غير . والله الموفق .

(٣) سورة هود : ٢٦

تمسح به قبلها ولا يكاد يعيش لأنها لاتمسّ ماءً ولا حديداً في هذه السنة الكاملة ، فيلحقها من النتن وخباثة الرائحة ما يهلك الزائر إليها ، وأحرى ماباشر ذلك المحل .

وَاخْتلَقُوا نَارَ الْقِرَى وَالطَّرْدِ
لِمَنْ مَضَىٰ زِيَادَةً في الْبُعْدِ
وَلِلسَّلِيم وَلِلاسْتِسْقَاءِ
وَلِلتَّحَالُفِ عَلَىٰ الأَعْدَاءِ
وَالْغَدْرِ وَالْحِبْقِ وَالاِصْطِيَادِ
وَاهِبَةِ الرَّدِ وَلِلآسَادِ
وَالنَّارُ تُوقَدُ عَلَىٰ الْمُزْدَلِفَهْ
لِمَنْ أَفَاضَ مِنْ حَجِيجِ عَرَفَهْ

ذكر أن من اختلاقاتهم نيراناً يسمونها نيران العرب وهي إحدى عشرة ناراً :

إحداها : نار القرى : وهي التي توقد ليلاً ليراها الأضياف ليهتدوا بها . قال حاتم لغلامه :

أوقِدْ فإن الليل ليل قرٌّ والريح ياموقد ريح صرّ
إن جلبَتْ ضيفاً فأنت حُرّ

الثانية : نار الطرد : وهي نار يوقدونها خلف من يستثقلونه إذا مشى ولا يحبون رجوعه .

الثالثة : نار السليم : وهي نار يوقدونها للملدوغ يسامرونه بها ، وكذلك المجروح والمضروب بالسياط ومن عضه الكلب ، كي لايناموا فيشتد بهم الأمر حتى يوديهم إلى الهلاك .

الرابعة : نار الاستسقاء : أي الاستمطار ؛ كانوا في الجاهلية إذا احتبس المطر جمعوا البقر وعقدوا في أذنابها وعراقيبها شهبان السلع والعشر ، ويصعدون بها في الجبل الوعر ، ويزعمون أن ذلك من أسباب المطر . قال :

أجاعلاً أنت بيقوراً مسلعة   ذريعة لك بين الله والمطر

الخامسة : نار يوقدونها إذا أرادوا التحالف على الأعداءِ ؛ يعقدون عندها الحلف ، ويدعون بالحرمان والمنع من خيرها على من ينقض العهد ويحل العقد ، وإنما كانوا يخصون النار بذلك لأن منفعتها مختص بها الإنس لايشاركه فيها غيره من الحيوان .

السادسة : نار يوقدونها إذا غدر الغادر ليخزى بها .

السابعة : نار يوقدونها ـ للحبق ـ بالكسر ـ إذا حبق ليفضحوه بها فيضحكون منه .

الثامنة : نار الصيد : وهي نار توقد للظباءِ فتعشو إذا نظرت إليها حتى لاتكاد ترى الصائد .

التاسعة : نار يوقدونها إذا أرادوا حرباً أو توقعوا جيشاً على جبلهم ، ليبلغ الخبر أصحابهم فيأتونهم .

العاشرة : نار الأسد : وهي نار يوقدونها إذا خافوا الأسد لينفر عنهم ، فإن من شأنه النفار من النار ، لأنه إذا رأى النار حدث له فكر يصده عن قصده .

الحادية عشرة : نار المزدلفة : وهي نار توقد على المزدلفة ليراها من دفع من عرفة ، وأول من أوقدها قصي بن كلاب .

وَاخْتَلَقُوا أَنْ يَتَقَلَّدَ اللَّحَا
مِنْ شَجَرِ الْحَرَمِ مَنْ عَنْهُ انْتَحَى

لِأَهْلِهِ وَفِي اللَّحَىٰ أَمَانُ
وَقِيلَ عَنْهُ قَدْ نَهَىٰ الْقرآنُ

اللحى : قشر الشجر . وانتحي : انصرف ، يقول : ومن مختلقاتهم أن من خرج من الحرم قاصداً لأهله يأخذ شيئاً من قشر شجر الحرم ويتقلده فلا يتعرض له ، وقيل عنه ألخ : يعني إنه فسر «وَلَا الْقَلَائِدَ» في قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ ﴾ [1] أي لاتتعرضوا ولا تحلوا متقلد لحاء الشجر الحرام .

وَأَنَّ مَنْ أَلْقَىٰ عَلَىٰ زَوْجِ أَبِيهْ
وَنَحْوِهِ بَعْدَ التَّوىٰ ثَوْباً يُرِيهْ

أَوْلَىٰ بِهَا مِنْ نَفْسِهَا إِنْ شَاءَا
نَكَحَ أَوْ أَنْكَحَ أَو أَسَاءَا

بِالْعَضْلِ كَيْ يَرِثَهَا أَو تَفْتَدِي
وَمَهْرُهَا فِي النَّكْحَتَيْنِ لِلرَّدِي

---

(١)سورة المائدة : ٢

يعني : أن من مختلقاتهم أن من ألقى على زوج أبيه ونحوه ؛ كأخيه الكبير وعمه ، بعد التوى ـ أي بعد موت أبيه ونحوه ـ ثوباً يريه إلقاءه عليها فيكون حينئذ حين إلقائه الثوب أولى بها من نفسها ؛ أي يكون مالكاً إن شاءَ نكحها أو إن شاءَ أنكحها غيره ، وإن شاءَ عضلها عن النكاح حتى تفتدى منه أو تموت فيرثها ، أي يأخذ مالها كله ويكون له مالها في النكحتين ، أي إذا نكحها لامهر لها عليه أو إن أنكحها غيره فله صداقها . والردي : الهالك . وقوله : يريه تتميم لامفهوم له .

وَإنْ تَصِلْ لِأهْلِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَلْحَقَهَا أَوْ خِدْرِهَا لَمْ تُمْتَهَنْ

يعني إنها أي زوجة الأب ونحوه ، إن وصلت إلى أهلها من قبل أن يلقي الثوب عليها ، أو إلى خدرها ، لم يكن له عليها سبيل ، وقوله : لم تمتهن : أي لاتهان بتوليته عليها . ونزل في هذه المختلقة . قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُم أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً ﴾ [١]

---

(١) سورة النساء : ١٩

باب في أنساب العرب

الْعُــرْبُ مِنْ أَبْنَــاءِ سَامٍ جُرْهُمُ
عَادٌ ثَمُــودُ وَوَبَــارُ مِنْهُــمُ
كَذَا أُمَــيْــمُ وَعَــبِيــلُ طَسْمُ
جَدِيسُ عِمْــلِيــقُ بِهِ يَتِــمُّــوا

العرب : بالضم ويحرك تقدم . ومن : تحتمل أنها تبيينية ؛ أي وهم أبناءُ سام ، وتحتمل التبعيضية ؛ لأنهم بعض أبناءِ سام وغيرهم الفرس والروم :

عُرف لســام ثم حام سبــقــا   ويــافـث صيـت فكـن محقـقــا

ومعنى هذا البيت أن أولاد نوح عليه السلام ثلاثة ، وكلهم له ثلاثة من الأولاد ولم يحد عنهم أحد من بني آدم ؛ فأما سام فرمز بنيه عرف : العين للعـرب والـراءُ للروم والفـاءُ للفـرس . وأما حام فرمز بنيه سبق : السين للسودان والباءُ للبربر والقاف للقبط ، وأما يافث فرمز بنيه صيت : الصاد للصقالبة والياءُ ليأجوج ومأجوج والتاءُ للترك .

وخرج [1] عن هذه الرموز بنو اسرائيل واليونانيون ، أما بنو اسرائيل

(١) تحديده من خرج عن هذه الرموز ؛ هنا كلام فارغ فأين نضع الصين واليابان والروس والهند وأين نضع الأسكيمو إلى غير ذلك ؟!.

فمن سام بالإجماع لأنهم بنو يعقوب عليه السلام ، وأما اليونانيون فقيل أنهم بنو الأندلس بن يافث بن نوح .

وجُرهم : قيل إنه ابن قحطان ، وهو في اللغة الضخم ، وقيل إنه ابن الأود بن سام بن نوح .

وعَاد : هم بنو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ، وهم عاد الأُولى في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَىٰ ﴾ [1] واختلف في هذه الآية ؛ فقيل باعتبار مابعدهم من الأُمم ، وأما هم فعاد واحدة ، وقيل هؤلاءِ الأُولى ومنازلهم بالأحقاف بين عُمان واليمن إلى البحرين إلى حضرموت .

قال تعالى : ﴿ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴾ [2] وقيل إن أباهم عاداً هو أول من ملك من العرب وعاش أَلفَ سنة ، وبلغت أولاده الذكور لصلبه أربعة آلاف ، وتزوج ألف امرأة . وملك اليمن والشام والعراق والهند ، وبنى مدينة إرم ، وقيل بناها ابنه شداد ، وقيل بناها إرم نفسه .

وأما عاد : الأخيرة فهم بنو بكر بن معاوية بن عاد بن عوص ، من الوفد الذي قدم مكة لما قحطوا يستسقون لهم ، فهلكت عاد بعدهم بالريح كما جاءَ في التنزيل ، وذلك لتكذيبهم لنبيهم هود بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، ومنه لقمان بن عاد ، وقَيْلُ الوافد الذي يعنيه الشاعر بقوله :

أَلا ياقَيْلُ ويحك قم فهينم ... لعل الله يسقينا غماما

فيسقي أَرض عاد إن عاداً ... قد امسَوْا لايبينون الكلاما

---

(١) سورة النجم : ٥

(٢) سورة الاحقاف : ٢١

فملك على هؤلاءِ الباقين بكر بن معاوية ، ثم ملك بعده لقمان بن عاد ودام ملكه فيما يقال ألف سنة أو أكثر ، ولم يزل ملكهم متصلاً إلى أن غلب عليهم بنو يعرب بن قحطان على ملك اليمن ، فاعتصموا بجبال حضرموت وبقوا هناك إلى أن انقرضوا ، قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ** ﴾[1] وقرأ بإضافة عاد إلى إرم ، وفيه إشارة إلى أن ثَمَّ عاداً غير الأولى . ا . هـ . من القلقشندي .

وفي الذهب الابريز لأحمد بن المبارك في مناقب السيد الشريف عبد العزيز الدباغ ؛ أنه سأله عن عاد الأولى ، وذكر له أقوال المفسرين فقال : هم أئمة قبل نوح [2] بعث إليهم نبيهم هويد ، بالواو وسكون الياءِ ، وذكر أنه يحفظ كتابه . انتهى .

وأمَّا ثمود : فهم بنو ثمود بن جاشم ـ بالجيم والشين ـ ويقال ابن كاثر ـ بالكاف والثاءِ ـ ابن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، كانت مساكنهم بالحجر ووادي القرى بين الحجاز والشام ، وكانوا ينحتون بيوتهم في الجبال مراعـاة لطول أعـمارهم ، يريدون أن أعمارهم تطول فيريدون بقـاءَهـا ماعاشوا ، وهي باقية إلى الآن . فبعث الله تعالى أخاهم صالحاً عليه السلام

---

(١) سورة الفجر : ٦ ـ ٧

(٢) قلت : ماذكره عن عبد العزيز الدباغ ليس له أي نصيب من الصحة ، لأنه يخالف ظاهر الحديث الصحيح المتفق عليه ، حديث الشفاعة ، حيث إن نصه من بينه : «**فَيَقُولُ : لَسْتُ لَهَا إِيتُوا نُوحاً فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ**» الحديث . ولاخلاف أن نوحاً أول رسول أرسل إلى أمة كافرة . وسياق الآية يدل على أن عاداً الأولى أمة أصابها عذاب الاستئصال لتكذيبها نبيها . وبالله تعالى التوفيق .

رسولاً ، فلم يؤمنوا فأهلكهم الله بالصيحة من السماءِ ، كما ورد في القرآن الكريم ، وثبت أن النبي ﷺ مرَّ بالحجر في غزوة تبوك ، فنهى عن دخول مساكنهم وأمر باراقة مااستقي من ماءِ آبارهم ، وأن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة ، وقيل أنهم كانوا ينزلون الطائف ، ولذلك قيل أن ثقيفاً من بقاياهم ، وكان الحجاج يرمىٰ بذلك ، ويقال أن بقاياهم أهل الرس ، الذين أرسل إليهم حنظلة بن صفوان .

وأما وَبَار : كقطامِ ويصرف ، فهم بنو وبار بن أُميم بن لاوذ بن سام ابن نوح عليه السلام ، كانت منازلهم بين الشحر واليمامة فأرسلت عليهم الريح فهلكوا .

وأما أُميم : فهم بنو أُميم بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ومساكنهم من أرض فارس .

وأما عبيل : فهم بنو عبيل كأمير ابن مهابيل بن عوص بن عمليق .

وأما طسم : فهم بنو طسم بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام .

وأما جديس : فهم بنو جديس بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ، وقيل : جديس بن إرم فهم إذاً بنو عم طسم لاإخوتهم ، وكانت مساكنهم باليمامة ومايليها ويجاورهم طسم فيها ، وكان الملك على القبيلتين من طسم ، فانتهى ملكهم إلى ملك غشوم بلغ أمره إلى أن البكر من جديس لا تزف إلى زوجها حتى يفترعها قبله ، فأجمع جديس على غدرهم ؛ وسبب ذلك إلى امرأة من جديس يقال لها الشموس بنت غفار زفت إلى زوجها ومعها الجواري يغنينها :

إبـدي بعملوق وقـومي فاركبي　　　وبادرى الصبح بأمر معجب

فلما فرغ منها ملك طسم خرجت من عنده على أقبح هيئة ؛ مشققة ثيابها تسيل دماؤ ها وهي تنشد :

لا أحـــد أذل من جديس　　　أهـكـــذا يفـعــل بالعـــروس
يرضـــى بهذا يا لقـــومـــي حر　　　من بعـد ماأُهـدى وسيق المهر
لخوضـــه بحـر الـردى بنفسـه　　　خير من ان يفعـل ذا بعـرسـه

فقام أخوها الأسود بن غفار وهو سيد جديس ، فقال لجديس : والله لتطيعنَّني أو لأضعن سيفي في بطني وأتحامل عليه حتى ينفذ من ظهري . فقـالوا : نطيعك . قال : فإني صانع وليمة فإذا وضعت فائتوا بسلاحكم فادفنـــوه تحت المـوائـد ، فإذا شرعت طسم في الأكـل فخـذوا أسلحتكم فاضربوهم ضربة رجل واحد ، وانتظروني حتى أبدأ بعملوق فأكفيكموه ، فلم يبقـوا منهم غير رزاح الـطسمي ، أخا زرقاءَ اليمامة زوجة الأسود بن غفار ، فهرب إلى تبَّع باليمن يستنجده على جديس ، وكان استتبع كلبة وحمل معه جريد نخل رطب ، فجعل عليه طيناً ، فلما دنا منه كسر الكلبة وقلع الطين عن الجريد ، فلما دخل على الملك وأخبره خبره قال : إن بلادك بعيدة ولولا ذلك لأنجدناك . فقال له : وكيف ؟ . وهذا الجريد الرطب أتيت به منها ، ويعلم الملك وغيره أنه لانخل دون أرضي ، وهذه الكلبة خرجت بها تتبعني كسـيرة . فأمر الملك جنوده بالرحيل ، فلما كانوا بالطريق قال لهم رزاح : إن فيهم أختاً لي تبصر من مسيرة ثلاثة أيام . فأمر تبّع الجيش أن يقلع كل واحد منهم شجرة يجعلها أمامه يمشي خلفها ، فقالت الزرقاءُ : ياقوم إني أرى الجيش يأتيكم من وراءِ الشجر . فلم يصدقوها فقالت : إني

لأرى رجلاً من وراءِ شجرة ينهش كتفاً أو يخصف نعلاً ثم قالت :

أقسمت بالله لقد دبَّ الشجر أو حِمْير قد أَخذت شيئاً يجر

فلم يكترثوا بقولها ، فأتاهم الجيش فاستأْصلهم ، غير أَن الأَسود هرب بنفسه وإِبله إلى جبلي طيٍّء ، فلم يزل وحده إلى أَن دخلت عليه أَعاريب فتوحش منهم ، فلم يزل يدنون منه ويدنو منهم حتى أنس بهم وأَنسوا به ، فأَمهلوه حتى نام ذات ليلة معهم فقتلوه . ثم بقي رزاح وحده من طسم فجعل يقول :

غدر الحي من جديس بطسمٍ إن طمساً كما تدين تدان

ويقول :

ليت طسماً على منازلهم تعـ ـلم أَني قضّيت عنهم ديونا

وأَما عمليق : كقنديل أَو عملاق كقرطاس ؛ فهو ابن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ، تفرقوا في البلاد واشتهروا بالطول وعظم الأَجساد ، ومنهم ملوك الجزيرة وجبابرة الشام وفراعنة مصر .

فَهٰؤُلَاءِ الْعُرْبُ بَارُوا وَالذَّبِيحْ

مِنْهُمْ تَعَلَّمَ عَلَى الْقَوْلِ الصَّحِيحْ

باروا : هلكوا ، من البوار وهو الهلاك ، قال تعالى : ﴿ وكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً ﴾ [(1)] وتعرب : تعلم العربية من العمالقة كما تقدم ، يقول : إِن هؤلاءِ من العرب هلكوا عن آخرهم ، ولم يبق منهم أَحد كما قدمنا ، وكما جاءَ في كتاب الله العزيز . والذبيح هنا اسماعيل ، على القول بأَنه الذبيح ، ومقابل القول الصحيح أَنه أُلهم العربية من نفسه كغيره ، وإِذاً لايكون متعرباً .

---

(١) سورة لفتح : ١٢

وَهْـوَ أَبُـو قَحْـطَانَ فِي قَوْلٍ أُبِي
عَنْــهُ فَقَحْــطَانُ بْن هُودٍ النَّبِي
أَوْ هُوَ هُودٌ وَجَمِـــيـعُ الـعُــرْبِ
بَعْـدُ لِعَـدْنَـانَ وَقَحْـطَانَ انْسُبِ

وهو أي اسماعيل قيل إنه أبو قحطان ، وهو ضعيف [1] لا يلتفت إليه لوجود قحطان قبله ، لأن الملك الذي أعطى هاجر أمه هو عمرو بن القيس بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان على قول ، وعلى القول بأنه صيدوف فقد كان قبله بنو سبإ ، وأما قحطان فهو هود أو ابنه ، وجميع العرب بعد هذه البـائـرة إمـا من قحـطان أو من عدنـان ، الـذي صح نسبه إلى اسماعيل بالأحاديث الصحيحة وعلم أهل الأنساب .

---

(١) **قلت** : تكرر منه رحمه الله نعت هذا القول بالضعف وأنه لايلتفت إليه ، وليت شعري على مَ اعتمد في تضعيفه هذا؟! وقد سبقت مني العِدَة بالتعرض لهذا الموضوع ، مع إبدائي عجبي كيف يسمح حماد لنفسه بأن يضعف ماترجم به البخاري في صحيحه ؟ ! وهذا أوان بيان مالدي في الموضوع ، فأقوله وبالله توفيقي ، عليه توكلت وإليه أنيب :

التحقيق أن جميع العرب الموجودة الآن من اسماعيل عليه الصلاة والسلام ، فهو قول ورد عن أهل التاريخ ، وتأيد بالأدلة النقلية عند أهل السنة وأهل علم التفسير ؛ يقول ابن هشـام في السـيرة : وبعض أهـل اليمن يقول : قحطان من ولد اسماعيل ، ويقول : اسماعيل أبو العرب كلها ، إلى أن قال : فولد نابت بن اسماعيل يشجب بن نابت فولد يشجب يعرب بن يشجب ، فولد يعرب تيرح بن يعرب ، فولد تيرح ناحور بن تيرح ، =

= فولد ناحور مقوم بن ناحور ، فولد مقوم أدد بن مقوم فولد أدد عدنان بن أدد . ا . هـ .
محل الغرض منه .

قال الشوكاني في فتح القدير ص ١٤٢/ج ١ عند قوله تعالى : ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ سورة البقرة :١٢٨مانصه : ومن ذريتنا : أي واجعل من ذريتنا ، ومن للتبعيض أو للتبيين . وقال ابن جرير : إنه أراد بالذرية العرب خاصة . وكذلك قال السهيلي . قال ابن عطية : وهذا ضعيف لأن دعوته ظهرت في العرب وغيرهم من الذين آمنوا به . ا . هـ . وقال القرطبي في تفسيره هنا عند هذه الآية : ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ : يعني العرب لأنهم كلهم من اسماعيل . ا . هـ . منه بتصرف في العبارة . وقال ابن كثير في ص ١٨٣/ج١ مانصه : وقال السدي : «وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ»يعنيان العرب . قال ابن جرير : والصواب أنه يعم العرب وغيرهم ، لأن من ذرية ابراهيم بنى اسرائيل وقد قال الله تعالى : ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ سورة الاعراف : ١٥٩ قلت : وهذا الذي قاله ابن جرير لاينفيه السدي ، فإن تخصيصهم بذلك لاينفي من عداهم ، والسياق إنما هو في العرب ولهذا قال بعده : ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ . سورة البقرة : ١٢٩ . والمراد بذلك محمد ﷺ . وقد بعث فيهم . كما قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ . سورة الجمعة : ٢ . ومع هذا لاينفي رسالته إلى الأحمر والأسود ، لقوله تعالى : ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ سورة الأعراف : ١٥٨ . انتهى محل الغرض منه بحرفه .

وفي صحيح البخاري باب نسبة اليمن إلى اسماعيل ، قال ابن حجر في الفتح : أي ابن ابراهيم الخليل ، ثم ذكر كل الخلاف الوارد في نسبه إلى أن قال : وزعم الزبير بن بكار إلى أن قحطان من ذرية اسماعيل ، وأنه قحطان بن الْهَمَيْسَعِ بن تيم بن نبت بن اسماعيل عليه =

= السلام ، وهو ظاهر قول أبي هريرة المتقدم في قصة هاجر حيث قال وهو يخاطب الأنصار :
فتلك أمكم يابني ماءِ السماءِ ، هذا هو الذى يترجح في نقدي ، وذلك أن عدد الآباءِ بين المشهورين من الصحابة وغيرهم وبين قحطان ، متقارب من عدد الآباءِ بين المشهورين من الصحابة وغيرهم وبين عدنان ، فلو كان قحطان هو هود أو ابن أخيه أو قريباً من عصره ، لكان في عداد عاشر جد لعدنان ، على المشهور أن بين عدنان واسماعيل أربعة آباء أو خمسة ، وأما على القول بأن بين عدنان واسماعيل نحو أربعين أباً فذاك أبعد ؛ ثم دخل في مناقشة الخلاف فيما بين عدنان واسماعيل من الآباءِ فأسهب وأطنب إلى أن قال : والذي ترجح في نظري أن الاعتماد على ماقاله ابن اسحاق أولى ، وأولى منه ما أخرجه الحاكم والطبراني من حديث أم سلمة قالت : عدنان هو ابن أد بن زيد بن بري بن أعراق الثرى ، وأعراق الثرى هو اسماعيل ، وهو موافق لما ذكرته آنفاً عن ابراهيم بن المنذر عن عبد الله بن عمران ، وهو موافق من يقول أن قحطان من ذرية اسماعيل ، لأنه والحالة هذه يتقارب عدد الأباءِ بين كل من قحطان وعدنان وبين اسماعيل ، وهذا أولى ، لأن عدد الآباءِ بين نبينا وبين عدنان نحو العشرين فيبعد ، مع كون المدة بين نبينا وبين عيسى عليه السلام كانت ستمائة سنة ، كما سيأتي في صحيح البخاري ، مع ماعرف من طول أعمارهم أن يكون معدّ في زمن عيسى . ا . هـ . محل الغرض منه .

وحديث الباب من صحيح البخارى : حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن يزيد بن أبي عبيد حدثنا سلمة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ على قوم من أسلم يتناضلون بالسوق فقال : «ارْمُوا بَنِي اسْمَاعِيلَ إِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رامِيا وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلَانٍ» لأحد الفريقين . فأمسكوا بأيديهم ، فقال : «مَالَهُمْ» ؟ . قالوا : وكيف نرمي وأنت مع بني فلان ؟ . قال : «ارْمُوا وَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ» . ومعلوم أن أسلم ـ بضم اللام ـ بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة ، وهي من الأزد على التحقيق ، فأين الضعف الذي يكرره العلامة النسابة حماد بن الأمين إذاً ؟ . وقد يخفى على الفطن الصواب .

قُضَـاعَـةُ مُذَبْـذَبٌ بَيْنَهُـمَا فَلِمَعَـدٍّ عِنْـدَ قَوْمٍ انْتَمى

رجل مذبذب ـ ويفتح ـ متردد بين أمرين ، يعني أن قضاعة متردد بين معد بن عدنان وبين مالك بن حمير ، ينتسبون مرة إلى معد ومرة إلى مالك ابن حمير . واسم قضاعة عمرو لقب بقضاعة وهو الفهد ، أو لانقطاعه من قومه . ا . هـ . من القاموس .

ويَـلْهَ مَايَـقُـولُ الْمُـزْدَرِي قُضَـاعَـةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ حِمْيرِ

وهو أي قضاعة ، وبله : اسم فعل بمعنى دع ، أو مصدر بمعنى اترك ، والمزدري : المحتقر ، يقول : وقضاعة بن مالك ، قال أحدهم :

نحن بنـو الشيـخ الهـمام الأزهـر
قضـاعـة بن مالـك بن حمير

الـنسـب المعـروف غير المنكـر
في الحـجـر المنقـوش تحت المنـبر

ودع عنك قول المزدري بهم حيث يقول :

مررنـا على حيَّيْ قضـاعـة غدوة
وقـد أخـذوا في الـزِّفن والـزَّفنان

فقـلنـا لهم مابـال زِفـنكم كذا ؟
لعـرس نرى ذا الـزِّفن أم لختـان

فقـالـوا لنـا : إنـا وجـدنـا لنـا أبـاً
فقـلت : ليـهـنئكم بأي مكـان ؟

فقـالـوا : وجـدنـاه بجـرعـة مالك

فقـلت : إذاً ما أُمـكـم بحـصــان

وَأمُّــهُ عُكْــبُرَةٌ عَلَىٰ حَبَـل مِنْ مَالِـكٍ اتَّخَـذَتْ مِنْـهُ بَدَلْ

العكبرة : بالضم المرأة الجافية السيئة الخلق ، يعني وقيل أن أُم قضاعة امرأة جافية ، كانت تحت مالـك بن حمير فلما حملت منـه بقضـاعة نشزت عليه واتخذت زوجاً غيره وهي حامل منه .

خُزَاعَــةٌ كَذَاكَ ذُو تَذَبْــذُبِ مَابَــيْنَ قَمْعَـةَ وَأَزْد يَثْـرِبِ

خزاعة : جدا لُحيّ المشهورين أَصهار النبي ﷺ على جويرية رضي الله عنها . في القاموس أنهم سموا بذلك لأنهم تخزعوا عن قومهم وسكنوا مكة ، والتـذبذب : التردد . وقمعة : محركة وسكن للضـرورة ، لقب عمير بن الياس ويأتي إن شاءَ الله خبر تلقيبه في الكلام على خندف ، وأزد يثرب : الأوس والخزرج ، لأنهم من الأزد بن سبإٍ . ويثرب : المدينة المشرفة ، يعني أن خزاعة كقضاعة في التذبذب ، أي كما ترددت قضاعة بين معد ومالك بن حمير كذاك ترددت خزاعـة بين قمعـة بن الياس وبـين حارثة الغطريف ، والأصل في تذبذبهم أنهم بنو عمرو بن لحي اتفاقاً ، وروي أن النبي ﷺ قال : « رَأَيْتُ عَمْـرَو بْنَ لُحَيٍّ يَجُرُّ قَصَبَـهُ فِي النَّـارِ» الحديث ، والنسابون يزعمون أن لُحيّاً أخو الخزرج والأوس ابن أَبيهما حارثة الغطريف بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقيا ، قال الزبيري : فإن صح الحديث فلا عبرة بكلام النسابين وإن لم يصح فالعبرة بكلام أَهل الأنساب المعتنين بها .

وَهٰكَـذَا بَجِيلَةُ الْحُلَفَا   وَخَثْعَمُ الْكِرامُ قَدْ تَوَقَّفَا

مَابَيْنَ أَنْمَارِ نِزَارٍ السَّنِي   وَبَيْنَ أَنْمَارِ إرَاشِ الْيَمَنِ

يقول : وهكذا في التذبذب بين الحيين بجيلة ؛ وصفهم بالحلفاءِ لأَنهم كانوا متفرقين في البلاد إلى أَن جمعهم جرير بن عبد الله البجلي الصحابي ، وهكذا أَيضاً في التذبذب خثعم ؛ وصفهم بالكرم لأَن منهم أَسماءَ بنت عميس رضي الله عنها ، زوج أَبى بكر رضي الله عنه أُم ابنه محمد ، وتوفي عنها وغسلته ، وخلف عليها علي فولدت له يحيى بن علي ، وهي أُم بني جعفر بن أَبي طالب عبد الله ومحمد وعون ولدتهم في الحبشة في هجرتها مع زوجها جعفر ، وأُختها سلمى بنت عميس زوج حمزة بن عبد المطلب أُم ابنه يعلى وبناته ، وكانت أَسماءُ من آل البيت هي التي لدَّت النبي ﷺ في مرضه ، ولمست موضع خاتم النبوة منه ، تختبر هل توفي أَم لا ؟ . فوجدته ارتفع فعلمت أَنه توفي ﷺ .

ومن خثعم ذو الأَنف الذي قاد خثعمًا إلى النبي ﷺ وهو محاصر الطائف ، ومن قبائل بني خثعم بنو شهران وبنو مخافة ، ودخل بنو كلاب بصيغة الجمع ابن ربيعة بن نزار ، وتذبذب بجيلة وخثعم بين أَنمار بن نزار السني أَي البهي . وبين أَنمار بن أَراش الأَزدي اليمني ، أَما النسبة إلى أَنمار فبالاتفاق ، ثم اختلف في أَنمار المنتسب إليه ؛ هل هو ابن نزار العدناني ، أَو ابن أَراش القحطاني ؟ أَما بجيلة فقيل إنه من أَنمار لصلبه ، وقيل إنها أُمهم واشتهروا بها ، وهي بنت مصعب بن سعد العشيرة ، وأَبوهم عبقر بن أَنمار ، وقد انتسب جرير بن عبد الله إلى أَنمار بن نزار ، وذلك انه تنافر هو ورجل إلى الأَقرع بن حابس ، فقال :

يا أقـرع بن حابس يا أَقـرع   إن يصـدع اليـوم أَخوك يصدع

يعني بالأُخوة أَنهما من بني نزار ، ومن بني بجيلة بنو قسر ، قبيلة خالد ابن عبد الله القسري أَمير الوليد بن عبد الملك على مكة ، كان مذموماً بالجور أَو في دينه ، إلا أَن له مقامات في الجود . قال فيه الفرزدق :

بكت المنابر من فزارة شجوها   فاليوم من قسر تضج وتجزع

ومنهم بنـو أَحمس الـذين قال فيهم النبي ﷺ : «بَارَكَ الله في خَيْلِ أَحْمَسَ» وهي خيل بعثها النبي ﷺ إلى ذي الخلصة ، صنم دوس الذي قال فيه النبي ﷺ : « سَتَطْرَبُ أَلْيَاتُ دَوْسٍ حَوْلَ ذِي الْخَلْصَةِ» وأَمر على هذه الخيل جرير بن عبد الله ، فقال : يارسول الله ، إني لا أَثبت على الخيل . فصـكَّ في صدره وقال : « اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ عَلَىَ الْخَيْلِ وَاجْعَلْهُ هَادِياً مَهْدِيّاً» . فكان أَفرس العرب ، وقال يوم وفد عليه : «سَيَطْلَعُ عَلَيْكُمْ خَيْرُ ذِي يُمْنٍ» . وقال فيه : «إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ» . وكان عمر يقول له : يوسف هذه الأُمـة لحسنـه ، ووجد عمر يوماً من بعض جلسائه ريحاً فقال : ليقم صاحب هذه وليتـوضـأْ . فقـال جرير : كلنـا ياأَمـير المؤمنـين يتـوضـأُ . قال : نعم . ثم قال : مازلتَ ياجرير سيداً في الإسلام والجاهلية .

الكلام على عدنان

عمود نسبه ﷺ

النَّسَبُ الَّذي عَلَيْهِ اتّفَقَا
كُلُّ الْوَرَىٰ إذْ بِالنَّبِيِّ أَشْرَقَا
أحْمَدُ عَبْدُ الله عَبْدُ الْمُطَّلِبْ
وَهَاشِمٌ عَبْدُ مُنَافِ الْمُنْتَخَبْ
ابنُ قُصَيٍّ بْنُ كِلَابِ مُرَّةِ
كَعبُ لُؤَيٍّ غَالِبُ الْغُرَّةِ
فِهْرُ بْنُ مَالِكٍ وَنَضْرٌ ذُو السِّكهْ
كِنَانَةٌ خُزَيْمَةٌ فَمُدْرِكَهْ
إِلْيَاسُهَا مُضَرُهَا نِزَارُ
مَعَدُّ عَدْنَانُ انْتَهَىٰ الأَخْيَارُ

الورى : الخلق . وأشرق : أضاءَ وارتفع ، يقول : النسب الذي اتفق عليه جميع الخلق من النسابين وغيرهم ، من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل ولا تأخير ولا تقديم ، لإشراقه وارتفاعه واشتهاره بسيدنا ومولانا ونبينا ورسول ربنا هو أحمد ﷺ ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأصهاره وأنصاره .

وعبد الله والد النبي ﷺ هو الذبيح ، وسمي بذلك لأن أباه عبد المطلب لما ظهر وساد قريشاً وأهل مكة السيادة الحسنى ببركة النبي ﷺ ، وحفر بئر زمزم

وقارعهم فكانوا من المدحضين ، آنس منهم الحسد وخشي تظاهرهم عليه ، نذر إن أعطاه الله عشرة من الولد الذكور ، لينحرن عاشرهم تقرباً إلى الله به ، فأتم عبد الله المعلق عليه النذر ، وأراد أن ينحره ليوفي بالنذر فأبت بنو مخزوم ، لأنهم أخواله قالوا : تنحر ابننا وتترك أبناءَ غيرنا ، والله لايكون ذلك وفينا عين تطرف . فأشار إليه العظماءُ أن يفديه ، فقال : لابد لذلك من مشورة كاهن . فسار إلى كاهن خيبر ، فأمره أن يقرع عليه وعلى عشرة من الإبل ، فكلما وقع عليه السهم زاد عشرة على الأولى ، ثم كذلك حتى يقع السهم على الإبل ، فما وقع السهم على الإبل حتى بلغت مائة ناقة عشراءَ كما قال الفاسي ، وهي لاتعدو العشار الكوم فنحرها عنه ، فكانت سنة في أمة ابنه ؛ دية أحدهم مائة ناقة . فشب عبد الله أعز فتيان قريش وأجملهم ، فلما بلغ أن يتزوج نظر له أبوه في نساءِ قريش ، فأداه نظره إلى آمنة بنت وهب ابن عبد مناف بن زهرة ، سيد بني زهرة وهي سيدة بنات قريش ، فخرج إلى وهب فسر به وزوجه ، وزوج عبد المطلب بنت أخيه هالة بنت أهيب بن عبد مناف ، فولدت له حمزة وكان ترب النبي ﷺ ، ورضيعه من ثويبة وابن خالته بعد العمومة والصحبة والنصرة ، ومر عبد الله ـ حين خرج به عبد المطلب يريد آمنة ـ بفاطمة بنت عدي بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وعليه الطين وكان يعمل فيه ، وهي تبيع أَدَماً فقالت له : قَعْ عليَّ ولك مثل الإبل التي نحرت عنك . فقال لها اعتذاراً : إني مع أبي ولا أقدر أن أخالفه . فمر بها بعد ذلك وقد وضع نور النبوءة في آمنة ، ولم تكترث به ، فقال : ما لك لاتعرضين علي اليوم ماعرضت علي بالأمس ؟ . فقالت : فارقك النور الذي كان معك . وفي ذلك يقول :

فأجمل إذا حاولت أمراً فإنه
سيكفيكه جَدّان يصطرعان

سيكفيكه إما يد مُقْفَعِلَّة[1]
وإما يد مبسوطة ببنان

وعبد المطلب : سمي بذلك لأَن أَباه لما احتضر قال لأَخيه المطلب : أَدرك عبدك . أَي إيت به ، وهو إذ ذاك عند أُخواله بني النجار . وتزوج أُمه وهو غائب عندهم ، فولدته أُمه ولم يزل عندهم . وقيل قدم به المطلب على قريش مردفه فقالوا : المطلب جاءَ بعبد ؛ لأَنه على لون أَخواله ؛ وهو السمرة ، فصار ذلك اسمًا له وكان اسمه شيبة .

وهاشم : واسمه عمرو العلا لعلوه على قريش ، سمي هاشمًا لأَنه كان يهشم لهم الثريد . قال عبد الله بن الزبَعْرى :

عمرُو العلا هشمَ الثريَد لقومه وأُهيلُ مكةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ

وقبل هذا البيت قوله :

كانت قريش بيضةً فتفقأَت فالمح خالصة لعبد مناف

وسبب هذا المدح أَنه هجا آل قصي بقوله :

ألْهى قصياً عن المجد الأَساطير ومشية مثلما تمشي الصقابير

فربطه قومه بنو سهم بالكعبة وحلفوا لايحله إلا بنو قصي ، فجعل يمدحهم ويستغيث بهم فحلوه . ا . هـ . من الروض الأنف .

وعبد مناف : ويسمى القمر لجماله ، وساد في حياة أَبيه ، واسمه المغيرة وهو أَبو أَفخاذ بني عبد مناف الأَربعة ، الذين أخذوا لعير قريش الأَمان من ملك كل ناحية : فهاشم ونوفل للعراق ، وعبد شمس لليمن ، والمطلب

---

(١) متشنجة متقبضة .

للبحرين ، كلهم أخذ الأمان من ملك أرض من هذه الأراضي ؛ بأن يعطيه حبلاً تسافر به العير فلا يتعرض لها لحرمة حبل الملك ، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى : ﴿ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾[1] .

وَقُصَيٌّ : كَسُمَيٍ ؛ تصغير قَصِيٍّ كغني . سمي به لأن أُمه أقصته عن عشيرته لما تزوجت ربيعة بن حرام العذري ، وتقدم بعض الكلام على قصي ، وفي هؤلاء يقول الشاعر :

قد أورث المجـد عبـد الله شيبتـه
عن عبـد منـاف عن قصـيـهـم

فجـاءَ فيهم بمن جال السـماءَ ومن
سما على الـنجم في سامي بيـوتهم

فالـعـرب خير أنـاسٍ ثم خيرهم
محمـد وهـو فيـهـم خير خيرهـم

قوم إذا قيـل من ؟ قالـوا نبيـكم
منـا فهـل هذه تُلْقى لغـيرهم ؟

وقيل إن أُم قصي هي بنت خليل الخزاعية ، وسكت عن أُمهات هؤلاءِ لمجيئهن في الأصل .

وكلَابٌ : ككتاب ، قيل اسمه المهذَّب وقيل حكيم وقيل عروة ، وسمي كلاب لأنه كان مولعاً بالصيد بالكلاب ، وكان يجمعها فيسأل عنها فيقال : هذه كلاب ابن مرة . فلقِّب كلاباً . وأُمه هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث ابن مالك بن عبد مناف بن كنانة .

---

(١) سورة قريش : ٢

ومرة : وهو أبو الثلاث قبائل : كلاب وتيِّم ويقظة أبو مخزوم ، وأُمه ، وهي أُم إخوته ؛ عدي وهُصيص كزبير ، وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر .
وكعب : كان عظيم القدر حتى إنهم أرَّخوا بموته إعظاماً له ، إلى أن كان عام الفيل أرخوا به ، وهو أول من جمع في الجاهلية بمكة وخطب وبشر بمبعث النبي ﷺ ، وحض على اتباعه ، وهو أول من سمى العروبة الجمعة ؛ ومعنى العروبة الرحمة . وأمه وأُم إخوته مارية بنت كعب بن القين القضاعية .
ولؤي : بالهمزة وبدونها والهمزة أكثر تصغير اللَّئا ، كالعصا للثور الوحشي ، وهو تصغير لأْي كعبد ، وهو البطيءُ . قال ابن الأَسلت :

فدونكم بني لأْيٍ أَخاكم ودونك مالكاً ياأُم عمرو

أَو هو تصغير لواء الجيش زيدت فيه الهمزة ، وهو أَبو كعب وعامر المشهورين بالحرم ، وله خمسة بنين غيرهما دخلوا في قبائل العرب ، منهم بنو سامة بن لؤي القائل :

عين جودي لسامة بن لؤي علقت ساق سامة العلاَّقة

وأمه وأُم أَخيه تيم الأَدرم ـ سمي به لأَنه كان منقوص الذقن ـ سلمى بنت عمرو الخزاعية .
وَغالِبٌ : وأُمه ليلى بنت سعد . والغرة الشريف وغرة القوم شريفهم . وصف غالباً بكونه شريف قومه .
وفهر : بالكسر وهو في الأَصل الحجر الذي يدق به . قال عبد الرحمن بن حسان لعبد الرحمن بن الحكم :

وأَنت أَذل من وتد بِقاعٍ يشجج رأْسه بفهر وجِّ

قيل : إن ذلك الأصل في اسمه ، وقال السهيلي : اسمه زيد وإنما سمته أمه فهراً ، وأمه جندلة بنت الحارث بن مُضاض الجرهمية .

ومَالكٌ : وأمه عكرشة ، بالكسر ، بنت عدوان بن عمرو بن قيس عيلان .

والنضر : وهو في الأصل الذهب ذو السكة ، أي المسكوك ، وصفه بالسكة لأن النضر أي الـذهب المسكـوك أحسن من غير المسكـوك ، وهو جمّاع قريش . وقيل : ذلك فهر ، وأم النضر برة بنت مر بن أد بن طابخة ، خلف عليها كنابة خزيمة بعد أن ولدت لخزيمة أسداً ، وذلك كان سائغاً قبل ، ثم نسخ بقوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَنْكِحُوا مَانَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ** ﴾[1] .

وكنانة : وهي في الأصل جعبة من جلود تودع السهام بها ، سمي بها عمود النسب ، وكانت العرب تحج إليه وتتحاكم عليه لفضله وحلمه ، وأمه عوانة بنت سعد بن زيد بن قيس عيلان .

وخزيمة : وهو تصغير خزمة ، من الخزم وهو سد الشيءِ أو إصلاحه ، أو من خزمته إذا أدخلت في أنفه الخزامة ، وأمه قضاعية .

ومدركة : واسمه عمر أو عامر ، وسمي مدركة لأنه أدرك الإبل في قصة آل إلياس ، الآتية إن شاءَ الله في ذكر أمه خندف ، وهي بنت عمرو بن حلوان ابن إلحـاف بن قضـاعـة ، وإليها ينسب بنو إلياس ، يقال لهم بنو خندف يفتخرون بها .

وإلياس : من رجل أمكر الياس أي شجاع . وقيل : سمي إلياس لأنه أول من أخذه داءُ اليأس بالتحريك وهو السل . واسمه حبيب ، ولما أدرك أنكر على بني اسماعيل ماغيروه من سنن آبائهم ، وبان فضله عليهم فجمعهم ورضوا به ، وردهم إلى سنن آبائهم . وهو أول من أهدى البُدن إلى البيت ،

---

(١) سورة النساء : ٢٢

وأُمه بنت قنص [1] بن معد ، وأُمها سوداءُ كما في قصيدة ابن حازم ، خلافاً لما في حلة السيَر ى ، وهي مالخصت منها هذا إلا ماقل منه .

ومضر : معدول عن ماضر ، سمي به لأَنه كان يحب شرب اللبن الماضر أي الحامض . وهو أَول من حدا الإبل لأَنه كان حسن الصوت ، وكان يسوق إبلاً على بعير فأَفحمه البعير فكسرت [2] يده فجعل يقول : وايداه وايداه . فلما سمعت الإبـل صوتـه طربت وانعطفت عليه . فمن ذلك اليوم كانت العرب تحدو الإبل على نحو قوله : وايداه . ولا أَعرف أُمه [3] ولا أُمهات بقية العمود .

ونزار : وهو من النزر ، لأَنه لما ولد رآه أَبوه ومعه نور النبوة في وجهه ، فنحر كثيراً وأَطعم كثيراً وقال : كل هذا نزر في حق هذا المولود لأَنه فريد عصره .

ومعد : ميمه أَصلية لقول عمر : تَمَعْدَدُوا . أَي تزيوا بزي معد في تقشفهم ، أَو انتسبوا إليهم ..

وعدنان : إليه ينتهي الاتفاق على صحة النسب ، وفيما بينه وبين اسماعيل خلاف كثير ، وسيأتي في الأَصل إن شاءَ الله . وقوله : انتهى الأَخيار أَي أجداد النبي ﷺ لأَنهم خيار . وجاءَ في الحديث أَن آباءَه مختارون ، وسيأُتي

---

(١) الذي في ابن سعد أَن أُم إلياس هي الرباب بنت حيدة بن معد بن عدنان .

(٢) الذي في زهر الأَفنان من حديقة ابن الونان عند قول الراجز : مهلاً على رسلك حادي الأينق . . . أَن القضية واقعة لعبد مضر لا لمضر .

(٣) أَما مضر فأُمه كما في ابن سعد : سورة بنت عك بن الريث بن عدنان ، وأُم نزار بن معد هي : معانة بنت جوشم بن جلهمة بن عمرو بن برة بن جرهم .

وأُم معد بن عدنان هي : مهدد بنت اللهم بن جلحب بن جديس بن جائر بن إرم . ا . هـ .

البحث في ذلك إن شاءَ الله تعالى ، وجاءَ في الحديث عن ابن عباس : مات عدنان وابنه معد وربيعة ومضر وقيس على الإسلام ؛ على ملة ابراهيم عليه السلام . وروي : «لَاتَسُبُّوا مُضَرَ وَلاَ رَبِيعَةَ فَإِنَّهُمَا كَانَا مُسْلِمَيْنِ» .

تَرْتِيبُ أُمَّهَاتِ سِلْكِ النَّسَب
لِستَّةٍ آمِنَةٌ أُمُّ النَّبِي
فَبِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَائِذِ الْكِرَامْ
فَاطِمَةٌ لِآلِ مَخْزُومِ الْهُمَامْ
فَبِنْتُ عَمْرٍو سَيِّدِ الْأَنْصَارِ
سَلْمَى ذُؤَابَةُ بَنِي النَّجَّارِ
عَاتِكَتَا سُلَيْمٍ اللَّتَانِ
مِنَ الْعَوَاتِكِ ذَوَاتِ الشَّانِ
عَوَاتِكُ النَّبِيِّ امُّ وَهَب
وأُمُّ هَاشِمٍ وَأُمُّ النِّدْبِ
عَبْدُ مُنَافٍ وَذِهِ الْأَخِيرَهْ
عَمَّةُ عَمَّةِ الْأُولَى الصَّغِيرَة
وَهُنَّ بِالتَّرْتِيبِ ذَا لِذِي الرِّجَالْ
الْأَوْقَصُ بْنُ مُرَّةٍ ابْنُ هِلَالْ

فَالْخَـثْـعَمِيَّــةُ الَّتِى أَقْصَتْ قُصَيْ

إِلَىٰ قُضَــاعَــةَ إِذ آمَــتْ فِي لُؤَيْ

سلك النسب : عمـوده أي الرجال ، فلا تعد جدة من جداته من سلك النسب لأنه خاص بالرجال ، وقوله : لستة ، أي إلى ستة آباء بإثبات التاءِ ، وعايذ : هو بالياءِ قاله السهيلي [هو] ابن عمران بن مخزوم . والهمام : الـذي يفعـل مايهتم به من الخير . والـذؤابـة : الناصية أو موضعها من الـراس ، وأعلى العز والشرف ، وبنو النجار ، يأتي إن شاءَ الله ذكرهم في الكلام على الأنصار ، والعواتك : جمع عاتكة من أعلام النساءِ ، وأصله الشريفة الرئيسة ، وإضافة العواتك للنبي ﷺ لقوله عليه الصلاة والسلام يوم حنـين : «أَنـا ابْنُ الْعَـوَاتِـكِ مِنْ سَلِيمٍ » أو لأنهن جداته كما في القاموس والـروض الأنف وغـيرهمـا . والنـدب الـظريف ، والخثعمية : نسبـة إلى خثعم ؛ بطن من الأزد يقال لهم الجَدَرَةُ لأنهم أول من بنى جدار الكعبة حين وهى من سيل أتاه أيام ولاية جرهم على البيت ، واسمها فاطمة بنت سعد ابن سيل وسمي سيلاً لطولـه ، واسمـه خير بن عمالة بن عوف بن غنم بن عمرو بن الجادر بن عمرو بن خثعم ، وآمت المرأة : صارت أَيِّمًا لموت زوجها أو لطلاقه لها ، يعني أنه تذكر ست نسوة من أمهات آباءِ النبي ﷺ من قِبَل الأب ، وينتهي ذلك إلى قصيّ لأنه السادس باعتباره ﷺ ؛ أولهن آمنة بنت وهب أمه ﷺ وآخرهن فاطمة بنت سعد الخثعمية . وأدخل فيهن عاتكة أم وهب بن عبد مناف بالاستطراد من قوله : عواتك النبي ، وليست من اللاتي وعد بذكرهن ، أي ليست من جهة الآباءِ ، وأما اللاتي وعد بذكرهن فأولهن آمنة بنت وهب أمه ﷺ ، والثانية فاطمة بنت عمرو بن عايذ المخزومية أم أبيه عبـد الله ، والثـالثة سلمى بنت عمرو بن الحارث بن دينار بن مالك بن

النجار ، وتسمى المتدلية لأنها كانت تحت أُحيحة بن الجلاح الجحجبي ، فبيت أَهلهـا ذات ليلة في الحـروب بين الأَوس والخزرج ، أي بات متهيئاً للتصبيح بالجيش ، فتدلت هي من الحائط فذهبت إلى أَهلها فأَخبرتهم ، فضربها فكسر ذراعها وطلقها فسميت المتدلية ، فما ضل سعيها ولا فال رأْيها فتزوجت هاشمًا ـ لُباب صفوة العرب ـ ثم صارت جدة للنبي ﷺ [فهي] أُم عبد المطلب ، والرابعة عاتكة بنت مرة بن هلال أُم هاشم ، وهي عمة أُم وهب ، والخامسة عاتكة بنت هلال أُم عبد مناف ؛ وهي عمة أُم هاشم ، والسادسة فاطمة بنت سعد بن سيل ؛ أُم قصي وهي التي أَقصته أي أَبعدته عن عشيرته حتى سمي قصيّاً ، يعني إنها لما مات عنها كلاب بن مرة أَو طلقها تزوجت رجـلاً من عذرة ، وهـو ربيعـة بن حرام بن عذرة ، وحملتـه معها إليهم ، وعذرة من قضاعة وقول من صوّبها بالجعثمية ـ بالجيم وبتقديم العين على المثلثة ـ خلاف مافي القلقشندي وهو مقدم فـي هذا الفن ، ولم يذكر جعثمًا ولا جعثمة وإنما ذكر خثعمًا وخثعمة ، ونسب إليهم أُم قصي ونسبت إليهم الجدرة ، وذكر القاموس جعثمة بالضم ، وقال : حيّ من هذيل أَو من أزد السراة ، قوله : وذه الأَخيرة . . . الخ . يعنى أُم عبد مناف [بن قصي] لأَنها الأَخيرة في ذكره لهن ، وهي عمة أُم هاشم ؛ وأُم هاشم عمة أُم وهب الأُولى في الذكر ، وقوله : وهنَّ بالترتيب . . الخ . أَي إن أَردت ترتيبهن مع آبائهن ناسباً لهن قلت : عاتكة بنت الأَوقص بن مرة بن هلال ، وعاتكة بنت مرة بن هلال ، وعاتكة بنت هلال بن ذكوان ، فتبينت عمومة أُم عبد مناف الأَخـيرة في الـذكـر لعمة أُم وهب الأُولى في الذكر ، الأَخيرة في الزمن ، والأَخيرة في الذكر التي هي أُم عبد مناف هي الأُولى في الزمن .

مَافَــوْقَ عَدْنَــانَ مِنَ اجْـدَادِ النَّبيّ
يُنْـسَــبُ مَنْ نَسَـبَــهُ لِلْكَـذِب

قال ﷺ : « كَذَبَ النَّسَّابُونَ فِيمَا فَوْقَ عَدْنَانَ» . وقال : « لَا تَجَاوَزُوا مَعْدَ بْنَ عَدْنَانَ » . وقرأ : ﴿ وَقُرُوناً بَيْنَ ذلِكَ كَثِيراً ﴾ [1]

وَانْـعَـقَــدَ الاِجْمَــاعُ أَنَّ أَحْمَــدَا
كَانَ لِنُــوحٍ وَلِــشِيْـثَ وَلَــدَا

أي أَجمعت الأَئمة على أَن أَحمد ﷺ من ذرية شئث بن آدم ، وأَنه من ولـد نوح واسمـه عبـد الغفـار ، وسمي نوحـاً لكثرة نوحه على ذنوبه وعلى أَصحابه ، بعد أَن غيض الماءُ ورأى عظامهم . وهو أَول أَنبياءِ الشريعة وأَول الرسل إلى أَهل الأَرض ؛ وذلك أَن آدم أُرسل إلى بنيه يعلمهم الإِيمان وطاعة ربهم ولم يكونوا كفاراً ، ثم خلف فيهم شئث كذلك ، وإِن كان إدريس رسولاً فإلى المؤمنين كذلك ، ونوح عليه السلام هو أَول نبي بعث بتحريم البنات والعمات والخالات ، ولما يئس من فلاح قومه أَمره الله أَن يغرس شجراً ليعمل منـه السفينـة ، فغـرسـه ثم انتـظره مائةً ، ثم نجره في مائة سنة ، وكانوا يسخرون منه يقولون له : صرت نجاراً بعدِ ماكنت نبياً ! .
فيقول لهم : ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [2] فعمل منه السفينة ، وكان يشبه آدم عليه السلام ، وكان واسع الوجه سهل الخدين مليح العينين خميص البطن حسن القامة ، وأُمه بنت فلسوس بن إكليل بن عويل بن الملك بن قابيل بن آدم ، وأَولاده ثلاثـة وبنـاتـه حسورة وسنورة

---

(١) سورة الفرقان : ٣٨

(٢) سورة هود : ٣٨

وعشـورة ، وأمهم مؤمنة ، وأم ابنه كنعان ارتدت بعد إيمانها ، وآمن بنوح سبعون وهم المحمولون في السفينة ، وأُهلك أَهل الأَرض كلهم بدعائه ، وهـو أَطول أَنبياءِ الله عمراً ؛ عاش في قومه يدعوهم أَلف سنة إلا خمسين عاماً ، ولم تسقط له سن ولم تشب له شعرة ولم تنقص له قوة ، ولم يصبر أَحد على أَذى قومه ماصبر هو ، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس . انتهى من حلة السيرى .

شِئْثُ الْـوَصِيُّ ثَالِـثُ الأَبْنَـاءِ
فِي بَطْنِهَـا حَوّاءُ مِنْ صَفَـاءِ
تَنْـظُرُ وَجْـهَــهُ وَعَنْهَـا خَرَجَـا
إِلَىٰ الْمَـلاَئِـكَــةِ دَهْـراً ثُمَّ جَا

الـوصي تقـدم ، وقوله : ثالث الأَبناءِ ، يعني إن بطون حواءَ كلها اثنان ؛ ذكر وأنثى إلا البطن الذي منه شئِت فإنه ثلاثة ، والصفاءُ الحُسْن . وحواء ، بفتح الحاءِ وتشديد الواو ممدود . ا . هـ . من القسطلاني .

وعن الأَشعري : إن من النساءِ من نُبِّئَ وهن ست : حواءُ وسارة وأُم موسى ، واسمها يحانذ ، وآسية ومريم وهاجر . فالضابط عنده أَن من جاءَه الملك من الله بحكم من أَمر أَو نهي أَو بإِعلامه شيئاً فهو نبي . وقد ثبت مجيءُ الملك لهؤلاء بأُمور شتى من عند الله ، ووقع التصريح بالإِيحاءِ لبعضهن في القرآن ، قال تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [1] وقال تعالى بعـد أَن ذكـر مريم والأَنبياءَ بعـدها : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ [2] فدخلت في عمومه . ا . هـ . قاله عج [علي الأَجهوري] .

---
(١) سورة القصص : ٧
(٢) سورة مريم : ٥٨

وَأَفْضَلُ النِّسَاءِ مَرْيَمُ وَهَلْ
فَاطِمَةُ الزَّهْرَا تَلِيهَا أَوْ أَجَلّ

ثَانِيهِمَا الْأَصَحُّ وَالْخُلْفُ اتَّضَحْ
إِنْ لَمْ نَقُلْ نَبِيَّةً وَهْوَ الْأَصَحّ

واستدل من نفي نبوتهن بقوله تعالى : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ**﴾[1] وجعل الإيحاءَ في قوله تعالى : ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ**﴾ إلهاماً كقوله تعالى : ﴿**وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ النَّحْلِ**﴾ . وقيل : الإجماع [2] على أن لانبوّة لهنَّ .

---

(١) سورة يوسف : ١٠٩

(٢) قلت : كيف يحكي القول بالإجماع على مسألة خالف فيها الإمام أبو الحسن الأشعري وأبو عبد الله القرطبي والزجاج ، في جماعة من العلماءِ ؟ ! . وتحقيق الكلام في المسألة حسب ماتؤيده الأدلة ؛ أن مريم بنت عمران عليها السلام أفضل من جميع النساءِ ، والخلاف هل فاطمة بنت محمد ﷺ أفضل أم خديجة بنت خويلد ؟ . وهذا ماتيسر من الدليل على ذلك : ففي البخاري مانصه : حدثني أحمد بن أبي رجاءٍ ، حدثنا النَّضر ، عن هشام قال : أخبرني أبي قال : سمعت عبد الله بن جعفر قال : سمعت علياً رضي الله عنه يقول : سمعت النبي ﷺ يقول : « **خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ** » قال في فتح الباري ج ٧/ ص ٢٨١ : واستدل بقوله تعالى : ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ**﴾ . **سورة آل عمران : ٤٢** على أنها كانت نبية ، وليس بصريح في ذلك ، وأيد بذكرها مع الأنبياءِ في سورة مريم ، ولا يمنع وصفها بأنها صدِّيقة ، فقد وصف يوسف بذلك ، وقد نقل عن الأشعري أن في النساءِ عدة نبيات ، وحصرهن ابن حزم في ست : حواءُ ، وسارة وهاجر ، وأُم موسى وآسية ، ومريم ، وأسقط القرطبي سارة وهاجر . ونقله في التمهيد عن أكثر الفقهاءِ . وقال القرطبي : الصحيح =

= أن مريم نبية ، وقال عياض : الجمهور على خلافه . ونقل النووي في الأذكار على أن الإمام نقل الإجماع على أن مريم ليست نبية ، وعن الحسن : ليس في النساءِ نبي ولا في الجن ، وقال السبكي الكبير لم يصح عندي في هذه المسألة شيءُ . ونقله السهيلي فى آخر الروض - إلى أن قال في ص ٢٨٢ : وقد رواه النسائي من حديث ابن عباس بلفظ : «**أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلَ الْجَنَّةِ**» فعلى هذا المعنى : خير نساءِ أهل الجنة مريم ، وفي رواية «**خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**» وهو كقوله تعالى : ﴿**وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾ . وظاهره أن مريم أفضل من جميع النساءِ ، وهذا لا يمتنع عند من يقول : إنها نبية ، وأما من قال : ليست نبية ، فيحمله على عالمي زمانها ، وبالأول جزم الزجاج وجماعة واختاره القرطبي ، ويحتمل أن يراد نساءُ بني اسرائيل أو نساءُ تلك الأمة ، أو «مِنْ» فيه مضمر ، والمعنى : إنها من جملة النساءِ الفاضلات ، ويدفع [ذلك الاحتمال] حديث أبي موسى المتقدم بصيغة الحصر أنه لم يكمل من النساءِ غيرها وغير آسية .
وقوله «**وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ**» أي نساءِ هذه الأمة ، قال القاضي أبو بكر بن العربي : خديجة أفضل نساءِ الأمة مطلقاً لهذا الحديث ، وقد تقدم في آخر قصة موسى حديث أبي موسى في ذكر مريم وآسية ، وهو يقتضي فضلها على غيرهما من النساءِ ، ودل هذا الحديث على أن مريم أفضل من آسية ، وأن خديجة أفضل نساءِ هذه الأمة ، وكأنه لم يتعرض في الحديث الأول لنساءِ هذه الأمة حيث قال : ولم يكمل من النساءِ أي من نساءِ الأمم الماضية ، إلا ان حملنا الكمال على النبوة فيكون على إطلاقه ، وعند النسائي بإسناد صحيح عن ابن عباس : «**أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ وَفَاطِمَةُ وَمَرْيَمُ وآسِيَةُ**» . انتهى محل الغرض منه بلفظه .
وفي ابن كثير ج ١/ ص ٣٦٢ عند قوله تعالى : ﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ**﴾ **الآية مانصه** : هذا إخبار من الله تعالى بما خاطبت الملائكة مريم به عليها السلام عن أمر الله لهم بذلك ؛ أن الله قد اصطفاها أي اختارها ؛ لكثرة عبادتها وزهادتها وشرفها وطهارتها من الأكدار والوساوس ، اصطفاها ثانياً مرة بعد مرة لجلالتها على نساءِ العالمين . قال =

= عبد الرزاق : انبأنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ . قال : كان أبو هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ : «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ نِسَاءُ قُرَيْشٍ ؛ أَحْنَاهُ عَلَىٰ وَلَدٍ في صِغَرِهِ وَأَرْعَاهُ عَلَىٰ زَوْجٍ في ذَاتِ يَدِهِ ، وَلَمْ تَرْكَبْ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ بَعِيراً قَطُّ» . إلى أن قال : وقال هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن علي بن أبي طالب ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدَ» . أخرجاه في الصحيحين من حديث هشام بمثله ، وقال الترمذي : حدثنا أبو بكر بن زنجويه ، حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : «حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدَ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ» . تفرد به الترمذي وصححه ، وقال عبد الله بن أبي جعفر الرازي عن أبيه قال : كان ثابت البناني يحدث عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : «خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ أَرْبَعٌ ؛ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدَ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ» . رواه ابن مردويه أيضاً . انتهى محل الغرض منه .

وقال سليمان بن عمر الشهير بالجمل في حاشيته على الجلالين مانصه : ج ١/ ص ٢٦٩ : والمعتمد أن مريم أفضل النساءِ على الإطلاق . ا . هـ . شيخنا انتهى منه بلفظه .

قلت : وإذا كانت النبوة تثبت بثبوت وحي من الله إلى البشر ، فكيف يقع النزاع في نبوة مريم بنت عمران ؟! . وإذا كان التفضيل يثبت للخلق باصطفاءِ الله تعالى لمن اصطفاه ، فكيف ينازع في فضل مريم بنت عمران على نساءِ العالمين ؟! . وهل ثبت في كتاب الله أن الله اصطفى امرأة غيرها ؟ . وإذا كان الله تعالى أثبت لها الاصطفاءَ في محكم كتابه ، فمن أصدق حديثاً من الله ؟ !﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ﴾ ؟ ! . إن الله تعالى يقول : =

ولبعضهم في المختلف فيهم :

اختـلفـت في خضر أهــل النقــول
قيــل نبــيّ أو ولي أو رســول

لقــمان ذي الــقــرنــين ثم مريــما
والــوقـف في الجمـيــع رأي الـعـلما

= ﴿وَإِذْ قَالَـتِ الْمَـلَائِـكَـةُ يَامَـرْيَـمُ إِنَّ اللهَ اصْـطَفَـاكِ وَطَـهَّـرَكِ وَاصْـطَفَـاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ سورة البقرة : ١٤٠ فهل يستطيع مكابر أن ينفي عنها الوحي بعدما تبلغه هذه الآية والتي تليها ؟ ! . أم هل يستطيع أن يحاول تأويل الوحي هنا بالإلهام بعد التصريح بمادة القول المنسوبة من الله إلى رسل الله ؟ ! .

وأيضـاً فإن قولـه تعـالى : ﴿يَـامَـرْيَـمُ اقْـنُـتِي لِرَبِّـكِ وَاسْـجُـدِي وَارْكَعِي مَعَ الـرَّاكِعِينَ﴾ سورة آل عمران : ٤٣ . وحي صريح بالأوامر الشرعية ، على أن أبا عبد الله القرطبي وصل إلى أبعد من ذلك ، حيث قارن بشارتها بالولد ، قارن بينها وبين بشارة نبي الله زكرياءَ عليه السلام ، حيث إن كلاً منهما بشّر بالولد على حالة غير معتادة ، وكل منهما أبدى استغرابه من خرق العادة ، فرد عليه الملك بقدرة الله وإرادته ، فأما زكرياءُ فقد طلب الآية من ربـه يستدل بها على أن الله استجاب دعاءَه ، وأما مريم فصدقت ولم تطلب آية ، فسميت صديقـة لتصـديقها ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ . الآية سورة التحريم : ١٢

يتحصل من البحث أن الدليل أقوى في نبوتها ، وإذا كان ذلك كذلك فلا خلاف أنها أفضل نساءِ أهل الجنة ، ولكنها الخلاف بين أمنا خديجة وفاطمة بنت محمد ، أيهما أفضل ؟ . والعلم عند الله تعالى .

يقول : إن شئث ولد مع اثنين في بطن ، وإن حواءَ تنظر وجهه من حسنه وهو في بطنها ، وإنه خرج عنها دهراً إلى الملائكة ثم رجع ، وهذه ثلاث خصال مستغربة انفرد بها شئث[1] .

وَهْــوَ الَّــذِي دَفَــنَ آدَمَ لَدَىٰ
أَبِي قُبَيْــسٍ وَانْــتَفَــى مَاوَلَــدَا
وَنَــسْــلُ مَاسِــوَاهُ إِلَّا نُوحَــا
آدَمُ الَاصغَــرُ ابْنَــهُ النَّصُــوحَـا

يعني أن شئث بن آدم هو الذي دفن أباه عند أبي قبيس ـ جبل مكة المشهور ـ بعد أن عاش آدم ألف سنة ، أدرك إدريس منها ثلاثمائة وثمان وستين وبينهما أربعة آباء ، وانتفى ماولد شئث وجميع نسل آدم . وقوله : إلا نوحاً استثناء مما ولد شئث ، وأما ما ولد غيره من بني آدم فلم يُستثن منه شيء .

وقوله : آدم الأصغر يعني نوحاً ؛ سمي بذلك لأن جميع بني آدم منه . والنصوح وزن مبالغة من النصحية ، فيه إشارة إلى طول مكثه في قومه يدعوهم إلى الله تعالى، حتى سمي نوحاً لكثرة نوْحه عليهم كما تقدم .

ثُمَّ لإِبْــراهِيمَ ثُمَّ اضْطَرَبَــا لِقِــلَّةٍ وكَــثْــرةٍ مَنْ نَسَبَــا

أي انعقد الإجماع على أنه ﷺ ولد لابراهيم ، وترتيب ثم متوجه للولدية لا لانعقاد الاجماع . وقوله : ثم اضطربا : أي بعد انعقاد الاجماع

(١) ولابد لها من نقل تثبت به لأنها لا مجال للرأي فيها ، ولم أقف عليها في غير هذا المحل . والله على كل شيءٍ قدير .

على كونه ولد لهؤلاءِ الثلاثة ، اضطرب النسابون فيما سواهم من الجدود ، فمنهم من يقلل ومنهم من يكثر .

مَافَوْقَ عَدْنَانَ وَمَا دُونَ الذَّبِيحْ
مِنْ حَامِلِي نُورِ نَبِيِّنَا الصَّبِيحْ
فِي عَدِّهِ وَفِي التَّلَفُّظِ بِهِ
خُلْفٌ تَرَكْنَا ذِكْرَهِ لِرَيْبِهِ

الذبيح : اسماعيل على القول به لقوله ﷺ : «أَنَا ابْنُ الذَّبِيحَيْنْ»وقال له أَعرابي : ياابن الذبيحين ، فتبسم . وهو عند العرب اسماعيل وعند أَهل الكتاب اسحاق ، والصبيح : يحتمل أَنه وصف للنور فيكون معناه المضيءُ ، ويحتمل أَنه وصف لنبينا ﷺ فيكون معناه الجميل . وحاملوه : أَجداده ﷺ ، يعني أَن من اسماعيل إلى عدنان من أَجداد النبي ﷺ . اختلف النسابون في عده ؛ فمنهم من يكثره ومنهم من يقلل . واختلفوا أَيضاً في التلفظ بأَسماءِ الرجال ، ولما كان ذلك يؤدي إلى الريب ، أَي الشك في أَسماءِ أَجداده وفي عدهم ، تركنا ذكره وعمدنا إلى المتفق فيه ، وهو هنا مادون عدنان ، اجتناباً لما نهى عنه ﷺ : «لَاتَجَاوَزُوا مَعَدَّ بْنَ عَدْنَانَ» . قال ابن حجر : الأَقرب أَن يقال ؛ إِنْ ثبت أَن مَعَدّاً كان في زمن موسى ، فبينه وبين اسماعيل العدد الكثير من الآباءِ ، وإن كان في زمن عيسى فبينهما القليل . والله أَعلم . انتهى من حلة السِّيَرى في أَنساب العرب وسيرة خير الورى .

خَيْرُ الشُّعُوبِ شَعْبُهُ لِآدَمِ   وَقَرْنُهُ خَيْرُ قُرُونِ الْعَالَمِ

الشعب : كالمنع القبيلة العظيمة ، وبالكسر الطريق في الجبل ومسيل الماءِ في الأرض : والشعب أيضا بفتح الشين التفرق ولعله المراد هنا لأن الشعوب تشعبت من عند نوح عليه السلام ، وهو آدم الأصغر ، أو من عند أبناءِ آدم قبل فناءِ الناس بالغرق . والشعب النسب الأبعد ، وهو بالنسبة إلى النبي ﷺ عدنان ، وتحته القبيلة وهي مضر ، وتحتها العمارة وهي كنانة ، وتحتها البطن وهو قريش ، وتحته الفخذ ـ بسكون الخاء ـ وهو عبد مناف ، وتحته الفصيلة وهي بنو هاشم ، وترادفها العشيرة وربما ترادف مادون القبيلة منها ، والقرن الأمة بعد الأمة كالصحابة والتابعين وتابعي التابعين ، والقرن : العدد من الزمن أصحه مائة سنة ، لقوله ﷺ لغلام : «**عِشْ قَرْناً**» فعاش مائة سنة ، يعني أن خير شعوب بني آدم من آدم إلى يوم القيامة ، هو الشعب الذي منه ﷺ . وخير القرون القرن الذي فيه النبي ﷺ ، وهم الصحابة لقوله ﷺ : «**خَيْرُ الْقُرُون قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» . فالذين يلون الصحابة هم التابعونَ ، ومنهم الإمام أبو حنيفة ، لأنه لقي ستة من الصحابة ، وعلى الرواية بإعادة الذين يلونهم ، تابعو التابعين ومنهم الأئمة الثلاثة الآخرون ؛ مالك والشافعي وأحمد ، واختلف في هذه المخيرة ؛ قيل بالعموم أي عامة الصحابة خير من عامة التابعين ، وقيل باعتبار الأشخاص ؛ فكل من تطلق عليه الصحبة خير من كل تابعي ، قلت : وعلى هذا يكون مروان بن الحكم خير من سعيد بن المسيب ، ولاتكاد النفس تقنع بهذا ، وروي أن زوجة سعيد بن المسيب وهي فاطمة بنت أبي هريرة ، قالت لصهرها شريح القاضي ، وقد ولد له ولد من بنتها بنت سعيد بن المسيب : سمِّه سعيداً باسم جده فإني مكثت معه أربعين عاماً ماعصى الله فيها قط .

مِنْ مُؤْمِنِينَ مُتَنَاكِحِينَا
خَرَجَ لَا مِنْ مُتَسَافِحِينَا
يُنْقَلُ مِنْ أَصْلَابِ طَاهِرِينَا
لِطَاهِرَاتٍ مِنْ لَّدُنْ أَبِينَا
وكَيْفَ لَا وَالْمُشْرِكُونَ نَجَسُ
وَمِنْ أَذىً نَبِيُّنَا مُقَدَّسُ
مِنْ سَاجِدٍ لِسَاجِدٍ تَقَلَّبَا
صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ مَاهَبَّ الصَّبَا

المتسافحون : المتفاعلون للسفاح وهو الزنى . والأذى : المكروه نجساً وغيره . والمراد هنا النجس ، والمقدس : المطهر ، وفي هذه الأبيات الذب عن آبائه ﷺ . يعني أنه ﷺ خرج من رجال ونساءٍ مؤمنين متناكحين النكاح الصحيح الشرعي ، قال ابن الكلبي : عددت للنبي ﷺ ستمائة أم . وفي رواية خمسمائة أم ، كلها من نكاح صحيح ليس فيهن مما كانت الجاهلية تفعله شيء ، بل لم يزل ينقل ﷺ من أصلاب رجال طاهرين ، إلى أرحام نساءٍ طاهرات ، من لدن آدم عليه السلام إلى أبيه عبد الله . وقوله : من ساجد . . الخ . فسّر به قوله تعالى : ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [1] أي المراد نقل نوره من ساجد إلى ساجد ، وكيف لايكون هذا وصفه والمشركون نجس ؟! . قال تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [2] والنبي ﷺ مطهر من

---

(١) سورة الشعراء : ٢١٩

(٢) سورة التوبة : ٢٨

النجس أصلاً وفرعاً ظاهراً وباطناً ، قال ابن حجر الهيثمي : الأحاديث مصرحة لفظاً ومعنى أن آباءه غير الأنبياء وأمهاته ﷺ إلى آدم ليس فيهم كافر ، لأن الكافر لايقال فيه مختار ولا كريم ولا طاهر بل نجس ، وقد جاءَ في الأحاديث أن آباءه ﷺ مختارون ، وأنهم كرام ، وأن أمهاته ﷺ طاهرات ؛ وأيضاً فهم إلى اسماعيل من أهل الفترة ، وهم في حكم [1] المسلمين بنص قوله تعالى : ﴿وَماكُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [2] .

وَجَعَلَ الدِّينَ عَمُودَ نَسَبِهْ
كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهْ
وَفِيهِ رَبُّهُ لَهُ تَقَبَّلَا
دُعَاءَهُ مِنْ كُلِّ بِرٍّ سَأَلَا
كَتَرْكِ الَاصنَامِ وَتَرْكِ الْمُوبقَاتْ
وَكُلِّ مَايُزْرِي بِمَنْصَبِ الثِّقَاتْ

عمود نسبه : ابراهيم ، على نبينا وعليه الصلاة والسلام . والدين : لاإله إلا الله محمد رسول الله . قال تعالى : ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [3] . قال الثعالبي : والضمير في : «وَجَعَلَها كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ» عائد على كلمة التوحيد في قوله : ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [4] قال : والمراد

---

(١) قوله : وهم في حكم المسلمين ، قول لم يحقق صاحبه كما سترى فى التعليق.

(٢) سورة الاسراء : ١٥

(٣) سورة الزخرف : ٢٨

(٤) سورة الزخرف : ٢٦

بالكلمة ؛ لا إله إلا الله ، وأعاد عليها الضمير ، وإن لم يجرِ لها ذكر لأن اللفظ يتضمنها ؛ والعقب : الذرية . وولد الولد : ماامتد فرعه . انتهى .
وفيه أي عقبه . ربه الضمير يعود إلى ابراهيم ، وكذلك ضمير له ودعاءَه ، والبر : الخير والاتساع في الاحسان ، والموبقات : المهلكات ، وأزرى بالشيءِ : أدخل عليه العيب . والمنصب تقدم . يقول : وجعل عمود نسبه - الذي هو ابراهيم عليه السلام - الدين الذي هو كلمة التوحيد ، كلمة باقية في عقبه ، أي لاتزال موجودة في ذريته ، والأولى بها بعد النبيين جدوده ﷺ ، ودعاؤه الذي تُقبِّل له قوله تعالى : ﴿رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا البَلَدَ آمِناً﴾ [1] إلى آخر الدعاءِ ، وترك الأصنام : ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [2] وقوله تعالى : ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [3]. وهذا قبل أن تبين له عداوتهما لله ، وقيل : أسلمت أمه ، وقرىء : [وَلِوَالِدِي] بالإفراد . ا . هـ . من تكملة السيوطي .

وَقَـالَ عَبْـدُ الله حِينَ اعْتَصَـمَا
مِمَّنْ دَعَـتْـهُ إِذْ تَبِيـعُ الأَدَمَـا
أَمَّـا الْحَـرَامُ فَالْمَمَـاتُ دُونَـهُ
وَالْحِـلُّ لاَحِـلَّ فَأَسْـتَبِينَـهُ

---

(1) سورة ابراهيم : ٣٥
(2) سورة ابراهيم : ٣٥
(3) سورة ابراهيم : ٤١

فَكَيْفَ بِالأمرِ الَّذي تَبْغِينَهْ
يَحْمِي الْكَرِيمُ عِرْضَهُ وَدِينَهْ
وَالْعُذْرُ بِالْفَتْرَةِ وَالإِحْيَاءِ
فَيُؤمِنُوا وَرَدَ فِي الأَنْبَاءِ
وَالْقَوْلُ فِيهِمْ بِخِلاَفِ هٰذَا
يَأْبَاهُ أَنَّهُ النَّبِيَّ آذَىٰ
وَلَعَنَ الإِلٰهُ مَنْ آذَاهُ
فِي هٰذِهِ الدَّارِ وَفِي أُخْرَاهُ

استعصم : امتنع ومنه عصمة الرسل ، أي منعهم الله من عصيانه ومن الرذائل ، ومنه أيضاً عصمة المرأة لأن الزوج يعصمها ، أي يمنعها من تزويج غيره ، والأدم : جمع أديم للإهاب . ومن دعته : هي فاطمة بنت عدي بن نوفل بن عبد العزى ، بنت أخي ورقة بن نوفل ، وبنت أخت تأبط شراً ، وتقدم بعض خبرها في تزويج عبد الله بآمنة ، والفترة : بالفتح مابين كل رسولين من فترة الوحي أي وقوفه ؛ استدل بقول عبد الله هذا على إسلامهم ، وفيه أقوى دليل بأمور : أحدها : المبالاة بالحلال والحرام . الثاني : تحريم الزنى وتحليل النكاح ، وذلك ليس من شأن الكفار لأنهم إذا ذكروا ماجاءَ به النبي ﷺ قالوا : ويحرم الزنى . وإن كان النكاح مما أبقوه من دين ابراهيم ، إذ يمكن أن لايكون ذلك تديناً عندهم بل عادة .
الثالث : إعداد الموت جنة دون الحرام . الرابع : حماية الدين .

وقوله : والعذر بالفترة . . . الخ ، مما يذب به عنهم أيضاً أنه ورد في الأنباءِ أي الأخبار أنهم يعذرون بفترة الوحي عنهم منذ اسماعيل إلى سيدنا محمد ﷺ ، فيكونون في حكم المسلمين بنص قوله تعالى : ﴿ **وَمَاكُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً** ﴾ [1] ويعتذر عنهم أيضاً بالقول بأنهم يحيون كغيرهم من أهل الفترة ، فيبعث إليهم نبي فيؤمن به أجداد النبي ﷺ ، والقول فيهم بغير مافي النظم -وهو كونهم كفاراً ومن أهل النار- يمنعه أنه كان يؤذي النبي ﷺ وقد نهى عن ذلك لدخوله في عموم «**لَا تُؤْذُوا الأَحْيَاءَ بِسَبِّ الأَمْوات**» . ولعن الله من آذاه ﷺ في الدنيا وفي الآخرة . قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ** ﴾ [2] .

قال الشيخ الولي محمد اليدالي في كتابه حلَّة السيرى في الأنساب وسيرة خير الورى : وهذا هو الحق ، بل في حديث صححه غير واحد أن الله أحيى له أبويه فآمنا به خصوصية لهما وكرامة له ، فقد ردت عليه الشمس بعد مغيبها فعاد الوقت حتى صلى العصر أداءً ، ولذا نفع الإيمان به بعد الموت خصوصية لهما وإكراماً له ﷺ ، وفائدة إحيائهما له مع أنهما من أهل الفترة وأنهم لايعذبون ، إتحافهما بكرامة لم تحصل لغيرهما من أهل الفترة ، لأن غاية أمرهم السلامة من العذاب ، فأتحف أبويه ﷺ بمزية الإيمان زيادة في شرف كمالهما ، ولايرد على هذا آزر فإنه كافر مع أنه أبو ابراهيم ، لإجماع أهل الكتاب على أنه عمه ، والعرب تسمي العم أبا . قال تعالى : ﴿ **آبَائِكَ ابْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ** ﴾ [3] . مع أنه **[أي اسماعيل]** عمّ يعقوب ، وفي

---

(١) سورة الاسراء : ١٥

(٢) سورة الاحزاب : ٥٧

(٣) سورة البقرة : ١٣٣

الحديث أنه قال لحصين بن عبيد . والد عمران بن حصين : «**إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ**».قيل : أراد بأبيه عمه أبا طالب ، لما تقرر من أن العرب تسمي العم أباً ، قال السهيلي : وليس لنا أن نقول نحن هذا في أبويه لحديث : «**لاَتُؤْذُوا الأَحْيَاءَ بِسَبِّ الأَمْوَاتِ**» . وقد ألّف السيوطي كتابا سمّاه : الفوائد الكامنة في إسلام السيدة آمنة ، ويسمى أيضاً : التعظيم والمنة في أن أبوي النبي ﷺ في الجنة ، ثم قال : الحذر الحذَر من غير هذا ، فإن ذلك يؤذيه ﷺ لحديث «**لاَتُؤْذُوا الأَحْيَاءَ بِسَبِّ الأَمْوَاتِ**» .

مِنْ عَهْـدِ نُوحٍ مَاخَلَتِ الأَرْضُ مِنْ إِسْـلاَمِ سَبْعَـةٍ لِكَيْـمَا تَطْمَئِنّ

أي ثبتت بهم ولم تهدّ بأهلها ولم تخسف ، لأن الأقاليم سبعة ، فكان كل إقليم يطمئن بمسلم ، و إذا لم تخل الأرض من سبعة مسلمين في فترة من الرسل ، كان الأولى بهم واحد من أجداد النبي ﷺ أو اثنان أو ثلاثة . وسمعته رحمه الله تعالى يقول إنه أخذ هذا من الخصائص الكبرى للسيوطي .

قلت : أما قول الناظم : من متناحكينا خرج ، فهو لا اعتراض عليه وقد ورد من الخبر مايؤيده ، وأما قوله : من مؤمنينا ، فلا دليل عليه من النقل ، بل يرد عليه أنه ﷺ من ذرية ابراهيم بالاجماع ، وأن أبا ابراهيم ذكر في عشرين [1] موضعاً من كتاب الله أنه كافر ، والعياذ بالله : ﴿**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ ابْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ** =

---

(١) سمعت الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني عليه رحمة الله يقول : إن القرآن فيه أنه أبوه في عشرين موضعاً من كتاب الله .

= وَعَـدَهَـا إِيَّـاهُ فَلَمَّا تَبَـيَّنَ لَهُ أَنَّـهُ عَدُوٌّ لله تَبَرَّأَ مِنْـهُ إِنَّ ابْـرَاهِـيـمَ لأَوَّاهٌ حَلِيـمٌ﴾ سورة التوبة : ١١٤ . فهذا دليل قطعي على كفر أحد أجداده ﷺ ، وليس وجود الكفر في جد من أجداده ، بل ولو كان سلسلة أجداده كلها على الكفر ، ليس ذلك ناقصاً من مقامه العظيم عند الله ؛ إنه سيد ولد آدم وصفوة الله من خلقه ، وصاحب المقام المحمود والشفاعة الكبرى ﷺ وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . . بل إن الله تبارك وتعالى قد بين لنا في غير موضع أنه يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، وبين لنا أن القرابة الطيبة لاتنفع من حكم الله عليه في أزله بالشقاوة وبالعكس ، فإن القرابة السيئة لاتضرّ من كتبه ربه في أزله من عباده المخلصين ، لاجرم أن من أخص القرابة البنوّة ، وقد جاءَ القرآن بكفر ابن نبي من أولي العزم من الرسل : ﴿قَـالَ يَانُـوحُ إِنَّـهُ لَيْسَ مِنْ أَهْـلِكَ إِنَّـهُ عَمَـلٌ غَيْرُ صَالِـحٍ فَلَا تَسْـأَلْـنِ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِـظُكَ أَنْ تَكُـونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ . سورة هود : ٤٦ . ومن أدلة عدم نفع البنوة من السنة ماثبت في الصحيحين : «يَافَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ الله شَيْئاً» . الحديث . ولابد أن من أخص القرابة الأُبوة ، وقد جاء القرآن بكفر والد أحد أولي العزم من الرسل وهو ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، فقد تكرر نزول القرآن بكفر والده ، وماذكره الشارح هنا من أن أهل الكتاب مجمعون على أنه عمه ، كلام فارغ موجب للسخرية ، وهـل لأهل الكتاب إجماع يعتدّ به ويحتج به طالب علم تصدر للتأليف والتقرير ؟ ! . فقد أجمـعـت الـيهـود على أن عُزيْراً ابـن الله ـ تعـالى الله علواً كبـيراً عما يلحـد الـظالمـون ـ ﴿وَقَـالَتِ النَّصَـارَىٰ الْمَسِيـحُ ابْنُ الله﴾ سورة التـوبـة : ٣٠ . ﴿وَقَـالَتِ الْيَهُودُ يَدُ الله مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ سورة المائدة : ٦٤ .

فهذا قليل من كثير من أقوال من استدل الشارح بأقوالهم على تكذيب عشرين موضعاً من كتاب الله . نعم ، إن العرب قد تسمي العم أباً ؛ أسلوباً عربياً على سبيل المجاز ، ولكن =

= التكرار من لوازم التوكيد ، وهو رافع للمجاز هنا بلا خلاف ، فتعين أن آزر أبوه عليه الصلاة والسلام ، وليس عليه غضاضة في ذلك بل مقامه عند الله أنه خليل الله : ﴿**وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**﴾ **سورة النساء : ١٢٥** . ومن أخص القرابة أيضاً الزوجية ؛ فقد ضرب الله لنا المثل بزوجة أخس البشر وأكثره عتواً وعناداً لربه وسعياً في إبطال آيات الله ، ولكنها لما كان الله يريد بها خيراً لم تتضرر بذلك المكان منه ، والصحبة الطويلة والتباسها به أخص الالتباس ؛ ﴿**وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ **سورة التحريم : ١١** . وعلى العكس من ذلك زوجتا نبيين عبدين صالحين ، ضرب الله بهما المثل للكافرين في أن القرابة الحسنة لاتجدي شيئاً إذا كان الله يريد شرا بالمرء : ﴿**ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ**﴾ **سورة التحريم : ١٠** . ولو كانت القرابة تنفع من سبقت عليه الشقاوة ، لنفعت عم النبي ﷺ وأباه بعد أبيه الذي أشرف على تربيته في اليتم ، وناضل عنه أعداءه ولم يستطع أحد النيل منه حتى مات ، فلما حضرته الوفاة جلس عند رأسه يقول : «**ياعَمُّ قُلْ لاَإِلَهَ إِلاَّ اللهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**» . فلم يزل يكررها عليه وهو يقول : هو على ملة عبد المطلب . حتى نزل قول الله تعالى : ﴿**إِنَّكَ لاَتَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾ . **سورة القصص : ٥٦** . ومن شدة حبه له قال : «**سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكَ مَالَمْ أُنْهَ عَنْكَ**» . أو كما قال ﷺ فنزل قوله تعالى : ﴿**مَاكَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَاتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ، وَمَاكَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا** =

= تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لله تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ **سورة التوبة : ١١٣ ـ ١١٤ .**

وقوله : من ساجد لساجد تقلبا . . ألخ وتخصيص الشارح لها بقوله : نقل نوره من ساجد إلى ساجد ، هو خلاف التحقيق ، نعم ، قد ورد هذا القول عن عكرمة ولكن جمهور المفسرين على خلافه ؛ قال الزمخشري في الكشاف : هو ذكر ماكان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه ، في تصفح أحوال المجتهدين من أصحابه ليطلع عليهم من حيث لايشعرون ، ويستبطن سر أمرهم وكيف يعبدون الله ، وكيف يعملون لآخرتهم . إلى أن قال : وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة ، وتقلبه في الساجدين ؛ تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده إذا أمهم . ا . هـ . محل الغرض منه ، قال العلامة شيخنا عليه رحمة الله في أضواءِ البيان ٦/ ٣٨٨ مانصه : قوله هنا **﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾** . **سورة الشعراء : ٢١٩** . قال فيه بعض أهل العلم : المعنى **وتقلبك** في أصلاب آبائك الساجدين أي المؤمنين بالله ؛ كآدم ونوح وابراهيم واسماعيل ، واستدل بعضهم لهذا القول فيما بعد ابراهيم من آبائه بقوله تعالى : **﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾** . **سورة الزخرف : ٢٨** . وممن روي عنه هذا القول ابن عباس نقله عنه القرطبي ، وفي الآية قرينة تدل على عدم صحة هذا القول وهي قوله تعالى قبله مقترناً به : **﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾** . **سورة الشعراء : ٢١٨** . فإنه لم يقصد به أنه يقوم في أصلاب الآباءِ إجماعاً ، وأول الآية مرتبط بآخرها : أي الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك ، وحين تقوم من فراشك ومجلسك ، ويرى **تقلبك** في الساجدين أي المصلين ، على أظهر الأقوال ، لأنه ﷺ يتقلب في المصلين قائماً وساجداً وراكعاً ، وقال بعضهم : الذي يراك حين تقوم أي إلى الصلاة وحدك **وتقلبك** في الساجدين : أي المصلين إذا صليت بالناس . ا . هـ منه بلفظه .

وأما استدلال الناظم على مايريد إثباته بدعاءِ ابراهيم بقوله : **﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾** . **الآية سورة ابراهيم : ٣٥** . فهو استدلال تنقصه الفطنة ؛ أما يلاحظ المستدل =

= بهذا أن أبا جهل وأُبّي بن خلف والعاص بن وائل وأُمية بن خلف وأبا لهب كل هؤلاء من ذرية ابراهيم ؟ فالظاهر أن الدعوة استجابت في أبنائه لصلبه فقط ، ألا ترى إلى ردّ الله تعالى عليه - في دعائه حين قال له : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ سورة البقرة : ١٢٤ فأراد ابراهيم من ربه أن يجعل ذلك في ذريته ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ فكيف كان رد الله عليه ؟ ﴿قَالَ لاَيَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ وهذا يبين لك أن ذرية ابراهيم منها الصالح ومنها الطالح ،وإذاً فليس من الممكن أن تكون النسبة إلى بنوته فقط دليلاً على الفلاح ، اللهم إلا لأولاده لصلبه .

وأما استدلاله بالإحياءِ ، وأنهم آمنوا به كرامة له وخصوصية لهم ، فإنه لم يثبت في ذلك مايصح الاستدلال به ، فكل ماورد فيه ضعيف أو موضوع . على أن ذلك لامانع منه لو ثبت ، إلا أنه لولا الإسناد لقال من شاءَ ماشاءَ .

وأما قوله : والعذر بالفترة ، فهو استدلال في محله ، فالقول بعذر أهل الفترة بالفترة وارد ، والخلاف في ذلك معروف بين العلماءِ . والتحقيق إن شاءَ الله ؛ أن أهل الفترة معذورون بدليل قوله تعالى : ﴿وَمَاكُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ سورة الاسراء : ١٥ إن ظاهر هذه الآية الكريمة أن الله جل وعلا لايعذب أحداً من خلقه ، لافي الدنيا ولا في الآخرة ، حتى يبعث إليه رسولاً ينذره ويحذره ، فيعصى ذلك الرسول ويستمر على الكفر والمعصية بعد الإنذار والإعذار .

وقد صرح الله تعالى في آية أُخرى أنه لابد أن يقطع حجة كل أحد بإرسال الرسل ، مبشرين من أطاعهم ومنذرين من عصاهم بالنار، قال تعالى : ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ سورة النساء : ١٦٥ . وهذه الحجة التي أوضح قطعها بإرسال الرسل مبشرين ومنذرين بينها في سورة طه بقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ سورة طه :١٣٤ . =

= وقال في سورة القصص: ﴿وَلَوْلاَ أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَاجَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾. سورة المائدة: ١٩. ومن الدليل على أن الله تعالى لايعذب أحداً إلا بعد الإنذاروالإعذار على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام، قوله تعالى:

﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَانَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ سورة الملك: ٨ - ٩. وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَايَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾سورة فاطر: ٣٧ فهذه الآيات وأمثالها تدل على عذر أهل الفترة بأنهم لم يأتهم نذير، وبهذا القول قال جماعة من أهل العلم، وهو التحقيق إن شاء الله.

وقال قوم من أهل العلم أن كل من مات على الكفر فهو من أهل النار، ولو لم يأته نذير، واستدلوا بظواهر من القرآن وبحديث: «إِنَّ أَبِي وأَبَاكَ فِي النَّار» عند مسلم عن أنس، والحديث الآخر المروي عن أبي هريرة عند مسلم أيضا أن رسول الله ﷺ قال: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لأُمِّي فَلَمْ يأْذَنْ لِي وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي» إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على عدم عذر المشركين بالفترة. قال شيخنا العلامة رحمه الله، بعدما ناقش أدلة الطرفين: الظاهر أن التحقيق في هذه المسألة التي هي: هل يعذر المشركون بالفترة أو لا ؟. هو أنهم معذورون بالفترة في الدنيا وأن الله يوم القيامة يمتحنهم بنار يأمرهم باقتحامها، فمن اقتحمها دخل الجنة؛ وهو الذي كان يصدق الرسل لو جاءته في الدنيا، ومن امتنع دخل النار وعذب فيها، وهو الذي كان يكذب الرسل لو جاءته =

= في الدنيا ، لأن الله يعلم ماكانوا عاملين لو جاءَتهم الرسل . وإنما قلنا أن هذا هو التحقيق لأمرين :

الأول : إن هذا ثبت عن رسول الله ﷺ ، وثبوته عنه نص في محل النزاع ، فلا وجه للنزاع مع ذلك ألبتة .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية التى نحن بصددها يعني : ﴿وَمَاكُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ **الآية** ، بعد أن ساق الأحاديث الكثيرة الدالة على عذرهم بالفترة وامتحانهم يوم القيامة ، راداً على ابن عبد البر تضعيف أحاديث عذرهم وامتحانهم بأن الآخرة دار جزاءٍ لاعمل ، وأن التكليف بدخول النار تكليف بما لايطاق وهو لايمكن ـ مانصه : والجواب عما قال : إن أحاديث هذا الباب منها ماهو صحيح كما نص على ذلك كثير من أئمة العلماءِ ، ومنها ماهو حسن ، ومنها ماهو ضعيف يتقوى بالصحيح والحسن ، وإذا كانت أحاديث الباب الواحد متصلة متعاضدة على هذا النمط ، أفادت الحجة عند الناظر فيها ؛ وأما قوله : إن الدار الآخرة دار جزاءٍ ، فلا شك أنها دار جزاءٍ ، ولاينافي التكليف في عرصاتها قبل دخول الجنة أو النار ، كما حكاه الشيخ ابو الحسن الأشعري عن مذهب أهل السنة والجماعة من امتحان الاطفال ، وقد قال تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾[1] **سورة القلم : ٤٢** . وقد ثبت في الصحيح أن المسلمين يسجدون لله يوم القيامة ، وأن المنافق لايستطيع ذلك ، وكحديث هناد الذي في الصحيحين ، إلى أن قال : وهذا القول الذي حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة والجماعة ، هو الذي نصره الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الاعتقاد ، وكذلك غيره من محققي العلماءِ والحفاظ . ا . هـ كلام ابن كثير بنقل الشيخ في الأضواءِ بتصرف مني في العبارة .

قال : والأمر الثاني : أن الجمع بين الأدلة واجب متى ما أمكن بلا خلاف ، لأن إعمال الدليلين أولى من إلغاءِ أحدهما ، ولا وجه للجمع بين الأدلة إلا هذا القول بالعذر والامتحان ، =

= فمن دخل النار فهو الذي لم يمتثل ماأمر به عند ذلك الامتحان ، وتتفق بذلك الجمع الأدلة . ا . هـ منه .

فالحاصل أن من ثبت أنه من أهل الفترة معذور بفترته في الدنيا ممتحن يوم القيامة ، ولا يعلم من يقتحم النار ممن يمتنع إلا الله وكون العرب الذين ماتوا في الجاهلية أهل فترة ، أمر محجوج من ينازع فيه ، فإن من يقول : إنهم تقوم الحجة عليهم بإنذار الرسل الذين أرسلوا قبله ﷺ ، وقد جزم النووي بذلك ، لاشك ولا خلاف في بطلان قوله لكثرة الآيات القرآنية المصرحة ببطلانه ، لأن مقتضاه أنهم أنذروا على ألسنة بعض الرسل ، والقرآن ينفي هذا نفياً باتاً ؛ قال تعالى في يس : ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ [1] سورة يس : ٦ . وما في هذه الآية نافية على التحقيق بدليل الفاء في قوله : ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ أي لعلة عدم إنذارهم ، وقال تعالى في القصص : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾[2]سورة القصص : ٤٦ . وقال تعالى في سبإ : ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَاأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [3] سورة سبإ : ٤٤ . وقال في سورة السجدة : ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ : ٣ . إلى غير ذلك من الآيات المصرحة بعدم إنذارهم قبل نبينا محمد ﷺ ، فتعين أنهم أهل فترة قطعاً .

والجواب عن الأحاديث الواردة في صحيح مسلم وغيره هو أنها أخبار آحاد ، فيقدم عليها القاطع وهو قوله تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [4] سورة الاسراء : ١٥ . وقوله تعالى :

﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَىٰ﴾[5] . سورة الملك : ٨ ـ ٩ . ونحو ذلك . ولو قلنا أن ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ عام ، والحديثان كلاهما خاص في شخص معين ، وأن من الواجب حمل العام على =

= الخاص ، لأن الخاص يقضي على العام عند الجمهور ، فما أخرجه دليل خاص خرج من العموم ، ومالم يخرجه بقي داخلا في العموم ، فالجواب : إن هذا التخصيص يبطل حكمة العام ؛ لأن الله تعالى تمدح بالإنصاف الكامل ، وإنه لايعذب حتى يقطع حجة المعذب بإنذار الرسل في دار الدنيا ، فلو عذب إنساناً واحداً من غير إنذار لاختلت تلك الحكمة التى تمدح الله بها ، ولثبتت لذلك الإنسان الحجة التى أرسل الله الرسل لقطعها كما بينه بقوله تعالى : ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[٦] سورة النساء : ١٦٥ ، وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ سورة طه : ١٣٥ . كما تقدم إيضاحه . فتعين العذر بالفترة ، وتعين القول بأن أهل الجاهلية الذين ماتوا قبل البعثة من أهل الفترة ، وكما تبين أيضاً أن إطلاق الشارح بقوله : فيكونون في حكم المسلمين ألخ . قول ينقصه التحقيق . وبالله تعالى التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

انظر أضوا البيان ـ الجزء الثالث ـ عند قوله تعالى : ﴿وَمَاكُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾الآية .

القول في نسب عدنان

لَيْسَ لِعَدْنَانَ سِوَىٰ عَكٍّ مَعَدّ
فَلِمَعَدٍّ عِدَّةٌ مِنْهَا يُعَدّ
قَنَصَةٌ وَدَخَلُوا في يَعْرُبِ
جَمِيعُهُمْ غَيْرَ عَمُودِ النَّسَبِ

هذا هو الشروع في أنساب العرب ، لما انتهى [من] الكلام على من تداول الحرم ، والملح التي بعده وماذكر من أخبار البائرة وتذبذب المتذبذبة ، وذكر عمود النسب وذكر بعض الأمهات والذب عن الأجداد ، وذلك كله مرتبط وفيه تمهيد للمهم ، سقط على الأنساب وشرع في عدنان عمود نسب النبي ﷺ لشرفه به ، لأن الجل من المطلوب بهذا النظم ، بل بهذا الفن ، معرفته ﷺ ، ومعرفته تجلب معرفة التوحيد الذي هو أصل الدين ، ثم معرفة الشرائع إذ منبع ذلك كله النبي ﷺ وأصحابه ، فقال : ليس لعدنان سوى عَكّ وقد دخل في يعرب ؛ تزوج امرأةً من الأشعريين فصار منهم والدار واللغة واحدة ، وفي القاموس : عكّ بن عدنان بالمثلثة ، ابن عبد الله بن الأزدي ، وليس أخا معد كما توهمه الجوهري . انتهى .خلافاً للنسابين ؛ وأما معد فله عدة من الولد أي عدة ثلاثة ؛ عمود النسب : نزار وقنص وإياد فدخلوا في يعرب بن قحطان جميعهم ، أي جميع بني معد غير عمود النسب نزار .

وَعْــنِــدَمَــا أَطَــلَّ بَخْــتَنَصَّرَا
عَلَىٰ صَغَارِ الْعُرْبِ خَالِقُ الْوَرَىٰ
أَمَــرَ ارمْــيَــاءَ يَحْمِــلُ مَعَــدْ
عَلَىٰ الْــبُرَاقِ لِيُجَــانِب النَّكَــدْ
وَرَاجَــعَ الْحَــرَمَ مِنْ بَعْــدِ الْجَــلَا
وَأَرْبَــعُــونَ مِنْ بَنِيــهِ الــنُّبَــلَا
شَنُّــوا الْاغَــارَةَ عَلَىٰ الْكَــلِيمِ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَلِــلرّحِــيــمِ
يَضْرَعُ لِلدُّعَــا عَلَيْــهِــمْ فَنَبَــا
دُعَــاؤُهُ مِنْ أَجْــلِ نُورِ الْمُجْتَبَىٰ

أطل على الأمر : أشرف عليه ، وبختنصَّر : الجبار المعروف الذي خرب بيت المقدس ، ومعناه ولد الصنم لأنه لا أَبِ له ، ووجد عند الصنم كعادة أولاد الزنى كصبي المسجد ، فآل أمره إلى أن مسح الأرض وتجبر ، والصغار : الذل ، قال :

هذا وجدكم الصغار بعينه   لاأُم لي إن كان ذاك ولا أب

وأرمياءُ : أحد أنبياءِ بني اسرائيل . والنكد : الشؤم ، والجلاء : البعد ، والنبلا : جمع نبيل أي العقلاء ، وشنّ الإغارة : صبَّها ، والكليم :

موسى ﷺ ، وضرع إليه وله : خضع وذل ، ونبا الدعاءُ والسيف : كلّ ، والمجتبى : المختار ، وهو من أسماءِ النبي ﷺ .

يقول : لما أَشرف بخت نصر على أَن يهين العرب بسبب رؤ يا رآها ، ويأْتي ذكرها إن شاءَ الله تعالى ، أَمر الله تعالى أَرمياءَ عليه السلام أَن يحمل مَعَداً على البراق إلى الشام ، ليغيب عن شؤم بخت نصرّ وإذلاله لأَهل جزيرة العرب ، فكان ذلك السبب في معرفة أَهل الكتاب لأَنساب مَعَد ، فلما أَقلع بخت نصر عن تخريب العرب أَو مات أَو قتله ابنه ، رجع مَعَد إلى الحجاز فسكن الحرم ، ولما بلغ بنوه أَربعين ، وقيل خمسة وعشرون ، أَغاروا على عسكر موسى عليه السلام ، فدعا عليهم فلم يستجب له فيهم إلى ثلاث مرات وهم يغيرون وهو يدعو فقال : يارب ، دعوتك على قوم فلم تجبني . قال : ياموسى دعوتني على قوم فيهم خيرة آخر الزمان .

ورؤ يا بخت نصر التي وعدنا بذكرها هي أَنه رأى في المنام شخصاً رأْسه من ذهب ، وصدره من فضة وفخذاه من نحاس وساقاه من حديد ورجلاه من فخار ، ثم جاءته ريح أَفزعته حتى نسي رؤ ياه ، فجمع علماءَ بني إسرائيل فقال لهم : لتخبرونِّي برؤ ياي وبتعبيرها وإلا لم أُبقِ منكم عيناً تطرف . فأوقعهم في كرب ، وأَجل لهم أَجلاً قريباً ، فلما راحوا إليه اندس إليه أَحدهم فقال : رؤ ياك ليس على وجه الأَرض أَحد يخبرك بها إلا أرميا . فبعث إليه فأَخبره عنها وعن تعبيرها ؛ أَن ملكه هو الفخار وأَن ملك العرب هو الذهب وينسخ ما قبله من ملك ، فانتدب لذلك بخت نصر للعرب يزعم أَنه يبيدهم ، فأَمر الله أَرمياءَ أَن يحمل مَعَداً على البراق إلى الشام ، خوفاً عليه من معرة الجيش ، وهذا الذي ذكره الناظم لايصح ؛ لأَن موسى عليه السلام

هو الأول من أنبياءِ بني اسرائيل ، وأرمياءُ من آخرهم لم يتأخر عنه إلا زكرياء ويحيى وعيسى ، فكيف يعـاصر بنو معد موسى ؟ . لكنه إن كان خطأً فما الناظم أول مخطىءٍ فيه ، وإنما أخذ من أجلة الكتب في هذا الشأن .

وَلِـنَـزَارٍ الصَّرِيحَـانِ مُضَرْ رَبِيعَـةٌ إِيَـادُ أَنْـمَارُ ٱلْأَغَـرْ

الصريح : الخالص من كل شيء يشوبه ، يقال : لبن صريح . وصَرَح محركة وصِرُح بالكسر والضم ونسب كذلك . والأغر : الكريم ، يعني إن نزاراً ولد أربعة أولاد وهم : الصريحان مضر وربيعة ؛ لصراحتهما من نسب غيرهما . وتضرب الأمثال بكثرتهما . قال ﷺ : «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَشْفَعُ فِي مِثْلِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ**» . وقالها أيضاً في أويس القرني ، وإياد : ككتاب ، ابن نزار ، وإنما يقال لمضر : مضر الحمراءُ ، ولربيعة ربيعة الفَرس ، لأن نزاراً لما حضرته الوفاة قسم المال على بنيه ؛ أعطى لمضر القبة الحمراءَ وماشاكلها وسمي مضر الحمراءَ ، وأعطى لربيعة الفرس الدهماءَ وماشاكلها فسمي ربيعةَ الفَرَس ، وأعطى لإياد الخادم الشمطاءَ وماشاكلها ، وأعطى لأنمار البدرة وما شاكلها من الدراهم والأرض ، ثم قال : إن اشتبه عليكم الأمر فعليكم بأفعى الجرهمي .

قصة أولاد نزار مع أفعى الجرهمي

ثم ساروا إلى أفعى ، فلما أتوه قال لهم : أما أنت يامضر فلك القبة الحمراءُ وما شاكلها من الإبل الحمر ونحوها من الذهب وغيره من كل لون أحمر ، وأما أنت ياربيعة فلك الفَرَس الـدهمـاءُ ومـاشـاكلها من العبيد

والسلاح ، وأما أنت يا إياد فلك الجارية الشمطاءُ وماأشبهها من الغنم البرش الماشية البلق ورعائها ، وأما أنت ياأنمار فلك البدرة والمجلس وماأشبهها من الأرض والدراهم . ومما ظهر من ذكائهم أنهم لما نزلوا بأفعى ، أتاهم إنسان يسأل عن ضالة بعير ، فقال أحدهم : بعيرك شرود . قال : نعم . فقال الآخر : بعيرك أزور . قال : نعم ، فقال الثالث : بعيرك أعور . قال : نعم . وقال الرابع : بعيرك أبتر . قال : نعم ، قالوا: مارأينا إلا أثره . فأتى أفعى فقال : إن أضيافك هؤلاءِ أكلوا لي بعيراً فأنصفني منهم . فأتاهم فقال الذي قال أنه شرود : رأيته لايرعى إلا على الأنجاد ، فعلمت أنه شرود . وقال الذي ذكر أنه أعور : رأيته يأكل من جانب الشجرة ويدع الجانب الآخر فعلمت أنه أعور . وقال الذي قال إنه أبتر : رأيته يضع بعره مجتمعاً فعلمت انه لو كان له ذنب لفرق البعر بذنبه ، وقال الذي قال إنه أزور : رأيته إحدى يديه أسيخ في الأرض من غيرها فعلمت أنه أزور . فصدقهم أفعى .

ومنها أنهم لما نزلوا بأفعى دعا صاحب الشراب وقال له : اختر لي من الشراب ماأسقي هؤلاءِ ، فإنهم كرام علي . ودعا صاحب الغنم وقال : اذبح لي سخلة سمينة جداً . واستكمن لهم شخصاً يحفظ له مايقولون ، ومما حفظ عنهم أن قال أحدهم : نِعْمَ الشرابُ لولا أن كَرْمته من [1] عِظام آدمي ، وقال الآخر : نعم اللحم لولا أن شاته غذيت بلبن الكلاب ، وقال آخر نِعْمَ الطعامُ لولا أنه عجنته حائض ، وقال الآخر نِعْمَ الملكُ لو كان لأبيه ، فدعا صاحب الشراب فسأله ، فقال : أمرتني بخير شراب فإذا خيره من كرمة نبتت على قبر ميت ، وقال صاحب الغنم : أسمن شاة في غنمي سخلة

(١) الظاهر ان الصواب : كرمته من عظام آدمي

ماتت أُمها وكانت ترضع كلبة مع أجرائها ، ثم خلا بأُمه وقال لها : اصدُقيني الخبر . فقالت له : يابني رأيت الملك لا يولد له ، فدعوت إنساناً فمكنته من نفسي خوف أن ينقطع عني الملك فأتاهم وقال : ارحلوا عني فإنكم شياطين .

أَمَّـا إِيَـادُ بْنُ نِزَارٍ فَارْتَحَـلْ عَنْ مَكَّـةٍ إِذْ مُضَرٌ بِهَا احْتَفَـلْ

إياد : ككتاب ، واحتفل القوم بالمكان : اجتمعوا ، يعني أن إياد بن نزار كانوا أهل مكة ، وكان يلي أمر البيت منهم رجل يقال له وكيع بن مسلمة ابن زهير بن إياد ، وكان ينطق بكثير من الأخبار . وقد أكثر فيه العلماءُ ، وأكثرهم كان يقول : صدّيق من الصدّيقين . وأول إخراج مضر لهم سببه أن خرج رجل منهم وآخر من مضر يتصيدان ، فمرت بهما أرنب فرماها الإيادي فنـزل سهمـه في قلب المضري فقتله ، فبلغ الخـبر مضر فطلبوا منهم قوَد صاحبهم ، فقـالت إياد : إنـما أخـطأه صاحبنا . فأبوا منهم ، وقالت لهم إياد : أجِّلونـا ثلاثـاً فلن نساكنكم في أرضكم . فأجَّلوه ثلاثاً فظعنوا قبل المشرق ، فلما ساروا يوماً اتبعهم فهم وعدوان فقالوا لهم : ردوا علينا نساءَنا المتزوجات فيكم . وقالوا : لاتقطعوا قرابتنا اعرضوا على النساءِ فأي امرأة اختارت أهلها رددتموها ، وإن أحبت الذهاب مع زوجها أعرضتم لنا عنها . فقالوا : نعم . فأول امرأة اختارت أهلها امرأة من خزاعة . ولما أجمعت إياد الخروج عن مكة حسدوا مضر أن تلي الحجر الأسود ، فحملوه على بعير فبرك ولم يقم ولم يحملوه على شيءٍ إلا سقط ، فبحثوا له تحت شجرة ودفنوه تحتها ، فلما كان بعد يومين فقدت مضر الحجر فعظم في أنفسها ، وقالت الخزاعية لأهلهـا حين رأت مشقة ذلك على مضر : خذوا عليهم أن يولوكم حجابة

البيت وأدلكم على الحجر . فأخذوا عليهم فوليتها خزاعة . انتهى من الزاخر .

وَبِـالْعِـرَاقِ اسْتَـلّ بِالْإِيجَافِ أَكْتَافَهُمْ سَابُورُ ذُو الْأَكْتَافِ

العراق : بلاد معروفة من عبدان إلى الموصل طولاً ، ومن القادسية إلى حلوان عرضاً ، سميت بذلك لتراشح أعراق النخل والأشجار فيها ، أو لأنها على عراق دجلة والفرات ، أي شاطئها . وفتحت في زمن عمر على إمارة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما ، وبنى فيها البصرة والكوفة ويقال لهما العراقان ، ثم في زمن بني العباس بنى فيها المنصور بغداد ؛ وهي مدينة السلام ، ويقال لها بغداد العراق ، كما يقال : دمشق الشام وصنعاءُ اليمن ، قال :

أقـام ببغـداد العـراق وشـوقُـه لأهـل دمشق الشـام شوقٌ مبرّح

وهي دار مملكة بني العباس كما أن دمشق دار مملكة بني أمية ؛ روي أن المأمون دخل مصر مع عبد الملك بن صالح بن علي فقال : قبح الله فرعون حيث يقول : أليس لي ملك مصر ؟ . فكيف لو رأى العراق ؟ ! . فقال له عبد الملك بن صالح : مهلاً ياأمير المؤمنين ، فرعون قال ذلك حين قال الله تعالى : ﴿وَدَمَّرْنَا مَاكَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾[1] . فما ظنك بشيءٍ كان في تدمير الله منذ ذلك الحين إلى الآن ؟ . واستل : انتزع ، والإيجاف : الإسراع بالسير ، وسابور : ملك الفرس من الأكاسرة المتقدمين ، معرب شاه بور ومعناه ابن الملك ، لأن شاه : الملك في لغتهم ، وبور الإبن . قال السهيلي في جبريل واسرافيل : الإيل : العبد ، وقبله اسم الجلالة . ومعناه

(١) سورة الاعراف : ١٣٧

عبد الله وعبد الرحمن لأن العبد [لفظ] واحد وأسماءُ الله متعددة ، والعجم يقدمون المضاف إليه على المضاف .

قصة شاه بور

قال : وسبب تسمية الملك بهذا الاسم شاه بور ؛ أن ملك الفرس حارب ملكاً آخر فهزمه ، وحلف أن لايترك أحداً من أهل بيته إلا قتله رجلاً كان أو امرأة ، فظفر بجوار فأعجبته إحداهن فسألها فقالت : من جواري الملك . مستعيذة بذلك منه ، فأخذها لنفسه ، ثم بعد ذلك لما علمت بمكانتها عنده أخبرته أنها ابنة الملك ، فدعا بوزير له ناصح وقال له : أودع هذه بطن الأرض . فذهب بها الوزير فإذا هي حامل من الملك ، فحفر لها مكاناً في الأرض وجعلها فيه وأحسن غذاءَها ، ولم يذهب بها إلى الملك حتى خصى نفسه وجعل خصيتيه في حُقّ ، وجعل الحُقّ في خرقة وأتى بها الملك فقال : هذه وديعة لي عندك أيها الملك . ثم بعد ذلك لما أسن الملك دخل عليه يوماً فوجده واجماً فقال : أيها الملك ماذا الذي أرى عليك اليوم ؟ . فقال : طعنت في السن وعسى أن يكون قرب موتي ، وليس في صلبي من يلي الملك بعدي . فقال : أيها الملك هل من وديعة عندك ؟ . قال : هي هذه . قال : علي بها . فأحضرها وفتح الحُقَّ عن خصيتيه وقال : أيها الملك لما أمرتني أن أودع المرأة بطن الأرض ، نظرت فإذا هي حامل من الملك ، ولم أقدر على قتل ابنه ، ولم أقدر على عصيان الملك ، فحفرت لها حفرة في الأرض وخصيت نفسي خوفاً من تهمة الملك ، حتى إذا وضعت غلاماً شبيها بالملك أحسنت تربيته فإذا هو مع الغلمان ، إن أمر الملك أحضرته له ، فأحضره فسرَّ به . فأمر ذات يوم الغلمان أن يلعبوا بالكرة عند الملك ،

فدخلت كرتهم من ورائـه ، فهـابت الغلمان الـدخول عليها ، فدخل هو وأخـذها ، فأخذه الملك وجعل يقبله ويقول : شاه بورشاه بور . أي ابن الملك . انتهى .

يقول : لما سكن إياد العراق ـ بعد أن فارقوا مضر بمكة ـ بعد ذلك أخـبر أهل الكتاب سابور ملك الفرس أن سيخرج من العرب نبيّ يكون استئصال الفرس منه فقال : أستأصلهم أنا قبل ذلك . فغزاهم وبدأ بإياد ، وكان جباراً يأخذ الرجل فيخرج كتفيه ، ولم ينج منهم إلا من هرب وهو قليل .

وَجَدَ ذُو الْأَكْتَافِ عَمْرَو بَنَ تَمِيمْ
لِكِـبَرٍ فِي الـرَّبْـعِ مُلْقى كَالرَّمِيمْ
فاسْتَنْـطَقَ الْمَلِكُ عَمْـراً فَنَهَـاهْ
عَنْ قَتْـلِ قَوْمِهِ وَمَا فِيهِمْ عَصَاهْ

الرميم : البالي . الملقى : المتروك في الدار ، وهذا فيه يقول : لما فعل سابور بإياد مافعل ، قصد مضر يريدهم بما فعل بإياد ، وكان الذي يليهم تميم فهربوا منه وتركوا عمرو بن تميم ، وجعلوه في قبة وعلّقوها بشجرة ، فبات الجيش بديارهم ، فلما أصبح عمرو أحس بأطراف الجيش ، فصاح بهم فأتوه فحملوه إلى سابـور ، فاستنطقه وسأله عن أهله وعن أخبارهم ثم قال له : مالك وللعرب ؟! فقال أريد أن أستأصلهم ؛ أخبرني أهل العلم أن سيخرج منهم نبيٌّ يستأصل الفرس ، فقال له عمرو لعلهم كذبوك . فقال : واقع

ذلك لامحالة . فقال عمرو : وهو إما أن يكون كذباً فلا ينبغي لك الظلم ، وإما أن يكون حقاً فأولى لك أن تترك فيهم اليد ولاتترك فيهم مايغريهم بك ويحرضهم عليك إذ ذاك ، فقال : صدقت . وآذن بالرجوع من مكانه ، وأمر أن يوصل عمرو أهله ، فعاش عمرو بعد ذلك كثيراً . وهذا معنى نهي عمرو للملك عن قومه تميم أو مضر ولم يعصه فيهم .

كَعْـبُ بْنُ مَامَـةَ الْجَـوادُ مِنْهُـمُ
كَذَا ابْـنُ أَلْـغَـزَ وَقُسُّ الْمُـسْـلِمُ

يعني إن من إياد كعب بن مامة الجواد المشهور بالجود من أجواد العرب في الجاهلية الثلاثة وهم : كعب بن مامة وهرم بن سنان وحاتم بن عبد الله ابن الحشرج الطائي ، وهو الذي يعني جرير بقوله :

فما كعبُ بن مامـةَ وابنُ سعـدى بأجـودَ منـك ياعمـرَ الجـوادا

ومن جوده أنه كان في سفر ومعه رفيق ، فاقتسما ماءً عندهما ، فطلب منه الرفيق حظه من الماءِ فآثره به ، وهو في غاية العطش ، فلما أشرف على الماءِ مات كعب عطشاً وفيه قيل :

مر ابـن مامـة كعـب ثم عيَّ به روا المـنـيـة إلَّا جرة وقـدا
أوفى على المـاءِ كعب ثم قيـل له رِدْ كعـبُ إنـك وارد ومـا وردا

قس بن ساعدة الأيادي

وهكذا منهم الحارث أو عروة بن أَلْغز - على اختلاف في اسمه - وهو المشهور بعظم الأير ، ويقال إنه إذا أنعظ احتكت الفصلان بأيره ، وبها

تفتخر إياد [تقول] : منا أجود الناس وهو كعب بن مامة ، وأنكح الناس وهو ابن ألغز ، وأشعر الناس وهو أبو داود ، وكذلك منهم قُسّ بن ساعدة بالضم . وقوله : المسلم ، قال فيه النبي ﷺ : «**يرْحَمُ الله قُسّاً إنِّي لأَرْجُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يُبْعَثَ أُمّةً وَحْدَهُ**» . وفيه من الأحاديث غير ذلك الدالة على إسلامه ، وكان يضرب به المثل في البلاغة والخطابة ، وهو أول من أظهر التوحيد بمكة مع ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل ، ولما قدم وفد إياد على النبي ﷺ قال : «**ما فَعَلَ قُسُّ بْنُ سَاعِدَة**» ؟ . قالوا : هلك يا رسول الله . قال : «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ بِسُوقِ عُكَاظٍ يَخْطُبُ النَّاسَ عَلَىٰ جَمَلٍ أَحْمَرَ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَعُوا مَنْ عَاشَ مَاتَ وَمَنْ مَاتَ فَاتَ وَكُلّ مَاهُوَ آتٍ آتٍ ، لَيْلٌ دَاجٍ وَنَهَارٌ سَاجٍ وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ . وَنُجُومٌ تُزْهَرُ وَبِحَارٌ تُزْخَرُ ، وَجِبَالٌ مُرْسَاة ، وَأَرْضٌ مُدْحَاةٌ وَأَنْهَارٌ مُفَجَّرَاتٌ ، إِنَّ فِي السَّمَاءِ لَخَبَراً وَفِي الأَرْضِ لَعِبَراً ، مَابَالُ النَّاسِ يَذْهَبُونَ وَلاَ يَرْجِعُونَ ؟ . أَرَضُوا بِالْمُقَامِ فَأَقَامُوا أَمْ تُرِكُوا فَنَامُوا ؟ . يُقْسِمُ قُسُّ قَسَماً حَقّاً لاَ إِثْمَ فِيهِ ؛ إِنَّ لله دِيناً هُوَ أَرْضَىٰ لَكُمْ وَأَفْضَلُ مِنْ دِينِكُمُ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ مُنْكَراً وَيَنْشُدُ شِعْراً لاَ أَرْوِيهِ**» . **قال أبو بكر أنا أرويه :**

في الذاهبين الأولين ... من القرون لنا بصائر

لما رأيت موارداً ... للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومي نحوها ... تمضي الأكابر والأصاغر

لايرجع الماضي إلي ... ولا مِن الباقين غابر

أيقنت أني لامحا ... لة حيث صار القوم صائر

قال النبي ﷺ : « يُعْـرَضُ هٰذَا الْقَـوْلُ يَوْمَ الْقِيَـامَـةِ عَلَىٰ قُسِّ ابْنِ سَاعِدَةَ فَإِنْ كَانَ قَالَهُ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » . انتهى من القلقشندي .

لقيط بن معمر الايادي وامرأة كسرى

ومن إياد لقيط بن معمر الإيادي وكان من فتيان العرب وكان ينادم كسرى فعشقته امرأته فدعته إلى نفسها فامتنع ، ولم تزل به إلى أن أطاعها ، وبلغت من حبه إلى أن أمرت المصورين أن يصوروا لها صورته ، وكان ينكحها باركة ، ثم اطلع كسرى على أمرها فقتل لقيطاً والمرأة ، ولما أحس لقيط بالقتل وعلم أن كسرى يغزو قومه كتب لهم قصيدته الطويلة التي أولها :

يادار عبلة من محلتها الجرعا ... قد هجت لي الهمَّ والأحزان والجزعا
تامت فؤادي بذات الحاذ خرعبة ... قامت تريد بذات العذبة البيعا
لقد جررت لنا حبل الشموس فلا ... يأساً أبينه منكم ولا طمعا
إني بعينيَّ إذ أمَّت حمولهم ... بطن السلوطح لاينظرن من تبعا

ومنها قوله ينذرهم كسرى :

ألا تخافون قوماً لاأبا لكم ... أمْسوا إليكم كأمثال الدَّبا سرعا
فقلِّدوا أمركم لله دركم ... رحبَ الذراع بأمر الحرب مطلعا

وكتب إليهم أيضاً في الصحيفة : سلام من لقيط إلى من بالجزيرة من إياد ، بأن الليث آتيكم سريعاً ، فلا يشغلكم سوق النقاد .

وَلِـرَبِيعَـةَ عَدِيـدُ الـطَّيْسِ ... مِنْ نَسْـلِ قَاسِطٍ وَعَبْـدِ قَيْسِ

الطيس : دقاق الترب ، أو خلق كثير النسل كالذباب والنمل والهوام والعدد الكثير قال :

عددت قومي كعديد الطيس ... إذ ذهب القوم الكرام ليسي

يقول : ولربيعة بن نزار عدد حصى التراب من الذراري وكلهم من نسل رجلين قاسط وعبد قيس .

كِلَاهُمَـا مِنْ أَسَـدِ ابْنِـهِ وَمِنْ
نَمِـرِ قَاسِطٍ صُهَـيْبِ الْمُـبِـنْ
بِصُـفَّـةِ الْمَسْجِـدِ فِي أَضْيَـافِ
نَبِـيِّـنِـا وَعَـنْـهُ لَا يُجَافِي

المبن : أي المقيم ، قال [الشاعر] :

أبـن به عود المـبـاءة طيـب　　نسيم البنـان في الكنـاس المظلل

وصُفَّة المسجد : موضع منه مظلل فقط ليسكنه فقراءُ المهاجرين الذين في ضيافة النبي ﷺ . ولايجافي : أي لايزال أي لايفارقه ، لما قال الكفار : لانجالسك ومعك هؤلاءِ الأعبد والضعفاءُ ، ونخاف أن يرانا معك أشراف العـرب . فنزلت : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾[1] . وكان يقوم عنهم لحاجته وحاجة غيره فنزلت : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُـونَ رَبَّهُمْ﴾[2] . يقـول كلا قاسط وعبد قيس من أسد بن ربيعة ؛ أما قاسط فابن هنب بن أفصى ابن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة . وأما عبد قيس فابن أفصى بن دعمى ، وقاسط أبو النمر بن قاسط أبو القبيلة ، الذين منهم صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه ، الذي لم يزل مقيمًا بصفة مسجد النبي ﷺ في أضيافه ، ولايحيده عن النبي ﷺ قول الكفرة . ونسب

---

(١) سورة الانعام : ٥٢

(٢) سورة الكهف : ٢٨

إلى الروم لأنهم سبوه وهو صغير فلما بلغ هرب ، وقيل : إن كلباً ابتاعوه وبيع بمكة ثم[1] أعتق وأسلم هو وعمار بن ياسر في يوم واحد بعد بضع وثلاثين رجلاً ، ولما أراد الهجرة قالت له قريش : أتيتنا وأنت عبد فأعتقناك ، وكثر مالك عندنا فأردت أن تفارقنا ؟ . فقال لهم : أترضون مني بواحدة ؟ . قالوا ماهي ؟ . قال : أعطيكم مالي وتخلّون سبيلي . قالوا نعم ، فلما رآه ﷺ قال : «**رَبِحَ الْبَيْعُ أَبا يَحْيى**» . وكان شديد الحمرة ، وهو إلى القصر أقرب . وقال فيه ﷺ : «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْم الآخِر فَلْيُحْبِبْ صُهَيْباً**» . وقال ﷺ : «**صُهَيْبٌ سَابِقُ الرُّوم وَسَلْمَانُ سَابِقُ فَارِسَ وَبِلَالٌ سَابِقُ الْحَبَشَةِ**» وقال فيه : «**نِعْمَ الْعَبْدُ صُهَيْبٌ لَوْ لَمْ يَخَفِ الله لَمْ يَعْصِهِ**» وأوصى له عمر بالصلاة عليه وبالصلاة بالمسلمين في ليالي الشورى الثلاث حتى يتفقوا ، وكان ذا فضل وورع وحسن خلق ودعابة .

دعابة النبي ﷺ لصهيب

قال : جئت النبي ﷺ وقد نزل بقباء ، وبين أيديهم رطب وتمر وأنا أرمد فأكلت ، فقال : «**أتأكُلُ وَأَنْتَ أَرْمَدُ عَلَىٰ عَيْنَيْكَ ؟**» فقال : آكل من شق عيني السالمة . فضحك ﷺ حتى بدت نواجذه . مات في شوال سنة ثمان وثلاثين وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ودفن بالبقيع .

ومن النمر بن قاسط أيضاً بنو تيم اللات بن النمر ، منهم الضحيان ، واسمه عامر بن مسعود وسمي الضحيان لأنه يجلس لقومه ضحى فيقضي بينهم ، ومن ولد أخيه عوف بن سعد بن القرية المشهور بالبلاغة ، قال له الحجاج يوماً : ماتقول في خطبتي ؟ . قال : إنك لتكثر الرد وتشير باليد

---

(١) الصواب أن يقول : ثم عَتَقَ انظر القاموس .

وتستعين بأما بعد ، ومن النمر أيضاً الكيس النسابة ، ومنهم العباد بالكسر ، أوهم من عبد القيس ؛ وهم عبد كلال وعبد ياليل . ومنهم أي ومن العباد عدي بن زيد قاتل النعمان بن المنذر .

بِوَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ أَخْبَرَ النَّبي وَإذْ أتَىٰ أَتْحَفَهُمْ بِمَرْحَبِ

وَمِنْهُمُ الْجَارُودُ جَرَّدَ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَمَا بِهِمْ مُنِي

أتحفه : أكرمه ، والجارود : الأكثر في اسمه بشر بن عمرو ، ولقب بالجاورد لأنه أغار على بني بكر بن وائل في الجاهلية ، فجردهم من الإبل . وفي ذلك يقول الفضل العبدي :

ودسناهمُ بالخيل من كل جانب كما جرد الجارود بكر بنَ وائل

وقيل لأنه فر بإبله من الجرب إلى أخواله بني شيبان ، فغشي الداءُ في إبلهم فأهلكها ، ومني بكذا كعُني : ابتلي به ؛ ومن عادته [أي الناظم] أنه إذا كانت للقبيلة خصلة محمودة أو قصة مستطرفة بدأ ذكر القبيلة بها ، يقول : بينما النبي ﷺ وأصحابه يوماً إذا [هو يقول] لهم : «**سَيَطْلَعُ عَلَيْكُمْ مِنْ هٰذَا الْوَجْهِ ركْبٌ هُمْ خيرُ أَهْلِ الْمَشْرِق**» . فما برحوا حتى قدم عليهم وفد عبد القيس ، فقال لهم النبي ﷺ : «**مَرْحَباً بالْوَفْدِ غيْرِ خزَايَا وَلاَنَدَامَىٰ**» ، وقوله : ومنهم ، أي من الوفد باعتبار أفراده لأنه فيه ، أو من عبد القيس لأنه منهم ، وقال حين أسلم :

شهــدت بأَن الله حقٌّ وســامحــت
بنــات فؤادي بالـشهــادة والنهضِ
فأَبــلغْ رســولَ الله عني رســالــةً
بأَني حنيفٌ حيثـما كنت في الأَرضِ

قتل رضي الله عنه بنهاوند وقبره بعقبة الجارود ، وكانت قبله تعرف بعقبة الطين ، وهو صاحب حديث ضالة الإبل ، قال : يارسول الله ، إن بيننا وأَهلنا ضوالّ الإبل أَفنصل عليها ونتزود منها إلى أَهلنا ؟ . أَو كما قال ، فقال ﷺ : «**مَالَكَ وَلَهَا؟**» الحديث .

ومن هذا الوفد أَشجُّ عبد القيس ، وهو من بني عصر ـ قبيلة من بني عبد القيس ـ واسمه المنذر بن عائذ ، قال له النبي ﷺ : «**ياأَشَجُّ إِنَّ فِيكَ خِصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا الله وَرَسُولُهُ ؛ الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ**» فقال : شيءٌ من قبل نفسي ، أَم شيءٌ جبلني الله عليه ؟ قال : « **شَيْءٌ جَبَلَكَ الله عَلَيْـهِ**» وهـذا الوفد أَربعة عشر ، وترحب النبي ﷺ بهم ؛ أَخذ منه العلماءُ استحباب الترحيب بالقادم دون غيره .

وَمَــرَّ وَائِــلُ بْنُ قاسِطٍ عَلَىٰ
وَادِ الـسِّبَــاعِ فِيــهِ أُمُّهُمْ وَلَا
أَحَــدَ إِلَّا هِيَ فَاهْــتَــمَّ بِهَا
فَهَــدَّدَتْــهُ بِسِبَــاعِ شِعْــبِهَــا

فَهَــتَــفَــتْ بِكُــلِّ ذِي نَابٍ فَما
لَبِـثَ أَنْ جَاءَ بَنُــوهَــا الْعُــظَمَا

وائـل : [هـو] ابن قاسط أبو الحيين بكر وتغلب المشهورين بحرب البسوس ، ووادي السباع : هذا أول ماسمي به غير هذا ثم اشتهر بعد ذلك بهذا ، وأمهم أي السباع [هي] أسماءُ بنت دريم . والسباع [هم] أولاد برة ابن حلوان بن عمـران بن إلحـاف بن قضـاعـة، واهتم بها : راودها عن نفسهـا ، والشعب : مصب الماءِ في الوادي ، وهتفت : صاحت . [هنا] ابتدأ ذكر وائل بقصة أبيهم مع هذه المرأة ؛ ففي القاموس وادي بطريق الرقة مربه وائل بن قاسط على أسماءَ بنت دريم ، فهمّ بها حين رآها منفردة في الخباءِ فقـالت : والله لئن هممت بي لأدعونّ سباعي . فقال : ماأرى في الوادي غيرك . فصاحت ببنيها : ياكلب ، ياذئب ، يافهد ، يادب ، ياسرحان ، ياسبع ، ياضبع ، يانمر . فجاؤ وا يتعادون بالسيوف فقال : ماأرى هذا إلا وادي السباع . وهرب ، فسمي وادي السباع .

وَهِــنْــدُ بِنْــتُ مُرٍّ امُّ حَارِثَــهْ
شُخَــيْــصِــهِ وَأُمُّ عَنْــزٍ ثَالِــثَــهْ
وَبَــرَّةُ اخْــتُــهَــا عَلَيْهَــا خَلَفَــا
كِنَــانَــةُ خُزَيْــمَــةً وَضُــعِّــفَــا
أُخْــتُــهُــمَا عَاتِكَــةُ وَنَــسْــلُهَــا
عُذْرَةُ أَلَّــلائي الْهَــوَىٰ يَقْتُلُهَــا

يعني أَن ثلاثة من أَولاد وائل أَمهم هند بنت مر بن أَدّ بن طابخة ، أُخت تميم بن مر وهما : الحارث وشخيص بالتصغير وهذان دخلا في تميم ، وعنز ودخلوا في تغلب ولكن بقي لهم ذكر وانتساب ، منهم سيدنا عامر بن ربيعة العنزي حليف آل الخطاب بن نفيل وخصوصاً عمر ، [وهو] من أَول من أَسلم ثم هاجر إِلى الحبشة في الإِثني عشر الأَولين ، هاجروا الهجرة الأَولى إِلى الحبشة .

وأَول من هاجر إِلى المدينة مع زوجه ليلى ، وتكنى أُم كلثوم بنت أَبي حنتمة العدوية ، وهي أَول ظعينة دخلت الى المدينة مهاجرة ، وهو أَيضاً من سرية عبد الله بن جحش و (ممن) شهد بدراً ، واستشهد ابنه عبد الله الأَكبر يوم الشدخة بالطائف وبه كان يكنى ، ولما نشب الناس في الطعن على عثمان أُتي في المنام فقيل له : قم فاسأَل الله أَن ينقذك من هذه الفتنة التي أَنقذ منها عباده الصالحين ، فقام ودعا ، فاشتكى وتوفي بعدما قتل عثمان بأَيام .

ويحكى أَن وائلاً كان كلما ولد له ولد ، أَولُ ماوقعت عليه عينه يسميه به ، فحين ولد له الحارث رأَى إِنساناً بيده آلة حرث فسماه حارثاً ، فلما ولد له شخيص رأى شخصاً فسماه شخيصاً ، ولما ولد له عنز رأى عنزاً فسماه عنزاً ، ولما ولد له بكر رأَى بكراً من الإِبل فسماه بكرا ، ولما ولد له تغلب رأَى إِنسانين يتغالبان فسماه تغلب .

وقوله وبرة . . أَلخ : أَي أُخت هند هذه . خلف ـ بتخفيف اللام ـ عليها كنانةُ خزيمةَ : أَي تزوجها بعده وإِنما حرم في شرعنا بقوله تعالى : ﴿وَلَاتَنْكِحُوا مَانَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [1] . وأَمَّا خلَّف بتشديد

---

(1) سورة النساء : ٢٢

اللام فالفاعل هو الأول وإن لم يرده ؛ فخزيمة خلَّف كنانة على برة ، وكنانة خلف ـ بتخفيف اللام ـ خزيمةً عليها ولكن ضعفه السهيلي ، وقوله : أُختها عاتكة . . الخ : يعني إن أُخت هند وبرة ابنتي مر بن أُدّ بن طابخة تزوجها سعد بن هذيم من قضاعة ، فولدت له عذرة وهم نسلها اللائي أي الذين يقتلهم الهوى ، وسئل أَعرابي منهم : لم يقتلكم العشق ؟ . فقال : رقة في القلوب وعفّة في الأَبدان . وسيأْتي إن شاءَ الله بعض خبرهم في الكلام عليهم .

وَأَبْنَاءُ تَغْلِبَ وَبَكْرٍ قَامَا
عَلَىٰ الشِّقَاقِ أَرْبَعِينَ عَامَا
أَنْ غَالَ جَسّاسُ كُلَيْبَ التَّغْلِبي
لِقَتْلِهِ نَاقَةَ خَالَةِ الأَبِي

الشقاق : الخلاف والعداوة ، وغال : أَهلك ، وجساس : ككتان ، ابن مرة بن ذهل بن شيبان ؛ فتى بني بكر . وكليب : هو ابن ربيعة الذي يضرب به المثل بعزّ حماه ، يقال : أَعز من حمى كليب . كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى ماحمى . ويقول : وحش كذا وكذا في جواري فلا يهاج ، ولايورد أَحد مع إبله ، ولا توقد نار مع ناره ، ولا يحتبى في مجلسه ولا يتكلم إلا بإذنه وأَمره ، وفي ذلك يقول مهلهل بعد قتله :

نُبئْتُ أن النار بعدك أُوقدت
واستبَّ بعدك ياكليبُ المجالس

وتحــاكــمــوا في أمــر كل عظيـمــة

لو كنـت حاضر أمــرهــا لم ينـبســوا

وكان قاده إلى ذلك انقياد معدّ إليه ، واجتماعهم على تسويده حتى دخله بذلك زهو شديد فبغى على قومه ، وكان إذا مرّ بمرعى ألقى فيه جرواً يعوي ، فحيث بلغ صوته لايُرعى ، ومر يوماًبقبّرة ـ وهي طائر صغير ـ قد باضت ، فلما رأته صرصرت وخفقت بجناحيها فقال لها : أمن روعك ؟ . أنت في ذمتي . ثم أنشأ يقول :

يالــك من قبرة في معــمــر خلا لك الجـو فبيضي واصفـري

ونقّري ماشئت أن تنقري

فما جسر صاحب بعير أن يدخل ذلك المرعى .

حرب البسوس

وكانت لجساس جارة ، خالة له من بني سعد تسمى البسوس ، وكانت لها ناقة ، فندّت يوماً ودخلت إبل كليب ورعت يوما فيها ، فأتى كليب بيض القنبرة فوجد بيضة مكسورة وطئها بعير وقال : مايتجاسر على حماي إلا هذه النـاقة . فرماها في ضرعها ، فجاءَت إلى ربتها وضرعها يشخب دماً ولبناً فصاحت وصرخت : واذلاّه ! . فقال لها جساس : اسكتي ، فوالله ليقتلنّ غداً جملٌ هو أعظم قتلاً من ناقتك ؛ يعني كليباً ، فزعم بعض تغلب أنه يريد جملاً لكليب يقال له عُليان ، فقال : دون قتل عُليان خرط القتاد ، ثم انتجع الحيّان فرحلوا فمروا بغدير يقال له شبيث ، فحماه كليب ، ثم مروا بالأحصّ فحماه كليب كذلك ، ثم نزلوا بالذنائب فخرج جساس فوجد كليباً واقفا على غدير الذنائب منفرداً فقال : ماحملك اليوم على ماحملتنا من العطش ؟ منعتنا

من ماءِ كذا وماءِ كذا ، فقال : ذلك ماءُ حميته . فقال : ماحملك على ناقة جارتي ؟ . فقال : لو وجدتها في إبل غير إبل مرة لاستحللت تلك الإبل . فحمل عليه جساس فطعنه فاستقاه ماءً فقال : جاوزت الأَحصَّ والشبيث ولم تشرب . ثم أَجهز عليه ، ثم انتهى إلى أَهله فقالت أُخته : إن لجسَّاس لخبراً ؛ قد جاءَ خارجة ركبتاه وماخرجتا إلا لأَمر عظيم ، فقال له أَبوه : ماوراءَك يافتى ؟ . فقال : ورائي أَني طعنت طعنة تشتغل بها شيوخ وائل زمناً ، فقال : أَقتلت كليباً؟ ! . قال نعم ! قال : وددت أَنك وإخوتك مُتُّم قبل هذا مابي إلَّا أَن كان مني ماتكره بنو وائل . ثم نظر جسَّاس إلى أَخيه نضلة فقال :

فإني قد جنيت عليك حرباً   تغص الشيخ بالماءِ القراح

قراح : كسحاب الماءُ الخالص الذي لايشوبه شيءُ ، والأَرض التي لاماء فيها ولا شجر ا . هـ . القاموس .

مذكرةً متى يصح منها   فتى شبّت لآخر غير صاح

فأَجابه قائلًا :

فإن تكُ قد جنيت عليّ حرباً   فلا وانٍ ولا رثّ السلاح

ثم جاءَت أَمة لآل مرة هماماً وهو ينادم مهلهلاً وكان مصادقاً له ، وكانا متعاهدين أَن لايكتم أَحدهما شيئاً عن صاحبه ، فأَسرت الأَمة إلى همام : قتل جساس كليباً . فقال مهلهل : ماتقول لك الأَمة ؟ . فلم يخبره ، فذكر له العهد فقال : أُخبرت أَن أَخي قتل أَخاك . فقال : أُستُ أُمِّ أَخيك أَضيق من ذلك . فسكت همام وأَقبل على الشرب ، فجعل همام يشرب شرب الخائف ومهلهل يشرب شرب الآمن إلى أَن صرعت الخمر مهلهلاً ، فانسل همام فأَتى قومه وقد قوّضوا الأَبنية وجمعوا الخيل والنعم ، فرحلوا ورحل معهم

قومهم ، وظهر أمر قتل كليب وأفاق مهلهل وصحح الخبر ، واجتمعت إليه وجوه قومه فقال : لاتعجلوا على إخوتكم حتى تعذروا بينكم وبينهم . فانطلق رهط من أشرافهم حتى أتوا مرة بن ذهل فعظموا مابينهم وبينه قالوا : اختر منا خصالاً . اما أن تدفع إلينا جساساً فنقتله ، وإما أن تقيدنا من نفسك ، واما أن تدفع إلينا هماماً نقتله . وقد حضرته وجوه بكر فقالوا : تكلم غير مخذول . فقال : أما جساس فإنه غلام حدث السن ، ركب وهرب ولاعلم لنا به ، وأما أخوه همام فأبو عشرة وأخو عشرة ، ولو دفعته إليكم لتصيح بنوه في وجهي وقالوا : دفعت أبانا في ترة غيره . وأما أنا فلا أتعجل الموت ، وهل تزيد الخيل على أن تجول جولة فأكون أول قتيل ؟ . ولكن هل لكم في غير ذلك ؟ ؛ دونكم بَنِيّ فخذوا أحدكم بنفسه في رقبته فاقتلوه ، وإن شئتم فلكم ألف ناقة . فغضبوا وقالوا : إنا لم نأتك لترذل لنا بنيك أو لتسومنا الإبل . فتفرقوا وقام مهلهل فشمر للحرب ، وبدأ بالقتال بين الفريقين ،وعظم في بني بكر فاجتمعوا إلى الحارث بن عُبادٍ ـ كغراب ـ وكان قد اعتزل الحرب وقال : لا ناقة لي بها ولا جمل . فذهبت مثلاً ، فقالوا : قد فني قومك . فأرسل ابنه بجيراً ، وقيل ابن أخته ، إلى مهلهل . وقال له بجير : إن أبي يقرئك السلام ، ويقول لك : قد علمت أني اعتزلت عن قومي لأنهم ظلموك ، وخلّيتك وإياهم وقد أدركت ثأرك وقتلت . فأتى بجير مهلهلاً وهو في قومه فقال له بجير : يقرئك الحارث بن عُباد السلام . فأنحى نحوه الرمح ، فقال له امرؤ القيس وهو ابن أخته : يامهلهل إن أهل بيت هذا قد اعتزلوا الحرب ، ولئن قتل ليقتلن به رجل لايسأل عن خاله . فلم يلتفت مهلهل إلى قوله فقتله وقال له : بُؤْ بشِسْع نعل كليب . فقال الغلام : إن رضيت بهذا بنو بكر . فلما بلغ الحارث قتله قال : نعم القتيل

قتيل أَصلح الله به بين ابني وائل وحقن دماءَهم . فقالوا له : إِن مهلهلاً قال له : بؤْ بشسع نعل كليب . فغضب ونهض للقتال وعظمت الحرب وقال : ردوا عليّ فرسي ، وكانت قارحاً ، فجزَّ ناصيتها وقال : أَردها جذعة . فسارت مثلاً . وقال قصيدته التي كرر فيها : قَرِّبَا مربط النَّعَامةِ منِّي - في ثلاثين بيتاً أَولها :

قرِّبا مَرْبطَ النعامةِ مني ... لَقِحَتْ حربُ وائلٍ عن حيال
قرّبا مَرْبطَ النعامة مني ... إِن بيع الحرِّ بالشِّسْع غالي
لم أَكن من جُناتها علم الله ... وإِني لحرها اليوم صالي

وحلف الحارث لايسالمهم حتى تكلمه موتاهم تحت الأَرض ، فكانت الحرب بينهم خمسة أَيام من أَيام العرب العظام منها يوم عنيزة ومنها يوم التحلاق ؛ حلق البكريون رؤوسهم علامة لهم وقال فتى منهم : أَشتري منكم لِمَّتي بأَن أَقتل منهم حين أَلقاهم أَشدهم عليكم . فتركوها فلما الْتقى الفريقان قتل صاحبه ، ثم قتله بنو بكر غلطاً فيه . ومنها يوم البسوس ويوم واردات ويوم الذنائب وقال مهلهل في ذلك :

أَليلتنا بذي حسم أَنيري ... إِذا أَنت انقضيت فلا تحوري

وفيها يقول :

فإِن يك بالذنائب طال ليلي ... فقد أَبكي من الليل القصير
فلو نبش المقابرُ عن كليب ... فيخبر بالذنائب أَي زير

وكان كليب يقول له : أَنت زير نساءٍ ؛ يعاتبه بذلك

وإِني قد تركت بواردات ... بجيراً في دم مثل البعير
هتكت به بيوت بني عُبادٍ ... وبعض القتل أَشفى للصدور

على أَن ليس عدلاً من كليب — إذا ماضيم جيران المجير
على أَن ليس عدلاً من كليب — إذا اضطرب العضاهُ من الدبور
على أَن ليس عدلاً من كليب — إذا برزت مخبأَة الخدور
على أَن ليس عدلاً من كليب — إذا اعْلَنَّتْ جَلِيَّاتُ الأُمور
على أَن ليس عدلاً من كليب — إذا خيف المخوف من الثغور
على أَن ليس عدلاً من كليب — غداة بلابل الأَمر الكبير

وهي طويلة ، وفي هذه الحروب قتل همام بن مرة وفيه يقول مهلهل :

وهمام بن مرة قد تركنا — عليه القشعمين من النسور
ينوءُ بصدره والرمح فيه — ويخلجه خِذَبٌّ كالبعير

وأَسر الحارث بن عباد مهلهلاً ، وحلف لايشرب حتى يرد فحل للحارث ، وكان الفحل يرعى في أَرض فيها الحلاب ؛ وهي شجرة إِذا رعتها الإِبل صبرت عن الماءِ ، فلما كاد مهلهل يموت عطشاً أَرسلت بنو بكر من يأْتي بالفحل قبل ظمئه ، فما شرب المهلهل حتى أَتوا بالفحل قبل ظمئه ، وكان تحت كليب جليلة بنت مرة أُخت جساس ، وله منها بنت اسمها بديلة ولها يقول مهلهل في قصيدته :

فلا وأَبي جليلة ماأَفانا — من النعم المآبل من بعير
ولاكنا هتكنا القوم ضرباً — على الأَثباج منهم والصدور
وتسأَلني بديلة عن أَبيها — ولم تعلم بديلة ماضميري

وخالة جساس اسمها البسوس بنت منقذ بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، والأَبّي : جساس لأَنه يأْبى الضيم .

وَوَضَــحُ يَسْــتُرُهُ بِرُكْــبَــتِــهْ

أَبْــرَزَهُ نَجــاؤُهُ مِنْ فَتْــكَــتِــهْ

وَأُمُّــهُ هَائِــلَةٌ ذَاتُ المَــثَــلْ

إِحْسَــانــاً اوْ إِسَــاءَةً قَدِ احْتَمَــلْ

الوضح : البرص : وأبرزه : أظهره . والنَّجاءُ : التخلص . والفتكة : من فتك به إذا انتهز منه فرصة فقتله .

ام جساس هائلة بنت منقذ ولم سميت بهذا الاسم

وهائلة : بنت منقذ بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وسميت بهائلة لهذه القصة حتى أُغفل اسمها الأول ؛ وقصتها أن ضيفاً لها وجدها جاعلة فم جرابها في جراب له ، وكلا الجرابين فيه دقيق ، فقال : ماتصنعين ؟! فقالت : أُهيل لك . فقال : محسنة فهيلي . فصارت مثلاً يضرب لمن يؤمر بالفعل السيىءِ ، على سبيل الاستهزاءِ ، لأَن الضيف يزعم أَنه وجدها تسرق من زاده في جرابها ، فلما رأَته جعلت تهيل في جرابه . وقوله : محسنة فهيلي ؛ يحتمل أَنه على ظاهره ويحتمل أَنه هازىء بها .

وابْنُ كُلَيْبٍ هِجْرِسُ الأَنْفَاس

فِي صَدْرِ زَوْجِــهِ عَلَىٰ جَسَّــاسِ

وَالِــدِ زَوْجِــهِ وَخَــالِــهِ عَدَا

وَبَعْــدَهُ ابْنَــا وَائِــلٍ مَا اجْتَلَدَا

وَغُـلِبَـتْ تَغْـلِبُ حَتَّـى كَلَّمُــوا
في الأَرْضِ حَارِثـاً عَسَـاهُ يَرْحَمُ

الهجرس كزبرج : اسم ابن كليب ، أمه جليلة بنت مرة ، والهجرس[1] كلمة يذم بها. قال أسيد بن حضير لعامر بن الطفيل وأربد بن قيس ، لما أغلظا الكلام للنبي ﷺ : أخرجا أيها الهجرسان . وأصله للدب والقرد ونحوهما ، وإضافته للأنفاس من إضافة الموصوف إلى الصفة ، نحو عمر الفتوح وزيد الخيل . أي هجرس ذو الأنفاس ، وعلى جساس متعلق بعَدَا في البيت الثاني ، وابنا وائل بكر وتغلب . واجتلدا : تضاربا أي اقتتلا ، ومعنى الأبيات السبعة ؛ أن بكراً وتغلب ابني وائل بن قاسط ، مكثا على الحرب أربعين سنة من أجل قتل جساس بن مرة كليباً بن ربيعة ؛ لأجل قتله ناقة البسوس خالة جساس ، الأبي عن الضيم ، ولما قتله وهرب من أجل قتله له ، بدا برص بركبته كان يستره حتى رأته أخته فعرفت أنه مابرز إلا لشر ، وأم جساس هائلة التي ورد فيها المثل المحتمل الإساءة والإحسان ، وآخر الحروب بينهم أن عدا ـ أي وثب ـ الهجرس بن كليب على جساس فطعنه بالرمح فقتله ، وكان رباه إلى أن أدرك فزوجه ابنته فكان خاله وصهره على ابنته ، فلما علم بالخبر ؛ أن خاله جساساً وأبا زوجته هو قاتل أبيه ، أسرج فرسه وربطه قريباً ، وبات كئيباً لم يدخل على زوجته ولم يكلم أحداً ، إلى أن

---

(١) الهجرس : الثعلب . والذي في مغازى الواقدي أن أسيداً قال ذلك ليلة الأحزاب لعيينة بن حصن الفزاري ؛ وجده مادّاً رجله في المجلس إلى رسول الله فقال : أمسك إليك رجلك ياعين الهجرس . انظره . ا . هـ .

كان في بعض الليل دخل عليها وتنفس بين ثدييها ، فنفط محل نفسه منها فخرجت مسرعة إلى أَبيها فأَخبرته وقالت : والله لقد وجدت حرارة نفسه من بين كتفي ، فقال : ثائر وربِّ الكعبة ، فلما أَصبح جساس جمع قومه . وبعثوا إليه فأَتاهم على فرسه في سلاحه ، فتكلم له جساس وقال : هذا أَمر كان فيه ماكان ومات فيه فلان وفلان ، فأَمهله حتى أَتم كلامه ثم قال : وفرسي وأُذنيه وسرجي وركابيه ، وسيفي وغراريه ورمحي وزجّيه لايسلم الرجل قاتل أَبيه وهو ينظر إليه . ورماه بالرمح ولحق بأَهله . وهو آخر قتيل بينهم ، بعد أَن غلبت تغلب وبـرّوا قسم الحارث بن عباد ؛ بأَن حفروا سرباً في الأَرض ، وجعلوا فيه رجلاً وقالوا : إذا مر بك الحارث فأَنشده :

أَبـا منذر أَفنيت فاستبْقِ بعضَنا　　　حنانيْك بعضُ الشرِّ أَهون من بعض

ولما اعتـزل الحارث الحروب عرَّض به سعد بن مالك بن قيس بن ثعلبة ، جد طرفة بن العبد ، فقال :

يابـؤس للحـرب الـتي　　　وضعت أَراهط فاستراحـوا
والحـرب لا يبقـى لحا　　　جمهـا التـخيـل والمـراح
إلا الـفتـى الـصبـار في　　　النجـدات والفـرس الوقاح
من صدَّ عن نيرانها　　　فأَنـا ابـن قيسٍ لابـراح

فلما انتهت الحـرب قال له الحـارث : أَترانا ممن وضعته الحرب ؟ . قال : لا ، ولكن لاعطر بعد عروس , فأَرسلها مثلاً .

عَمْـرَو بْنَ كَلْثُـوم وَالاَخْـطَلَ انْسُبِ

إلى الأَراقِـمِ وُجُـوهِ تَغْـلِبِ

يعني أن من الأراقم ، وهم قبائل من تغلب : جُشم بن بكر ومالك ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وعمرو بن كلثوم والأخطل واسمه غياث بن الغوث بن الصلت ، وكلثوم [هو] ابن مالك بن عتاب ، وأم عمرو هي ليلى بنت مهلهل بن ربيعة ، ولما ولدت أمر مهلهل أمها أن تئدها ، فغيبتها . فلما نام هتف به هاتف يقول :

كم من فتىً مؤمَّلِ وسيّدٍ شَمَرْذَلِ
وعدّة لاتُجهلِ في بطن بنت مهلهل

فاستيقظ فقال : ياهند أين ابنتي ؟ . قالت : قتلتها ، فقال : كلا وإله ربيعة ـ فكان أول من حلف بها ـ فاصدقيني . فاصدقيني . فأخبرته . فقال : أحسني غذاءَها . وتزوجها كلثوم فلما حملت بعمرو قالت : أتاني آتٍ في المنام فقال :

يالك من أم ولد يُقدم إقدام الأسد
من جشم فيه العدد أَقول قولاً لافند

فولد عمرو بن كلثوم . فلما أتت عليه سنة أتاني ذلك الآتي في ليل وأشار إلى الصبي فقال :

أَتى زعيم لك أُمَّ عمرو بماجد الجدّ كريم النَّجْر
أشجع من ذي لُبَّة هزبر يسودهم في خمسة وعشر

فكان كما قال .

مقتل عمرو بن هند

وعاش مائة وخمسين عاماً ، وهو قاتل عمرو بن هند ؛ فقد قال يوماً : هل في العرب من تأنف أُمه عن خدمة أُمي ؟! . فقيل له : لا ، أَبيت اللعن ، لولا أُم عمرو بن كلثوم . فبعث إليه أَن يأْتيه بأُمه ؛ أُنادمك وتنادم أُمي أُمك . وتلطف له إلى أَن وفد عليه ، فقال عمرو بن هند لأُمه : احتالي في أَن تخدمك أُم عمرو بن كلثوم ، فآوتها إليها وأَكرمتها ، ثم دعت بماشطة تمشط لها رأْسها فسرحته ثم قالت لليلى : إيتني بكذا . فقالت : لتقُم صاحبة الحاجة إلى حاجتها . فلطمتها هند فصاحت ليلى وقالت : واذُلَّاه لأُمك ياعمرو . وكان مع عمرو بن هند ، فأَخذ السيف وأَبان به رأْسه ولحق بأَهله مع أُمه ، وفي ذلك يقول قصيدته

أَلا هبّي بصحنك فاصبحِينا ... ولا تبقي خمورَ الأَنْدَرِينا
مُشَعْشِعةً كأَنّ الحُصّ فيها ... إذا ماالماءُ خالطها سَخِينا

إلى أَن قال

بأَي مشيئةٍ عمرُو بنَ هند ... تطيعُ بنا الوشاةَ وتزدرينا
فإنّ قناتنا ياعمرُو عيَّت ... على الأَعداءِ قبلك أَن تلينا
ألخ . .

وهي قصيدة طويلة من قصائد العرب المستحسنة ، يذكر فيها شجاعته وكرمه ويذكر فيها أَيضاً حرب بني وائل ، وهي التي يعني جرير بقوله :

أَلهى بني وائل عن كل مكرمة ... قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

وأما الأَخطل : فسمي بذلك لكبر أُذنيه . يقال شاة خطلاءُ إذا كانت عريضة الأُذنين . وقيل لأَنه لقي كعب بن جعيل وهو غلام فقال كعب :

كَوجه ذا الغلام غب لحمه

فقال الأَخطل :

وناك كعب بن جعيل أُمه

فقال كعب قبحك : الله ماأَخطلك في كلامك .

وخطل الكلام : كثيره الفاسد ، وكان الأَخطل نصرانياً وهو من طبقات الإسلاميين المتقدمين على غيرهم كجرير والفرزدق وذي الرمة . قال أَبو عبيدة : كان أَبو عمرو يشبّه جريراً بالأَعشى ، والفرزدق بزهير والأَخطل بالنابغة ، ودخل يوماً على عبد الملك فقال : أَراك تكثر من ذكر الخمر في شعرك ونثرك ، إن أَولها مرار وآخرها خمار . فقال:ياأَمير المؤمنين إن بينهما ساعة لاأَبيعها بملكك . وأَنشد :

إذا مانديمي علَّني ثم علَّني ... ثلاث زجاجاتٍ لهنّ هديرُ
عقارٌ كعين الدّيك صافٍ كأنه ... لُعابُ جرادٍ في الفلاة يطيرُ
خرجت أَجرُّ الذيلَ تيهاً كأَنني ... عليك أَميرَ المؤمنين أَمير

يعني : انْسُبْ عمرو بن كلثوم والأَخطل إلى الأراقم من بني تغلب ، وتقدم ذكر الأَراقم وهم وجوه تغلب ، وإياهم يعني عمرو بن كلثوم بقوله :

برأْس من بني جشم بن بكر الخ

أَي بني بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب ، لا بكر بن وائل . ومن الأَراقم أَيضا عمير بن شيهم القطامي ولقب به لقوله :

يصكُّهنّ جانباً فجانبا
صك القطاميّ القطا القواربا

والقطامي : الصقر ؛ من القطم وهو شهوة الجماع وشهوة اللحم . والقطامي بالفتح والضم وهو صريع الغواني ، لقب به لقوله :

صريعُ غوانٍ راقهنَّ ورقنَه
لَدُنْ شبَّ حتى شاب سودُ الذوائب

بنو حمدان من تغلب

وَسَيْفُ دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ
إِلَى بَنِي حَمْدَانِهَا الأَكْيَاسِ

وسيف الدولة علي بن الهيجاءِ بن حمَدان بن حمدون بن الحارث بن لقمانْ بن راشد . والضمير في حمدانها يعود إلى تغلب ، والأكياس : جمع كيِّس ـ كجيد ـ وهو الظريف ، وجمع أكيس للعاقل الجواد . يعني وانسب إلى تغلب سيف الدولة ؛ أي دولة بني العباس وهو من بني حمدان ، ويقال لهم قريش تغلب . ثم وصفهم بالكيس وهو العقل والجود . وسمي سيف الدولة لإفادته لهم وحمايته لدولتهم ، وهو في زمن المكتفي بالله ، ولاه على الشام وحلب ، وله يقول المتنبي أحمد بن الحسين :

حلبٌ قصدناها وأنت فتاها ، ودار ملكه منبج بفتح الميم وكسر الباء وآخره جيم ، وله يقول :

بِمَنْبِجِ مَثواهُ ونائِلهُ في الأُفْق يسأل عمن غيْرهُ سألا

وأكثر مدائحه فيه . وله يقول :

فأَنت أَبــو الهيجــا بنُ حمدان ابنـه
تشــابــه مولــودٌ كريــم ووالــدُ

فحمــدان حمدونٌ وحمـدون حارثٌ
وحــارثُ لقــمانٌ ولـقــمان راشــدُ

أُولئـك أنيــابُ الخــلافــة كلِّهــا
وســائــر أَمــلاك . . .[1] روائــدُ

مات بمنبج من عسر البول في انسلاخ المائة الرابعة .

نسب بني حنيفة

وَمِـنْ بَكْــر بنــو حَنِـيفَــهْ　　بن لُجَيْمٍ فِئَــةٌ سَخِـيفَــهْ

ولُجيم : بالجيم على المشهـور ، تصغـير لجم - كصُردٍ لدويبة وقيل بالحاءِ ، وهو ابن مصعب بن علي بن بكر بن وائل وهو [أي لجيم] أَبو حنيفة وعجلٍ ، والفئة : الطائفة.والسخيفة : من سخافة العقل ، وهي دناءَته ، يعني أَن من بني بكر بن وائل بني حنيفة بن لُجَيْم .

بنو حنيفة بن لجيم

وهم فئة حمقاءُ لتصديقهم مسيلمة الكذاب أَخاهم ، مع مايشاهدون من كذبه وشؤمه وركاكة ترهاته ، التي يدعي لهم أَنها قرآن

---

(١) نقص هنا في الأَصل

سخافة مايسمى قرآن مسيلمة وشؤمه

كقوله ، لعنه الله :

والطاحنات طحناً إلى آخرها ـ فُضَّ فوه ـ والفيل ما الفيل ، مع ما أودعه من الكـذب ؛ وياضفـدع بنت ضفدعين ، ومن شؤمه أنه تفل لقومه في بئر يريدون التبرك بريقه ، فملح ماؤها حتى لاينتفع به ، ومسح على رأس صبي فقرع قرعاً فاحشاً ، ومسح على عيني رجل يستشفي بمسحه فابيضتّ عيناه ، وأتاه رجل فقال : يانبي الله ، إن لي مالاً كثيراً ولي ابنان أُحب أَن تدعو لهما فيرثا مالي . فقال : سأدعو لك حتى يطول عمرك ويعيشا بعدك كثيراً . فدعا له ، فذهب إلى أهله فوجد أحدهما قد سقط في البئر ومات والثاني أكله الـذئب ، وقالت امرأته : والله مادعاءُ محمد كدعاءِ مسيلمة . ومن فحشه وشؤمه أنه وضع عنهم القرآن ، وأحل لهم الزنا وشرب الخمر ، وأمهر سجاح بصلاتي العشاءِ والصبح ، وهو مع هذا يشهد لرسول الله ﷺ بالنبوة ؛ لأنه جاءَ مع وفـد بني حنيفـة إلى النبي ﷺ ، فلما رجعـوا إلى أهلهم ادعى أن النبي ﷺ أشركه في الأمر ، فصدقوه إلا القليل ، فبعث إليه النبي ﷺ حبيب ابن زيد بن عاصم ـ أمـه نسيبـة المبايعة بنت كعب ـ فأخذه وقطعه عضواً عضواً ، كلما قطع عضواً سأله : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ . فيقول : نعم . ثم يقـول : أتشهـد أني رسول الله ؟ . فيقول : أنا أصمُّ . فيقطع عضواً حتى قتله ، فقتل مسيلمةَ أخو حبيب ؛ [وهو] عبد الله بن زيد مع وحشي بن حرب . وفي ذلك يقول :

ألم تر أنّي ووحـشـيـهـم   قتـلنـا مسـيـلمـة المفـتـتن

وسألني الناس عن قتله فقلت : ضربتُ وهذا طعن ، ولم يكن على المسلمين أشدبلاءً من بني حنيفة ، حتى قيل أنهم المراد بقوله تعالى : ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[1] الآية . وهم أيضاً المراد بقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً﴾[2] الآية . ويسمى أبو بكر أمير الشاكرين لأنهم المعنيون بقوله تعالى : ﴿وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾[3] الآية .

ومن بني حنيفة هوْذة بن علي ، ويقال له ذو التاج لأنه ملك اليمامة ، ملَّكه عليها كسرى ويمدحه الأعشى بقصيدة أولها :

إلى هوذة الوهاب أعملت ناقتي أُرجّي عطاءً فاضلاً من عطائكا

وكتب إليه النبي ﷺ مع سليط بن عمرو يدعوه إلى الإسلام ، فضن بملكه ولم يسلم ، أعاذنا الله من البلاءِ ، وقال : إن أعطاني محمد شيئاً من الأرض أتبعه : فقال ﷺ : «لَوْ سَأَلَنِي سَيَابَةً مَاأَعْطَيْتُهَا لَهُ» وكان عالماً بصفات رسول الله ﷺ قرأها في الكتب ، وقال حين قرأ كتاب رسول الله ﷺ :

أتاني سليط والحوادث جمة فقلت له ماذا يقول سليط

من قصيدة ذكرناها في آخر شرح الغزوات .

وَمِنْ حَنِيفَةَ أَبُو ثُمَامَهْ وَابْنُ أُثَالٍ سَيِّدُ الْيَمَامَهْ

(١) سورة الفتح : ١٦

(٢) سورة آل عمران : ١٤٤

(٣) سورة آل عمران : ١٤٤

يعني إن من بني حنيفة بن لجيم أبا ثمامة ، كنية اللعين مسيلمة الكذاب ، ومنهم أيضاً سيدنا ثمامة بن أثال الصحابي رضي الله عنه ، وقوله : سيد اليمامة بالكرم وقِدم الصحبة . وهو القائل لمسيلمة حين ادعى النبوة :

مسيلمـةُ ارجـع ولم تمحـكِ ... إنـك في الأمـر لم تشرك

في أبيات ينهاه عن دعواه النبوة ويكذبه ويهجوه . وتبعه ألف من بني حنيفة لأنه سيدهم ، وهم أهل اليمامة وهي مدينة شرقي مكة بالتوسط ، وعلى ست عشرة مرحلة من البصرة وكذلك من الكوفة ، وبها تنبأ مسيلمة الكذاب وبنى فيها حديقته التي سماها حديقة الرحمن ، فدخلوا فيها لما انهزمت جيوشهم ، فاقتحمها عليهم الأنصار والمهاجرون حتى قتلوه وقتل فيها منهم كثير ، ويقال إن أول من اقتحمها عليهم أبو دجانة وعباد بن بشر والبراءُ بن مالك ، وكانت اليمامة اسمها جو ، فلما استأصل تبّع جديساً أخذ زرقاءَ اليمامة ، وتقدم بعض الكلام عليها في خبر طسم وجديس ، فسألها عن سبب حدة بصرها فقالت : أكتحل كل يوم بالإثمد . فسمل عينيها فإذا عروقها سود ، وصلبها على باب جو اليمامة فسميت بها ، قال عمرو بن كلثوم :

فأعـرضت اليـمامـة واشمخـرَّت ... كأسيـاف بأيـدي مصْلِتينـا

ثُمَامَـةٌ عَلَىٰ قُرَيْشٍ هَجَـما
مُلَبِّيـاً وَالْمَيْـرَ إِذْ ذَاكَ حَمى

اسلام ثمامة بن أثال رضي الله عنه

ثمامة : هو ابن أثال سيد اليمامة المتقدم ذكره ، وهجم عليهم : دخل عليهم بغتة بلا إذن . وملبياً : قائلاً لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ في حج أو عمرة . والمير : الطعام المجلوب . والميرة : بالكسر جلب الطعام . وحمى الشيءَ : منعه ، يعني أن ثمامة بن أثال رضي الله عنه هو أول من دخل مكة ملبياً ؛ هجم على قريش بالتلبية ، والحال أنه إذ ذاك منعهم من أن يمتاروا من اليمامة حتى يسلموا عن آخرهم ؛ وذلك أنه لما أسلم قدم على قريش فقالوا له : أصبأت ياثمامة وتركت دين آبائك ؟ . فقال : لاأدري ماتقولون ، ولكن لايصل إليكم شيءٌ من اليمامة حتى تتبعوا محمداً ﷺ عن آخركم ، وسبب إسلامه أنه أخذته سرية النبي ﷺ إلى القرط ـ وهم بنو قَرَط وقَريط وقُرَيْط ـ بنو أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، أتت به السرية إلى النبي ﷺ ولم يعرفوه ، فقال لهم النبي ﷺ : «أَتَعْرِفُونَ أَسِيرَكُمْ؟» قالوا : لا . قال : «هُوَ ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالَ وَاسْتَوْصُوا بِهِ خَيْراً» وكانوا يأتونه مساءً بجفنة ثريد فيأكلها وصباحاً كذلك ، وفي الغنائم لقحةً تملأ العس يحلبونها له فيشربها . وكان النبي ﷺ يغدو عليه ويقول : «مَاعِنْدَكَ يَاثُمَامَةُ ؟ » وأتاه يوماً فقال : «مَاعِنْدَكَ يَاثُمَامَةُ ؟ » فقال : إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تمنن تمنن على شاكر ، وإن تسأل المال تُعط منه ماشئت . ثم أتاه يوماً آخر فأعاد عليه المقالة فأسلم ، وأمره أن يغتسل وقال : «اللّهُمَّ إِنَّ أَكْلَةً مِنْ لَحْمِ جَزُورٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ دَمِ ثُمَامَةَ» . فقال : يارسول الله ، أخذتني سريتك وأنا معتمر ، أفأتم عمرتي؟ . فقال : «نَعَمْ إِنْ شِئْتَ» . فلماأسلم أتوه بجفنة فأكل منها قليلاً ،

وأتــوا بلبــن الــلقــحــة فكــذلــك ، فقــال لهم الــنــبــي ﷺ : «أَتَــعْــجَــبُــونَ مِنْ رَجُــلٍ أَكَــلَ بِالْأَمْسِ وَهُــوَ كَافِــرٌ فِي سَبْــعَــةِ أَمْعَــاءٍ فَأَسْلَمَ وَأَكَــلَ فِي مِعىً وَاحِــدٍ» ؟ . أو كما قال ﷺ ، وقيل ورد هذا الحديث في غيره . انتهى بمعناه من عيون الأثر والروض الأُنف وغيرهما .

نسب بني عجل بن لجيم

وَابْنُ أَبيــهِ عِجْــلُ الَّــذي رَنَتْ
حَذَامِ أُمُّــهُ الْقَــطَا فَفَــطِنَــتْ
بِأَنْ أَثَــارَهُ الْــبَــيَــاتُ وَأَبُــو
دُلَــفٍ الــنِّــدْبُ إِلَــيْــهِــمْ يُنْسَبُ

رنت : من الرنو كالدنو وهو إدامة النظر بسكون الطرف يتعدى بإلى . يقال : رنا إليه وعداه إلى القطا بحذف الخافض ، أو بإشعار الفعل معنى أبصر أي أبصرت القطا ، وحذامِ : على وزن قطامِ مبني على الكسر .

وابْــنِ على الــكسر فَعَــالِ عَلَمَا مؤنــث .. .. ألــخ

وهي [حَذَامِ] بنت حسن بن تميم العذرية ، زوج لجيم بن صعب بن علي بن بكــر بن وائل . والقطا : معروف وفيه المثل : أهدى من القطا . ويقال : أنسب من قطاة ؛ لأنها في طيرانها في الليل تقول : قطا ، قطا ، وبــذلــك سميت وهي أكثر الــطيور وروداً في كلام العــرب ؛ يسمون بها ويشبهون بها . واسم ذكرها القطامي وبه سمي عمرو بن شهيم لقوله :

يصــكــهــن جانــبــاً فجــانــبــا صكَّ القــطامي القــطا القــواربــا

أثاره : أنهضه وأطاره ، والبيات : أي أهل البيات ، أي العدو البائت . يريد تصبيح القوم بالغارة ، وأبو دلف : الجواد المشهور ، والندب : الظريف ، يقول : ومن بني بكر أيضاً ابن أبي حنيفة وهو لجيم كما مر ، وابنه عجل بن لجيم ، وأمه حَذامِ العذرية ؛ التي يقول فيها زوجها لُجيم :

إذا قالت حَذامِ فصدِّ قوها فإن القول ماقالت حذامِ

ذلك أنها مر عليها القطا ليلاً ففطنت له ، فإذا هو غير وارد ولا ثائر لشيءٍ في ذلك الوقت ، فقالت لزوجها : قم الآن فارتحل ، فقال : ولَمِ ؟ . قالت : لو ترك القطا ليلاً لنام ـ وأرسلتها مثلاً ـ والله ماأثارهذا القطا إلا العدو مُبيّتكم . فذكر زوجها ذلك للحي فلم يعبئوا به ، فارتحل هو ذلك الوقت . وصبح الجيش الحي وسلم هو ومن معه ، فقال : إذا قالت حذام البيت وصار مثلاً . وأبو دلف هو القاسم بن محمد العجلي ؛ من أُمراءِ بني العباس [كان] مشهوراً بالجود ومدحه الشعراء كثيراً ، وممن مدحه أبو تمام ، ومن مدحه له قصيدته التي منها :

ماتــت همومــي عني حين قلت لها
حسـبي أبــو دلـفٍ حسـبي به وكفىٰ

ومن جوده وحلمه أنه وفد عليه شاعر تميمي فلما دخل عليه قال له : من أنت ؟ قال : من تميم . فأنشد أبو دلف :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولـو سلكت سبـل المكارمِ ضلَّتِ

فقـال التميمي : بتلك الهـداية أتيتـك ، فخجل أبو دلف وأحسن جائزته . ومما قيل فيه :

إنــما الــدنــيــا أَبــو دُلــف بين باديــه ومُحْــتَضَرهْ
فإذا ولَّى أَبــو دلــف ولّــت الــدنــيــا على أَثْــرهْ

وقبيلته من عجل ؛ بنو دلف بن جشم بن قيس منهم عمير بن المعتجر والأَغلب بن جعشم المعمّر القائل :

طول الـليــالي أَسرعت في نقضي بنــقض كلي ثم نقض بعضي

[وهمـا] صحـابيان وصحب غيرهمـا من بني عجـل ؛ أَبوسفيان بن الحارث ومعت بن بشر العجلي وجماعة أُخرى من الصحابة . انتهى من حلة السيرى . بعضه ومنهم أَبو النجم الشاعر المشهور ذكره الذهبي في الصحابة .

وَدغَــةُ أُمُّ بني الْجَــعْــرَاءِ بَلْعَنْـبَرَ بْنِ عَمْـرٍو الْغَـوْغَاءِ

يقـول : ومن بني عجـل دغـة بنت منعج ـ بفتح الدال وقيدها ابن خلكان بكسرها ـ وهي أُم بلعنبر بن عمرو بن تميم . ويقال لبنيه ؛ بلعنبر بنو الجعراءِ لأَن أُمهم دغة لما ضربها المخاض ظنت أَنها تريد الخلاءَ ، فبرزت في بعض الغيطان فولدت وانصرفت تقدر أَنها تغوطت ، فقالت لضرتها : ياهنتـاه ، هل يفتـح الجعـر فاه ؟ . قالت : نعم ، ويدعو أَباه . فمضت ضرتها وأَخذت الولد ، ولذا سمي بلعنبر بنو الجعراءِ ، والغوغاءُ : الضعاف وأَصله شيءُ كالبعــوض لايقــدر على العض لضعفــه فشبــه به ضعـاف الناس . ا هـ . من القاموس .

وَلِـعُكَّــابَــةَ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلي

سَليــلِ بَكْــرِ بْنِ وَائِـلِ الْعَـلي

ثَعْلَبَـةٌ وَتَحْتَـهُ الْـبَرْشَـاءُ
أُخْـتُ بَني تَغْـلِبَ وَالْجَـذْمَـاءُ

نسب تيم الله بن ثعلبة بن عكابة

يعني أَن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، تحته البرشاءُ واسمهارَقاش ِ بنت الحارث بن عتيك بن غنم بن ثعلبة التغلبية ، وتحته أَيضاً الجذماءُ وهي أَسماءُ بنت حل بن عدي بن الرئاب من بني بكر ، ومعنى العكـابـة الـدخان ، ومعنى البرشاءُ أَنها رمتها ضرتها بنار فأَحرقتها فبرشت فسميت البرشاءُ . ووثبت هي عليها فقطعت يدها فسميت الجذماءُ والجذم : القطع والأَجذم مقطوع اليد ، قال عنترة :

وتـرى الـذبـابَ بها يغنّي وحده ... هزجـاً كفعـل الشـارب المـترنم
غرداً يســنُّ ذراعــه بذراعــه ... فعـل المكب على الـزنـاد الأَجذم

فَأَوْلَـدَ الْجَـذْمَـاءَ تَيْـمَ الله
وَذَاتَ الأَنْـحَـاءِ لِذِي الْعِضَـاهِ

وتيم الله معنـاه عبـد الله . ومنـه تيَّمـه الحب أَي أَعبـده وذلله ، والأَنحاءُ : جمع نَحْيٍ لزق السمن . وذات الأَنحاءِ : أَي ذات النحيين . وجمع مراعاة للقول بأَن أَقل الجميع اثنان ، أَو لأَن العرب ربما تجمع المثنى كقول مطرود الكعبي :

وهـاشم في ضريـح عنـد بلقعـة تسفي الـرياح عليه وسط غزات

قصته رضي الله عنه مع ذات النحيين

واسمها [أي ذات النحيين] خولة بنت عدي ، والعضاهُ : أعظم الشجر عبر به عن القبيلة ، يريد أنها بالنسبة إلى القبائل كالعضاه بالنسبة إلى سائر الأشجار ، ولم يذكر منها إلا هذه المرأة المشتهرة بقصتها مع خوّات بن جبير رضي الله عنه ؛ وذلك أنها قدمت في الجاهلية تعرض نحيين لها على السـوق ، وكـانت ذات منـظر فأمهلهـا خوات حتى انصرفت بهما فلحقها وقـال : هات أجرب نحييك لأشتري منهما . فحلّ أحدهما فذاقه وقال : امسكي حتى أجرب الآخر . فحله وذاقه فقال : أمسكي فأمسكته بيدها [الأخرى] . فلما اشتغلت يداها بالنحيين أقبل عليها حتى قضى منها وطره ، فكان فيهما المثلان : أشغل من ذات النحيين ، وأغلم من خوات ، وفي ذلك يقول رضي الله عنه :

وذات عيـال واثـقـين بعـقـلهـا خلجتُ لها جار استهـا خلجـات
فشـدت على النحيـين كفّـاً ضنينة وأعجلتهـا والفتك من فعلاتي الخ

يعني [الناظم] أن ثعلبة بن عكابة له من امرأته الجذماءِ تيم الله بن ثعلبـة ، أبـو القبيلة العظيمة التي منها ذات النحيين ، ومنها أيضاً عكرمة الفياض الذي فيه يقول الشاعر :

إذا بهشت ربيعـة للمعـالي فعكـرمـة بن ربعيّ فتـاها

ومنهم عبيد الله بن زياد بن ظبيان ، الذي قتل مصعب بن الزبير ، فأتى عبـد الملك برأسه فسجد عبد الملك شكراً ، وكان عبيد الله يقول :

ماندمت على شيءٍ ندمي على أني لم أقتل عبد الملك حين خر ساجداً ؛ لأكون قتلت ملكي العرب في يوم واحد .

نسب بني شيبان

وَمِنْ بَنِي الْبَرْشَاءِ شَيْبَان الْأُولَى
بِذُهْلِهِمْ غَصَّتْ سَبَاسِبُ الْفَلَا

الأُ لى : الذين ، وغصت : امتلأت وضاقت . والسباسب جمع سبسب للأرض المستوية البعيدة . والفلا : من إضافة الشيءِ إلى نفسه على مذهب الكوفيين في تجويزهم ذلك إذا اختلف اللفظان . يقول : ومن أولاد ثعلبة من البرشاءِ ؛ شيبان الذين كثروا حتى غمرت بهم الأرض

مِنْهَا الْمُثَنَّى الْفَارِسُ الْهُمَامُ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ الْإِمَامُ

أي من شيبان المثنى بن حارثة الصحابي المشهور بالفروسية والبطولة ، أمره خالد ابن الوليد على جيوش العراق ، حين بعث إليه أبو بكر أن يسير إلى الشام ، قيل إنه بعث أن يؤمر مكانه المثنى ، ولم يزل يجاهد الفرس ويبلي البلاءَ الحسن إلى أن استشهد من جراحات أصابته يوم جسر أبي عبيدة وقيل يوم البويب ، فتزوج سعد بن أبي وقاص زوجته ، وكانت معه يوماً وقد أقعدته عن القتال قروح به ، وهما ينظران إلى الناس يقتتلون ، فقالت : وامثناه . فاعترت الغيرة سعداً فلطمها وقال : هل المثنى إلا رجل من المسلمين يقاتل في سبيل الله ؟ .

النفر الأربعة من شيبان
وحكايتهم مع النبي ﷺ

وهو من الرهط الأربعة الذين طلب منهم النبي ﷺ النصرة قبل الهجرة بمكة ، حين كان يتعرض للوفود والقبائل يطلب منهم النصرة على قريش ، وهم : هانىء بن قبيصة ، ومفروق بن عمرو والمثنى هذا والنعمان بن شريك ومعه أبو بكر وعلي ؛ فأبو بكر يعرفه ويخبره بساداتهم فقال : هؤلاءِ غرر في قومهم . فلما دعاهم كان كل يجيبه بكلام ويحيل على صاحبه إلى أن بلغت النوبة إلى المثنى ، وهو أصغرهم وله ذؤابة ، فقالوا ، وهذا المثنى وهو فارسنا وصاحب حربنا . ثم قالوا له : نرى إن تركنا ديننا واتبعناك على دينك ، لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر ، زلة في الرأي وقلة في النظر في العاقبة ، وإنما الزلة مع العجلة . ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقداً فإن أحببت أن ننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا ، وقد أنزلنا قومنا بين صيري اليمامة العراق . فقال ﷺ : **«مَاهٰذَانِ الصيران»** ؟ . قالوا : مياه مايلي العراق لكسرى ومايلي اليمامة للعرب . أما ما للعرب فلا نبالي به ، وأما ما لكسرى فلا طاقة لنا به . فقال ﷺ : **«مَاأَسَأْتُمْ في الرَّدِّ إِذْ أَفْصَحْتُمْ بِالصِّدْقِ وَإِنَّ دِينَ اللهِ لَنْ يَنْصُرَهُ إِلَّا مَنْ أَحَاطَ بِجَمِيعِ جَوَانِبِهِ . أَرَأَيْتُمْ إِنْ لَمْ تَلْبَثُوا إِلَّا قَلِيلاً حَتَّىٰ يُوَرِّثَكُمُ اللهُ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَيُفْرِشَكُمْ نِسَاءَهُمْ تُسَبِّحُونَ اللهَ وَتُقَدِّسُونَهُ»** . فقال له النعمان ابن شَريك : اللهم لك ذلك . فلما انصرفوا قال رسول الله ﷺ :

«يَـاأَبَـابَكْـرِ وَيَـاعَـلِّي ، أيـة أَخْـلَاقٍ فِي الْجَـاهِلِيَّـةِ - مَا أَشْرَفَهَـا - بِهَا يَدْفَـعُ اللهُ بَأْسَ بَعْـضِـهِـمْ عَنْ بَعْضٍ ، وَبِهَـا يَتَحَـاوَرُونَ فِيـمَا بَيْنَهُمْ» وأسلم هؤلاءِ بعد ذلك ، أما المثنى فقدم في قومه وأسلم سنة تسع أو عشر ، واستشهد سنة أربع عشرة ، والهمام : هو الذي يفعل ماهتم به من الخير ، ومن[1] بني شيبان أيضاً أحمد بن حنبل ، أحد أئمة المسلمين الأربعة في الدين والسنة ، ضُرب كثيراً وحبس على أن يقول بخلق القرآن فامتنع . فقيل له : هلَّا وريت كما ورى غيرك فنجـا ؟ . قال : فمن يقـوم به بعدي ؟ . ولاتحصى منا قبه وأخباره الحميدة ، ويوم مات أسلم ألف من أهل الكتاب أو أكثر ، وتوفي ببغداد رضي الله عنه .

وَدَغْفَـلُ النَّسَّابَـةُ السَّئُـولُ لِسَـانُـهُ وَقَـلْبُـهُ عَقُـولُ

يعني أن من شيبان ثم من بني سدوس بن ذهل بن شيبان ، دغفل بن حنظلة ؛ العالم بأنساب الناس لكونه سئول اللسان عقول القلب ، دخل على معاوية وهو شيخ فسأله عن العرب وأنساب الناس وعن النجوم وقال له : بم نلت هذا من العلوم ؟ . قال : بلسان سئول وقلب عقول وآفة العلم النسيان .

---

(١) قلت : هذا غلط منه رحمه الله ، لأن أحمد بن حنبل الإمام القدوة من ولد شيبان بن ذهل ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، انظر ص ٣٩ من مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي . قال : هو أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن ادريس بن عبد الله ابن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة ، إلى أن قال : وقد غلط أقوام نسبوه لذهل بن شيبان . ا . هـ .

سؤال معاوية رضي الله عنه
لدغفل بن حنظلة عن أمية وعبد المطلب

سَأَلَـهُ عَنْ كُنْـهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبُ — وَعَـنْ أُمَيَّـةَ مُعَـاوِيُ فَسَبْ

أُمَيَّـةً بِكَـوْنِـهِ أُزَيْـرِقـا — يَقُـودُهُ ذَكْـوَانُ عَبْـدُ أُلحقَـا

بَعْـدُ بِهِ والْمُصْـطَفَى نَفَـاهُ — إِذْ لِقُـرَيْشٍ عُقْـبَـةٌ نَمَاهُ

وَقَـال في شَيْبَـةَ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ — بَدْرٌ تَحُفُّـهُ بَنُـونَ كَالـذَّهَبْ

يقول : ومما سأل عنه معاوية دغفلاً خبره عبد المطلب وأُمية بن عبد شمس وصفتهما وحقيقة أمرهما ؛ قال له : أَتعرف عبد المطلب ؟ . قال نعم : أَعرفه كبدر التمام ، ويحفه بنون كالذهب . ثم قال له : أَتعرف أُمية ؟ . قال : نعم ، أَعرفه أزيرق يقوده عبده ذكوان ، قال : قل ابنه . قال : أَنتم تقولون ذلك . وقوله : والمصطفى نفاه . . ألخ . يعني يوم بدر إِذ نسب عقبة بن أَبي معيط نفسه إلى قريش يوم بدر بقوله : أأُقتل بين قريش صبراً ؟ . [وذلك] حين أَمر النبي ﷺ علياً ، وقيل عاصم بن ثابت بن أَبي الأَقلح ، بضرب عنقه في الأَسر ، فقال النبي ﷺ : «لَسْتَ مِنْ قُرَيْشٍ وَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ يَهُودِ صَفُّورِيَةَ» وقال عمر : حنَّ قدح ليس منها ، قال : يامحمد ماتركت للصبية ؟ . قال : النار . وقوله : بعدُ به : أَي بعد أَن كان عبداً تبناه أُمية فتزوج بعده أُم بنيه الأَعياص ، كما يأْتي إن شاءَ الله ، فولدت له ابنه أَباناً وهو أَبو معيط . وذكوان هو أَبو عمرو ، وكان عقبة من المؤذين لرسول

الله ﷺ بمكـة ، وجده يوماً ساجداً فوطىء عنقه الشريف بقدمه الخسيسة حتى آذاه جداً ، ووضع يوماً عليه سلا جزور ، ويخرج الله الحي من الميت ، فقد آمن بنو عقبة وكانوا من أكابر الصحابة وفضلائهم ؛ منهم هشام وخالد وعمارة وأم كلثوم ، ومنهم الوليد بن عقبة من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم .

ومن بني سدوس أيضا بشير بن الخصاصية ؛ وهي أمه . وكان اسمه الرجيم بن معبد فسماه النبي ﷺ بشيراً ، ومنهم عمران بن حطان الشاعر الخارجي الذي كان سنياً فتزوج امرأة من الخوارج فقال : لأردها عن دينها ولا تردني . فغلبت عليه والعياذ بالله ، طلبه الحجاج وعبد الملك فهرب إلى الشام ، ولم يزل يتنقل من أحد إلى أحد متوارياً مختفياً ، أقام مرة مع روح بن زنباع فلما خاف من الظهور عليه انسل عنه من غير شعور إلى زفر بن الحارث فأقام عنده مدة ، وهو لايعرفه كما لا يعرفه روح قبله ، ثم انسل عنه أيضاً إلى أن مات في تواريه على خارجيته . وله في ذلك أشعار حسنة . ومن شعره :

ولي نفس تنـازعني إذا ما ... أقـول لها لعلي أو عسـاني

ومن بني ذهل بن شيبان بنو مرة بن ذهل ، همام وجساس وإخوتهما وهم عشرة ولدوا عشر قبائل ، وتفرع من همام ثمان وعشرون قبيلة ، قاله في حلة السِّيَرَى .

مَعْنٌ وَهَانىءُ وَمَفْرُوقُ السَّري ... دَعَـاهُمَـا لِلدِّينِ خَيْرُ مُضَرِي

فِي فِئَـةٍ مِنْ قَوْمِهِمْ فَامْتَنَعُوا ... أَنْ يُؤمِنُـوا أَوَّل وَهْلَةٍ دُعُـوا

قولـه : معن معـطوف على ماذكر قبله من رجال بني شيبان بحذف العـاطف ، يعني : منهـا المثنى وأحمـد بن حنبل ودغفل ومعن ، واستأنف الكلام فقال : وهانىءُ ومفروق وأخبر عنهما بدعاهما ، وضمير التثنية يعود إلى هانىء ومفـروق دون معن ، والسري : السيد وخص به مفـروقـاً ، والفرقة : الطائفة ، وضمائر الجمع في قومهم إلى آخر البيت تعود إلى هانىء ومفروق والفئة . وأول وهلة : أول شيءٍ . يشير إلى قولهم : ونرى أن اتباعنا إياك وتركنا ديننا لدينك لأول مجلس إلى آخر كلامهم ، ويشير أيضاً إلى أنهم أسلموا بعد ذلك ، فمفروق بن عمرو وهانيءُ بن قبيصة بنته بحرية . قتل عنها عبيد الله بن عمرو بصفين ، وفي الموطإ أن هانىءَ بن قبيصة ورجلاً من بني عمه أتيا عمر في الحج فقال : ياأمير المؤمنين بينا تعادى بنا خيلنا ندَّ أمامنا ظبي فقتلناه ونحن محرمان فما جزاؤه ؟ . فدعا عبد الرحمن بن عوف وقال : تعـال نحكم في هذا . فحكما فيه بشاة ، فخرج هانىءُ يقول : مثل أمير المؤمنين لايحكم في هذا حتى يستعين فيه غيره . فدعاه عمر فقال : أتقرأ القرآن ؟ . قال أقرأ منه . قال : أتقرأ سورة المائدة ؟ . قال : لا . قال : لو كنت تقرؤها لأوجعتك ضرباً . انتهى .

ذكر معن بن زائدة الشيباني

ومعن هو معن بن زائدة المشهور ، كان مختفياً من أبي جعفر المنصور ، فخرج من البصرة وحده على جمل ، فبينما هو يسير وحده إذا هو برجل أسود قال : ولم أشعر به إلى أن أخذ بخطام الجمل وأناخه بي فقال : أنت معن بن زائدة الذي جعل فيه أمير المؤمنين كذا كذا لمن يأتيه بك . فأخرجت صرة من ذهب كانت معي فقلت : ياهذا خذ هذه ودعني وسبيلي يرحمك الله .

قال : جعل فيك أمير المؤمنين ـ وطاعته واجبة ـ أكثر من ذلك . فقال : خذ معه السيف وخلني فأبى ، فقلت : خذ الجمل وماعليه . فقال : يامعن ، حدثني عن جودك الذي تزعم ويذكر عنك ، هل خرجت يوماً من جميع مالك ؟ . فقلت : لا ، فقال : وهل خرجت من نصفه ؟ . قلت : لا قال : وثلثه ؟ قلت : لا . قال : وأي جود عندك ؟! . فأرسل خطام الجمل عنه وتركني ولم يأخذ مني شيئاً ، ومازلت أسأل عنه بصفته ولم أر من يذكره .

حكاية المازني مع اليهودي

ذُهْلُ ابْنُهَا مِنْهُ ٱلْإِمَامُ ٱلْمَازِنِي

مُقَوِّمُ اللَّحْنِ لِكُلِّ لَاحِنِ

قوله : ذهل ابنها أي البرشاءُ ، وهو ذهل بن ثعلَبة احترازاً من ذهل ابن شيبان أي من ذهلٍ بن ثعلبة أبو عثمان المازني ، إلى مازن بن ذهل بن ثعلبة ، قوله : الإمام أي في النحو ويحتمل في غيره ، ومقوم اللحنِ . . ألخ إشارة إلى قصته مع الجارية والواثق ؛ وهي أن أبا عثمان سأله يهودي أن ينسخه كتاب سيبويه بمائة دينار قال : فنظرت في الكتاب فإذا فيه ثلاثمائة آية ، فكرهت أن أجعله في يد يهودي ، فامتنعت وأنبتني زوجتي لأنا في غاية الاحتياج إلى المائة ، وذكرت الحديث : «**مَنْ تَرَكَ شَيْئاً لله عَوَّضَهُ الله خَيْراً مِنْهُ**» ، فاتفق أن غنت جارية الواثق بقول العرجي :

أظلومُ إن مُصابَكم رجلًا　　　أهدى السلامَ تحيةً ظلمُ

فنصبت رجلًا ولحنها بعض الندماءِ فقالت : هكذا لقنينه شيخي أبو عثمان

المازني ولا أقوم عنه . فخاضوا في الكلام واتفقوا على أن رجلاً خبر إنَّ وهي مصرة على النصب ، فأرسل الواثق من أتاه بالمازني ليلاً ، فلما دخل عليه قال : من الرجل ؟ . فقلت : من بكر . فكرهت أن أواجهه بالمكر ، لأنهم يبدلون الباءَ من صدر الكلمة ميماً فيقولون في بكر ؛ مكر ، وفطن لي وقال : كيف تروي بيت العرجي : أظلوم إن مصابكم ، فجعل الصواب مع الجارية ، فقال له الواثق : بمَ نصبت رجلاً ؟ . قال : بمصابكم وبمعنى إصابتكم ، ألا ترى أن الكلام مغلق إلى أن يقال ظلم ؟ . ففهم الجماعة البيت ورجعوا إلى قول الجارية ، فتحدثوا ساعة ثم قال لي : ماعليك من الدين ؟ . قلت كذا وكذا . ثم قال : كم عيالك ؟ قلت : بنت . قال : ماقالت لك حين خرجت عنها ؟ . قلت : قالت :

أبانا فلا رِمْت من عندنا   فإنا بخير إذا لم ترِم

قال : وماقلت لها ؟ . قال : قلت :

ثقي بالله ليس له شريك   ومن عند الخليفة بالنجاح

قال : بالنجاح إن شاءَالله . فأمر لي بألف دينار وهدايا ، وأمرت لي الجارية بثلاثمائة ، وقال لي الواثق : إن شئت بتّ معنا بقية ليلتنا وإن شئت أمرنا من يوصلك أهلك ، فاخترت أن يوصلني إلى أهلي ليسكن وجلهم علي ، فقلت لامرأتي : تركنا مائة لله فعوضنا الله . انتهى من كثير من الكتب

نسب قيس بن ثعلبة من بني البرشاء

مِنْ قَيْسِهَا طَرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ   كَجَدِّهِ مُسْعِرُ حَرْبٍ مُرْدِي

قيسها أي البرشاءُ ، وهم قيس بن ثعلبة ؛ القبيلة المشهورة العظيمة من قبائل بكر منهم زينب بنت بشر الصحابية ، أم جعفر وعبيدة ابني الزبير

وأم غيرهما من قريش . يعني : من قيس بن البرشاءِ طرفة بن العبد بن سعد ابن مالك بن قيس بن ثعلبة . وجده يعني به سعد بن مالك . قال :

رأيت سعوداً من شعوب كثيرة   فلم ترعيني مثلَ سعد بن مالك

كجده : يعني في الشجاعة وإيقاد الحرب ، ولأن جده هو القائل معرضاً للحارث بن عباد حين اعتزل الحرب :

من صد عن نيرانها الأبيات .

ومسعر حرب : موقدها . ومردي : مهلك . وطرفة هو سادس الشعراءِ المدون شعرهم ، وكان هجاءً للملوك في شعره ويذكر فيه الحروب إلى أن قتله عمرو بن هند .

سبب قتل طرفة بن العبد

ذلك أنه هجاه فلم يبلغ عمراً هجاؤه ، فلما كان ذات يوم دخل عليه عبد عمرو بن بشر بن مرثد ، فأمره أن يجلس معه على سريره ، فبدا كشحه فضحك فقال : تذكرت قول طرفة قاتله الله :

ولاخير فيه غير أن له غنى   وإن له كشحاً إذا قام أهضما

فقال عبد عمرو : مايقوله فيك أقبح من هذا . فقال : ماهو؟ . فندم على قوله وأنكره لأنه ابن عمه خوفاً عليه ، فلم يزل به حتى أنشده أبياته فيه ومنها :

فليت لنا مكان الملك عمرو   رغوثاً حول قبتنا تخور

فأضمر عمرو بن هند الضغن على طرفة إلى أن وفد عليه مع المتلمس ، فكتب لهما كتاباً إلى عامل له بالبحرين يقتلهما ، وهو يريهما أنه كتب إليه

ليعطيهما ، فلما قربا من العامل لقيا راعي غنم فقال المتلمس : تعال نعرض كتابينا على هذا الراعي إن كان يقرأ لنعرف مافيهما . فأبى طرفة وقال : لايكون ذلك منه لايقتلني . وفتح المتلمس كتابه ودفعه إلى الراعي : فلما قرأه قال الراعي: ثكلت المتلمس أمه ؛ قال : ويحك ولم ذلك ؟ . قال : في هذا الكتاب قتل المتلمس . وطرفة لم يفتح كتابه ، فأما المتلمس فألقى الصحيفة وهرب ، وأما طرفة فقدم بها على العامل فأخبره بما يراد به فاتهمه فقتله . وصدق فيه تفرس المسيب بن علس لما أنشد بين يدي عمرو بن هند وطرفة حاضر :

وقد أتلافى الهم عند احتضاره ... يناجي عليه الصيعرية مقرم

قال طرفة : استنوق الجمل . يعني أن الصيعرية من سمات النوق ولا تكون على الذكور ، فغضب المسيب وقال : ليقتلن هذا الغلام لسانهُ.وكان كما تفرس .

ومن بني قيس بن ثعلبة الأعشى ميمون بن قيس ، ويكنى أبا بصير ، جاهلي أدرك الإسلام ؛ فخرج يريد النبي ﷺ ومعه ابنه ، فلما كان قريباً من مكة لقي رجلاً من قريش ، فسأله عن النبي ﷺ فقال : ياأبا بصير إنه يحرم الزنى . فقال : والله لاحاجة لي فيه قط . قال : ويحرم الخمر . فقال : أما هذه ففي النفس منها علالات ، ثم قال : أرجع فأتعلل منها عامي هذا إلى القابل . فأسلم فرجع ومات في عامه قبل القابل والعياذ بالله ، ولما خرج يريد النبي ﷺ قال قصيدته التي امتدحه فيها وأولها :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا ... وبتَّ كما بات السليم مسهدا

إلى أن قال :

فآليت لا أرثي لها عن كلالة ... ولا من حفيٍّ حتى تلاقي محمدا
متى ماتناخي عند باب ابن هاشم ... تراحي وتلْقيْ من فواضله ندا

وآخرها :

وإياك والأوثان لا تعبدنّها ... ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

ويسمى أبوه قيس قتيل الجوع لأنه دخل غاراً يستظل به من الحر ، فوقعت صخرة على فم الغار فأغلقته فلم يزل به حتى قتله الجوع .

ومن بني شيبان زفر بن مَسْعُود بن سنان الذي يقول فيه الشاعر :

من البيض الوجوه بني سنان ... لو انك تستضيءُ بهم أضاؤوا
وهم حلوا من الشرف المعلى ... ومن حسب العشيرة كيف شاؤوا
فلو أن السماءَ دنت لمجد ... ومكرمة دنت لهم السماءُ
بناة مكارم وأُساةُ كُلْم ... دماؤهم من الكلب الشفاءُ

ومنهم سعد بن صحابي ثم صحب عبد الله بن مسعود وعاش مائة وعشرين سنة . انتهى الكلام على ربيعة .

الكلام على نسب مضر

عمود نسب النبي ﷺ

ومن صنيعته أنه يؤخر عمود نسب النبي ﷺ للاهتمام به ، ولأنه في هذا كله بان على قصد النبي ﷺ ، والمقصود الأهم يؤخر غالباً ، فقال ذاكراً ابني مضر ولم يذكره اتكالاً على ذكره مع اخوته :

إِلْيَاسُ وَالنَّاسُ أَخُوهُ انْتَشَرا
وَمِنْهُمَا كَانَ جَمِيعُ مُضَرَا
وَالنَّاسُ عَيْلَانُ وَقِيلَ لَقَبُ
والنَّاسُ قَيْسٌ وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ
خَصَفَةُ الْعَزِيزُ سَعْدُ عَمْرو
لِخَصْفَةٍ مُحَارِبُ الْغِمْرُ

الياس : من اليأس بالتحريك . سمي به لأنه أول من أخذه داءُ اليأْس ، وهو السل ، ومات به ، وبكته خندف كثيراً من السنين ، والناس : أخو الياس . وانتشر : كثر ، ومنهما أي من إلياس والناس كان مضر كلهم لأنهما ابناه وليس له ابن غيرهما . قال ﷺ «وَمُضَرُ صَخْرَةُ اللهِ الَّتِي لَا تُنَكَّلُ» أي لاتدفع عما وقعت . وقال أيضاً : «إِذا اخْتَلَفَ النَّاسُ فَالْحَقُّ مَعَ مُضَرَ» وقال : «لاتَسُبُّوا رَبِيعَةَ وَمُضَرَ فَإِنَّهُمَا كَانَا مُسْلِمَيْنِ» . وقال للقائل :

إني امـرؤ حِمْيَري حين تنسبني لا من ربيعة آبائي ولا مضرا

[قال] : «ذلِكَ أَبْعَدُ لَكَ مِنَ اللهِ وَرَسُولِه» . وقوله : والناس عيلان ، أي الناس الاسم ولقبه عيلان ، أو هو كلبه أو خادمه أو جبل ولد عنده ، وقيل : الناس لقب وإذا يكون الناس وقيس واحداً ؛ قيس هو الاسم والناس هو اللقب ، وعلى أن الناس اسمه يكون عيلان لقبه وقيل ابنه ، ويروى في كلامهم قيس بن عيلان ، واجتمع ذلك في قول الحماسي :

لحا الله قيساً ، قيس عيلان إنها أضاعت ثغور المسلمين وولت

فشاول بقيس في الطعان ولاتكن أخاها إذا ما المشرفية سلت

ألا إنما قيس بن عيلان بقة إذا شربت ماءَ العصير تغنت

فالبيت الثالث يدل على أن قيساً ابن الناس ، والناس هو ابن مضر وعيلان لقبه ، والبيت الأول يدل على أن قيساً هو ابن مضر ، والناس أضيف إليه قيس ، إذ لايضاف اسم لما به اتحد معنى عند البصريين ، وقوله : وإليه ينسب أي وإلى قيس ـ على كلا القولين ـ ينسب خصفة بالتحريك . العزيز أي قبائله نتجت عنه ، الآتية قريباً إن شاء الله ، وسعد هو أبو غطفان ، وعمرو هو أبو فهم وعدوان .

نسب محارب بن خصفة

أما خصفة بالتحريك ـ وسكنه للضرورة ـ فله محارب الغمر ، والغمر الجهال أو لفيف الناس ، وصفهم به لأنهم أول الأمر أقبح الناس رداً على النبي ﷺ حين دعاهم إلى الاسلام ؛ من ذلك أنه دعا يوماً إلى الاسلام بأحد

مواسم العرب ، فقال رجل من بني محارب : واللات لأقتلنه . فركب فرسه وركض نحو النبي ﷺ فسقط عن فرسه ميتاً ومات الفرس ، ولكن أسلموا بعد ذلك ؛ منهم من الصحابة أبان المحاربي وفد على النبي ﷺ ومن حديثه : «**مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ : الْحَمْدُ لله رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا الله . غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ حَتَّى يُمْسِيَ وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يمسي غُفرتْ ذُنُوبُهُ حَتَّى يُصْبِحَ**» [ومنهم] الأسود(١) بن هلال ، وجماعة كثيرة . وهم من القبائل التي تستلئمهم العرب وتحتقرهم وتهجوهم الشعراءُ ؛ كباهلة وطفاوة وسلول وغيرهم ، ومما هجوا به .

تنــقُّ بلا شيءٍ شيــوخ محارب وماخلتها كانت تريش ولا تبري

وروي أنه سامر رجل من محارب رجلاً من بني هلال على غدير ، فقال الهلالي : ما تركتنا شيوخ محارب الليلة ننام . يعني الضفادع . والنقيق [وهو] صياح الضفـادع فقال المحاربي : إن شيوخ بني هلال أضلت برقعها فهي تطلبه . يعني قول الشاعر :

لكــل هلالـيٍّ من الـلؤم برقــع ولابــن هلال برقــع وقــميص

وبعث رجـل من محارب عامل لقتيبة بن مسلم رجلاً من سلول إلى قتيبة ، فاستأذن عليه الرسول ، فقال له بعض ندمائه : ببابك الأم العرب . قال : من هو؟ . قال : سلولي رسول محاربي إلى باهلي .

---

(١) قال في أسد الغابة : الأسود بن هلال المحاربي كوفي قتل في الجماجم سنة نيف وثمانين . وقيل أدرك الجاهلية أيضاً ، استدركه أبو موسى علي مندة . ا . هـ . منه بلفظه .

نسب بني سليم بن منصور بن خصفة

مَنْصُــورُ وَالِــدُ سُلَيْم وَأَخِيــهْ
هَوَازِنٌ فَمِــنْ سُلَيْــمٍ الـنَّبِيــهْ
رَابِعُ الاِسْلامِ صَفِيُّ الْمُصْطَفَىٰ
عَمْـرُو بْنُ عَنْبَسَة خَيْرُ مُصْطَفَىٰ

يقول : لخصفة أيضاً من الولد منصور بن خصفة أبو سليم وهوازن ، ثم شرع في الكلام على سليم مرتباً للف والنشر فقال : ومن سليم العاقل الفطن رابع الإسلام أي رابع من أسلم بالنبي ﷺ ، كما في حديث مسلم لما عرض عليه الإسلام قال : من معك على هذا الأمر ؟ . قال : حُرّان وعبد . يعني أبا بكر وزيد بن حارثة وبلالاً ، فأسلم ورجع إلى قومه ولم يزل فيهم إلى أن فشا الإسلام ، ثم هاجر إلى المدينة بعد الخندق فسكنها ، ثم نزل الشام وكان أخا أبي بكر وأبي ذر ، لأنه [1] روى عن النبي ﷺ ثمانية وثلاثين حديثاً وكان يقول : أنا رابع الإسلام وقوله : صفي المصطفى : يعني أنه كان صديقاً للنبي ﷺ ، وعبسة ، كحسنة ، في تقييد اليدالي ، وهو ظاهر في القاموس ، وصرح اليدالي في الخط بالنون ، والإصابة بنون وبغيرها .

---

(١) لم أدرك هنا هذا التعليل ولعله هنا خرجة أو كلمة (لأنه) زائدة والله أعلم .

مرْدَاسُ عَبَّـاسُ ابْنُـهُ أخْـبَرَهُ
شَخْصُ عَلَىٰ نَعَـامَـةٍ أَبْصَرَهُ
بِخَـيْرِ مُرْسَـلٍ فَآمَـنَ بِهِ
وَهْـوَ قَرِيـعُ وَبَـلِيـغُ حِزْبِـهِ

يقـول : ومن سليم مرداس بن أَبي عامر بن حارثة وابنه عباس بن مرداس . سبب إسلامه أَنه أَخبره راكب أَتاه على نعامة بالنبي ﷺ فأَتاه وآمن به ، وهو ـ أَي عباس ـ قريع أَي سيد حزبه أَي قومه ، وهو أَيضاً بليغهم ، أَي شاعرهم وخطيبهم . والقصة أَنه كان في لقاح له وسط النهار ، قال : بينما أَنا في لقاح لي إذ أَبصرت نعامة بيضاء عليها راكب عليه ثياب بيض ، فوقف علي وقال : ياعباس ، أَلم تر أَن السماءَ قد كفت حراسها ، وأَن الحرب قد حدقت أَنفاسها ، وأَن الخيل قد وضعت أَحلاسها ، وأَن الذي أُنزل عليه البر والتقوى ، صاحب الناقة القصوا ؟ ؛ قال : فخرجت مرعوباً وجئت ضِمَارِ ـ كحذام صنم كانوا يعبدونه ـ فإذا صائح يصيح من جوفه :

قل للقبـائـل من قريش كلهـا	أَودى ضِمَارِ وعـاش أَهل المسجد
أَودى ضِمار وكـان يُعـبـد مدة	قبـل الصـلاة على النبي محمـد
إن الـذي ورث الـنبـوة والتقى	بعد ابن مريم من قريش مهتدي

قال : ثم خرجت إلى رســول الله ﷺ بالمـدينـة ، فلما رآني تبسم وقال : «يَاعَبَّاسُ كَيْفَ إِسْلاَمُكَ» ؟ . قال : فقصصت عليه القصة . قال : «صَدَقْتَ» . فأَسلمت أَنا وقومي . والعباس هذا هو القائل :

كانـت نهابـاً تلافيـتُـهـا | بكـرّي على المهـر في الأَجـرع
وإيقـاظي القـوم أَن يرقـدوا | إذا هجـع الـقـوم لم أَهـجـع
فأَصـبـح نهبي ونهب العبيـ | ـد بين عيـيـنـة والأَقـرع
وقـد كنـت في الحـرب ذا تدرإ | فلم أُعط شيئـاً ولم أَمـنـع
إلا أَفـائـل أُعـطيـتـهـا | عديـد قوائـمـهـا الأَربـع
ومـا كان حصـن ولا حابس | يفـوقـان شيخـيَ في المجمـع
ومـاكـنت دون امـرىءٍ منهـما | ومن تضـع اليـوم لايـرفـع

وذلك أَن النبي ﷺ أَعطى يوم حنين الأَكثر المؤلفة ؛ من الإِبل مائة مائـة ، وأَعـطى الأَقل منهم خمسين خمسين ، وزاد أَبا سفيان أَربعين أُوقية فقال : وابني يزيد ؟ فقال : «**اعْطُوهُ مائَةً مِنَ الإِبل وَأَرْبَعِينَ أُوقِيَّة**» . فقال : وابني معاوية ؟ . فقال : «**اعْطُوهُ مِائَةً مِنَ الإِبلِ وَأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً**» . وزنها له بلال ، وليس يزيد من المؤلفة قلوبهم ، وهو أَفضل بني أَبي سفيان ، ثم قال أَبـو سفيان : والله يارسـول الله إنك لكريم ، فداك أَبي وأُمي ، والله لقد حاربتك فلنعم المحارب أَنت ، ثم سالمتك فلنعم المسالم أَنت ، جزاك الله خيراً . ولمـا قال عبـاس هذا الشعـر ، وكان أُعطي أَقل مما أُعطي المؤلفة قلوبهم ، قال رسول الله ﷺ : «**اقْطَعُوا عَنِّي لِسَانَهُ**» فكملوا له مائة .

وكان العباس بن مرداس أَشجع الناس ، وأَشعاره يوم حنين والفتح من أَحسن الشعر ، وكان ممن حرم على نفسه الخمر في الجاهلية ، روى عنه ابنه كنانة وصحب ابنه جلهمة بن العباس .

ابن حبيب المالكي
من نسل عباس مرداس السلمي

ومن نسل العباس عبد الملك بن حبيب الفقيه المشهور الأندلسي المالكي ، وكان أبوه مرداس صديقاً لحرب بن أمية فأتاه يوماً فقال : وجدت غيْضة حرية بالزرع إن زرعت ، هلم فلنزرعها . فخرج معه حرب فلما رآها قال : نعْم المزرع . فأشعلا فيها ناراً فسمعا فيها ضجيجاً وأنيناً وسمعا قائلاً يقول :

ويل ام حرب فارساً مقاعساً مداعساً
لنقتلنَّ به جحاجحاً عنابساً

ففزعا لذلك . وقال مرداس :

إني انتخبت لها حرباً وإخوته إني بحبل وثيق العهد مساسُ
إني أقدم قبل الأمر حجته كي لايقال ولي الأمر مرداسُ

فمات حرب بن أميه قريباً بعد ذلك .

وَابْنُ الْمعَطَّلِ بَرِيءُ الْإِفْكِ
مُدْرِكُ عُكْلٍ فِي لِقَاحِ الْمَكِّي

والبريءُ : المبرأ . والإفك : الكذب . وهو هنا الذي برئت منه أمنا عائشة رضي الله عنها ، ومدرك لاحق من أدرك أي لحق . وعكل : بنو عوف

ابن عبد مناة بن أدٍّ ، سموا بعكل أمة حضنتهم . والمكي النبي ﷺ يقول : ومن سليم أيضاً صفوان [1] بن المعطل ، المبرأ من الإفك بالوحي الكريم ، ولاحق عكل يوم انتهابهم للقاح النبي ﷺ ، الذين اجتووا المدينة وخرجوا بأمر النبي ﷺ لما قال لهم : «**اخْـرُجُوا إِلَىٰ ذَوْدٍ لَنَا بِالْغَابَةِ وَعَلَيْكُمْ بِأَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا**» ففعلوا ، فلما صحّوا وسمنوا غدروا ؛ فساقوا الإبل وقتلوا الراعي أو الرعاة ، فاستنفر لهم النبي ﷺ عشرين فارساً أمر عليهم كرز بن جابر

---

(١) قلت : هو صفوان بن المعطل بن ربيضة بن خزاعي . وقيل : ابن رحضة بن المؤمل بن خزاعي بن محارب بن مرة بن فالح بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور السلمي الذكواني . يُكنى أبا عمرو ، أسلم قبل المريْسيع وشهد المريْسيع وما بعدها . وقال الواقدي : شهد صفوان الخندق ومابعدها ، وكانت الخندق سنة خمس ، وكان مع كرز بن جابر في طلب العرنيين كما ذكر الشارح . وكان يكون على ساقة جيش رسول الله ﷺ ، وهو الذي هلك أهل الإفك بسببه ، فبرأه الله مما قالوا . وحديث الإفك مشهور فلا حاجة لذكره هنا ، وهو الذي لما بلغه أن حسان بن ثابت رضي الله عنه ممن قال فيه ، ضربه بالسيف بعد نزول براءَته فجرحه وقال :

تلقَّ ذبابَ السيف مني فإنني	غلام إذا هوجيت لست بشاعر
ولكنني أحمي حماي وأشتفي	من الباهت الرامي البُراءِ الطواهر

فشكى حسان إلى النبي ﷺ فاستعفاه منه ، وعوضه حائطاً من نخل . وسيرين جارية . يقال إنها أخت مارية أم ابراهيم ، فاستولدها ابنه عبد الرحمن بن حسان ، الذي كان يفتخر بأنه ابن خالة ابراهيم بن النبي ﷺ ، مات رضي الله عنه في غزوة أرمينية شهيداً ، وأميراً لجيش عثمان بن أبي العاص الثقفي ، سنة سبع عشرة في خلافة عمر ؟ قاله ابن اسحاق ، وقيل مات في الجزيرة بناحية شمشاط ، وقيل أنه غزا الروم كما ذكره حماد . انظر أسد الغابة .

الفهري وفيهم صفوان بن المعطل ، وذلك إدراكه لهم الذي ذكر الناظم . وقد استوفينا خبرهم في شرح الغزوات ؛ واستشهد صفوان بن المعطل سنة ثمان أو تسع وخمسين حين غزا الروم ، فاندقت قدمه ولم يزل يقاتل بها حتى قتل ، وقيل : استشهد يوم اليمامة فوجد حصوراً .

وَابْنُ عِلاَطٍ وَالِدُ الشَّهْمِ السَّرِي

نَصْرِ بْنِ حَجَّـاجٍ طَرِيـدِ عُمَـرِ

ابن علاط : هو حجاج بن علاط بن خالد بن نويرة البهزي ، يكنى أبا كلاب سكن المدينة وبنى بها داراً ومسجداً يعرف به ، وخرج في ركب يريد مكة فجن عليه الليل في واد مخوف ، فقام يكلأ أصحابه . وجعل يقول :

أعيـذ نفسي وأعيـذ صحبـي ... من كل جنيٍّ بهذا النـقـب

حتى أؤوب سالماً وركبي

فسمع قائلاً يقول : ﴿**يَامَعْشَرَ الْجِنِّ والإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾[1] فلما قدم مكة أخبر بذلك قريشاً قالوا : صبأت والله ياأبا كلاب ، إن هذا مما يزعم محمد أنه نزل عليه ، فقال : والله لقد سمعته وسمعه هذا النفر . ثم أسلم وحسن إسلامه . والشهم : الذكي المتوقد الفؤاد . والسري : الشريف ذو المروءة .

---

(١) سورة الرحمن : ٣٣

قصة عمر رضي الله عنه مع نصر بن حجاج

نصر بن حجاج بن علاط : الذي نفاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سمع امرأة تنشد :

هل من سبيـل إلى خمر مشعشعة أم من سبيل إلى نصر بن حجاج ؟

ويقال إن هذه المرأة هي أم الحجاج بن يوسف الثقفي ، ولذلك كتب إليه عبد الملك في كتاب يهدده : ياابن المتمنية . ويا ابن المستفرجة بعجم الزبيب ، وفيها يقول نصر بن حجاج :

ليتني في المؤذنين نهاراً إنهم يبصرون مَنْ في السطوح
فيشيرون أو يشار إليهم حبّذا كل ذات دلّ مليح

ولما سمع عمر قولها : هل من سبيل الى خمر البيت وبعده :

أنظر إلى السحر يجري في نواظره
وانظر إلى دَعَجٍ في طرفه الساجي
وانظر إلى شَعَرات فوق عارضه
كأنهن نمال دبَّ في عاجي

حلق رأسه [أي رأس نصر بن حجاج] ثم سمعها [عمر] بعد ذلك تقول :

حلقـوا رأسـه ليكسب قبحـاً غيرة منهـم عليـه وشـحّـا
كان صبحـاً عليـه ليـل بهيم فمحـوْا ليله وأبقـوْه صُبحـا

فطرده عمر رضي الله عنه من المدينة ولحق بالشام ، فآواه أبو الأعور السلمي ، ثم رأى أبـو الأعور امرأته تكتب في الأرض ، فكفأ جفنة على ماكتبت ودعا من يقرؤه وإذا المكتوب : لاصبر عنك ، فطرده أبو الأعور . وولد نصر أيام النبوة وشهد خيبر مع أبيه يقول :

ومن سليم أيضـاً ابن علاط أبـو الشريف الـذكي الجميل نصر بن حجاج ، الذي طرده عمر أي نفاه من المدينة لما سمع النساءَ يتشببن به خوف أن يفتن نساءَ حرم رسول الله ﷺ .

حَجَّاجُ ذَا اسْتَخْلَصَ بِاحْتِيَالِهِ مِنْ أَهْـلِ مَكَّـةَ جَمِيعَ مَالِـهِ

حجاج ذا يعني ابن علاط ، واستخلص : استنقذ ؛ يشير إلى أن الحجـاج لما أسلم شهـد خيبر ، واستأذن النبي ﷺ في التقوّل على قريش ليستخلص منهم مالـه ، فأذن له في كل مايقـول . فأتى أهـل مكـة كاتماً إسلامه ، وكان حديث عهد بهم على الكفر ، فقالوا : بلغنا أن القاطع سار إلى خيبر . قال : نعم ، ولكن هزم هزيمة لم يسمع بمثلها وأسر محمد . قالـوا : لانقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة يقتلونه بمن كان قتل منهم . فاجمعوا إلي مالي في تجار مكة لأصيب من فلِّ محمد وأصحابه في خيبر قبل أن يسبقني التجار إلى هنالك ، قال : فقاموا يجمعون لي مالي . وقلت مثل ذلك لصاحبتي أم شيبة بنت أبي طلحة ، وقد كان لي عندها مال موضوع ، فجاءَني العباس وقد سمع هذا فقلت : اكتمْ عني حديثي ثلاثاً ثم قل ماشئت فإني

أسلمت ، وما جئت إلا لآخذ مالي فرقاً من أن أُغلب عليه ، فإني والله لقد تركت ابن أُخيك عروساً على بنت ملكهم صفية ، ولقد افتتح خيبر وانتفل مافيها وصارت له ولأصحابه . فلما كان اليوم الثالث أخبر العباس أهل مكة بحقيقة الخبر ، فقالوا : أَفلت منا عدو الله ، لا والله لو علمنا لكان لنا وله شأن . ولم يلبثوا أن جاءتهم حقيقة الخبر .

وَصَاحِبُ الضَّبِّ عَلَىٰ يَدَيْهِ أَسْلَمَ أَلْفٌ مِنْ بني أَبِيهِ

صاحب الضب : اشتهر في كتب الحديث والسير ذكره بهذا الوصف من غير تسمية ، وإنه استغنى بهذا الوصف عن اسمه ونسبه . وحديثه أنه اصطاد ضبًّا وجعله في طرف ثوبه ، فأتى ووجد النبي ﷺ في ملإ يحدث الناس فقال : من هذا ؟ . فقالوا : رسول الله ﷺ . قال : الذي يزعم أنه نبي ؟ . والله لا أُومن بك حتى يؤمن بك هذا الضّب . فقال رسول الله ﷺ : «يَاضَبُّ» . فطار الضب ومثل بين يديه وقال : لبيك يارسول الله وسعديك ، والخير كله بيديك . قال : «مَنْ تَعْبُدُ ؟» قال : الذي في السماءِ عرشه ، وفي الارض سلطانه ، وفي البحر سبيله ، وفي الجنة ثوابه وفي النار عقابه ، قال : «مَنْ أَنَا يَاضَبُّ ؟» . قال : محمد بن عبد الله خاتم النبيين وإمام المرسلين وشفيع المذنبين ، السعيد من والاك والشقي من عاداك . فآمن السلمي وأتى قومه بالحديث فأسلمت منهم ألف على يديه . انتهى من الشفا للقاضي عياض .

وَرَاشِدُ بْنُ عَبْدِ ربِّهِ الَّذِي
بَالَ عَلَىٰ صَنَمِهِ الْمُنْتَبِذِي

لِذَاكَ بَعْـدُ الـثُّـعْـلُبَـانُ فَكَسَرْ

صَنَـمَـهُ وَجَـاءَ سَيِّـدَ الـبَشَرْ

المنتبـذ : المنبـوذ المطروح الملقى . والثعلبـان : يروى بالضم للام والثـاء ، وبـالضم على النـون علامة للرفع ، وهو ذكر الثعالب . ويروى بصيغة تثنية ثعلب ، يقول : ومن سليم راشد بن عبد ربه الذي كان سادن ، أي خادم صنم ، فأتاه يوماً فوجد أثر ثعلبين أقبلا يشتدان حتى تسنماه فبالا عليه فكسره وأنشد :

أربٌّ يبـول الـثعلبـان برأسـه لقـد ذلَّ من بالت عليـه الثعالب

ثم قال : يامعشر سليم ، لاوالله لايضر هذا ولاينفـع ، ولايعطي ولايمنـع . ولحق بالنبي ﷺ وقـال له : «مَاسْمُكَ» ؟ فقال غاوي بن عبد العزى . فقال رسول الله ﷺ : «أَنْتَ رَاشِدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ» فكان ذلك اسماً له .

أَلْـفٌ مَعَ النَّبِيِّ يوْمَ الْفَتْـحِ أَمَـامَـهُ لِوَاؤُهُمْ كَالصُّبْـحِ

يعني أن سليماً غزت منهم مع النبي ﷺ غزوة الفتح ألف ، وفي ذلك يقول العباس بن مرداس :

تحت اللوامـع والضحـاك يقدمنا كما مشى الليث في حافـاته الحذر

من قصيدته الرائية التي أولها :

مابـال عينيـك فيهـا عائـر سهـر مثـل الحـماطة أغضى فوقه الشفرُ

وكُـلُّهُـمْ مِنْ بُهْثَـةٍ وَمِـنْهُـمُ رُعْـلُ وَذَكْـوَانُ عُصَـيَّـتُهُمُ

يعني أن سليما كلهم من بهثة ، بضم الباءِ وفتح الثاءِ المثلثة بعدها هاءُ التأْنيث ، إِذ لم يعقب من أولاد سُليم إلا بهثة وأَولاده خمسة ، كلهم أبو قبيلة أو قبائل ؛ وهم ثعلبة بن بهثة وامرؤ القيس والحارث ومالك وعوف ، ومنهم أي بهثة وجعله الضمير رويًّا سائغ في أَشعار العرب . قال أَبو محجن الصحابي الثقفي :

كفى حَزَنـاً أَن تردع الخيـل بالقنا[1]

وأُتـرك مشـدوداً علّي وثـاقـيـا

إِذا قمت عنَّـاني الحـديـد وأُغلقَت

مصـارع من دوني تصمُّ المنـاديـا

وقال أَبو جهل :

ماتنقِمُ الحـربُ العَوانُ منّي بازلُ عامَيْن حديثٌ سنيٍّ

لمثل هذا ولدتني أُمي

أَمـا ذكـوان : فمنه صفوان بن المعطل المقدم ذكره ، ومنهم أَخوال النبي ﷺ أَهل العواتك ؛ الأَوقص بن مرة بن هلال بن ذكوان ، وتقدمت أُبوتهم للعواتك ، وأَما رعل فهم الذين كان النبي ﷺ يقنت بالدعاءِ عليهم مع عصيّة لأَنهم أَنجدوا عامر بن الطفيل على قتل أَهل بئر معونة .

---

(١) وفي رواية : أن تطعن

وَمِنْ عُصَيَّةَ بَنُو الشَّرِيدِ فَازُوا بِكُلِّ شَاعِرٍ مُجِيدِ

يقول : ومن عصية بنو عمرو بن الشريد ، أو عمرو اسم الشريد بن بغيضة بن عصية ولما كان بنو الشريد من عصية فازوا ـ أي عصية ـ بالشعراءِ المجيدين الشعر وهم : الخنساءُ وأخواها صخر ومعاوية ، لأنهم كلهم شعراءُ ، واشتهرت به الخنساءُ ومن شعرها :

هريقي من دموعك واستفيقي وصبراً إن أطقت ولن تطيقي
وقولي إن خير بني سليم وفارسهم بعفراءَ العقيق
وإذ فينا معاوية بن عمرو على أدماءَ كالجمل الفنيق

والفنيق : الفحل المكرم ، لايؤذى لكرامته على أهله . ومن شعرها أيضاً :

قذى بعينيك أم بالعين عُوَّار أم ذرَّفت مذ خلت من أهلها الدار

وهو مطلع قصيدتها الرائية في صخر ، ومنها :

وَإن صخراً لوالينا وسيدُنا وإن صخراً إذا نشتو لنحّار
وإن صخراً لتأتمُّ الهداة به كأنه علم ، في رأسه نارُ
ياصخر وارد ماءٍ قد تناذره أهل المياه ومافي ورده عار الخ

وذكر اليدالي في حلة السيرى أن عمراً استنشدها :

ترى الجليس يقول القول تحسبه نُصحاً وهيهات مانصحاً به الْتمسا
فاسمع مقالته واحذر عداوته والْبس له ثوبَ شكٍّ مثل ما لبسا

فقال لها : أنت أشعر كل ذات ثديين . فقالت : وكل ذي خصيتين .
وكان بشار يقول : ماقالت امرأة شعراً إلا وظهر فيه الضعف . فقيل له : حتى الخنساءُ ؟ . فقال : لا . تلك لها أربع خُصىً . وفي الحديث أنه ﷺ سمع عائشة تذكر اليرنّا ـ وهي الحناءُ ـ فقال : «**مِمَّنْ سَمِعْتِ هٰذِهِ اللَّفْظَةَ؟**» فقالت : من الخنساءِ . ومرّ بها دريد بن الصمة وهي تهنأُ بعيراً فقال فيها :

حيُّوا تُماضِرَ واربَعوا صحبي ... وقِفوا فإنّ وقوفكم حسبي
ماإن رأيت ولا سمعت بمثله ... كاليوم طالي أينُق جُرب
متبذلاً تبدو محاسن وجهه ... يضع الهِناءَ مواضعَ النقب

ثم خطبها ، فبعثت جاريتها تنظر هل يثير أو يقعر ؟ . فأتتها فقالت : بل يثير . فردته فهجاها فقيل لها : هل هجوته ؟ . فقالت : ماكنت لأجمع له رد الخطبة والهجو ، ثم هجته بعد ذلك فقالت :

معاذ الله ينكحني حَبَرْكَى ... قصير الشبر من جشم بن بكر

وأسلمت الخنساء وصحبت ، وكان لها من الولد ثلاثة فتيان نجباء ، فلما كان قتال الفرس بالقوادس دعتهم في ليلة يريدون الغدوَّ على القتال ، وذكرت لهم تربيتها وتأديبها لهم ثم قالت : يابني لاأريدكم لأعظم من أن أقدمكم شهداء ، ولا تريدون لأنفسكم أكرم من الشهادة ، فإذا زاحفتم غداً المشركين فإياكم أن ترجعوا إلي إلا بأحسن البلاءِ ، أو يرزقكم الله الحسنى العظمى وهي الشهادة ، وأوصيكم بتقوى الله العظيم ، وأوصوني به ، وموعدكم الجنة إن شاءَ الله ، أو كما قالت . فلما لاقوا العدو من الغد جعلوا يرتجزون بقولها ووصيتها حتى استشهدوا عن آخرهم . جزاهم الله خيراً وجزاها عنا وعنهم كذلك . انتهى من الكلاعي . وأخوها صخر بن عمرو

كان فارساً جواداً مغواراً شجاعاً ؛ أغار على هذيل مراراً وقتل منهم قتلى ، فلما كان ذات يوم أغار عليهم آخر النهار فكمنوا له حيث لايظنهم ، فمر بالكمين فطعنه رجل في صدره فجرح ، ولم يزل الجرح يعالج إلى أن نبت فيه مثل اليد فأعيا الأطباءَ ، فلما يئس منه وقف رجل على زوجته فقال : كيف صخر ؟ .
فقالت : لاحي فيرجى ولا ميت فيريح وهو يسمع فأنشأ يقول :

وأي امــرىءٍ ساوى بأم حليــلة	فلا عاش إلا في شقــا وهــوان
أرى أم صخــر لاتجفّ جفــونها	وملّت سليمى مضجعي ومكـاني

ومـات منـه قبـل الاسلام . وهو أخو الخنساءِ للأب . وأما معاوية فأخوها للأب والأم ؛ وكان من فتيان سليم وفرسانهم ، وكان يواصل بغيّاً وينازعه فيها هشام بن حرملة الفزاري أو هي زوجته ، وكانت فرس معاوية أدماءَ ـ كما قالت الخنساءُ ـ شديدة الحمرة ، وكانت لها غرة فحنّى غرتها فركب في فرسـان من قومـه يريد المـرأة ، فاستقسم بالأزلام فخـرج الـذي يكـره فعصاها ، فلما أتى المرأة عرف هشام بن حرملة الفرس ، فدعا خيله فركبوا ولحقوا بهم فرماهم هشام فقتله ، وكان في خيل معاوية خفاف بن ندبة ، فثنى عنان فرسه ورمى مالك بن حرملة أخا هشام بالرمح فقتله وفي ذلك يقول :

فإن تك خيلي قد أُصيب صميمها	فعمــداً على عيني تيممت مالكـا
أقــول له والــرمح يأطر متنـه	تأمــل خفــافـاً إنني أنــا ذلكـا
وقفت له مهري وقد رام صحبتي	لأبــني مجداً أو لأثــأر هالــكـا

وقيل قتله رجل يقال له حمار . وكان أبوهما عمرو بن الشريد يمسك بيدي ابنيه صخر ومعاوية في الموسم ويقول : إن ابنيّ خيرُ مضر ، ومن أبى ذلك فلينافرني . ولم ينكر عليه

وَلَهُــمُ ابْنُ نُدْبَــةٍ خُفَــافُ   فَارِسُ قَيْسٍ كُلِّهَــا يُضَــافُ

وقوله : ولهم أي لعصية . وندبة : بالضم ويفتح أمه ؛ وهي أمة وأبوه عمير . وخفاف من أغربة العرب وكان أسود . يقول : ولعصية أيضا خفاف بن ندبة فارس قيس عيلان كلهم ، شهد الفتح وحنيناً والطائف . وحديثه : أتيت النبي ﷺ فقلت : أعلى من تأمرني أنزل ؟ . أعلى قرشي أم أنصارك أم أسلم أم غفار ؟ . قال : «**ابْتَغِ الرَّفِيقَ قَبْلَ الطَّرِيقِ فَإِنْ عَرَضَ لَكَ شَيْءٌ نَصَرَكَ وَإِنِ احْتَجْتَ رَفَدَكَ**» .

وَهْــوَ أَبُــو خِرَاشَــةٍ بِيَــدِهِ   لِوَاؤُهُمْ فِي الْفَتْحِ دُونَ جُنْدِهِ

وهـو أبـو خراشـة [يعني] خفافاً يكنى أبا خراشة ؛ وهو حامل لواء مسلمي بني سليم يوم الفتح دون [1]سائر سليم لأنه فارسهم ، وهو قاتل مالك بن حرملة أو حمّار كما قدمنا قريباً ، وله يقول العباس بن مرداس وكانت بينهما مهاجاة في الجاهلية :

أَبــا خراشــة أَمّــا أنت ذا نفرٍ   فإنّ قومـي لم تأكـلهـم الـضبُـعُ

والضبع : السنة ؛ يعني إنهم ذوو عدد ومنعة .

---

(١) الذي في المغازي أن سليماً كانت يوم الفتح لها رايتان ولواءٌ ، فأما اللواءُ فكان مع العباس بن مرداس السلمي ، وأما الرايتان فقد كانت إحداهما مع حجاج بن علاط السلمي ، والأخـرى مع خفـاف بن ندبة السلمي . وهذا يناقض قول الناظم : دون جنده وقول الشارح : دون سائر سليم . والله أعلم . انظر الغزوات للواقدي .

مفاخر سليم

ومن مفاخر سليم ـ وهي أعظمها ـ أنهم يوم الفتح مع النبي ﷺ .

ومنهـا أن عمر بن الخطاب بعث إلى أهل الآفاق أن ابعثوا إلي من كل بلد أفضله رجـلاً ، فبعث أهل الكوفة عتبة بن فرقدنا السلمي ، وبعث أهل البصرة مجاشع بن مسعود السلمي ، وبعث أهل الشام أبا الأعور السلمي ، وبعث أهل مصر معن بن يزيد بن الأخنس السلمي . ومنها أن معناً هذا شهد وأبوه يزيد وجده أبو يزيد الأخنس بن حبيب ، [شهدوا] بدراً وليست لسواهم . [ذكر ذلك ابن متالي في نظمه لأهل بدر] . قال في الإصابة : ولايصح شهوده بدراً وإنما قال : بايعت أنا وأبي وجدي رسول الله ﷺ .

ومن سليم أيضاً أنس بن العباس بن عامر بن خالد بن طعيمة بن عدي [شارك في قتل] أهل بئر معونة ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وله أشعار في مدح رسول الله ﷺ .

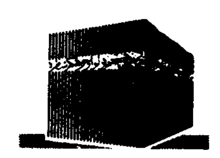
ومنهم أيضـاً ذو اليدين واسمـه الخـربـاق بن عمرو ـ بخاءٍ معجمة كقنطار ـ [وهو] صاحب حديث السهو ، وليس هو بذي الشمالين عبيد[1] بن عبـد عمـرو الخـزاعي ، وغلط من جعلهما واحداً لأن ذا الشمالين خزاعي

---

(١) تسميته ذا الشمالين عبيد بن عبد عمر ينقصها التحقيق فقد نسبه أبو عمر هكذا : اسمه عمير بن عمرو بن نضلة بن عمرو بن غبشان بن سليم بن مالك بن أقصى بن حارثة بن عمرو بن عامر ، فهو بهذا النسب من بني مالك بن أفصى أخي خزاعة . وقال غير أبي عمر : غبشان واسمه الحارث بن عبد عمرو بن عمرو بن بوي بن ملكان بن أفصى حليف

واستشهد ببدر ، وذو اليدين حديثه رواه أبو هريرة ، وإنما أسلم أبو هريرة بخيبر في العام السابع . ومنهم أيضاً سفيان بن عبد شمس كان عليه مدار حرب معاوية بصفين ، شهد حنيناً كافراً ثم أسلم .

هنا انتهى الكلام على سليم ، ثم شرع يتكلم على أخيه هوازن .



= بني زهرة ، فجعله من ولد ملكان بن أفصى وهو أخو خزاعة ، وأسلم وشهد بدراً وقتل بها ؛ قتله أسامة الجشمي ، وقال ابن اسحاق : ذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة بن غبشان ، وقال الزهري هو خزاعي ا . هـ . انظر أسد الغابة .

نسب هوازن

ابن منصور بن خصفة بن قيس عيلان

أَمَّــا هَوَازِنُ فَبَــكْــرٌ ابْــنُــهُ
مِنْــهُ مُنَبِّــهُ الْـحُصَيْنُ حِصْنُــهُ
وَسَعْــدُ الَّــذْ أَرْضَعُـوا خَيْرَ الْبَشَرْ
وَمِـنْ مُعَــاوِيَــةَ سَيِّــدُ النَّفَــرْ
صَعْــصَــعَــةٌ وجُــشَــمٌ وَنَصْرُهُ
وَجُــشَـــمٌ مِنْــهُ دُرَيْــدٌ بَدْرُهُ

منبه : هو أبو ثقيف . وقوله : الحصين حصنه ، يحتمل أن المعنى أي لعزهم ومنعتهم ، ويحتمل الحصن أي حصن الطائف الذي تحصنوا به من النبي ﷺ ، فحاصرهم فيه سبعة عشر أو عشرين يوماً ولم يؤذن له في الفتح ، وكان يوم الشدخة في هذا الحصار ، مات فيه عدة من أكابر قريش شهداء ؛ ضربـوا لهم منجنيقاً وأخذوا دبابة ومشوا تحتها يريدون قلع الحصن فرمتهم ثقيف بالحجارة المحماة حتى ألقوا الدبابة ، فرشقوهم بالنبل فأصابوا قتلى كثيرة .

إسلام أبويه ﷺ من الرضاعة

يقول : أما هوازن بن منصور فولد بكراً ، وولد بكر ثلاثة أولاد : منبه وهو أبو ثقيف ، وسعد ومعاوية ، ولم يذكره في نسق أولاد بكر اتكالاً على ذكره في الكلام عليه بقوله : ومن معاوية ثالث النفر ، والنفر : مادون العشرة من الرجال . وبينه بثالث النفر ، أما منبه فيأتي الكلام عليه ، وأما سعد فهم أظآر النبي ﷺ ؛ منهم الحارث بن عبد العزى وزوجه حليمة بنت أبي ذؤ يب أبـواه ﷺ ، أمـا الحارث فأسلم اتفاقاً وكذلك حليمة على الصحيح ، وفي الشفاءِ للقاضي عياض أنها كانت تأتي أبا بكر وعمر بعد النبي ﷺ ، فيبالغان في إكرامها ، وبنتها الشيماءُ سبيت يوم حنين فقالت للذين سبوها : أنا أُخت صاحبكم . فأتوا بها للنبي ﷺ فذكرت له ذلك فقال : «**وَمَاعَلاَمَةُ ذلكَ؟**» . قالت : عضَّة بين كتفيَّ عضضتنيها وأنا متورِّكتُك . فعرف العلامة فخيرها بين أن تقيم معه مكرمة ، وبين أن يكرمها ويوصلها أهلها فاختارت قومها ، فأعطاها جارية وغلاماً اسمه مكحول ، فزوجت أحدهما من الآخر ولم يزل فيهم من نسلها بقية ، وأعطاها أيضاً قطيع إبل وغنم ، قال البوصيري :

وَأَتى السبي فيـه أُختُ رضـاعٍ ... وضـع الكفـرُ قدرَهـا والسبـاءُ
فحـبـاهـا براً توهمـت الـنْـ ... ـنَـاس به إنـمـا السبـا إهــداءُ
بسط المـصـطفـى لها من رداءٍ ... أي فضـل حواه ذاك الـرداءُ
فغـدت فيـه وهـي سيـدة الـنْـ ... ـنِسْـوة والسيـدات فيـه إمـاءُ

وتفرقوا في الاسلام حتى لم يبق منهم حي يعرف .

بنو معاوية بن بكر بن هوازن

وأما معاوية فأولاده أيضاً ثلاثة : جشم ونصر وصعصعة ، أما جشم فمنه دريد بن الصمة وهو بدره ، أي سيده وزينه ، أفرد ضمير جشم وذكره باعتبار الحي ، ولو أراد القبيلة لأنث الضمير أو أراد إفرادها لجمعه ، وقبائل جشم : عدي وعصمة وغزية . فمن عدي زهير بن معاوية الجشمي قاتل سعد بن معاذ يوم الخندق على قول ، والمشهور أن قاتل سعد حبان بن العرقة من بني عامر بن لؤي ، وذكره زهير في الصحابة .

ومن عصمة الفقيه أبو الأحوص ، واسمه عوف بن مالك ، ومنهم جعدة بن خالد بن الصمة الصحابي ، حديثه : سمعت رسول الله ﷺ يقول لرجل سمين يومىء إلى بطنه : «لَوْ كَانَ هٰذا في غَيْرِ هٰذا كَانَ خَيْراً لَكَ»

وأما دريد فعشيرته من جشم غزية ـ كغنية ـ وذلك قوله :

ومـا أنـا إلا من غُزيَّة إن غوت	غويْتُ وإن ترشـد غزيـة أرشـد

من قصيدة يرثي بها أخاه عبد الله لما قتلته عبس وأثبتت دريدا الجراحات :

دعـاني أخي والخيـل بيني وبينـه	فلما دعـاني لم يجدني بقـعـددِ
تنادَوا وقالوا : أرْدتِ الخيلُ فارساً	فقلت : أعبـد الله ذلكم الـردي
فإن كان عبـدُ الله خلّى مكـانـه	فما كان وقـافـاً ولا طائش اليـد
ولابـرمـاً إذا الـريـاح تنـاوحت	برطب العِضـاه والضريع المعضّد
صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه	فلما علاه قال للبـاطـل : ابعـد
كميش الإزار خارج نصف ساقه	صبـور على الـلأواءِ طلّاع أنجُد

ومن جشم أيضاً أبو وهب الجشمي . حديثه : «ارْبُطوا الْخَيْلَ وَامْسَحُوا بنــواصيـهَــا وَأَكْـفَــالِهَــا وَقَلِّدُوهَــا وَلاَ تُقَلِّدُوهَــا الْأَوْتَــارَ . وَعَلَيْكُمْ بِكُــلِّ أَغَــرَّ مُحَجَّــلٍ أَوْ أَشْعَــرَ أَوْ أَدْهَمَ غَيْرِ محجــلٍ» . ومنهم أيضــاً زهير بن صرد الجشمي ، الذي قدم في وفد هوازن على رسول الله ﷺ فوجده بالجعرانة وعنده سباياهم لم يقسمها بعد ، فأنشده قصيدته التي أولها :

امْنُنْ علينــا رســول الله في كرم ... فإنــك المــرءُ نرجــوه ونـنتــظر
فاعفُ عفــا الله عمّا أَنت واهبُــه ... يوم القيـامـة إذ يهدىٰ لك الـظفر

وهذا البيت هو آخرها ، وسائر القصيدة والأَخبار المتصلة بها ذكرت في شرح الغزوات وكذلك خبر مالك بن عوف .

وَمَـالِـكُ بْنُ عَوْفٍ الْمحَزِّبُ ... هَوَازِنــاً لِنَصْرِهِـمْ يَنْـتَسِبُ

المحزب : من حزب القوم إذا جمعهم وألَّبهم للحرب ، يعني أَن مالك ابن عوف الـذي جمع هوازن لحرب النبي ﷺ من بني نصر بن معاوية ؛ لما هزمت هوازن وقف على ثنية على طريق الغل حتى أجاز قومه بني نصر بعد مااستـحـر فيهـم الـقتــل ، ثم تحصن مع ثقيف في حصنهم ، وقــال النبي ﷺ : «لَوْ أَتَاني لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ» . فسمعها مالك فأتاه ورد عليه أهله وماله ، وأَعطاه مائة ناقة ، واستعمله على من أَسلم من قومه فقال يمدح النبي ﷺ :

ماإن رأَيـت ولا سمعـت بمـثله ... في النــاس كلهم بمثــل محمــد
أَوفى وأَعـطى الجزيل إذا اجتدى ... ومــتــى تشــا يخبرك عما في غد

وإذا الكتيبة غردت أنيابها بالسمهري وضرب كل مهند
فكأنه ليث على أشباله وسط المباءة خادر في مرصد

صَعْصَعَةٌ مِنْهُ الْعَزِيزُ عَامِرُ
وَعَامِرٌ مِنْ صُلْبِهِ أَكَابِرُ
مِنْهَا رَبِيعَةٌ أَبُو كِلَابِ
وكَعْبٍ الْأَمَاجِدِ الصِّلَابِ

يعني أن ـ صعصعة بن معاوية هو أبو عامر الذي منه بنو عامر بن صعصعة ـ القبيلة المشهورة ـ ومن بنيه أيضاً مرة بن صعصعة أم بنيه سلول بنت ذهل بن شيبان وسموا بها ؛ منهم : حبشي بن جنادة يكنى أبا الجيوب ، وقردة بن نفاذة ، كحسنة ، قدم على النبي ﷺ في وفد قومه فأسلموا وأمره عليهم ، وعمّر مائة وخمسين سنة وهو القائل :

أصبحت شيخاً أرى الشخصين أربعة
والواحد اثنين مما بورك البصر

وأما عامر فمن بنيه لصلبه ـ أي لظهره ـ أصالةً ليس بينه وبينه أب آخر ، وأكابر جمع كابر للعظيم منها . أي من الأكابر ربيعة أبو كلاب وكعب . الأماجد : جمع ماجد : أي فاعل المجد . الصلاب : الأقوياءُ . ومن عامر أيضاً بنو هلال وبنو نمير ويأتي الكلام عليهما . ومنهم أيضاً بنو سُواءَة كحذافة ؛ منهم جابر بن سمرة بن عمرو بن جندب ، صحابي وابن

صحـابي من المكثرين في الحديث ، أمه خالدة بنت أبي وقاص ، أسلمت وهاجرت . [وهو] حليف أخواله بني زهرة [وروى أبوه سمرة][1] ومنهم مسلم ابن جنـادة بن جنـدب صحابي أيضاً ، وأبو صحيفة وهب بن عبد الله بن قارب ، توفي النبي ﷺ وهـو مراهق ، إن روى وسمع وشهد مشاهد علي كلهـا ، وولي له بيت المال وهو آخر الصحابة موتاً بالكوفة ، وقيل أبو أبي الأسلمي وهو الأصح .

سبب موت زهير بن جذيمة العبسي

وَمِنْ كِلَابٍ خَالِـدُ بْنُ جَعْفَـرِ
مُرْدِي زُهَـيْرٍ ذي الْأَتَـاوَة السَّري

يقول : ومن كلاب بن ربيعة خالد بن كلاب . مردي : أي قاتل زهير ابن جذيمة العبسي . ذي الإتاوة : بالكسر الخراج . السري : الشريف .

وابتداءُ الخبر أن ابن زهير كانت قيس تؤدي إليه الإتاوة كل عام ، فجاءَته يوماً عجوز من بني عامر بعُكَّة غير ملأى ، ووجدته في موسم من المواسم ، فدفع في صدرها فوقعت على قفاها فضحك منها أهل الموسم ، وسمـع بها خالـد وحلف ليقتلن زهيراً ، ثم التقيا عندقريش فجرت بينهما مقاولة فقال خالد : اللهم اجعل يدي هذه القصيرة الشعراء من وراءِ عنق

(١) مابين القوسين هكذا في الأصل الذي نقلت منه ولعل في الكلام حذفاً أي : وروى عنه أبوه سمرة . والله أعلم .

زهير وأعنّي عليه . فقال زهير : اللهم اجعل يدي هذه الطويلة البيضاء من وراءِ عنق خالد ثم خلّ بيننا . فقالت قريش : هلكت والله يازهير . فقال : إنكم لاتعلمون شيئاً . أيقتلني هذا ؟ . ثم سمع خالد أن زهيراً انعزل في جيرة قليلة ، منها أخوه أُسيد بن جذيمة . فندب بني عامر فركب في خيل منهم ، فلما كانوا يرون سرح الجيرة نزلوا عن خيلهم وجمعوها في مكان واحد ، وربطوا أذنابها ليلاً تذبذب بها فيرى تحركها حتى روحت رعاة بني جذيمة فقالوا : رأينا اليوم أكمة ماكنا نعهدها في ذلك المكان التي هي به . فقال أُسيد : تلك والله خيل بني عامر . فشرع في التقويض والهرب ، فقال زهير : كل أزب نفور ـ وكان أُسيد كثير الشعر ـ فحلف زهير لا يبرح حتى يصبح في ذلك المكان . فبقي بنوه ممسكي رؤوس خيلهم حتى دهمتهم الخيل فركبوا هاربين ، فشرع زهير يضرب فرسه إذ أحس بالقوم ، فقال أحد بنيه : شيء عظيم يحمل الشقراءَ على الضرب . فلحق غلام من القوم على مهرة فطعن فرسه في الفخذ ، فجعل زهير يدني منه شقها الثاني ليطعنها فيه فتستوي في الظلع ولا ينقص ذلك جريها ، ففطن له خالد فزجر الغلام ثم لحق به ، وجعل يده من وراءِ عنقه كما سأل قبلُ فنزل به إلى الأرض ، وكر على زهير بنوه وضربوا خالداً فوق زهير فلم يغنوا شيئاً . وفي ذلك يقول ورقاء ابن زهير :

ياليت أني يوم أضرب خالداً ويمنعه مني الحديد المظاهر

ويا ليتني من قبل أيام خالد ويوم زهير لم تلدني تماضر

وشلّت يميني يوم أضرب خالداً وشل بناناها وشل الخناصر

فلما لحق أصحاب خالد لم يجدوا حيث يضربون زهيراً من تحت خالد . فقال لهم خالد : اقتلونا معاً . فقتلوا زهيراً ورجعوا ، ثم قال خالد : مافعلتم شيئاً ، لعل الرجل لم يمت وعجلنا عنه . فقال : أحدهم لا والله لقد مات ، ضربته والسيف حديد والساعد شديد ؛ ووجدت شيئاً على غرب السيف فذقته فإذا هو حلو فعلمت أنه الدماغ . والغلام الذي لحق زهيراً وطعن فرسه هو أخيل جد ليلى الأخيلية ؛ واسمه معاوية بن عبادة بن عقيل ابن كعب ، وكان قيس بن زهير ليلة قتل أبيه غلاما له ذؤابة ، فلما شرع في طلب ثأر أبيه باشتراءِ السلاح واستنجْاد الضمائر إلى أن وقع في حرب الرهان .

فَغَـالَهُ ابْنُ ظَالِمٍ وَهَرَبَا   إلَىٰ تَمِيمٍ وَالْحُرُوبَ أَلْهَبَا

غاله واغتاله : أهلكه . وابن ظالم : هو الحارث بن ظالم بن جذيمة ابن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن عدس بن ذبيان ، يعني أنه لما قتل خالد بن جعفر هرب إلى تميم ، فاستجار بزرارة بن عدس لأن قومه تشاءَموا به ، وكره أن تكون لهم عليه منّة فألهب أي أوقد الحرب بين بني تميم وبني عامر بن صعصعة ومن معهم من قيس عيلان ، وكان بينهم يوم جبلة ، وولد عامر بن الطفيل ليلة جبلة ، فقال متفرس فيه : سيسود هذا الغلام ، ويقال أنه ماولد غلام في ضيق إلا وساد . وعام جبلة هو عام مولد النبي ﷺ ، ثم لحق الحارث بقريش بعد أن استجار بهم وانتسب إليهم ، لما يقال أن عوفاً أبا مرة بن عوف بن لؤي . وسيأْتي ذلك إن شاءَ الله ، وذلك قول الحارث :

رفعت السيف إذ قالـوا : قريش   وبـينـت الشـمائـل والعتـابـا
فما قومـي بثـعلبـة بن سعـد   ولا بفـزارة الشعـر الـرقـابـا

فقــومــي إن جهلت بنــو لؤي بمكــة علمــوا مضر الضرابــا

سفــهــنــا باتبــاع بني بغيض وتــرك الأقــربين لنـا انتسـابـا

سفــاهــة مخلف لما تروى عراق المــاءِ واتــبــع السرابــا

قتل ابن ظالم لخالد بن جعفر

وحديث قتله لخالد أنه وفد في أول فتوته على النعمان بن المنذر ، فوجد عنده خالد بن جعفر ـ وكان ذا مكانة عنده ـ ولم تزل بين بني عامر وغطفان الضغائن منذ قتل خالد زهيراً ، وكان الحارث لايعبأ بخالد في كلامه ودخوله وخـروجـه ، وخالد يضمر له ذلك ، ثم غداهما النعمان فأشركهما في تمر ، فجعل خالد يلقي النوى بين يدي الحارث ففطن له الحارث ولكن لم يكترث به ، ثم قال خالـد للنعـمان : أبيت اللعن . انظر ما أكل هذا الغلام من التمر . قال الغلام : أكلت أنت أكثر مما أكلت ، قال : وأين نواه ؟ . قال : ابتلعتها . فضحك النعمان وغضب خالد وقال : لأتبعنك زهيراً ابن عمك الـذي قتلتـه ولم أنبه به من نومي . فقال : والله مانسيته ولانسيه أحد من غطفان . وكان بينهما كلام في بقية ذلك اليوم ، يغلظ عليه فيه خالد ويبدؤه بالسـوءِ . فلما كان الليل تعرف الحارث البيت حتى عرف مكانه ، فعلاه بالسيف وقتله وقتل معه شخصين وهرب من الليل ، فبلغ عمرو بن الإطنابة ـ من بنى الحـارث بن الخـزرج ـ قتـل الحارث خالداً ، وكان صديقاً له ،

وكانت لخالد بن جعفر صداقات في الأوس والخزرج ، لعمرو بن الإطنابة وحضير بن سماك بن عتيك الأشهلي ، فلما سمع خالد قتله قال يرثيه :

أتــاك حديــث فكــذبتــه وقــالــوا خليــلك بالأرمس
فيـاعين فابكي حضير الندى حضـير الـكتـائب والمجلس

وقال ابن الإطنابة لما بلغه قتله يرثيه :

علّلاني وعـلّلا صاحـبـيـا واسـقـيـاني من المـروّق ريـا

إلى أن قال :

إنـما يقـتـل الـنـيّـامَ لا ولا يقـتـل ذا سلاح كمـيـا

ثم وضع تاجه على رأسه ودعا بالقيان يغنينه بها وشرب عليها ، وسمع الحارث القصيدة وسار حتى انتهى إلى المدينة وكمن إلى الليل ، فأتى دار عمـرو بن الإطنابة فاستغاث وهتف به : أغثني أيها الملك ، فإني مستجير بك . فخرج إليه عمرو مصلتاً سيفه يقول : جاءَك الغوث ، فمن أنت ؟ . قال : أنا الحارث بن ظالم ، بلغني قولك إنما يقتل النيام ، وجئت لأقتلك يقـظان متسلحاً ، فخذ حذرك أريد أن أقتلك وماجئت إلا لذلك ، فقال عمرو : أمهلني إلى الصباح أبارزك . ثم وضع عمرو سيفه من يده وقال : أما أعلمتك أني شيخ ؟ والشيخ لايجدي بالليل . هذا السيف سقط من يدي وبقيت لك أعزل تفعل بي ماشئت . قال : خذ سيفك . قال : أخاف أن تغدرني إن هويت لأخذه . قال : وذمة ظالم لا أمسّك حتى تأخذه . قال : وذمة الإطنابة لا آخذه أبداً . فانصرف عنه الحارث وتركه ، وقال في ذلك قصيدته الطويلة التى أولها :

إعــزفــا لي بلذة قَيْـنـتـيّـا قبـل أن تبكـر المنـون عليّـا

قبـل أن تبـكـي الـعــواذل إني كنـت قدمـاً لأَمـرهـنّ عصِيّـا

إلى أن قال :

بلغتنـا مقـالـة المـرءِ عمـرو فأَنـفـنـا وكـان ذاك بديـا

ثم بعد هذه الحروب قدم على كسرى فأَقام عنده ، وكانت لكسرى ناقة داجنة رباها لتلعب بالناس ؛ ترعى في واد ثم تجيءُ ، ويدفع لها التمر والزرع فبلغت مبلغ السمن ، فعرف الحارث الوادي الذي ترعى فيه الناقة فتبعها فنحرها ، ثم فقدت ناقة كسرى وفقد الحارث ، فبعث كسرى من يطلب الناقة في واديها فوجدوا الحارث كامناً في لحمها ، فأَتوا به كسرى فقال له : تبالك ياأَعرابي ، متى أَجعناك حتى تفعل هذا بناقتنا ؟ . فقال : أَيها الملك إنا معشر العرب في زمن الشتاء إذا لم نأْكل لحم الإبل نفسد ، والملك أَيسر شيءٍ عنده الناقة ، وأَعز شيءٍ عليه حفظ جاره ، فأَكلت ناقة كسرى حفظاً لجواره . وعفا عنه . ولا أَدري مافعل الله به بعد هذا .

مِنْ جَعْفَرٍ أَرْبَدُ قِتْلُ الصَّاعِقَهْ وَعَـامِـرٌ أَرْدَتْـهُ أَدْهىٰ بائِقَـهْ

أَربد : هو ابن قيس بن جري بن خالد بن جعفر ، أَخو لبيد لأُمه ، وقتل : بكسر القاف قتيل . وعامر : هو ابن الطفيل بن مالك بن جعفر ، وأَرْدته : أَهلكته . والبائقة : الداهية . أَي أَهلكته أَعظم داهية ، يشير إلى قصتهما .

قصة موت كل من عامر بن الطفيل وأربد

وذلك أنهما تواطآ على اغتيال النبي ﷺ فلما كانا قرب المدينة قال له عامر . إني شاغل عنك الرجل فاعْلُه أنت بالسيف فاقتله . فأتياه فجعل يكلمه ويقول : ماتجعل لي إن اتبعتك على أمرك هذا ؟ . قال : «**أَجْعَلُ لَكَ أَعِنَّةَ الْخَيْلِ** » قال : أو ليست لي ؟ . قال : «**لَيْسَتْ لَكَ وَلاَ لآبَائِكَ**» فقال : والله لأملأنها عليك خيلاً جرداً ورجالاً مرداً حتى لأربطن بكل نخلة فرساً . فقال ﷺ : «**يَأْبَى اللهُ ذلِكَ وَبَنُو قَيْلَةَ**» . فسمع أُسيد بن حضير ذلك فأتاهم ، فجعل يدفع في صدرهما ويقول : اخرجا أيها الهجرسان . فقال عامر : من أنت ؟ . قال : أُسيد بن حضير . قال : أبوك خير منك ، فقال : كذبت ، أنا خير منه ؛ أنا مؤمن وهو كافر . فخرجا فقال ﷺ : «**اللّهُمَّ اكْفِنَا شَرَّ عَامِرٍ وَأَرْبَدَ بِمَا شِئْتَ**» . وقال عامر لأربد : مالك لاتقتل الرجل وقد شغلته عنك ؟ . والله لا أرهبك بعدها . وقد كنت أعدك من الرجال . فقال : لا تعجل علي والله ماعلوته بالسيف إلا ورأيتك دونه ، وماأريد أن أقتلك . فخرجا . فلما دخلا على حي من سلول وهم الأدنون من أحياءِ بني عامر أخذت عامر الغدة ، فجعل يتأسف ويوبخ على ذلك لأن سلولاً معروفون باللؤم عند بني عامر فقال : إيتوني بفرس . فركبها وجعل يقول : أغدة كغدة البعير وموت في بيت امرأة سلولية ؟! . فسار أربدُ إلى أهله فقص عليهم الخبر ، فأخذ جملاً له وركبه ليبيعه في أحياءِ العرب ، فاعترضته سحابة واحدة في غير زمن المطر ، فلما علته نزلت عليه منها صاعقة فقتلته والجمل ، فقال لبيد يرثيه :

بُلينـا ومـاتُبـلى النجـوم الـطوالـع

وتبقى المـراثي بعـدنـا والمصـانـع

وقـد كنت في أكنـاف دار مضيئـة

ففـارقـني جار بأربـد نافـع

فلا عجب أن فرّق الـدهـر بيننـا

وكـل امـرىءٍ يومـاً له الـدهر فاجع

ومـا المـرءُ إلا كالشهـاب وضـوئـه

يحور رمـاداً بعـدمـا هو ساطـع

فلا تبـعـدن إن المـنـيـة موعـد

عليـنـا فدانٍ للطلوع وطـالـع

أتجـزع مما أحـدث الـدهـر يافتى

وأي كريـم لم تصـبـه الـقـوارع

لعمـرك ماتـدري الضوارب بالحصى

ولا زاجـرات الـطير ماالله صانـع

وكان عامر بن الطفيل فارساً جواداً شاعراً سيداً ، وقيل إنه من مُقبل الظعن ، وكان مناديه بسوق عكاظ : هل من راجل فأحمله ؟ . هل من جائع فأُطعمه ؟ . هل من خائف فأؤمنه ؟ . وهو القائل :

وإني وإن كنت ابن سيد عامر وفارسها المشهور في كل موكب
فما سودتني عامر عن وراثة أبى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكنني أحمي حماها وأتقي أذاها وأرمي من رماها بمنكب

ولكنه قبحه الله شقي في بطن أمه ، خزي في سعيه وهمه بمعاداة النبي ﷺ وإذايته ، وهو قاتل أهل بئر معونة وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ذكر بني أم البنين

كَذَاكَ جَبَّارُ بْنُ سَلْمَى الْمُسْلِمُ
وَمَالِكُ بْنُ جَعْفَرٍ قَرْمُهُمُ
أَبُو بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعَهْ
الضَّارِبِينَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْضَعَهْ
أَبُو بَرَاءٍ الطُّفَيْلُ سَلْمَى
رَابِعُهُمْ رَبِيعَةٌ إِذْ يُنْمَى

قوله : كذاك ، أي كأربد وعامر في كونهما من بني جعفر جبار بن سلمى المسلم الصحابي ، قاتل عامر بن فهيرة يوم بئر معونة ثم أسلم وكان يقول : مما دعاني إلى الإسلام أني طعنت رجلاً فقال : فزتُ وربِّ الكعبة ، فقلت : مافاز ألست قتلته ؟ . فقيل لي : يعني الشهادة . وروي أنه كان يقول : من رجل لما طعنته طار منه نور صعد في الهواءِ إلى أن دخل في السماءِ ،

وكان ذاك سبب إسلامي . والقرم : السيد يعني أن مالك بن جعفر ؛ سيد بني كلاب وأبو بني أم البنين ، الذين افتخر بهم لبيد في قوله :

نحن بني أم البنين الأربعة ألخ .

والخيضعة : الغبار واختلاط الأصوات في الحرب . وهم : عامر أبو براء ويقال له ملاعب الأسنة ، سمي به لأنه كان يوماً مع أخيه الطفيل ، فدهمتهما خيل العدو ففر الطفيل وترك عامراً في أيدي العدو ، فلم يزل يقاتلهم حتى نجا منهم فقالوا : ماهذا إلا ملاعب الأسنة وملاعب الرماح ، فقال الشاعر في الطفيل :

فررتَ وأسلمتَ ابنَ أُمك عامراً يلاعب أطراف الوشِيج المزعزع

وفد أبو براء على النبي ﷺ وأهدى إليه هدية فقال ﷺ : «**لَوْ كُنْتُ أَقْبَلُ هَدِيَّةً مِنْ مُشْرِكٍ لَقَبِلْتُ مِنْ هٰذَا**» . وهو الذي حمل النبي ﷺ على بعث أهل بئر معونة فقال : لو بعثت إلى أهل نجد من يدعوهم ويرشدهم إلى الدين ، فإن فيهم إسلاماً . فقال ﷺ : «**أَخَافُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ**» . فقال : أنا أخفرهم . فخفره فيهم ابن أخيه عامر بن الطفيل ، وأبت عامر أن تعينه عليهم خوفاً من أبي براء ، فاستنجد لهم قبائل من سليم لأنهم أخوال طعيمة بن عدي ، الذي قتله حمزة يوم بدر كافراً فأنجدوه لذلك . والثاني من بني أم البنين : الطفيل . ويقال : طفيل قرزل وهي فرسه . ومعناه القيد كأنه قيد المسابقين أو قيد الوحش . كما يقال قيد الأوابد ، والثالث : سلمى أبو جبار المسلم . ورابعهم ؛ ربيعة أبو لبيد .

مِنْــهُ لِبيـــدُ بْنُ رَبِـيعَــةَ الْأَبي
فَازَ بِصُـحْبَــةٍ وَفَـضْــلِ أدَبِ
رَوَتْ لَهُ مِنْ الْأُلُـوفِ اثْنَيْ عَشَرْ
عَائِـشَــةُ وكُــلُّ شِعْـرِهِ دُرَرْ

منه : أي ربيعة بن مالك بن جعفر ، لبيد بن ربيعة الصحابي رضي الله عنه ، الأبي عن الضيم والذل والمكروه . يقال : رجل أبي من أبين ، وآب من أبات وآبي قال :

رئـمـت لسـلمـى بوضـيم وإنني قديـماً لآبي الـضيْـم وابن أُبــاة

وفـاز لبيد بصحبة النبي ﷺ ، وبالأدب الفاضل كالاسلام والكرم والسخاءِ والشعر الجيد والظرافة ومكارم الأخلاق ، منها ماروي أن عمر قال له : أنشدني من شعرك . فقال له : ماكنت لأقول الشعر بعد أن علمني الله البقرة وآل عمران . فأعجب ذلك عمر وزاده في عطائه خمسمائة وكان ألفين . وقـال له معـاوية : هذان الفودان فما بال العلاوة ؟ يعني بالفودين الألفين وبالعلاوة الخمسمائة ، فقال له : أموت الآن ويبقيان لك الفودان والعلاوة . فمات بعـد ذلـك بيسـير وعمره مائة ونحو العشرين ؛ عاش منها ستين في الجاهلية وستين أو قريباً منها في الاسلام . وقيل عاش مائة وخمساً وأربعين ، ويروى أنه لم يقل من الشعر في الاسلام إلا بيتاً واحداً وهو :

الحمـد لله الـذي لم يأْتني أجـلي حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

وقال ﷺ : «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةٌ قَالَهَا لَبِيدٌ :

ألا كلُّ شيءٍ ماخـلا الله باطـل وكـل نعـيـم لامحـالـة زائـل

وكان شريفاً في الجاهلية والإسلام . ومن جوده أنه نذر ألا تهب الصبا إلا نحر وأطعم ، فهبت الصبا يوماً على جماعة فيها الوليد بن عقبة فقال : هبت ريح أبي عقيل ، فأيكم يعينه ؟ فأنا أعينه بمائة بكرة سوداءَ . فأرسل بها إليه وبهذه الأبيات :

أرى الجـزار يشحـذ شفـرتيه ... إذا هبـت ريـاح أبي عقـيـل
أشـم الأنـف أصيـد عامـري ... طويـل الباع كالسيف الصقيل
وَفَى ابْنُ الجـفـعـري بحفلتيـه ... على الـعَـلّات والمـال الـقليـل
بنحـر الكـوم إذ سيحت عليـه ... ذيـول صبـاً تجاوب بالأصيـل

فقـال لبيد لبنتـه : أجيبيه لقد عشت والله برهة وما أعيا الجواب . فقالت :

إذا هبـت ريـاح أبي عقـيـل ... دعـوْنـا عنـد هبتهـا الـوليـدا
طويـل الـبـاع أبيض عبْشَميّـاً ... أعـان على مروءَتـه لـبـيـدا
بأمـثـال الجـبـال كأن ركـبـاً ... عليـهـا من بني حامٍ قعـودا
أبـا وهـب جزاك الله خيراً ... نحـرنـاهـا وأطعمنا الثـريـدا
فَعُـدْ إنَّ الـكـريـم له معـاد ... وظـني بابـن عقـبـة أن يعـودا

فقال لبيد : أحسنت يابنية ، إلا أنك سألت ، فقالت : إن الملوك لايستحى من مسألتهم . فقال : وأنت يابنية في هذه أشعر .

قوله : روت له من الألوف . ألخ ، أي قالت : أنا أروي له اثني عشر ألفاً . ولم تأت بالتمييز ؛ لابيتاً ولاقصيدة ولاأرجوزة ويحتملها . والأشبه بيتا

لاستكثار غيره على شعر لبيد . ولما كان في آخرة عمره قال :

ولقـد سئمت من الحيـاة وطـولها وسؤال هذا النـاس كيف لبيــد

وقا أيضاً :

تمنــى ابـنـتـاي أن يعـيش أبــوهمـا
وهــل أنــا إلا من ربـيـعــة أو مضر
إذا حان يومــاً أن يمــوت أبــوهمـا
فلا تخمشــا وجهــاً ولا تحلقــا شعـر
وقــولا : هو المــرءُ الـذي ليس جاره
مضــاعـاً ولا خان الصـديق ولا غدر
إلى الحــول ثم اسم الســلام عليكـما
ومن يبــك حولاً كامـلاً فقـد اعتـذر

وهذا يخالف مامر ؛ أنه ماقال في الاسلام إلا بيتاً واحداً ، وهو للسهيلي في الروض الأنف . وأما شرفه فمشهور ؛ ومن شرفه أن أعمامه كانوا يفدون على النعمان فيكلمونه في أمورهم ، فيمنعه من قضائها الربيع بن زياد العبسي لكونه من أردافه فيعودون مهمومين ، فرأى لبيد كآبتهم بسبب ذلك ، فأراد المشي معهم إليه فمنعـوه من ذلـك لصغـره ، فتبعهم وهم لايعلمون به ، فلحقهم فدخلوا به على النعـمان ، وهم يستحقـرونـه لصغـره لايظنون به فائدة ، فوجدوا النعمان يأكل مع الربيع فأنشده لبيد وقد قزع رأسه :

أكــل يوم هامــتي مقــزَّعــة يارب هيْجــا هي خير من دَعــة
نحـن بني أم الـبـنــين الأربعــة سيــوفُ جنّ وجــفــانٌ مترعــة
نحن خيــار عامـر بن صعصعـة الضـاربـون الهـام تحت الخيضعة
والمضربون الجفنة المدعدعة

وَبـالـرَّبِيـعِ بِنِ زِيَـادٍ شَرَّدَا
أَنْ كَانَ لِلنُّعْـمانِ فِيـهِ أَنْشَـدَا
مَهْلاً أَبَيْتَ اللَّعْنَ لاَتَـأْكُـلْ مَعَهْ
إِنّ اسْتَـهُ مِنْ بَرَصٍ مُرَصَّعَـهْ

فإنـه يولـج فيـهـا أُصبـعـه　　　يدخـله حتى يواري أَشـجـعـه
كأَنه يطلب شيئاً أَودعه

فرفـع النعـمان يده وقال : خبَّثت عليّ طعامي ياغلام . فرحل عنه الربيع بسبب ذلك .

والربيع بن زياد هو ربيع الواقعة ؛ أَحد حفدة الخرشب الآتي ذكرهم إن شاءَ الله . وشرد به : أَجلاه وضيق عليه الأَرض ، قال تعالى : ﴿فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾[1] والنعمان : هو ابن المنذر بن ماءِ السماءِ ملك الحيرة ، وهو آخـر المناذرة ملكاً للحيرة من قبل كسرى ، وأَبيت اللعن : خطاب ملوك الجـاهلية بمنزلة أَمير المؤمنين للخلفاءِ . والنعمان أَخو عمرو بن هند وهي أُمه ، وأبوه المنذر بن ماءِ السماءِ ، وإِنما نسب لأُمه لأَن أَخاه عمرو بن مامة ، فإِذا انتسب أَحـدهما إلى المنذر الْتبس بأَخيه فانتسبا لأُميهما . وكان النعمان منـادمـاً لعـدي بن زيد العبسي ، فغار منه لما كان عدي يفعل من خلال الملوك ؛ من بذل الأَمـوال وإِطعام الطعام ، حتى صرف إِليه وجوه الناس وأَشعار الشعراءِ ، فاحتال له النعمان حتى قتله .

---

(١) سورة الانفال : ٥٧

عدي بن زيد بن عدي
الذي كاد النعمان أخذا بثأر أبيه

وترك عدي ابنه زيد بن عدي غلاماً صغيراً فتلطف الغلام للنعمان إلى أن اتخذه كالابن لما وجده أديباً أريباً ، والغلام يضمر للنعمان مايضمر ، فلما شب جعله مكان أبيه . ثم كان يبرده إلى كسرى فيما بينهما ، فلما علم الغلام بمكانته عند كسرى جعل يريه النصح في أموره التي بينه وبين النعمان ، ثم ذكر له بنات النعمان وجمالهن وأدبهن إلى أن وقع في نفس كسرى التزويج منهن ، وزيد يعلم أن النعمان يأنف من تزويجهن للعجم ، فأرسله كسرى يخطب له منهن ، فلما أتى النعمان بذلك قال له : أتعذرني ؟ . فقال زيد : سأفعل ـ عن تلطف ـ فقال النعمان : أو مايلحقك من تزويج بنات العرب للعجم من المعرة مايلحقني ؟ . قال : نعم . فأتي كسرى بغير هذا من الإجابة ، فلما أراد كسرى أن يرده ليزوجه ويأتيه بالمرأة قال له : أيها الملك ، أنا رجل عربي لا أعرف نكاحكم ولا سيرة الملوك ، فابعث معي رجلاً من خاصتك يعلم ذلك كله ويفعل لك ماتريد ، أخاف أن أضيع من أمر الملك مايغيظه علي ، والتمسْ رجلاً لبيباً يتكلم بلغة العرب ويفقهها ، فبعث معه رجلاً على تلك الصفة ، فلما قربا من النعمان قال له : لايعلم أحد أنك تفقه العربية حتى تعلم ماعند الناس لتكون ناصحاً في أمر الملك . فتكلم زيد للنعمان بخطبة كسرى فقال النعمان : أما يجد الملك في بقر سواد العراق مايكفيه عن بناتنا ؟ . فنبه زيد الرجل إلى كلمة النعمان ، فلما قدما على كسرى قال : مافعلتما ؟ . فقال زيد : الجواب مع هذا . قال الرجل : الكلمة لكسرى ، فلما رأى زيد ذلك قال : معي أيها الملك أخرى . قال :

مامعك ؟ قال زيد : قال النعمان : أو ما يلحقك من تزويج العرب للعجم معرة ؟ . ثم أقام زيد عند كسرى خوفاً من النعمان ، فبعث كسرى إلى النعمان أن يأتيه ، فلما أتاه الرسول علم أنه للشر ، فخرج من الحيرة يأتي أحياءَ العرب يستجير بهم من كسرى فلم يجد من يجيره ، فقيل له : لاأرى لك خيراً من أن تأتي كسرى ، فإما أن يردك إلى ملكك أو يقتلك ، والقتل خير لك من هذا الذي دخلت فيه ، فرجع إلى كسرى فلما دنا من الدخول تعرضه زيد بن عدي فقال له : والله إن نجاني الله لألحقنّك بأبيك . فقال له زيد : امض يانعيم ، لقد والله خبأت لك خبيئة لايقطعها المهر الأرق . فأجلسه كسرى في طريق الفيلة تطؤه حتى تحطم . وفي ذلك يقول الأعشى يعني كسرى :

هو المنزلُ النعمانَ بيتاً سماؤه يخور الفيول بعد بيت مسردق

ورأى رجل من العرب النعمان في نومه متحلياً بحلل منها دماليج وخلاخل ، فقص رؤ ياه على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ : «**ارْتَفَعَ شَأْنُ الْعَرَبِ ، ذٰلِكَ سَيِّدُهُمْ**» .

ومنهم أيضاً عروة الرجال ؛ وهو ابن علقمة بن جعفر بن كلاب الذي قتله البراض بن قيس ، وبسببه قامت حرب الفجار ؛ وذلك أن النعمان كان يبعث في كل عام لطيمة مسك في جوار رجل من أشراف العرب حتى تباع له هنالك ، فقال يوماً : من يجيرها ؟ فقال له البراض بن قيس الكناني : أنا أجيرها على بني كنانة ، فقال النعمان : لاأريد إلا من يجيرها على أهل نجد وتهامة . فقال عروة : أنا أجيرها على أهل الشيح والقيصوم . فقال البراض : أعلى بني كنانة تجيرها ؟! . قال : على الناس كلهم . فدفعها له

النعمان ، فخرج بها وتبعه البراض فقتله ـ وكان فاتكاً غداراً ـ فلما رآه عروة ناشده وقال : قد كانت مني زلة ، فلما قتله خرج يرتجز :

قد كانت الفعلة مني ضلّة　　　هلاّ لِغيري جعلت الزلة

وَمِنْ كِلَابٍ أَيْضاً الْمُحَلَّقُ　　　رَفَعَهُ الْأَعْشَىٰ الْبَلِيغُ الْمُفْلِقُ

المحلق : كمعظم واسمه عبد العزى بن جشم بن شداد بن مرة بن ربيعة المجنون بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب ؛ لقب به لأنه أصابه سهم فكوي بخلقة . ورفعه : أي رفع ذكره وشأنه . والشاعر المفلق : الآتي بالعجيب . والأعشى صاحب المحلق : هو ميمون بن قيس المتقدم ذكره . ورفعه له بالمدح .

سبب رفع المحلق

وسببه أن المحلّق كان فقيراً ذا بنات كثيرة وكان لا يؤبه به لذلك ، فبينا هو ذات ليلةمع امرأته إذ رأيا الأعشى يقود به ابنه ، فقالت : هل لك في تزويج بناتك ـ ولم تكن إذ ذاك منهن من متزوجة ـ وهل لك في تبديل حالك إلى أحسن منها ؟ . قال : وماذاك ؟ . قالت : قم إلى هذا الشاعر فأحسن ضيافته الليلة ، مع ماقدرت عليه من إكرامه والتلطف به . قال : ويحك بماذا ؟ . قالت : انحر له ناقتنا هذه تطعمنا منها وتقريه هو والحي إذ ذاك مشتون مسنتون . فقام وأخذ بزمام ناقته حتى أناخها به عند بيته ، وهو من أصغر بيوت الحي وأقلها أثاثاً ، فلما راحت الناقة حلبها ثم نحرها ، وبات يصطفي له من أطايبها ويدهنه بشحمها ويخدمه هو وبناته حتى أصبح ،

فخرج عنهم بالقصيدة المشهورة كلما ورد على حي من أَحياءِ العرب أنشدها ، فجعل الناس يسأَلون عن المحلق وعن خبره ، فيذكر الأَعشى بناته ويثني عليهن . ويقال أَنه زوجهن كلهن ذلك اليوم حتى أُمسين مامنهن أَيِّم ، وأَول القصيدة :

لعمري لقد [1]لاحت عيون كثيرة ... إلى ضوْءِ نار في يفـاع تحرق
تشبُّ لمقـرورين يصـطليـانها ... وبـات على النـار الندى والمحلَّق
رضيـعيْ لبـان ثدي أُم تحالفـا ... بأَسحـم داجٍ عَوْضُ لانتفـرق
تروح على آل المـحـلق جفـنـة ... كجـابيـة الشيـخ العـراقي تدفق

وَشَمِـرٌ قَاتِـلُ الْحُسَـيْنِ وَزُفَرْ ... إِحْسَانُهُ الْجَمَّ الْقِطَامِي شَكَرْ

شمـر : ككتف ، ابن ذي الجوشن . وزفر بن الحارث . والجم : الكثير . والقطامي : لقب لعمر بن شهيم التغلبي وقد تقدم . يقول : ومن كلاب أَيضاً ثم من بني الضباب شمر بن ذي الجوشن الذي قتل ـ على قول ـ السيد السبط الحسين بن علي رضي الله عنهما ، بتولية عمرو بن سعد بن أَبي وقاص بوزارة عبيد الله بن زياد بن أَبيه ، وبإِمارة يزيد الفويسق يوم كربلاءَ وفي ذلك يقول شمر :

أَوقـر ركـابي فضـة وذهـبـا ... إني قتـلت المـلك المـحجبـا
قتـلت خير النـاس أُمّـاً وأَبـاً ... وخـيرهـم إذ ينـسبـون نسبـاً

---

(١) مطلع القصيدة :

أَرقـت ومـاهـذا السـهـاد المؤرق ... ومـا بيَ من داءٍ ومـا بيَ معـشـق
أَرقـت وقـد لاحـت بعـيني نعْسـة ... ومـن يلق ما لاقيـت لابـد يأرق الـخ

وأبوه ذو الجوشن اسمه أوس بن الأعور الضبابي ، وكان مع علي في حروبه وقتل معه بصفين ، وأمّا زُفَرٌ ؛ فمن بني كلاب غير بني الضباب ، بل من عمرو بن كلاب . وإحسانه الذي أشار إليه وشكر القطامي هو أنه أسر القطامي فأشارت إليه ابنته ضباعة بإطلاق سراحه فيمدحه ، فأطلقه وأعطاه مائة من الإبل فقال في ذلك :

قفي قبل التفرق ياضباعا ولايَكُ موقف منك الوداعا

إلى أن قال :

أكفراً بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرتاعا

وإن يكن استلام إلى ثوي لقد أحسنت يازفر المتاعا

وكان زفر مع الضحاك يوم مرج راهط ، والضحاك على جيش ابن الزبير ـ وقيل على جيش نفسه ـ فقاتلوا مروان يدعو لنفسه ، فهزمهم مروان وقتل الضحاك وفي ذلك يقول زفر :

فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض أبت عيدانها أن تكسرا

ولما لقينا عصبة تغلبية تقود خيولاً للمنية ضُمَّرا

سقيناهم كأساً سقوْنا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

وكنا حسبنا كلَّ بيضاءَ شحمة عشية لاقينا جذاماً وحميرا

وَمِنْهُمُ الضَّحَّاكُ سَيَّافُ النَّبي بِمِائَةٍ وَزَنَهُ خَيْرُ نَبِي

قوله : ومنهم ؛ يعني بني معاوية بن كلاب وهو الملقب بالضباب ولذلك يقول : بنو الضباب ، والنسبة إليهم ضبابي . وسياف النبي يريد به أنه كان يقوم على رأس النبي ﷺ متوشحاً سيفه . والضحاك : هو ابن سفيان

ابن عوف بن كعب بن معاوية الضباب بن كلاب بن ربيعة ، أسلم قديمًا واستعمله النبي ﷺ على من أسلم من قومه ، وبعث إليه يسأله : أيورث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها ؟ . ثم هاجر وأمّره النبي ﷺ على سرية إلى قومه من بني كلاب فهزمهم ، وأدرك أباه على فرس فعرقبه به وعرض عليه الاسلام فأبى ، وحبسه إلى أن جاءَ رجل فأمره بقتله ، وكان أنف من قتل أبيه ، ووزنه النبي ﷺ بمائة فارس ، وأمّره على سليم يوم الفتح وكانوا تسعمائة فصاروا به ألفاً ، وفي ذلك يقول العباس بن مرداس :

وفينا ولم يستوفها معشر ألفاً

وقال أيضاً في الرائية :

تحت اللوامع والضحاكُ يقدمنا ... كما مشى الليث في حافاته الحذر

ومن كلاب القرطا ؛ وهم قرط وقريط بنو عبد الله بن أبي بكر بن كلاب ، وهم الذين بعث إليهم النبي ﷺ سرية فأغارت عليهم ، وأخذوا ثمامة بن أثال أسيراً وجدوه فيهم ؛ كان يريد العمرة ولم يعرفوه حتى قدموا به إلى النبي ﷺ فكان من خبره ماقدمنا .

ذكر الحوص رهط علقمة بن علاثة

ومنهم أيضاً الحوص رهط علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص ، منافر عامر بن الطفيل ثم أسلم ولحق بالنبي ﷺ وله يقول الأعشى :

علقمُ ماأنت إلى عامر ... الناقص الأوتار والواتر
أن تسُدِ الحوص ولم تعدهم ... فعامر ساد بني عامر

وجدهم الأَحوص بن جعفر بن كلاب ؛ كان من سادات بني عامر ، يروى أَن بني كلاب طعنوا من أَرض جدبة ، والأَحوص يقاد به جمل وقد عمر وكف بصره ، فلما كانـوا آخـر النهـار أَحس بالإِبـل ترعى فقال : ماترعى الإِبل ؟ قالوا : نصيّاً وصليّاً ، فقال : منبتة ذراها مكفتة رعاها . أَما حديث المنـافرة الذي هو سبب قول الأَعشى بيتيه المتقدمين ؛ فأَثاره أَن رأَى عامر علقمة يستخلي ، فضحك وقال : مارأَيت كاليوم عورة ! . فسمع علقمة مقالته فأَتاه فقال له : أَما أَنها غضيضة عن جارتها . يعرّض بأَن عامراً كان يتهم بجـارته ، وذلك من أَعظم العيوب عند العرب ، فتسابّا إِلى أَن قال أَحـدهمـا للآخـر: إِن شئت تنـافرنا . فقال له الآخر : نعم . فأَجمعا على المنافرة ، فمكثا زماناً يستعد ان للمنافرة ، وأَتى عامر عمه أَبا براء يستعينه .

فقال له : خذ نعلي هاتين فإِني ربعت فيهما أَربعين مرباعاً . ولم يرض منه بذلك ، ثم قدما على أَبي سفيان بن حرب ليحكم بينهما فامتنع ، وكذلك كل من أَتياه من حكـام العـرب ، إِلى أَن أَتيا هرم بن قرطبة الفزاري فوعدهما بالحكم بينهـما ، فقـدمـا عليه ومع كل ناصروه والشعراءُ والقينات ينحران ويطعمان ، فلما كانت الليلة التي أَراد الحكم بينهما صبيحتها ، خلا بكل واحد بغير شعور أَحد وقال : ماحملك على منافرة ابن عمك ، وهو يفعل كذا وكذا ولا تفعله ؟ حتى لايشك أَنه ينفره عليه ، فيناشده بالله والرحم أَن لاينفر عليه . فيقول له : قد تحاكمتما إِلي ولا أَقول بينكما إِلا الحق . فيمضي من عنده ولا يشك أَنه يقضي عليه ، ويريد هرم بذلك أَن يرضيا بالتساوي . وأَمر هرم بنيه أَن ينحـروا للنـاس ليشتغلوا بذلك عن الحرب حين الحكم ، ثم قال : أَما أَنتما ياهذان فقد رضيتماني للحكم بينكما ، وليس لي أَن أَقول بينكما غير ما أَعلم ، ولا أَعلمكما إِلا كفرسي الرهان وركبتي البعير الأَزم ، يريد

تساويهما ؛ لأن فرسي الرهان ـ وهو المسابقة ـ لايبعثان حتي يجتهد في التساوي بينهما . والبعير الأزم : بالزاي الذي يرفع رأسه لداءٍ بأنفه وحينئذ تستوي ركبتاه ، وبعد ذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لهرم : لم لاتنفر أحدهما على الثاني ؟ قال ياأمير المؤمنين لو فعلت لم تزل الحرب بينهما إلى اليوم .

ومن كلاب أيضاً النواس بن سمعان بن خالد بن عبد الله بن أبي بكر ابن كلاب الصحابي من أهل الحديث ، وذكر القرطبي أن أباه سمعان وفد على النبي ﷺ فأسلم ودعا له ، وأعطاه بغلته وزوجة أخته ، فلما دخل عليها تعوذت منه وتركها، وهي الكلابية المستعيذة ، فقال لها النبي ﷺ : «اسْتَعَذْتِ بِمُعِيذٍ» . وذكر أيضاً أنه بكسر السين ؛ من السمع وهو سبع متولد بين الذئب والضبع وهو أخبث منهما ، وبفتحها فعلان من السمع . انتهى من التذكرة . هنا انتهى الكلام على بني كلاب بن ربيعة وشرع يتكلم على :

نسب بني كعب بن ربيعة
ابن عامر بن صعصعة

فقال رحمه الله :

مِنْ كَعْبِهِمْ قُشَيْرٌ بَلْعَجْلَانِ
عُقَيْلُ جَعْدَةُ وَذُو الْأَسْنَانِ
مِنْ دَعْوَةِ النَّبِيِّ تَنْبُتُ عَلَىٰ
أَحْسَنَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ أَوَّلَا
مِنْهُمْ وَقَيْسُ بْنُ الْمُلَوّحِ الْعَمِيدْ
وَمِن عُقَيْلٍ حَيُّ أَخْيَلَ الَمدِيدْ

قوله من كعبهم : أي كعب بني عامر وهو كعب بن ربيعة بن عامر ، أخو كلاب المتقدم ذكرهم . وكعب أولاده أربعة : عبد الله وهو أبو العجلان ، وقشير ـ كزبير ـ وعُقيل ، وجعدة ، وبذكرهم بدأ الناظم رحمه الله بعد أن أخرهم في الذكر ، ليعود الضمير الآتي في منهم على أقرب مذكور . قوله : وذو الأسنان . ألخ : أراد به النابغة الجعدي واسمه قيس ابن عبد الله بن عمر بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب ، وقيل غير ذلك ، وإنما قيل له النابغة لأنه نبغ بالشعر بعد ثلاثين سنة لايقوله ، وكان شاعراً محسناً طويل البقاءِ في الجاهلية ، وهو أسن من النابغة الذبياني ، قيل

عُمرٍّ مائة وثمانين سنة وقيل مائتين وعشرين ، ولما أتت عليه مائة واثنتا عشرة سنة قال :

أتت مائة لعام ولدت فيه … وعشر بعد ذاك وحجتان
فمن يك سائلاً عني فإني … من الشبان أيام الخنان
وقد أبقتْ صروف الدهر مني … كما أبقت ، من الركن اليماني
ألا زعمت بنو سعد بأني … وماكذبوا كبير السن فاني

وأيام الخنان لعله يعني زمن الخنان ؛ وهو زمن المنذر بن ماءِ السماءِ ، ماتت فيه الإبل من الخنان ؛ وهو زكام يأخذ الإبل في أنوفها . وكان النابغة في الجاهلية يذكر دين ابراهيم ويصوم ويستغفر ، ومما قاله في الجاهلية كلمته التي أولها :

الحمد لله لاشريك له … من لم يقلها نفسه ظلما

وقدم على النبي ﷺ فأنشده قوله :

أتيت رسول الله إذ جاءَ بالهدى … ويتلو كتاباً واضح الحق أكبرا

فلما أتى على قوله :

وصلنا إلى الجوزاءِ مجداً وسؤدداً … وإنا لنرجو فوق ذلك نظهرا

قال رسول الله ﷺ : «إِلَى أَيْنَ يَاأَبَا لَيْلَىٰ؟» : قال : إلى الجنة . قال : «نَعَمْ . إنْ شَاءَ الله»ولما أتى على قوله :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له … بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له … حليم إذا ماأورد الامر أصدرا

قال ﷺ : «لَايَفْضُض الله فَاكَ» . فما سقطت له سن بعد ذلك على تعميره ، وقيل إنها تسقط وتنبت أُخرى مكانها أحسن منها ؛ وذلك الذي يريده الناظم رحمه الله . وفد النابغة على عبد الله بن الزبير بمكة في خلافته في عام مجدب جداً ، فأمر له بوقر نواضحه ميراً ، فجعل النابغة يأكل الزرع بين يدي الزبير [يعني الذرة] فضحك منه وقال : جد مابلغ بك الجهد ياأبا ليلى . فغضب النابغة فجعل ابن الزبير يخفضه ويترضاه .

تعزير أبي موسى رضي الله عنه للنابغة الجعدي رضي الله عنه على اجابته من تعزى بعزاء الجاهلية

ومما حكي عن النابغة أنه حين كان أبو موسى الأشعري أميراً على البصرة من قبل عمر بن الخطاب سمع النابغة من يصرخ : يالعامر . فأجابه وبيده عصية ، فعزره أبو موسى بأن جلده خمسين سوطاً لأنه أجاب من تعزى بعزاءِ الجاهلية وهو : يالَبني فلان ، ولم يقل : ياللمسلمين . بعد أن كرهها النبي ﷺ منذ غزوة المريسيع وقال : «دَعُوهَا فَإِنَّها مُنْتِنَةٌ» . وقال : «مَنْ تَعزَّى عَلَيْكُمْ بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوهُ بِهَنِ أَبِيهِ وَلَاتُكَنُّوا» . أي فقولوا له : اعْضُضْ أَير أَبيك ، ولاتكَنوا بالْهَنِ عَنِ الأَير ، وذلك سب العرب كما قاله أبو بكر لعروة بن مسعود بين يدي النبي ﷺ يوم الحديبية : امْصُصْ بَظْرَ اللّاتِ . ولعل تعزير أبي موسى الأشعري النابغة بخمسين سوطاً هو الذي نزع منه الفقهاءُ تعزير الإمام بما زاد على الحدّ ، بل ولو أتى على النفس ، وقد صح ؛ لايجلد المؤمن فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله .

ودخـل النـابغة الجعدي على النابغة الذبياني ، وعنده الخنساءُ بنت عمرو بن الشريد ، فأنشده فقال له : لو ما أنشدنيه الأعمى قبلك ـ يعني الأعشى ـ لقلت أنك أشعر الناس . فقال له : أنا أشعر منك ومن الأعمى ومن هذه . قال الذبياني : أنت قلت :

ولدْنا بني العنقاءِ وابن محرقٍ

فَخرتَ بمن ولدتَ ولم تفخر بمن ولدك ، وقلت : لنَا الجفناتُ الْغرُّ ، ولم تقل : لنا الجفان ، يعني جمعت جمع قلة ولم تجمع جمع كثرة ، وقلت : الغـــر ، ولم تقـل البيض ، وقلت : يلمعْن ، ولم تقـل يُشرقْن ، وقلت : بالدجى ، ولم تقل بالضحى ، وقلت : يقطرن ، ولم تقل يَسِلْن ، واسكتْ فإنك لاتحسن أن تقول :

فإنـك كالليـل الـذي هو مدركي وإن خلْتُ أن اُلمنتـأَى عنك واسعُ

وكان النابغة الجعدي آخر الصحابة موتاً بأصبهان .

ومن جعدة أيضاً عبد الله بن الحشرج ، من عمال عبد الله بن الزبير وفيه يقول زياد الأعجم :

إنَّ السـماحـةَ والمـروءَة والنـدى في قُبَّة ضربت على ابن الحشرج

وقوله : قيس بن الملوح ؛ يعني المجنون المشهور الذكر والشعر ، وهو ابن الملوح بن مزاحم بن عدي بن ربيعة بن جعدة ، وعند ربيعة يلتقي مع النابغة . العميد : الهالك من العشق . قال الشاعر : **ولكنني من حبها لَعميدُ** .

أول أمر قيس بن الملوح مع محبوبته ليلى

يعني عشقه لليلى العامرية وليست بليلى الأَخيلية صاحبة توبة بن الحمير وهي من بنات عمه ، فلما أَخبلته الحب خطبها أَهله إلى أَبيها فقال : حلفت أَن لا أُزوج عاشقاً ، فلم يزل يهيم بها ويقول الشعر إلى أَن قتله حبها . ومن أَول ماقال فيها قبل أَن يعلم الناس بخبرهما :

كلانا مظهرٌ للناس بُغضاً ... وكلٌّ عند صاحبه مكينُ
تبلِّغنا العيون لما أَردنا ... وفي القلبين ثمَّ هوى دفين

ومن أَحسن ماقال فيها :

وعُلِّقتُ ليلى وهي غرّ صغيرة ... ولم يبد للعينين من ثديها حجم
صغيرين نرعى البَهْم ياليت أَننا ... إلى الآن لم نكبر ولم تكبر البَهْمُ

وقال أَيضاً فيها :

كأَن القلب ليلة قيل يُغْدَى ... بليلى العامرية أَو يراح
قطاةٌ غرها شَرَك فباتت ... تجاذبه وقد عَلِق الجناح

وقال يخاطب زوج ليلى :

بعيشك هل ضممت إليك ليلى ... قبيل الصبح أَو قبَّلت فاها
وهل زفت إليك قرون ليلى ... زفيف الأُقحوانة في نداها

وقال أَيضاً فيها :

وأَدنيْتني حتى إذا ماسبيتني ... بقول يحل العصم سهل الأَباطح
تناأَيْت عني حين لا لِيَ حيلة ... وخلَّفت ماخلفت بين الجوانح

وأخبـاره معهـا وأشعاره فيها لاقدرة لنا على حصرها ، فيليق بنا أن نضرب عنها إلى مانحن إليه .

نسب الفقيه أشهب بن عبد العزيز

ومن جعدة الفقيه الإمام أشهب بن عبد العزيز بن داود بن ابراهيم صاحب الإمام مالك .

قوله : ومن عُقيل ألخ . بضم العين ، ورأيت بخط جدي رحمه الله أن كل عقيل في العرب بصيغة التصغير إلا عقيل بن أبي طالب وعقيل بن علفة المري الجافي .

خبر توبة بن الحمير وليلى الأخيلية

ولم يذكر من بني عُقيل إلا بني أخيل بن عبادة بن عُقيل ، رهط ليلى الأخيلية التي تشبب بها توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عامر ابن عُقيل ؛ وهي ليلى بنت عبد الله الرحال بن شداد بن كعب بن أخيل ، واسمه معاوية ويقال لقومها الأخايل ، ولما اشتهر أمر توبة وليلى شكاه أهلها وزوجها إلى السلطان فأباح لهم دمه ، فلما علمت بذلك ليلى وكان قد حلف لها زوجها إن هي أنذرته ليقتلنها خرجت مسفرة حتى جلست في طريقه ، وكانت قبل ذلك تخرج إليه في برقعها ، فلما رآها على تلك الحالة علم فركض فرسه ونجا وذلك قوله :

وكنت إذا ماجئت ليـلى تبرقعت وقـدْ رابني منهـا الغـداة سفـورُهـا

وكـان توبـة في غاية الفتوة ؛ جمالاً وظرافة وشعراً وشجاعة ، وجده الفرزدق يوماً مع ليلى فحسده وغار منه فقال له : صارعني وكان توبة أيْداً ، فقام إليه توبة فصرعه وضرط الفرزدق فقال جرير :

جلسْتَ إلى ليلى لتحظى بقربها فخـانـك دُبْـرُ لايـزال يخون
فلو كنت ذا حزم شددت وكـاءَه كما شد قرطـاً بالـدلاص قيـون

ورأته يوماً بثينة ومعه جميل بن معمر فجعلت تنظره ، فشق ذلك على جميل فقال له : صارعني ياتوْب . فصرعه جميل وقال له : ناضلني . فنضلهُ وقال : سابقني فسبقه جميل فقال له توبة : ياهذا إنما تفعل هذا بنظر هذه الجالسة ، ولكن اهبط بنا إلى الوادي فهبطا إلى الوادي فصرعه توبة ونضله وسبقه . ومن شعره في ليلى :

ألا إن أهـوائي بليـلى قديمـة وأقتـل أهـواءِ الـرجال قديمُها

وقوله فيها :

ولـو أن ليـلى الأخيليـة سلمت عليَّ ودوني جنـدل وصـفـائـح
لسلمت تسليم البشـاشـة أو زقا إليها صدىً من جانب القبر صائح

وقوله فيها :

أمـا والـذي حج الملَبّـون بيتـه وعـظَّم أيـام الـذبـائـح والنحـر
لقـد رادني للجفـر حبّـاً وأهله ليـالٍ أقـامتْهن ليـلى على الجفـر

ثم إن توبة حارب بني عمه بني عوف بن عامر بن عُقيل ، وهو من بني خفـاجـة بن عامـر بن عُقيل ، فأغـار عليهم وقتل منهم فخرجوا في طلبه فلحقوه ، وقد أرسل فرسه وهو راجل ، فلما رآهم أراد فرسه فشردت عليه فقتلوه ، وأكثرت فيه المراثي منها قولها :

أعين ألا فابكي على ابن الحمير | بدمع كفيض الجدول المتفجر
كأن فتى الفتيان توْبة لم ينح | بنجد ولم يركب مع المتغوّر
فياتوْب للمولى وياتوْب للندا | وياتوْب للمستنبح المتنور

ومنها قولها فيه من قصيدة :

معاذ إلهي كان والله توبة | جلوداً على العلات جماً نوائله
أغر خفاجياً يرى البخل سُبَّة | وتخضب كفاه الندى وأنامله
وكان إذا ما الضيف أرغى بعيره | لديه أتاه نيله وفواضله
أتته المنايا حين تمَّ شبابه | وأقصر عنه كل قرن يناضله
وصار كليث الغاب يحمي عرينه | وترضى به أشباله وحلائله

وقالت فيه أيضاً :

جزى الله خيراً والجزاءُ فضيلة | فتى من عُقيل ساد غير مكلف
فتىً كانت الدنيا تجود بأسرها | عليه ولاينفك جم التصرف

وكانت ليلى ـ مع شعرها ـ ذات أدب وظرافة وعلم بالأنساب ، وكانت تفد على الملوك ؛ وفدت على معاوية ومدحته فأمر لها بخمسين بعيراً ثم سألها عن مضر فقالت : فاخرَ بقريش وحاربَ بقيس وكاثر بتميم وناطق بأسد ، فقال : ياليلى أكما يقول الناس كان توبة ؟ . فقالت : ياأمير المؤمنين ليس كما يقول الناس في توبة حقاً . فقالت : الناس يحسدون أهل النِّعم حيث كانت وعلى من كانت ، كان والله توبةُ سبطَ البنان حديد اللسان جميل المنظر عفيف المآزر . فقال : الناس يزعمون أنه كذا وكذا ! . فقالت : معاذ الهِي . . القصيدة ، وأنشدتها إياه فقال معاوية : قد جاوزت بتوْبة قدره . فقالت : لو رأيته ياأمير المؤمنين لعلمت أني قصرت في نعته .

ووفدت على عبد الملك بن مروان وقد أَسنَّت فقال لها : مارأى فيكِ توبة حين هويك ؟ . قالت : ما رآه فيك الناس حين ولَّوْك . فضحك عبد الملك حتى بدت له سن سوداءُ كان يخفيها ، فقال الشعبي لعبد الملك : إن شئت أَضحكتك منها . فقال : نعم . فقال : مالكم يابني عامر لاتكتنون ؟ . ـ وكانوا يكسرون حرف المضارعة ـ فقالت : أما نكتني ؟! فكسرت حرف المضارعة فقال : مافعلت ولو فعلت لاغتسلت . فخجلت واستحيت .

ووفدت أيضاً على الحجاج وامتدحته فأَحسن جائزتها ثم قال لها : أَقسمت عليك إلا صدقتني ؛ هل كان بينك وبين توبة ريبة ؟ . فقالت لاوالله أَيها الأَمير إلا أَنا خلونا ذات ليلة فقال لي كلمة ظننت أَنه خضع فيها لبعض الأَمر ، فقلت له :

وذي حاجة قلنا له لاتبح بها ... فليس إِليها ماحييت سبيل
لنا صاحب لاينبغي أَن أخونه ... وأَنت لأُخرى صاحب وحليل

فلا والله ماسمعت منه من ريبة بعدها حتى مات . ثم بعد هذا مرت بقبر توبة مع زوجها فقال لها : هذا قبر توبة الكذاب الذي يقول :

ولو أَن ليلى الأَخيلية سلّمت ... عليّ ودوني جندل وصفائح
لسلّمتُ تسليم البشاشة أَو زقا ... إِليها صدىً من جانب القبر صائح

أَقسمتُ عليك لتسلّمين عليه . فقالت : دعه عنك فإني لم أَعرف فيه كذبة قط . وقيل أَنها أَرادت ذلك فنهاها زوجها فتقدمت وسلمت ، فطار طائر من

جانب القبر فنفر منه البعير فوقعت واندقت عنقها ، فماتت من ساعتها ودفنت إلى جانب قبر توبة .

هنا انتهى الكلام على عُقيل وجعدة ابني كعب ، وجعل يتكلم على قشير أخيهما:

نسب بني قشير بن كعب

وَمِنْ قُشَيرٍ الَّذِي أَلْفاً قَتَلْ ... وَرِجْلُهُ عَنْ قَطْعِهَا إِذاً ذَهَلْ

حَتَّى انْتَهَىٰ لأَهْلِهِ حَيَّاسُ ... وَكَانَ بِالْيَرْمُوكِ ذَا المِرَاسُ

ذهل عن الشيء كمنع : نسيه لشغل . وحيّاس : هو ابن قيس بن الأعور ، ولم يذكره صاحب الإصابة في الصحابة . واليرموك : وادي بناحية الشام فيه الوقعة العظيمة بين المسلمين والروم ، وأميرها يزيد بن أبي سفيان ، واللواء عند أبيه وفقئت عينه الأخيرة يومئذ . ومات من الروم مالا يحصى ولايعدّ ، واستشهد كثير من المسلمين . والمراس : القتال . يعني أن من قشير حياس هذا ، وتزعم الناس أنه قتل ألف رجل يوم اليرموك ، وقطعت رجله ولم يعلم بها حتى قدم على أهله . وهو الذي يعني سواد بن أوفى بقوله :

ومنا ابن عتّاب وناشد رجله ... ومنا الذي أردى من الموت حاجبا

وقيل : إنما كان ذلك بالقادسية ويؤيده قول حيّاس :

أقـدمْ أخـا سهمٍ على الأسـاورة ولا تهولـنَّـك رجـل نادرة
فإنـما قصرك ترب الســاهـرة ثم تعـود بعــدهـا في الحـافـرة

من بعـد ماكـانت عظامـاً ناخـرة

لأن الأساورة من الفرس وهم أهل القادسية ، واليرموك أهله الروم .

وقشير ابناه سلمة الخير وسلمة الشر ؛ فأما سلمة الخير فمن ولده الصحابي مرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير ، وفد على النبي ﷺ فأسلم وقـال : الحمـد لله يارسـول الله إنـا كنـا نعبـد آلهـة لاتنفعنا ولا تضرنا . فقال : «نَعَمْ ذَا أَعْقَلُ قَوْمِهِ» . فولاه صدقات قومه .

ومن قشير أيضاً خالد وحرملة ابنا هودة بن ربيعة ، وفدا على النبي ﷺ فسر بهما وأسلما ، وهما من المؤلفة قلوبهم ، وابتاع من أبي خالد الفداء العبدَ والأمة ، وكتب له العهدة وأسلم . ومنهم ضباعة بنت عامر بن قرط بن كعب ابن قشير أم سلمة بن هشام بن المغيرة وله تقول :

لاهُمَّ ربَّ الكعبـة المحـرمة أظهر على كل عدو سلمة

وهي القائلة في جاهليتها :

الـيـوم يبــدو بعضـه أوْ كله ومـابـدا منـه فلا أُحـلـه

ثم أسلمت وحسن إسلامها ، وخطبها رسول الله ﷺ . فأخبره أبو بكر أن بها كُبرة فتركها .

ومنهم أيضاً الولي المشهور أبو القاسم القشيري صاحب الرسالة ، لقي أبو القاسم أعرابياً فقال : ممن أنت ؟ . قال : من عُقيل . فقال : من

أيهم ؟ قال : من بني خفـاجـة . فقال القشيري : رأيت شيخنا من بني خفـاجـة ، فقـال الشيخ : ماشـأنـه ؟ . قال له : إذا جس الـظلام حاجة ، فقال : ماهية ؟ . فقال : كحاجة الديك إلى الدجاجة ، فاستغفر الخفاجي ، وتاب وقال : سبحان الله ماأعرفك بسرائر الناس .

نسب ابن دقيق العيد من خفاجة

ومنهم الشيخ تقي الـدين بن دقيق العيد العـالم الكبـير القـائـل : ماتكلمت بكلمة ولا فعلت فعلاً إلا أعددت لذلك جواباً بين يدي الله تعالى .

ومن بني كعب بنو العجلان ، ولم يتكلم فيهم الناظم إلا بذكرهم ؛ وهم الذين هجاهم الحطيئة بقوله :

إذا غضب الإله على أناس ألخ

وقال فيهم أيضاً :

ومـاسُمِّي العَجـلانُ إلا لقـولهم   خذِ القعْبَ مني أيّها العبْد واعجَل

واستعدوا عليه عمر بن الخطاب فاستنشدهم شعره فيهم فقالوا : قال :

إذا الله عادى أهــل لؤم وذلـة

فعـادى بني العجلان رهط ابن مقبلِ

قُبـيِّـلَة هم لايخـفـرون بذمـة

ولا يظلمـون الـنـاس حبـة خردل

قال : وددت أن آل الخطاب كانوا كذلك ـ قالوا : قال :

ولايرِدون الماءَ إلا عشية   إذا صدر الورّاد عن كل منهل

قال عمر : ذلك أصفى للماءِ ، وإنما دعا عليكم بقوله : فعادى ، ولعله لايجاب . فقالوا : سل حسان . فأرسل إلى حسان فسأله : هل هذا هجاءٌ ؟ فقال ماهجاهم ولكن سلح عليهم . فحبسه ثم كتب إليه يستعطفه :

بسم الـذي أنـزلت من عنـده السُّوَرُ
والحمــد لله ، أمــا بعــد ، ياعمــر

ماذا تقــول لأفــراخ بذي مَرَخٍ
زغب الحــواصــل لامــاءٌ ولا شجــر

ألـقيـت كاسـبـهم في قعْـر مظلمــة
فامْــنُــن عليــك سَلامُ الله ياعــمــر

فأخرجه عمر وحلَّفه أن لا يهجو أحداً بعد ذلك . ومنهم زيد بن أسلم الصحابي البدري حليف بني عمرو بن عوف . ومنهم تميم بن مقبل الشاعر .

مِنْ عَامِــر أيـضــاً بَنُــو هِلَالِ
أَصْهـارِ خَيْرِ الْخَلْقِ أَهْـلِ الْمَالِ
سِتُّــونَ أَلْــفَ نَاقَــةٍ لِلْوَاحِــدِ
مِنْهُــمْ وكَـهْمَسٌ مِنَ الأمَــاجِــدِ

كَهْمَسْ : هو ابن معاوية بن ربيعة الهلالي ، قدم على النبي ﷺ فأسلم وغاب عنه سنة ، فأتاه وقد ضعف ونحل فقال : يارسول الله ماتعرفني ؟! «فقال : مَنْ أَنْتَ»؟ . قال : كهمس بن معاوية ، مانمت بعدك ليلاً ولا أفطرت نهاراً . فقال : «صُمْ شَهْرَ الصَّوْمِ وَيَوْماً مِنْ كُلِّ شَهْرٍ» .قال : أقدر على أكثر من ذلك . قال : «صُمْ ثَلاَثَةَ أَيامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ» .

ومنهم حميد بن ثور الهلالي ، وهو القائل :

أصبح قلبي من سليمى مقصداً ... إن خطأً منها وإن تعمَّدا
حتى أرانا ربنا محمَّدا ... يتلو من الله كتاباً مرشدا
فلم نكذِّبْ وخررنا سُجّداً ... نعطي الزكاة ونقيم المسجدا

قوله الأماجد : أي لمصاهرة النبي ﷺ ، وقوله : ستون ألف ناقة .. ألخ . خاص بقبيلة منهم يقال لها بنو رياح ؛ وهو غير صحيح عند اليدالي ، وعلى صحته فإنما كان في آخر الزمان .

نسب بني هلال وذكر أصهار هند بنت عوف

أَصْهَارُ هِنْدَ بِنْتِ عَوْفِ الْفُضَلَا
نَبِيُّنَا بزَيْنَبٍ ثُمَّ عَلَىٰ
مَيْمُونَةٍ بِنْتي بَني هِلَالِ
وَعَمُّهُ الْعَبَّاسُ قُطْبُ الآلِ

عَلَىٰ لُبَـابَـةٍ وَأُخْــتُ هٰذِهِ

وتـلْكَ أيْـضـاً أمُّ خَالِـدٍ وَهِي

لُبَـابَـةُ الصُّغْـرَىٰ وأُمُّ الفَضْـلِ

لُبَـابـةُ الْكـبْرَىٰ فَخُـذْ عَنْ نَقْلِ

لما أنهى الكـلام على بني كلاب وبني كَعْبٍ الأمجدين عند العرب ، ولايبالون بغيرهما من بني عامر بن صعصعة ، كما قال دريد بن الصمة : لو كان يوم جد لما غاب عنه كعب وكلاب . وكما قال جرير :

فغضَّ الـطرف إنـك من نُمَـيْرٍ فلا كعـبـاً بلغـت ولا كلابـا

شرع يتكلم على غيرهما من بني عامر فبدأ ببني هلال ، واستعجله عن ذكر غير كهمس ، وحمله الطرب إلى استطراد هؤلاءِ الأصهار لأن لهما صاهر النبي ﷺ مرتـين ، وفضلاء الصحابة ، ونزههم أن يذكر معهم الوليد بن المغيرة وإن كان له شرف وفضل في الدنيا ، فاستلزم ذكره بذكر خالد . وهند بنت عوف : حميرية وقيل أسدية ويضرب المثل بها بكرم الأصهار ؛ يقال : أكرم عجوز في العرب أصهاراً . وإنما ذكرهم هنا لأن بناتها من بني هلال سوى الخثعميتـين أسـماءَ وسلمى بنتي عميس ، وزينب بنت خزيمـة أم المساكين ؛ سميت بذلك لشفقتها وكثرة صدقتها على المساكين . كانت عند عبيدة بن الحـارث بن المـطلب ، فطلقها وتزوجها الطفيل أخوه ، فطلقها فتزوجها عبد الله بن جحش واستشهد عنها بأحد ، فلما حلت تزوجها رسول الله ﷺ ومكثت عنده شهرين أو ثلاثة ثم توفيت رضي الله عنها . قوله : ثم

على ، يحتمـل أنـه فعـل ماض ناصب للفظ ميمونة على المفعولية ، لأنهم يقولون : فلانة تحت فلان ، إذا كانت زوجته ، ويحتمل أنه حرف جر ؛ أي صاهرها بعد زينب على ميمونة ؛ وهي بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال ، وهي آخر امرأة تزوجها رسول الله ﷺ من نسائه ، تزوجها في عمرة القضاءِ ؛ قيل معتمراً وهو المشهور [1] وهي من خصـائصـه ﷺ ، وعنـد الشافعي تزوجها بعد أن قال له العباس : ياابن أخي ، هذه ميمونة بنت الحارث تأيّمت من أبي رهم بن عبد العزى من أمرها كيت وكيت فتزوجْها ، فإنها تليق بك فخطبها . ويقال أن الخاطب وجدها

---

(١) قول الشـارح : إن المشهور أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة معتمراً وأنها خصوصية من خصائصه ، قول فاته التحقيق ؛ نعم ، روى الشيخان في صحيحيهما وأصحاب السنن والإمـام أحمـد عن ابن عبـاس رضي الله عنهـما أن النبي ﷺ تزوج ميمـونة وهو محرم ، وللبخاري : تزوج ميمونة وهو محرم وبنى بها وهو حلال وماتت بسرف ، غير أنه ورد الخبر الصحيح عن ميمونة نفسهـا وعن أبي رافع الذي كان السفير بينها وبين رسول الله ﷺ في المسألة ، ففي صحيح مسلم مانصه : حدثنا أبو بكر بن ابي شيبة ، حدثنا يحي بن آدم ، حدثنا جرير بن حازم حدثنا أبو فزارة عن يزيد بن الأصم ، حدثتني ميمونة بنت الحارث أن رسول الله ﷺ تزوجها وهو حلال ، قال : وكانت خالتي وخالة ابن عباس . ا . هـ .

وهـذا الحديث كما رواه مسلم ، رواه أيضاً الترمذي وأبو داود وابن ماجه والإمام أحمد ، وقال الترمذي : حدثنا قتيبة ، ثنا حماد بن زيد عن مطر الوراق ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن سليمان بن يسار عن أبي رافع قال : تزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو حلال ، وبنى بها وهو حلال ، وكنت أنا الرسول بينهما .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن ، لا نعلم أحداً أسنده غير حماد بن زيد عن مطر الوراق عن ربيعة .

=

= وروى مالك بن أنس عن ربيعة عن سليمان بن يسار أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال ـ رواه مالك مرسلاً ، ورواه أيضاً سليمان بن بلال عن ربيعة مرسلا . ا . هـ .

وحديث أبي رافع هذا رواه أيضاً الإمام أحمد ، فقد تعارض لنا نصان صحيحان في الموضوع الذي نحن بصدده ؛ وهو تحقيق ما إذا كان النبي عليه الصلاة والسلام تزوج ميمونة رضي الله عنها وهو محرم أو حلال ، فإذا علمت ذلك ، فاعلم أن المقرر في الأصول أنه إذا اختلف نصان وجب الجمع بينهما إن أمكن ذلك ، وإن لم يكن الجمع ممكناً وجب الترجيح بينهما ، لذلك فإن الجمع بين حديث ابن عباس وحديث ميمونة وأبي رافع ممكن جداً وهو أن يفسر قول ابن عباس أنه تزوجها وهو محرم ؛ بأن المراد به كونه في الشهر الحرام ، وقد تزوجها ﷺ في ذي القعدة عام سبع في عمرة القضاءِ ، كما ذكره البخاري في مغازيه من الصحيح الجامع له في باب عمرة القضاء . ولا خلاف بين أهل اللسان العربي في إطلاق الاحرام على الدخول في حرمة لاتنتهك ، كالدخول في الشهر الحرام أو في الحرم أو غير ذلك . ففي لسان العرب : أحرم الرجل إذا دخل في حرمة لاتنتهك ؛ ومن إطلاق الإحرام على الدخول في الشهر الحرام ، واستشهد به في اللسان على ذلك ، قول زهير :

جعلن القنان عن يمين وحزنه ... وكم في القنان من محل ومحرم

وقول الراعي :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ... ودعاً فلم أر مثله مقتولا
فتفرقت من بعد ذاك عصاهم ... شققاً وأصبح سيفهم مسلولا

أي قتلوه في الشهر الحرام وهو ذو الحجة ، وقيل : قتلوه في حرم المدينة ؛ لأن المحرم يطلق لغة على كل داخل في حرمة لاتنتهك ، سواءٌ كانت زمانية أو مكانية . وعلى تفسير قول ابن عباس بما ذكرنا فلا تعارض بين حديث ابن عباس وحديث ميمونة وأبي رافع ، =

= ولو فرضنا أن التعارض بين الحديثين باق ، وأن المصير إلى الترجيح واجب ، قلنا : إن حديث ميمونة وأبي رافع أرجح من حديث ابن عباس ؛ لأن ميمونة هي صاحبة القصة ، ولاشك أن صاحب القصة أدرى بما جرى له في نفسه من غيره ، وقد تقرر في الأصول أن خبر صاحب الواقعة المروية مقدم على خبر غيره ، لأنه أعرف بالحال من غيره ، والأصوليون يمثلون لذلك بحديث ميمونة مع حديث ابن عباس اللذين نحن بصدد الكلام عليهما ، وإلى هذا المرجح أشار في مراقي السعود في مبحث الترجيح باعتبار حال الراوي بقوله :

أو راوياً باللفظ أو ذا الواقع   وكون من رواه غير مانع

ومحل الشاهد منه قوله : أو ذا الواقع ؛ أي يقدم خبر ذي الواقع المروي على خبر غيره ؛ كخبر ميمونة مع خبر ابن عباس ، ويرجح حديث أبي رافع أيضاً على حديث ابن عباس ؛ لأن أبا رافع هو رسول رسول الله ﷺ إلى ميمونة يخطبها عليه ، فهو لذلك مباشر للواقعة ، وابن عباس ليس كذلك ، وقد تقرر في الأصول ترجيح خبر الراوي المباشر لما روى على خبر غيره ، لأن المباشر أعرف بحاله من غيره ، وأهل الفن يمثلون لذلك بحديث أبي رافع ؛ أنه ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال قال : وكنت الرسول فيما بينهما ، مع حديث ابن عباس المذكور أنه تزوجها وهو حرام ، وهناك مرجحات أخر تركناها للاختصار .

وأما ماذكره الشارح من خصوصيته ﷺ بالنكاح محرماً فإنه مجرد دعوى لادليل عليها ، فالخصوصية لاتثبت إلا بالنقل ولا نقل هنا ، إلا ماروي عن ابن عباس وقد وقفت على الجواب عنه . ا . هـ . من أضواءِ البيان بتصرف .

وماذهب إليه الشيخ اليدالي من أن زينب بنت خزيمة وميمونة بنت الحارث بن حزن لايجتمع نسبهما إلا في هلال هو الصحيح ، وقد تقدم لك في الشرح نسب ميمونة رضي الله عنها وإليك نسب زينب رضي الله عنها لتتبين صحة ذلك : هي زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة .

راكبة فقالت : البعير وما عليه لرسول الله ﷺ . فسقطت عن البعير فرحاً وجعلت أمرها إلى العباس فزوجها منه ، فلما قالت قريش لرسول الله ﷺ : أخرج عنا وعن أرضنا فقد تمَّ الأجل بيننا وبينك ـ وهو ثلاثة أيام تصالحوا عليها عام أول في صلح الحديبية ـ فقال لهم رسول الله ﷺ : «**أُقِيمُ عِنْدَكُمْ أولِمُ عَلَىٰ عُرْسِي وَأُطْعِمُكُمْ**» . قالوا : لاحاجة لنا إلى طعامك وعرسك ، أخرج عنّا بطعامك وعرسك . فخرج حتى كان بسرف ـ ككتف وهو قريب من التنعيم ، وهو أقرب مواضع الحل ـ أعرس بها عنده وكان به قبرها بعد ذلك ؛ وذلك أنها قدمت مكة للحج فمرضت ، وقام عليها الناس ينتظرون وفاتها فأفاقت وقالت : احملوني فقد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول إني لا أموت بمكة ، فحملوها فماتت عنده ودفنت في الموضع الذي أعرس بها فيه رسول الله ﷺ . وهي بنت خال أبي سفيان بن حرب لأمه ، لأن أبا سفيان أمه صفية بنت حزن كما في الروض الأنف وغيره ، وفيه أن زينب وميمونة بنتا عمّ ، وخالف اليدالي في ذلك فلم يلاقهما إلا في هلال .

وقوله قطب الآل : يعني آل النبي ﷺ مؤمنو بني هاشم . والقطب : عود في الرحى تدور عليه ، ونجم يهتدون به إلى القبلة ، وسيد القوم ، يعني أن العباس سيد مؤمني بني هاشم ؛ يعني أن العباس صاهر هند بنت عوف على لبابة ، كما صاهرها رسول الله ﷺ على زينب وميمونة بنتي بني هلال . قولـه : وأخت هذه وتلك ؛ يعني بالإشـارة القـريبـة لبـابـة الكبرى زوج العباس ، ويعني بالاشارة البعيدة وهي تلك ميمونة ، يعني أن أم خالد بن الوليد شقيقة ميمونة وزوج العباس ثم قال : وهي لبابة الصغرى ، يعني أم خالد والكبرى وهي زوج العباس أم الفضل يعني وإخوته عبد الله وعبيد الله ومعبد وقثم وعبد الرحمن وأختهم أم حبيب . فهؤلاءِ أشقاءُ.وبقي من اولاد

العباس الحارث وأُمه من هذيل ، وتمّام وكثير وهما لأُم ولد وعون ، قال أبو عمر : لم أَقف على اسم أُمه ، وقوله : فخذ عن نقل ، نبه به على القول بأَصغرية أُم الفضل وأَكبرية أُم خالد على ضعفه .

وَجَعْفَرُ الْعَتِيقُ حَيْدَرَتُهُمْ

أَسْمَاءُ أي بَنْتُ عُمَيْسٍ زَوْجُهُمْ

يعني أَن جعفراً وعلياً ابني أَبي طالب وأَبا بكر رضي الله عنهم أَصهارٌ لهند بنت عوف على أَسماءَ بنت عميس الخثعمية ؛ أَما جعفر فقد تزوجها قبلُ وهاجر بها إِلى الحبشة الهجرة الثانية ، ومعها اثنان وثلاثون رجلاً واثنتا عشرة امرأَة ، وجعفر سيدهم وخطيبهم عند النجاشي ، فلم يزالوا يرجعون شيئاً فشيئاً إِلى أَن بقي جعفر ورهط معه قليل ، ثم كتب النبي ﷺ كتاباً مع يعلى ابن أُمية إِلى النجاشي أَن يقدم إِليه جعفر ورهطه ، وأَن يزوجه أُم حبيبة رملة بنت أَبي سفيان ففعل ، ووافوا النبي ﷺ بخيبر فقال : «**لَاأَدْرِي أَيُّ الْفَرْحَتَيْنِ أَشَدُّ : فَتْحُ خَيْبَرَ أَمْ قُدُومُ جَعْفَرَ**» فعانقه ﷺ حين قدم عليه .

قول سفيان بن عيينة لمالك

وذلك قول سفيان الثوري لمالك : عانق من هو خير منك ومن هو خير مني . وولدت أَسماءُ لجعفر بالحبشة بنيه الثلاثة : محمداً وعوناً وعبد الله وهو أَصغرهم ، ويوم ولد عبد الله ولد للنجاشي ولد فسماه عبد الله باسم ابن جعفر ، وأَرضعته أَسماءُ وأَرضعت عبد الله بن جعفر زوجُ النجاشي ، وكانوا

يتــواصلون لهذه ، فلما استشهـد جعفـر بمؤتـة قال لها رسـول الله ﷺ : «تَسَلَّبي [1] ثَلاَثاً فَأَخْبِرِيني» . ثم لم يقدر تزويج رسول الله ﷺ لأَسماءَ ، ولكن كانت من خاصته تدخلَ عليه وتخرج ، وباشرت لدَّه في مرضه ، ولمست عند موته موضع الخاتم تختبر به موته ﷺ . وانظر هل ذلك لمكان أختها من رسول الله ﷺ ميمونة ، فيكون فيه متعلق لمن يرى ذلك خصوصيتة له ، ثم تزوج أَبو بكر أَسماءَ فولدت له محمداً ، ولدته بالجحفة خروج الناس لحجة الوداع ، فمنعها ذلك [2] من الحج كما منع الحيض عائشة في تلك الحجة .

ثم تزوجها علي بعد أَبي بكر فولدت له يحيى ومات صغيراً ، قيل وزيد .

وَأُخْتُهَا بِنْتُ عُمَيْسٍ سَلْمَى بِحَمْــزَةٍ عَمِّ الـنَّبِيِّ تُسْمَى

وأُختها أَي أَسماءُ بنت عميس . وتسمى : أَي تُعْلاَ ؛ من السمو وهو العلو ، يعني أَن من أَصهار هند بنت عوف سيدنا حمزة رضي الله عنه ، إذ تعلو بتزويجه بنتها سلمى بنت عميس وهي أُم ابنه يعلى وبناته ، واختلف في عُمارة هل هو ابن كما ذكر صاحب الإصابة ، أُو هي بنت كما قال السهيلي في الروض الأُنف وذكر لها حديثاً في الميراث بالعتق ، وقد استوفينا ذلك في شرح الغزوات في الكلام على حمزة رضي الله عنه .

وَمِنْهُمُ ابْنُ جَحْشٍ الْمُجَدَّعُ بِزَيْـنَـبَ قَبْــلَ النَّبِيِّ يَمْتَــعُ

---

(١) هكذا في الأَصل ولم استطع فهم المراد به .

(٢) الصواب أَن يقول : فمنعها ذلك من الطواف حتى تطهر كما منع الحيض عائشة في تلك الحجة . والقصتان مشهورتان والحمد لله فلا داعي للاطالة في ذلك .

أي ومن أصهار هند بنت عوف ، عبد الله بن جحش كما قدمنا تزويجه بزينب قبل النبي ﷺ وبعد ابني الحارث بن المطلب ، والمجدع : سيدنا عبد الله بن جحش جدع في الله يوم قتله المشركون بأحد ؛ وإنما سمي المجدع بعد موته لكن صار ذلك علمًا له لأن المشركين مثّلوا به ؛ جدعوا أنفه وأذنيه لأنه دعا الله قبل ذلك أن يفعله به أسد من أسد المشركين ، ليسأله الله يوم القيامة : من فعل بك هذا ؟ فيقول : فلان : فيقول الله : فيمَ ؟ . فيقول : فيك . وسأل سعد بن أبي وقّاص أن يؤمّن على دعائه وألحَّ عليه فأمن سعد . أم عبد الله بن جحش هي أميمة بنت عبد المطلب . وهو من المهاجرين الأولين ، أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الارقم بن أبي الأرقم ، وهو أول من بعثه النبي ﷺ في سرية ، وهو أول من خمس الغنيمة في سبيل الله ثم نزل : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لله خُمُسَهُ﴾[1] الآية ودفن هو وحمزة في قبر واحد ، وهم [أي بنو جحش] حلفاءُ بني عبد شمس ، ويمتع : يتمتع أي ينتفع ولم يذكر الناظم من الأصهار الكرام ابني الحارث على زينب كما قدمنا . ولما أنهى الكلام على بني هلال واستطرد ذكر الأصهار شرع يتكلم على :

---

(١) سورة الأنفال : ٤١

بنو نمير بن عامر بن صعصعة

فقال رحمه الله :

نُمَــيْرٌ الَّــذِي الْهِجَــاءُ وَضَعَــهْ
نُمَــيْرُ بْنُ عَامِــرِ بْنِ صَعْصَعَـهْ
مِنْهُمْ جَرَانُ الْعُودِ والَّراعِي الَّذِي
جَرَّ لَهُمْ هَجْــوَ جَرِيــرٍ الْبَــذِي

جران العود : جلد مقدم عنقه من منخره إلى مذبحه ، والعود : الكبير من الإبل . والهجو : الكلام القبيح والبذيء الفاحش ، يعني أن من بني عامر بن صعصعة ، بني نمير الذين وضعهم الهجاءُ بعد أن كانوا يعدّون من جمرات العرب الثلاث ، وإن منهم عامر بن الحارث بن كلفة النميري وهو شاعـر إسلامي غلب عليه لقبه جرّان العود لقوله يخاطب زوجتيه ويهددهما بالضرب بحبل من جرّان العود :

خذا حذراً ياجــارتيّ فإنــي رأيت جران العود قد كاد يصلح

والراعي : شاعر بني نمير واسمه عبيد بن حصين ، ولقب بالراعي لقوله يصف إبلاً وراعيها :

لهـا حكمهــا حتى إذا ماتبــوّأت بأخفــافها مرعىً تبــوّأ مضجعـا

فقال العرب : ماهذا إلا راعي إبل . وقيل : بل لقب بقوله :

تركت ضأني تود الـذئب راعيـاً وأنها لاتـراني آخـر الأبـد
والـذئب يطرقها في الدهر واحدة وكـل يوم تراني مُديـتي بيـدي

وهو شاعر محسن لكنه لما هاجى جريراً هجاه وهجا قومه بقصيدة طويلة ذات حسن وفحش كلام ، وتلقتها العرب بالقبول ، أولها :

أقـلّي اللوم عاذلُ والعتـابا وقولي إن أصبتُ لقد أصابا

ومنها وهو الواضع لنمير :

فغضَّ الـطرف إنـك من نُمَيرٍ فلا كعبـاً بلغـت ولا كلابـا
ولـو وضعت شيـوخ بني نمـير على الميـزان ماعـدلت ذُبـابـا

وكانت نمير قبل هذا البيت ينتسبون إلى نمير ، ويفخمون كلامهم عند ذكر نمير افتخاراً بهم ، لأنهم كانوا يعدون من جمرات العرب ، وصاروا بعد ذلك لاينتسبون إلا إلى عامر ؛ فإذا سئل أحدهم ممن أنت ؟ . يقول : عامـري . وقـدم على الحجاج أو على غيره أُسارى من بني نمير ، فسمع أحدهم آخر الليل يترنم ، وقد لاحت بروق :

ألا ياسـنى برق على قلل الحمى لهنَّـك من برق علي كريـم
لمعت اغتـداءَ الطير والقوم هجَّع فهـيجت أحـزانـاً وأنت سليم
فبت بحـد المـرفقـين أشيمـه كأني لبرق بالـنـسـار حميـم
فهـل من معـير طرف عين خلية فإنســان طرف العـامـري كليم

فلما سمع الأمير الأبيات أطلقه . وأرسل يوماً رجل من باهلة عبده وارداً على ماء عليه نمير وقال : إن منعوك الماء فأنشد لهم هذا البيت : فغض الطرف إنك من نمير ألخ فجاءَ العبد ونسي البيت وقال لهم : غض طرفك

وإلا جاءَك ماتكره . فتفاسحوا عنه . ومرت امرأة يوماً على ملإ منهم ، فجعلوا ينظرون إليها ويتكلمون فيها . فقالت : يابني نمير ، والله ماأراكم امتثلتم واحدة من اثنتين : لاقول الله تعالى : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾(1) الآية ولا قول جرير :

فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعباً بلغت ولا كلابا

فخجلوا وكفوا عنها . ومن قصيدة جرير قوله يذكر أم الراعي :

ترى برصاً بمجْمع اسكتيها ... كعَنْفَقَة الفرزدق حين شابا

يحكى أنه لما قال أول البيت غطى الفرزدق عنفقته ، وكان حاضراً

وخرج يقول : اللهم اخْزِه . يعني جريراً . ومما أجابه الراعي به قوله :

نمير جمرة العرب التي لم ... تزل في الحرب تلتهب التهـ

ولولا أن يقال هجا نميراً ... ولم نسمع لشاعرهم ج

رغبنا عن هجاءِ بني كليب ... وكيف يشاتم الناس الكـ

ومن نمير قيس بن عاصم بن أُسيد وهو صحابي وفد النبي

يقول الشاعر :

إليك ابْنَ خير الناس قيس بن عاصم ... جشمت من الأمر الـ

وكان جرير يسمي قصيدته الدامغة ويقول : قد والله

الدهر .

---

(1) سورة النور : ٣٠

بنو سواءَة بن عامر بن صعصعة

ومن عامر أيضاً بنو سواءَة ـ كحذافة ـ ابن عامر بن صعصعة ، منهم
جابر بن سمرة بن عمرو بن جندب بن عمير بن سواءَة راوي حديث : تربع
النبي ﷺ ، وغيره من الحديث ، أمه خالدة بنت أبي وقاص أخت سعد
صحابية ، وأبوه سمرة حليف بني زهرة صحابي يروي عن النبي ﷺ : «يكُونُ
…عْدِي اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُم مِنْ قُرَيْشٍ» ومن سواءَة أبو جحيفة وهب بن عبد
…ه قال : رأيت النبي ﷺ وهذه منه بيضاءُ ، وأشار إلى عنفقته ، وهو آخر
…صحابة موتاً بالكوفة وقيل : عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي .

بنو البكاء بن عامر بن صعصعة

…ومن عامر أيضاً بنو البكاءِ ، واسمه ربيعة بن عامر بن صعصعة ،
…بن معاوية وفد على النبي ﷺ فأسلم ومسح برأسه الرسول ﷺ ودعا
…البركات ، وفي ذلك يقول ابنه محمد بن بشير :

…مَسَحَ الرسول برأسه ‖ ودعا له بالخير والبركات

…يداءُ التي تشبب بها ذو الرمة بقوله :

…ها ذيلها الصبا ‖ لصيداءَ مهلاً ماءُ عينيك سافحُ
…البين إذ غدا ‖ لصيداءَ مجذوذ من الوصل جامح
…رمادة راجع ‖ لياليه أم أيامهن الصوالح

ومن صعصعة أيضاً بنو سَلُول ، وهم بنو مرة بن صعصعة ، عرفوا بأمهم سلول بنت ذهل بن شيبان ؛ منهم حبشي بن جنادة الصحابي وقردة - بالتحريك - ابن نفاثة الصحابي أيضاً ، قدم على رسول الله ﷺ في وفد سلول فأَمَّره عليهم . عُمِّر مائة وخمسين سنة وهو القائل :

أَصبحت شيخاً أَرى الشيخين أَربعة
والواحد اثنين مما بورك البصر

هنا انتهى هوازن غير ثقيف ، وشرع يتكلم على :

ثقيف بن منبه

وَمِــنْ مُنَــبِّــهٍ ثَقِـيفُ الْهَــازِلُ
أَحْــلَافُــهُ بِالْمُصْـطَفَىٰ وَالْقَـاتِـلُ
رَسُــولَــهُ يَدْعُــو إِلَىٰ الْإِسْـلَامِ
وَهْــوَ عَظِيــمُ قَرْيَــةِ الِّــلئَــامِ

يعني أن منبه بن بكر بن هوازن ابنه ثقيف واسمه قيس ، سمي قيساً ، لقساوة قلبه لأنه قتل أباه وعمد إلى الطائف ، فتزوج زينب بنت عامر بن الظرب فقالوا : ماأثقفه إذ تزوج بنت عامر بن الظرب . والطائف مدينة على مرحلتين من مكة ، وهي أرض نجد هي قوت أهل مكة وأهلها ثقيف ، وهي إحدى القريتين في قوله تعالى : ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[1] وكانت ثقيف يزعمون تكافؤ قريش يصاهرونهم ، وتقول العرب إنهم بقايا ثمود جدهم أبو رغال منعه الحرم من العذاب، وكان الحجاج يقول : كذبوا لأن الله تعالى يقول : ﴿وَثَمُودَاْ فَمَا أَبْقَىٰ﴾[2] وقيل موالي لهوازن ، وقيل من اياد . قال الفرزدق :

ولولا بنو مروان كان ابن يوسف كما كان عبداً من عبيد إيـاد

---

(١) سورة الزخرف : ٣١
(٢) سورة النجم : ٥١

وهم قبيلتان : الأحلاف وبنو مالك ، ويعني أيضاً أن الأحلاف هم الـذين هزلـوا بالنبي ﷺ إذ جاءَهم يدعـوهم إلى الإسلام ، ويستنصرهم ويستجير بهم على العرب حتى يبلغ الرسالة كما فعلت الأنصار ، فردوا عليه أقبح الرد إذ قال أحدهم : ماكان الله ليرسلك . وقال الثاني : أما وجد الله من يرسله غيرك ؟ . وقـال الثالث : والله لاأكلمك ، إن كنت نبياً فأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك ، وإن كنت كذاباً فلا ينبغي لي أن أكلمك . فقال النبي ﷺ : «**أَمَا إِذْ فَعَلْتُمْ مَافَعَلْتُمْ فَاكْتُمُوا عَنِّي**» . وكره ﷺ أن يبلغ قومـه فأبوا وأغروا به سفهاءَهم يرمونه بالحجارة ، ومعه زيد بن حارثة يقيه الحجـارة ، فكلما أذلقـوه بالحجارة جلس فيأخذون عضديه يقيمونه حتى دميت قدماه وشج زيد بن حارثة ، وبهذا فسر قول البصيري :

دميت في الوغى لتكسب طيباً ماأراقت من الدم الشهداءُ

لأن قدمه ﷺ لم تدم قط في غير هذا ، ورد على قائل ذلك بأنه قال : في الوغى ، وليس هنا جهاد . فقيل : بل فيه جهاد لأن زيداً جاهد عنه ، وهذا هو يوم قرن الثعالب الذي ذكر النبي ﷺ حين سألته عائشة رضي الله عنها : هل مرّ عليك قط يوم كيوم أحد ؟ . وقوله : القاتل رسوله : يعني برسـوله عروة بن مسعود بن معتب ، أمه سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف ، [ومن خبره] أنه لما ارتحل النبي ﷺ عن الطائف ، ولم يؤذن له في الفتح ، خرج في أثره حتى لحق به وأسلم فقال : يارسول الله ، أرسلني إلى ثقيف أدعوهم إلى الإسلام . فقال : «**أَخَافُ أَنْ يَقْتُلُوكَ**» . فقال : يارسول الله إني أحب إليهم من أسماعهم وأبصارهم . فرجع إليهم فدعاهم فرموه بالنبل فقتلوه ، فأتاه قومه فقالوا : ماذا تريد نفعل ؟ . فقال : إنما دمي مثل دم هؤلاءِ الشهداءِ فادفنوني معهم ؛ يعني الذين قتلوا يوم الطائف ، وقوله :

وعظيم قرية اللئام ، يشير إلى قوله تعالى حاكياً عن قريش : ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[1] يعنون بعظيم مكة الوليد بن المغيرة ، وقيل عتبة بن ربيعة ، وبعظيم الطائف عروة بن مسعود هذا . وقوله : قرية ، وهي مدينة تبعاً للفظ الآية لأن الطائف مدينة ؛ لدخولها في حد المدينة وهي قرى ذات سور من ورائها ، وأما الآية فلعله من باب التغليب كالمكّتينْ لمكة والمدينة ، أو لأن المدينة يصدق عليها اسم القرية . قال تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾[2] وهم أهل أنطاكية . وقال تعالى : ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾[3] وقال عليه الصلاة والسلام : «أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَىٰ» يعني المدينة تأكل القرى والمدن . والله أعلم . وقوله : اللئام ، يعني اذ ذاك لكفرهم ومعاداتهم النبي ﷺ ، وأما بعد إسلامهم فكرام . وذكر في صدر الكتاب سبب تسمية الطائف .

جَدُّ ابـنِ يُوسُفَ وَعَمُّ الـدَّاهِي
فَاقِـدِ عَيْنٍ فِي سَبِيـلِ اللهِ
وَهْـوَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ السَّرِي
وَالْعَمُّ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُـودِ الْجَرِي

ابن يوسف ، يعني الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عامر بن عروة بن مسعود ، وأخوه محمد بن يوسف ، رثاه جرير هو ومحمد بن الحجاج بقوله :

---

(١) سورة الزخرف : ٣١

(٢) سورة الكهف : ٧٧

(٣) سورة الكهف : ٨٢

إنَّ الرزية لارزية مثلها فقدان مثل محمد ومحمد

وهو جد الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق ، قال الناظم رحمه الله :

وأُمــه بنــت أَخــي الحــجــاج وفــســقــه من ذلــك المــزاج

وهو أيضاً أَبو زينب بنت محمد بن يوسف التي يقول فيها محمد بن عبد الله بن أَوفى بن نمير الثقفي :

تضوَّع مسكاً بطنُ نعمان أن مشت به زيــنــب في نســوة عطرات
دعت نســوة ثمَّ العــرانـين بُدَّنــاً نواعــم لا شُعــثــاً ولا غبرات
أَجلَّ الذي فوق السموات عرشه أَوانسَ بالــبــطحــاءِ مؤتمــرات
يخبِّئن أَطــراف البنـان من التُّقى ويخــرجن شطر الليـل مختمـرات
ولم تر عيـني مثــل سرب رأَيتــه خرجــن من الــتنعيم معتمــرات
فلما رأَت ركب النميري أَعرضت وكــنَّ من أَن يلقيـنــه حذرات

وأَما المغيرة فهو ابن شعبة بن مسعود هكذا نسبه اليدالي ، وأَما غيره فيجعل بين شعبة ومسعود أَبا عامر يقولون : شعبة بن أَبي عامر بن مسعود ، وفقئت عين المغيرة باليرموك ، وهو من دهاة الصحابة أَسلم عام الخندق ، وأَول مشاهده الحديبية وكان واقفاً على رأْس رسول الله ﷺ ، وعروة بن مسعود يكلمه ويدخل يده تحت لحيته فقال : أَخِّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ . وضرب يده بصفحة السيف ، فقال عروة : مَن هذا ؟ . وكان المغيرة مقنعاً بالحديد ، فقال ﷺ : «ذٰلِكَ الْمُغِيرةُ بْنُ شُعْبَةَ» . فقال عروة : ويحك وهل غسلت سوأَتك إلا بالأَمس ؟ يعني عروة بذلك أَن المغيرة وفد مع ناس من ثقيف على ملك غسان فآثر قومه عليه ، فلما كانوا بالطريق قابلين

غدر بهم المغيرة فقتلهم ، وأتى النبي ﷺ وأسلم ولم يقبل منه الخمس ، فودى عروة المقتولين ، ويقال أن المغيرة أحصن ألف امرأة في الإسلام . ولاه عمر البصرة ثم عزله ، وولاه الكوفة ثم عزله عنها عثمان بن عفان إذ ولي ، ثم ولاه عليها معاوية ، وبها مات سنة خمسين . ومن دهائه أنه لما وضع الناس رسول الله ﷺ في قبره طرح خاتمه وقال : خاتمي وقع . فدخل عليه ليأخذه ويكون آخر الناس عهداً برسول الله ﷺ ، وكان يقال له مغيرة الرأي .

مِنْهُمْ حَلِيفَـا زَهْـرَةِ الْأَلَـدُّ ... أَبُـو بَصِـيرٍ الْهُمَامُ الْجَعْـدُ

يعني أن من ثقيف حليفا بني زهرة ؛ وهما الأخنس بن شريق وأبو بصيرة ، والألد : الخصم الشحيح الذي لايرجع إلى الحق ، والهمام : السيد الشجاع السخي . والجعد : الكريم . أما الأخنس فكان اسمه أبيّاً ، فسمي الأخنس لأنه خنس أبيّاً عن بدر ببني زهرة حين أتى رسول أبي سفيان قريشاً أن يرجعوا قال : إنما خرجتم لتمنعوا صاحبكم - يعني مخرمة بن نوفل كان في العير - وعيركم قد نجّاها الله . فأطاعوه ورجعت معهم بنو عدي ، فزاده ذلك علواً وشرفاً فيهم . وكانوا يقولون : ماساد حليف إلا الأخنس . ولكنه والعياذ بالله نافق ؛ وجاءَ يوماً إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ، إني مؤمن بك ومصدقك ومحبك ، والله يشهد على مافي قلبي وعلى أني صادق فيما قلت . وخرج من عنده ، فمر بحرْث وحَمير لبعض المسلمين ليلاً فعقر الحمر وحرق الزرع فنزلت فيه : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1] الى قوله تعالى : ﴿وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ . وفي الروض الأنف : قدم

---

(١) سورة البقرة : ٢٠٤

رجل من أهل الخبرة بالقرآن مكة ، فسئل عمن نزلت فيه هذه الآية ـ وفي الحضرة رجـل من ولد الأخنس بن شريق ـ فقال : نزلت في الأخنس بن شريق ، فلما تفرقت الجماعة قال له الذي هو من ولد الأخنس : يا هٰذا ؛ القرآن أُنزل في أهل مكة مجملاً ، وإياك أن تعيّن أحداً مادمت هنا .

قصة أبي بصير رضي الله عنه

وأمـا أبـو بصير فاسمه عبيد أو عبيدة بن أُسيد ـ بضم الهمزة ـ ابن جارية بن أُسيد ، انفلت من حبس المشركين في هدنة الحديبية ولحق برسول الله ﷺ فبعث إليه أزهر بن عبد عوف والأخنس بن شريق أو جنادة بن مليح العـامري ورجلاً معه ليرده ، فبعثه النبي ﷺ معهما مكرهاً فلما قالوا جعل يتحدث معهما ويأْنس بهما ، فأخرجوا زادهم من التمر فتغدى معهما ثم أخذ سيف جنـادة فقال : ما أجود سيفك ياجنادة . فقال جنادة : ذلك سيف سأُعمله في الأوس والخزرج إلى الليل ، فقال : أتأْذن لي أن أسلَّه ؟ . قال : سُلَّه وجربْه . فسله وجعل يهزه إلى أن رضي ، فضربه به وأبان رأْسه وهرب زميله ، فأخذ أبو بصير المتاع وتبعه ، فلما خرج رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المسجد يريدون الصلاة خرج عليهم الرجل ، فلما رآه ﷺ قال : «**لَقَدْ رَأَىٰ هٰذَا ذُعْراً**» فقال له : «**مَالَكَ ، وَيْحَكَ**» ؟ قال : قُتِلَ صاحبي وإني لمقتول . ثم طلع أبـو بصير بأثره يقول : يارسول الله ، قد وفيت بذمتك ؛ رددتني إليهم فردَّني الله ، دعني أضربْ عنقه . فقال عليه الصلاة والسلام : دَعْهُ . قال : خذ خمس هذا . فأبى رسول الله ﷺ عن الخمس وقال : «**وَيْلُمَّهُ مِحَشَّ حَرْبٍ لَوْ وَجَدَ رِجَالاً**» . فلما رأى أبو بصير أن رسول الله ﷺ سيرده ، خرج من الليل إلى العيص ـ موضـع بسيف البحر ـ فسمع به المحبوسون بمكة

وسمعوا قول النبي ﷺ : «لَوْ وَجَدَ رِجَالاً» . فخرجوا إليه ، فلم يزالوا يزدادون ويأوي إليهم من أسلم ممن هناك من قبائل الأعراب ؛ كجهينة وقبائل من بكر بن كنانة إلى أن بلغوا مائتين أو أكثر ، فلم يزالوا يقطعون على كل من خرج من قريش لعير أو غيره ، فبعثت قريش إلى رسول الله ﷺ أن أسقطنا هذا الشرط من صلحنا فاضمم إليك القوم . فلم يفعل حتى كتبوا إليه يستعطفونه بالله والرحم ، فكتب إليهم كتاباً فوافى كتابُه أبا بصير يجود بنفسه ، وأخذ الكتاب وقرأه وجعله على صدره ومات ، والكتاب بيده على صدره ، فصلى عليه أبو جندل وبنى مسجداً[1] على قبره ، فهاجرت قريش إلى رسول الله ﷺ ورجع من أسلم من القبائل إلى أهليهم على إسلامهم . وفي ذلك يقول أبو جندل :

أبلغ قريشاً عن أبي جندل إني بذي المروة بالساحل
في معشر تخفُل أيمانهم بالبيض فيها والقنا الذابل

عثمان بن أبي العاص بن بشر بن دهمان هو الذي منع ثقيفاً من الارتداد

عُثْمَانُ وَلاَّهُ النَّبِيُّ فَأَبَىٰ
أَنْ يَرْجِعُوا لِكُفْرِهِمْ وَوَهَبَا

يعني أن من ثقيف عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان ، ولاه النبي ﷺ على الطائف ، وكان في وفد ثقيف فرآه النبي ﷺ أكثرهم قراءة

(١) كذا في أسد الغابة عزواً لأبي عمر ؛ يعني ابن عبد البر . والله أعلم .

للقرآن ، فلما توفي النبي ﷺ أبى لهم أن يرتدوا وقال لهم : لاتكونوا آخر العرب إسلاماً وأولهم ارتداداً . فكان ذلك سبب تمسكهم بالإسلام . ثم لم يزل على الطائف إلى سنتين من خلافة عمر ، فعزله وولاه عُمان والبحرين وفتح الفتوحات وهو القائل : الناكح مغترس فلينظر أحدكم أين يضع غرسه ؛ فإن عرق السوءِ لابد أن ينزع . وتوفي في خلافة معاوية ؛ وكان أقطعه عثمان ألف جريب ، وذلك قول الناظم رحمه الله :

لَهُ ابْنُ عَفَّانَ الرِّضىٰ أَلفَ جَرِيبْ
وَابْنُ أَبِي الصَّلْتِ وَغَيْلَانُ اللَّبِيبْ
أَنْ كَانَ لَايَقْتَاتُ تَمْراً وَلَبَنْ
وَالنَّفَرُ انْقَضَّ بِبَكْرَةٍ فَمَنْ
نَبِيُّنَا عَلَيْهِ بِالْعِتْقِ أَبُو
بَكْرَةَ فِي الْهَابِطِ هٰذَا يُحْسَبُ

ابن عفان : عثمان رضي الله عنه . والرضي : المرتضى . والجريب : مكيال معروف ، والمزرعة والوادي . والله أعلم أيهما المراد هنا ، إلا أن لفظ أقطع أقرب إلى المزرعة والوادي ، ولفظ وهب يحتمل المكيال . وابن أبي الصلت : يعني أمية الشاعر المعروف ؛ أمه بنت عبد شمس بن عبد مناف وهو ابن خالة عروة بن مسعود ، قال فيه النبي ﷺ : «آمَنَ شِعْرُهُ وَلَمْ يُؤْمِنْ قَلْبُهُ» وهو القائل :

الْحَمْدُ لله مَمْسَانَا وَمُصْبِحُنَا   بِالْخَيْرِ أَصْبَحَنَا رَبِّي وَمَسَّانَا

كان في وفد قريش وثقيف على سيف بن ذي يزن ، ومدحه بقصيدته التي منها :

فاشْرَبْ هَنِيئاً عليك التاج مرتفقاً   في رأْس غمدان دارٌ منك مِحلالا
تلك المكــارم لاقَعْبــان من لبن   شيبــا بماءٍ فعــادا بعــدُ أَبــوالا

وهو أَول من كتب من العرب باسمك اللهم ؛ وسبب ذلك أَنه خرج في تجارة فلما كانوا بفلاة من الأَرض مضيعة ، سلط الله عليهم حية عظيمة جداً صاحت عليهم فنفــرت إبلهم ، فلأياً ما حبســوهـا عليهم فلم تزل كذلك ؛ كلما ردوا إبلهم جاءَتهم فتصيح فتنفر الإبل ، فكادوا يهلكون عطشاً وتعباً إلى أَن جَنَّ عليهم الليل ، فسار أُمية هائمًا على وجهه ؛ فبينما هو يهيم إذ رفعت له نيران فلما دنا منها آنس أَن ليست للإنس ، لكثرة اضطرابها وكثرة اللغط حولها ، واقشعر جلده فقال : إني عائذ بزعيم هذا الحي . فقيل : أَحسنت . فاذهب إليه . فجاء فقال له : ماشأنك ياإنسان ؟ . فقص عليه خبره فقال : اذهب إلى قومك وكلما جاءَتكم فقل : باسمك اللهم . ففعل ولم يروها بعد ذلك . فلم يزل أُمية يعوذ بها ويكتبها في الرسائل ونحوها ، واقتدت به العربُ في ذلك إلى أَن نسخها الإِسلام بالبسملة ، وكان عروة وأُمية لخئولتهما من قريش رؤساءَ يشركانهم في الأَمر ويسكنون عندهم ، وكان أُمية يقرأُ الكتاب ويعد برسالة النبي ﷺ فلما بعث النبي غلب عليهالشقاء . نسأل الله تعالى العافية ، فحسده وقال : كنت أَظن أَنه أَنا أَو من من ثقيف ، فلما كان من قريش لاتبعتــه أَبداً . وكان أُمية لدة عبد المطلب ، فعمَّر إلى السنة الثانية من الهجرة ، فلما احتضر غشي عليه ثم أَفاق وهو يقول :

كل حي وإن تطاول يومــاً   آيــل أَمــره إلى أَن يزولا

ثم غشي عليه فأفاق وهو يقول :

ياليتني كنت قبـل ماقـد بدا لي في رؤوس الجبـال أرعى الـوعـولا

فذلك آخر العهد به . وابنه وهب الصحابي أعطاه النبي ﷺ ميراث وهب بن منبه بن خويلد بن ظالم الصحابي أيضاً ومن ثقيف .

وقوله وغيلان . . ألخ : هو غيلان بن سلمة بن شرحبيل الثقفي ، أسلم هو وابنه ومواليه بإسلام ثقيف ، وتحته عشر نسوة فأمره ﷺ أن يتخير منهن أربعـاً ففعل ، ووفد على كسرى فسأله : أي ولدك أحب إليك ؟ . فقال : المريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يقدم ، والصغير حتى يكبر . فقـال : مالـك ولهـذا الكـلام ؟ هذا كلام الحكماءِ ، وأنت من قوم جفاة لاحكمة لهم ، فما غذاؤك ؟ قال : لباب البُر ، قال كسرى : هذا العقل من لباب البُر وإنما أضر بالعرب التمر واللبن .

وقوله : والنفر انقض . . ألخ . يعني أن من ثقيف النفر الذين انقضوا من حصن الطائف بالبكرة ؛ أي هبطوا بها ، وهي الآلة التي يستقى بها على البئر ، فأتوا النبي ﷺ فأعتقهم وهم : نَفيع ونُفيع ابنا مسروح ، والحارث ابن كلدة وابراهيم بن جابر والمنبعث ، كان اسمه المضطجع فأسماه النبي ﷺ المنبعث ، قيل أن ليلة الطائف أمر النبي ﷺ منادياً ينادي : أي عبد أتانا فهو حر . فهبط هؤلاءِ ، فلما أسلمت ثقيف كلموا فيهم النبي ﷺ فقال : «**هٰؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ**» . وقوله أبو بكرة في الهابط : لهذا يحسن أن يعد من هؤلاءِ الهابطين بالبكرة من الحصن وهم الذين ذكرنا وهم : نَفيع . ألخ . وإنما سمي أبا بكرة لفعله هذا ، وهو من فضلاءِ الصحابة ومن رواة الحديث ، وأمه سمية أمة الحـارث بن كلدة ، وأخوه لأمه سمية زياد بن أبيه ، ولما سمع استلحاق

معاوية له غضب على أخيه وقال : مايفعل بحرم رسول الله ﷺ ؟ أيدخل عليها بهذه الدعوى . أم يتجنب عنها فيبطل استلحاقه ؟! ويحه من هذا الاستلحاق . وابنه عبد الرحمن بن أبي بكرة أول من ولد بالبصرة من أولاد المسلمين . ومات أبو بكرة بالبصرة سنة إحدى وخمسين ـ قاله في مختصر الإصابة ـ وكان أبو بكرة يعد من موالي النبي ﷺ وكان ممن اعتزل الحرب بين علي ومعاوية .

ومن ثقيف أيضاً أبو عبيد بن مسعود ؛ الذي ولاه عمر على جيش الفرس ، فكانت وقعة الجسر واستشهد بها ، برك عليه الفيل فقتله بعدما أوجع في الفرس ، لكن كانت لهم الوقعة ، فقد قتلوا من المسلمين ألفاً ومائتين . منهم سبعون من الأنصار . وابنته صفية بنت أبي عبيد زوج عبد الله بن عمر ، زوجها له أبوه بخمسمائة ودس إليهم مائتين بلا علم أبيه . وهي أم عدة من بني عبد الله بن عمر منهم سودة زوج عروة بن الزبير بعد عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب . وابنه أيضاً الكذاب المختار بن أبي عبيد .

قصة أبي محجن والبلقاء يوم القادسية

ومن ثقيف أيضاً أبو محجن بن حبيب بن عمرو ، وكان من الشجعان ، حدَّه عمر في الخمر مرات فهرب إلى سعد بن أبي وقاص وهو يحارب بالقادسية فحبسه ، فلما كان يوم من الأيام ـ وهو يوم أغواث ـ أصاب المشركون من المسلمين ، فرأى أبو محجن ذلك وهو في القيد مع سلمى بنت قبيصة امرأة سعد وكانت قبله تحت المثنى بن حارثة فقال :

كَفَىٰ حَزَنـاً أَن تُقـرعَ الخيـل بالقنـا
وأُتـرك مشـدوداً علي وثـاقيـا
إذا قمـت عنَّـاني الحـديـد وأُغلقت
مصـارعُ من دوني تصـم المنـاديـا

فنـاشد الله سلمى أن تطلقه ، وواعدها أن يعود إلى قيده إن سلمه الله ، فحلته وأسرجت له البلقاءَ فرس سعد ، وكانت عندها لأن سعداً لم يقاتل لشدة قروح به ، وإنما كان مشرفاً على الناس ينظر مايفعلون ، فركب أبـو محجن الفرس وفعل العجب في الناس ، فقال سعد : لولا محبس أبي محجن لقلت إنها بعض شمائله . ويقول الناس : لولا أن الملائكة لا تباشر القتـال لقلنـا إنه ملك . ثم عاد أبو محجن إلى محبسه وقيوده وربط الفرس مكانها ، فلما رجع سعد قالت له سلمى : كيف كان قتالكم اليوم ؟ . قال : لقينا ولقينا حتى بعث الله رجلاً على فرس أبلق ، لولا أن أبا محجنٍ في قيوده لقلت إنه هو على البلقاءِ . قالت : هو والله أبو محجن كان من أمره كيت وكيت . فدعابه وحلَّ قيوده وقال : لا نحدك بعدها في الخمر أبداً . فقال أبو محجن : وأنا لاأشربها أبداً بعد أن كنت آنف أن أتركها من أجل حدِّكم . فلم يشربها بعد ذلك . قيل أنه رئي قبره بأذربيجان أو بنواحي جرجان أو أرمينية ، عليه وصـول كرم طالت وأثمرت وهي معرشة عليه ومكتوب على القبر ، هذا قبر أبي محجن . ا . هـ من مختصر الإصابة وغيره .

وكان مشغوفاً بالخمر وفيها يقول :

إذا متُّ فادفـنِّي إلى جنب كرمـة ... تروي عظامي في الممات عروقها
ولاتـدفـنـوني بالـفـلاة فإنـني ... أخـاف إذا مامت أن لا أذوقهـا

وروي أيضاً أنه حبسه الحجاج وهو ابن عمه ، ثم قال له يوماً : إني أريد أن أُلقيك على هذا الأسد ـ وكان أُلقى في الحبس أسداً ضارياً ـ فإن قتلته سرحناك وإن قتلك أراحنا منك . فقال : ذلك إليك أيها الأمير . فأدلاه على الأسد ، فلما أحس به وثب عليه فقال أبو محجن :

ليث وليث في مكان ضنك كلاهما ذو جرأة وفتك
إن يكشف الله قناع الشكّ فأنت لي في قبضتي وملكي

ثم كثرت الأصوات وارتفع الغبار بينهما ، ثم سمعوا تكبيراً فعلموا أنه قتل الأسد فسرحه [1] الأمير .

ومن ثقيف أيضاً هبيرة بن شبل [2] بن العجلان ، أسلم عام الحديبية واستعمله النبي ﷺ على مكة حين سار إلى الطائف ، وهو أول من صلى بمكة جمعة ، وقتل من بني مالك يوم حنين سبعين كافراً ، منهم رئيساهم يومئذ ذو الخمار بن الحارث ، وعثمان بن عبد الله بن ربيعة .

---

(١) قلت : في الأمالي لأبي علي القالي أن صاحب هذه القصة هو رجل يدعى جحدراً وليس أبا محجن . والله تعالى أعلم .

(٢) في أسد الغابة : هبيرة بن سبل بالسين المهملة ابن العجلان بن عتاب بن مالك بن كعب ابن سعد بن عوف بن ثقيف ، وهو أول أمير صلى بمكة بعد الفتح بالناس جماعة ، لأنه أمّره النبي ﷺ عند خروجه إلى الطائف . وبعد رجوعه وإرادة الانصراف إلى المدينة أمّر عتّاب بن أسيد . انظر ابن الأثير .

وعـروة بن مسعـود وأبو محجن من الأحلاف ورئيسهم ـ حين بعث النبي ﷺ ـ عبد ياليل بن عمرو ، وكان شيخاً كبيراً فلما رأت العرب رمي النجوم من السماءِ وهالهم ذلك أتو إليه يسألونه فقال : لأحد أمرين ؛ إما انقراض الدهر وإما لأمر عظيم حدث فيه . هنا انتهى الكلام على سليم وهوازن ابني منصور فأتبعهما الكلام على أخيهما مازن .

نسب مازن

مِنْ صُلْبِ مَنْصُـورِ كَذَاكَ مَازِنُ

وَقَـدْ تَشَرَّفَـتْ بِهِ الْـمَـوَازِنُ

يعني كما أن سليمًا وهوازن ابنا منصور ، كذلك مازن فإنه ابن منصور لصلبه ، وإنما لم يذكره معهما لكثرتهما وعلوهما ، أو لأن منصوراً هذا ليس بمنصور بن خصفة ، وإنما هو منصور بن حمنة بن قيس عيلان . ولم يذكره اليدالي مع أنه نص على أنه إنما أخذ كتابه من القلقشندي . وقد تشرفت به الموازن : أي تعالت به القبائل من العرب ، الذين اشتركوا معه الاسم وهم : مازن بن الأزد ، ومازن بن النجار من الأنصار ، الذين منهم قيس ابن مخلد البدري وغيره من البدريين والصحابة ، ومازن بن عمرو بن تميم ، وهو أشرف إخوته كما قال الشاعر قرط بن أنيف :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

ومنهم قطري بن الفجاءة ، ومازن بن ذهل بن ثعلبة : الذين منهم أبو عثمان المازني النحوي . ومازن بن ذبيان : منهم هرم بن قرطبة الحاكم بين المتنافرين ثم أسلم . وإنما قال فيهم هذا لإفراده لهم عن أخويهم أو لأن منهم عتبة بن غزوان كما قال رحمه الله .

وَعُـتْبَـةُ سَلِيـلُ غَزْوَانَ بَنَـى

لَمَّا بَنَى الْـبَصْرَةَ ذِكْـراً حَسَنَـا

مِنْ مَازِنٍ وَهْوَ الَّذِي اخْتَارَ التَّوَىٰ
عَنِ الْإِمَــارَةِ فَنَــالَ مَا انْتَــوَىٰ

هو سيدنا عتبة بن غزوان بن جابر بن عوف المازني ، حليف بني نوفل ابن عبد مناف ، أسلم بعد ستة رجال كما قال : رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ مالنا طعام إلا ورق الشجر حتى تقرحت أشداقنا . هاجر إلى الحبشة وهو من سرية عبد الله جحش التسعة ، وشهد بدراً هو ومولاه سعد وشهد مابعدها ، وهو من أكابر الصحابة وفضلائهم وهو أشهر من أن تذكر له المناقب والمزايا .

وقوله بَنَىٰ ألخ . يعني أنه أول من نزل البصرة واختطها وأمر محجن بن الأدرع فبنى مسجدها الأعظم ، وكان عتبة ولاه عمر البصرة لما بنى منها مابنى ، فخرج حاجاً فاستعفى عمر من الإمارة فأبى ، فلما خرج من مكة قاصداً البصرة قال : اللهم لاتردني إليها . فسقط عن راحلته فمات سنة سبع عشرة بالربذة وسنه سبع وخمسون سنة . والتّوى : الموت وانتوى : قصد . يعنى أن عتبة بن غزوان وماذكر من محاسنه لمازن بن منصور ولم يذكرهم غيره .

هُنَــا انْتَهَى خَصَفَــةٌ وَهْــوَ أَبُ
أَوْ هُوَ أُمٌّ وإِلَــيْــهَــا يُنْــسَــبُ
وَالْأَب عِكْــرِمَــةُ بْنُ الــنَّــاسِ
وَلَهَــا يُنْسَــبُ بَعْضُ الــنَّــاسِ

يعني أنه لما انتهى الكلام هنا على خصفة العزيز ، الذي ذكر أنه ابن قيس عيلان ثم ذكر الخلاف بين النسّابين في خصفة ؛ فمنهم من يقول هو ابن قيس عيلان ، ومنهم من يقول هو أم ، وأبوهم عكرمة بن الناس لكن ينسب إليها بنوها كما ينسب إلى خندف بنو الياس ، وبعض النسابين ينسب إليهما جميعاً ، ويبدأ بالنسب إلى خصفة الأم منصور ابن خصفة ابن عكرمة ابن الناس ، ويكتب إذاً الف ابن عكرمة كما يكتب في ابن أبي ابن سلول لأن المعنى ، ابن خصفة وابن عكرمة . قال السهيلي في الروض الأنف : ألِفُ ابن إذا وقف عليها تكتب ، كما تكتب إذا نوِّن الأول أو نودي .

قولـه : هنا انتهى خصفة : لم يبال بمحارب بعد أن ذمهم بالغمر لسوءِ ردهم على النبي ﷺ إذ دعاهم إلى الاسلام كما فعلت ثقيف ، بل هم أقبح رداً ؛ حلف أحـدهم بعد أن يئس منهم النبي ﷺ وتولى عنهم ليقتلنه ، فركض فرسه نحوه فلما دنا منه وقع هو وفرسه ميتين ولله الحمد ، ولكن كان منهم بعـد ذلـك كثير من الصحـابـة ؛ منهم أبـان المحاربي . حديثه : **«مَـنْ قَالَ إِذَا أَصْبَـحَ الْحَمْـدُ لله رَبِّي لاَأُشْرِكُ بِهِ شَيْئـاً أَشْهَـدُ أَلَّا إِلَـهَ إِلَّا الله وَحْـدَه لاَ شَرِيـكَ لَهُ غُفِـرَتْ ذُنُـوبُـهُ حَتَّـىٰ يُمْسِيَ وَمَنْ قَالَهَـا حِينَ يُمْسِي غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ حَتَّىٰ يُصْبِحَ»** .

ومنهم غورث بن الحارث صاحب القصة مع النبي ﷺ وذكر في الصحابة .

فَهْمُ بْنُ عَمْـرٍو بْنِ عَيْـلَانَ عَدَا

عَلْيــهِ عَدْوَانُ أُخُــوهُ وَغَــدَا

لَهُ الْإِفَـاضَـةُ وَتَمَّـتْ بِأَبِي

سَيَّـارَةٍ وَعَـامِـرِ بْنِ الـظَّرِبِ

حَكِـيمُهُمْ واللَّيْثُ بَحْـرُ الْعِلْمِ

ضَيَّـعَـهُ أَقْـوَامُـهُ مِنْ فَهْـمِ

يعني أن فهم بن عمرو بن قيس عيلان عدا عليه عَدوانُ أخوه ، وثب عليه أو ظلمـه فقتله فصـارت بعده له الإفاضة ؛ وهي الدفع من عرفة أو الـرجوع عنها والإسراع إلى مكان غيرها ، أو إجازة الناس من المزدلفة إلى منى ، ثم لم تزل فيهم إلى أن تمت بأبي سيارة ؛ وهو عُمَيْلة بن خالد الأعزل وفيه يقول الشاعر :

نحـن دفـعـنـا عن أبي سيـارة وعـن مواليـه بني فزارة

حتـى أجـاز سالمـاً حماره مستـقبـل القبلة يدعـو جاره

وقـد أجـار الله من أجـاره

وكـان يدفـع الناس عن أتان له عوراءَ ، وقيل حمار له أسود ، وفيه المثل : أصم من عير أبي سيارة ، وله يقول :

لاهُـمَّ مالي في الحـمار الأسـود أصبحت بين العـالمـين أُحسّـد

قف أبـا سيـارة المـحـسّـد من شر كل حاسـدٍ إذ يحسـد

وكان يقول : اللهم حبِّب بين نسائنا وبغِّض بين رعاتنا ، واجعل أمرنا بين أيدي صلحائنا واجعل خيرنا بين أيدي أسخيائنا . وفي رواية : حبب نساءَنا في شبابنا .

ومعنى إفاضة الناس : إجازتهم . وأجاز الناس من المزدلفة إلى منى على حماره هذا أربعين عاماً . وكان يقول : أشرق ثبير كما نغير . أي ؛ كما نسرع إلى النحر . وثبير جبل بمكة أو جبال . ومن عَدوان أيضاً حكيم العرب عامر بن الظرب ؛ أول من حكم في الخنثى المشكل ، وكانت له جارية تدعى سُخَيلة ترعى له غنمه ، ويضربها على تسميتها للغنم وعلى كل أمر الغنم ، فأتاه حكم الخنثى المشكل فبات ليلة يتململ ويتفكر في الجواب فيه ، فلما أصبح قالت له الجويرية : ياسيدي أراك بت ساهراً فما شأنك ؟ . فقال : سرحي غنمك ياسُخَيلة ، أمر ليس إليك . فلما ألَّحت عليه قال : أشكل علي حكم الميراث في الخنثى فلا أدري ماأجيب به إلى الآن . قالت : ياسيدي الأمر أهون ؛ أتبع المالَ المبَال . قال : فرجْتها ياسُخَيلة مَسيٍّ أو صبِّحي ياسُخَيلة ، والله لاأضربك بعدها . وأول من حكم به في الإسلام أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه . يعني ومن عَدوان أيضاً ذو الأصابع العدواني ؛ شاعر جاهلي قديم يسمى ذو الإصبع لأنه نهشته حية فقطعت إصبعه وهو القائل :

يامن لقلب طويل الهمِّ محزون ... أمسى تذكر ريّا أم هارون

القصيدة ومنها:

لاه ابن عمك لافضلت في حسب ... عني ولا أنت ديّاني فتحزوني

قيل أنه عاش ثلاثمائة عام .

ذكر الليث الفقيه

وقوله : والليث بحر العلم . . الخ . يريد به نسبه إلى فهم بن عمرو الذي عدا عليه أخوه ، أي أما فهم فمنهم الإمام الكبير العالم الليث بن سعد الفهمي ، رفع الشافعي رحمه الله مقامه في الذكر ، ورجحه في الفضل . ثم

قال : ولكنه ضيعه أصحابه ، وكان له مع جزالة العلم سخاوة في المال لا يبقي منه شيئاً لغلبة الجود والسخاءِ عليه . وكانت له بقلقشندة دار فهدمها ابن عمه عبد الملك بن رفاعة أمير مصر عِناداً له ، فعمرها الليث فهدمها ، فلما كان في الثالثة بينما الليث نائم إذا هاتف يهتف به : ياليث : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾[1] فأصبح ابن رفاعة وقد أصابه فالج ، فأوصى إلى الليث ومات بعد ثلاث . ا . هـ من القلقشندي . ويعني بضيَّعه قومه قول الشافعي وقصة ابن رفاعة .

ذكر تأبط شراً

ومن فهم أيضاً تأبط شراً ؛ واسمه ثابت بن جابر بن سفيان ؛ لقب تأبط شراً لأنه قتل الغول وتأبطها حتى أتى بها أهله . وقيل لأنه خرج من عند أمه متأبطاً سيفه ورمحه وسكينه ، ثم جاءَ من يسأل عنه فقالت : لاأدري ، تأبط شراً وخرج . وهو من صعاليك العرب ومن العدائين ، وهو خال الشَّنْفَرَىٰ الأزدي الصعلوك العداءُ أيضاً وهو الذي يعني بقوله :

إن بالشِّعب الذي دون سلع ... لقتيلاً دمه لا يطلُّ
قذف العبء علي وولّى ... أنا بالعبءِ له مستقلُّ

الى ان قال :

حلَّت الخمر وكانت حراماً ... فبلأيٍ ما ألمت تحلُّ
فاسقنيها ياسواد بن عمرو ... إن جسمي بعد خالي لخل

(١) سورة القصص : ٥

وهو ربيب أبي كبير الهذلي وفيه يقول :

ممن حملن به وهنَّ عواقد ... حبك النِّطاق فعاش غير مهبَّل

علقت به في ليلة مزؤودة ... كرهاً وعقد نطاقها لم يحلل

ومنها :

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه ... برقت كبرق العارض المتهلل

مدرك تقبيل الرأس

نظرت عائشة رضي الله عنها يوماً إلى رسول الله ﷺ وهو يخصف نعله فرأت النور في وجهه فقالت : يارسول الله بأبي أنت وأمي ، والله لأنت أحق بقول أبي كبير الهذلي : وإذا نظرت ... ألخ . فقام رسول الله ﷺ وقبل رأسها .

وكان تأبط شراً من الفتاكين ، حارب هذيلاً وقتل منهم فلم يزالوا يطلبونه إلى أن وجدوه يوماً على جبل يشتار العسل ، ولم يشعر بهم إلى أن أحاطوا بأسفل الجبل ليهبط منه ، وكان لايهبط منه لملاسته ، فانبطح على العسل فانساخ به إلى الأرض فنجا وفاتهم . وفي ذلك يقول أبياته التي منها :

فأبت إلى فهم وماكدت آئباً ... وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

ولم تزل هذيل تحتال عليه وتطلبه حتى قتلته ، فحلف ابن أخته الشَّنْفَرىٰ ليقتلن به منهم مائة وقال يبكيه :

إن بالشِّعب الذي دون سلع .. الخ . ومنها :

تضحكُ الضَّبع لقتلى هذيل ... وترى الذئب لها يستهلُّ

وقيل : إن فهم تأبط شراً ؛ فهم بن عمرو بن سعد بن قيس عيلان ، وفهم الليث ؛ فهم بن عمرو بن قيس . ولم يذكر القلقشندي إلا هذا الأخير .

نسب سعد بن قيس عيلان

ولما أنهى الكلام على خصفة وعمرو رجع إلى أخيهما سعد الذي ذكر معهما فقال رحمه الله :

ثَعْـلَبَــةٌ وَأَعْصُرٌ وَغَـطَفَــانْ
عَمْـرٌو لِسَعْـدِ بْنِ قَيْسِ عَيْـلَانْ

يعني أن سعد بن قيس عيلان له من الولد أربعة : عمرو وثعلبة ـ ولم يتكلم عليهما ـ وغطفان وأعصر ؛ فأما ثعلبة فمنه الكسعي الذي يضرب المثل بندامته . واسمه عامر بن الحارث الكسعي ؛ أعجبه عود نبعة فلم يزل يسقيه ويعالجه إلى أن استقام وصلح ، فعمل منه قوساً وسبعة أسهم من نجارتها ، فرصد بها للحمر على الماءِ فجعل كلما رمى واحدة أنفذها السهم ، ويصيب الحجارة من ورائها فيوري ناراً . فيظن أنه أخطأ فعمد إلى القوس فكسرها ، وأصبحت الحمر صرعى على الماءِ فندم على كسر قوسه حتى عض على إبهامه فقطعها وأنشد :

ندمْــتُ ندامــة لو أَن نفسي   تطاوعـني إذاً لقــطعـت خمْسي
تبــين لي فســادُ الــرأْي مني   لعمــر أَبيـك حين كسرتُ قوسي

بَاهِــلَةٌ طَفَــاوَةٌ غَنِيٌّ
لِأَعْصُرٍ بَاهِــلَةُ الــدِّنِيُّ

مِنْهُ الْأَدِيبُ الْأَصْمَعِيُّ الْمُنْكِرُ
نَسَبَهُمْ والظَّالِمُ الْمُنْتَشِرُ

أَما باهلة فهي بنت صعب بن سعد العشيرة ؛ أَهل عز مذحج باليمن ، تزوجها مالك بن أَعصر فولدت له ، ثم خلف عليها بعده ابنه معن ابن مالك فولدت له ولدين ، وله من غيرها عدة أَولاد ، فحضنت الجميع فسموا بها ، فكان كل من ولده مالك بن أَعصر يدعى باهلة . وأَما طفاوة فهي امرأَة من قضاعة سمي بها من ولدت من بني أَعصر ؛ يعني أَن الحي المسمى باهلة والحي المسمى طفاوة والحي المسمى بني غني ؛ كل هؤلاءِ لأَعصر بن سعد ، أَي ينسبون لأَعصر ، أَما طفاوة وغني فلم يتكلم فيهما .

أفراد من غني منهم أبو مرثد
حليف حمزة بن عبد المطلب

فمن غني : كنَّاز بن الحصين رضي الله عنه ؛ وهو أَبو مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب ، شهد بدراً هو ومرثد ابنه وقتل مرثد في بعث الرجيع وعاش أَبوه إلى خلافة عمر وقيل عثمان ومن حديثه : «**إن سركم أن تقبل صلاتكم فليؤمكم خياركم فإنهم وفدكم فيما بينكم وبين الله**» .

ومنهم الطفيل الغنوي الشاعر الذي قال فيه أَبو بكر للأَنصار : والله مانحن وأَنتم يامعشر الأَنصار إلا كما قال الطفيل الغنوي :

جزى الله عنا جعفراً حين أَزلقت ... بنا نعلُنا في الواطئين وزلتِ
أَبَوْا أَن يملّونا ولو أَن أُمَّنا ... تلاقي كما لاقوهُ منا لملَّت

وأما باهلة : فأول كلامه فيهم قوله : باهلة الدني ، وأخبر عنه بقوله : منه الأديب ، وصفهم بالدناءة لكثرة مايهجوهم العرب وتسخر منهم ، حتى قيل إن في الحديث : «تَتَكَافَؤُ دِمَاؤُكُمْ وَلَوْ قَتَلْتُم رَجُلًا مِنْ بَاهِلَةَ» . وأما أقوال العرب فيهم فلا تحصى نظمًا ونثراً ومنها قولهم :

ومابنفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهلة

وقول الشاعر :

ولـو قيـل للكـلب يا باهـلي
عوى الـكلب من شؤم ذلـك النسب

وقول الشاعر :

إذا باهـلي تحتـه حنـظليـة له ولـد منهـا فذاك المـدرع

ومنها أن قتيبة بن مسلم قال لهبيرة بن مسروح : أي رجل أنت ؛ لو كانت أخوالك من غير بني سلول ؟ . فقال : أصلح الله الأمير ، بادلْ بهم من شئت من العرب وجنبني باهلة . وقيل لبعضهم : أيسُّرك أن تدخل الجنة وأنت باهلي ؟ . فقال : نعم ، ولكن بشرط ألا يعلم أهل الجنة أني باهلي . ولقي أعرابي رجلاً من باهلة فجعل يرثي له ويقبل يديه ويتبرك منه ، فقال الباهلي : ولمَ ؟ . قال : إن الله ما ابتلاك في الدنيا إلا ليعوضك في الآخرة . وحجَّ أبو جزءِ بن مسلم في زي حسن ، فوافق في الموسم قوماً من بني الحارث ابن كعب فاعجبهم زيه وأدبه ، ثم سألوا عنه رجلاً من خاصته فالتمس لهم أحسن مايذكر به ، فلم يزالوا به إلى أن أوصله إلى باهلة ، فقام أحدهم وقال : ويحكم ، قوموا بنا هذا الذي نجالسه منذ اليوم باهلي . فقام الرجل : هذا أبو جزءِ بن سعيد بن مسلم ، أمير ابن أمير إلى أربعة . فقالوا : الإمارة

أعظم أم الخلافة ؟ . قال : الخلافة . قالوا : والخلافة أم النبوة ؟ . قال : النبوة أعظم . قالوا : والله لو ذكرْتَ له من النبوة أضعاف ماذكرت من الإمارة ، ثم قلت إنه باهلي لكما قلت إنه باهلي . فقال الرجل لأبي جزءٍ : قمْ بنا عن هؤلاءِ فما رأيت أسوأ منهم أدباً . وذكر الوصف والضمير وأفرادهما باعتبار الحي .

ذكر عبد الملك بن قريب الاصمعي

والأصمعي هو أديب وراوية زمانه ؛ واسمه عبد الملك بن قريب - كزبير - ابن عبد الملك بن علي بن أصمع ، المنسوب إليه ابن أبي مطهر . وعن اليدالي أن أصمع وأبا مطهر أدركا النبي ﷺ وأسلما ، ولم يذكرا في الصحابة في مختصر الإصابة ؛ وإنكاره لنسب باهلة ؛ أنه كان يقول : لم تلدني لأن جدي قتيبة بن معن لم تلده ، فكيف أكون من باهلة ؟ . والناس إذا كانوا من باهلة تبرؤوا من نسبهم ، فكيف بمن لم تلده باهلة ؟ .

وكان الأصعمي في دولة بني العباس سمع يوماً الكسائي ينشد قول أفنون التغلبي :

هَلَّا جزوا عامراً بسوءِ فعلهم   أم كيف يجزونني السوءَات بالحسن
أم كيف ينفع ماتعطي العلوق به   رئمان أنف إذا ماضُنَّ باللبن

[فرفع الكسائي رئمان] فقال : كيف رفعت رئمان ؟ فقال الكسائي : اسكت مالك ولهذا ؟ . يجوز رفعه بدلاً من العلوق ونصبه على الحال وخفضه بدلاً من الضمير . ولم يقتنع الأصمعي بقول الكسائي ، لكن سكت عنه

أدباً معه . والظالم المنتشر : يعني المنتشر بن وهب الباهلي ؛ كان في الجاهلية مشتهراً بالظلم . روي أن العرب قحطوا ، فاجتمعوا وتعاقدوا على العافية وعدم الظلم حتى يمطروا ، فقال قائل منهم : هذا أمر لم يقبله المنتشر بن وهب . فبعثوا إليه بذلك مع رجل من بني ضبة ، فلما سمع قوله قال : ماتأكل قومي إلى ذلك ؟ . فتوارى عنه الضبي ، فطلبه ليقتله فلم يجده فركب وأغار . وهو من سادات العرب ، وكان أخذ رجلاً من محارب فقطعه أنملة أنملة وعضواً عضواً ؛ والرجل اسمه صلاءَة ، ثم أخذت محارب منتشراً فقتلته . ورثاه الأعشى بقصيدته التي هي من أجود المراثي وأولها :

إني أتتني لسان لا أُسَرُّ بها	من علو لاعجب منها ولا سخرُ
فبت مرتقباً للنجم أرصده	حران ذا حذر لو ينفع الحذر
ماجاشت النفس لما جاءَ جمعهم	وراكب جاءَ من تثليث معتمر
لا يأمن القوم ممساه ومصبحه	من كل أوب وإن لم يأت ينتظر

قُتيبةُ بْنُ مُسْلِمٍ أَحْدَبُهَا
الْمُشْتَوي عِفَافَ فِيه سَبُّهَا
إِنَّ عِفَافَ أَكَلَتْهُ بَاهِلَهْ
تَمَشَّشُوا عِظَامَهُ وكَاهِلَهْ
وتَرَكُوا أُمَّ عِفَافَ ثَاكِلَهْ

قتيبة بن مسلم معطوف على الأديب بحذف العاطف ، وهو سائغ لاسيما في النظم ، وكذلك أحدبها ؛ يعني أن باهلة منه الأديب الأصمعي

والظالم المنتشر وقتيبة بن مسلم ، وأحدب باهلة يعني أحدب بن عمرو بن عمارة بن عبد العزى ، وأما قتيبة بن مسلم فهو أمير خراسان المشهور بالجود والعدل والرئاسة ؛ أمره الحجاج بإرشاد من عبد الملك ، فافتتح منها ماوراءَ النهروان من خوارزم وسمرقند وبخارى وفرغانة ، وكان يأمر بالدابة فيركبها ويأتي السوق فيشهد أن لا إله الا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله امتثالاً للحديث : «مَنْ دَخَلَ السُّوقَ» الحديث . وأما أحدب فجده عمارة بن عبد العزى ؛ هو الذي قتل عبد الدار بن قصي ، لكنه أكل رجلاً من بني عامر بن صعصعة فسبت به باهلة مع ماهم عليه ، يقال له عِفَاف بن مر بن قيس بن كعب بن ربيعة بن صعصعة ، فقد أكله من أجل الجوع فقيل فيهم :

إنَّ عفـاف أكلتـه باهلة تمشَّشـوا عظامه وكاهله
وتركوا أُم عِفَافَ ثاكله

ومن باهلة أبـو أمامة الباهلي الصحابي ؛ واسمه صدى بن عجلان رضي الله عنـه ، ومنهم الهرماس بن زياد وفد هو وأبوه زياد على النبي ﷺ قال : رأيت النبي ﷺ راكباً على ناقته العضباء وأنا صغير قد أردفني أبي على جمل ، فمددت يدي ليبايعني فلم يبايعني .

ومنهم سلمان بن ربيعـة الـذي يقـال له سلمان الخيل ؛ صاحب الفتوحات لعثمان إن لم يدرك النبي ﷺ فقد كاد .

سحبان وائل وباقل ابنا عم من باهلة

ومنهم سحبان وائل الذي يضرب به المثل في الفصاحة ، وباقل الذي يضرب به المثل في الفهاهة ، وهما من قبيلة من باهلة يقال لها وائل ؛ أبوها وائل بن معن بن مالك بن أعصُر .

ومن باهلة أيضاً سعيد بن سَلْمٍ وُلي الولايات للمنصور والهادي ، وهو الذي مدحه الشاعر بقوله :

أيـا سارياً بالليـل لاتخش ضلة — سعيـد بن سلْمٍ ضوءُ كل بلاد
لنـا سيـد أربى على كل سيـد — جوادُ حثـا في وجـه كل جواد

قال سعيد بن سلم : مدحني شاعـر فأبلغ ، وقصرت عن جائـزته فهجاني فأبلغ فقال :

مدحتُ ابنَ سَلْمٍ والمديح مهزةٌ — فكـان كصفـوانٍ عليـه تَرابُ
لكـل أخـي مدح ثواب علمْتُـه — ولـيس لمدح الـبـاهـلي ثواب

بَاهِـلَةُ مُحَارِبُ سَلُولُ — أَزْرَتْ بِهَا إِخْوتُهَا الفُحُولُ

يعني إن هذه القبـائـل كان فيها بعض مايكون في قبائل العرب من الشعر والغناءِ في العدو ونحو ذلك ، ولكن وَضعها القصور عن إخوتها ، أما باهلة فوضعهم شرف غَطَفان إخوتهم ، وأما محارب فقد وضعهم مالسليم وهوازن من المآثر ، وأما سلول فقد أزرى بهم قصورهم عن إخوتهم من بني عامر بن صعصعة ، حتى أنهم كانوا يستنكفون عن مساكنتهم كما قال عامر ابن الطفيل : أغدة كغدة البعير ، وموتاً في بيت امرأة من سلول ؟ .

نسب غطفان بن أسعد
ابن قيس عيلان

عَبْســـاً وَذُبْيَـانَ وَأَشْجَـعَ انْسُب
لِغَــطَفَــانَ وَلــذُبْــيَــانَ الْأبي

سَعْــدُ أَبـو عَوْفٍ أَبي الْحَيِّ بَنَىٰ
غَيْظ بن مُرَّةِ بن عَوْف اُلمبْـتَـنى

بِهَرِمٍ وَالْحَـــارِثَـيْنِ الـسُّـــؤْدَدَا
أَوْ للؤَيٍّ عَوْفُــهُــمْ وَأَنْــشَــدَا

فِيــهِ ابْـــنُ سَعْـــدٍ إِذْ رآهُ أَبْــطَآ
جَمَلُهُ والــرَّكْــبُ عَنْــهُ قَدْ نَأَىٰ

احْـــبِسْ عَلَيَّ ابْـــنَ لُؤَيٍّ جَمَلَكْ
تَركَــكَ الْــقَــوْمُ وَلَا مَتْرَكَ لَكْ

عبسـاً : مفعول به لانسب . وذبيان وأشجع معطوفان عليه ؛ أي انسب عبسـاً وذبيان وأشجـع لغـطفان ، أما عبس وذبيان فبواسطتين وهما بغيض وريْث ، وأما أشجع فبواسطة واحدة وهو ريْث عمهما . قوله لذبيان الأبي : ذبيان بضم الذال وبكسرها والأبي صفة له ، وهو من أسماءِ الأسد ؛ ومعناه الأبي عن الضيم . قال الشاعر

رئمت سلمى بوضيم وإنّني	قديماً لأبيء الضيم وابن أُباة

والسودد والسؤدد : كقنفذ ، السيادة من تكرر الأصل . ولؤي بن غالب عمود نسب النبي ﷺ وهو بالهمزة ؛ تصغير اللئا وهو ثور الوحش ، أو هو تصغير اللاْئ وهو من الأناءة وعليه قول أبي أُسامة الجشمي : **فدونكم لُؤَيُّ أَخاكم** . البيت .

يعني وينسب لذبيان سعد بن ذبيان ؛ وهو أبو عوف بن سعد الذي هو أبو القبيلة المشهورة ببني مرة ، وحين يطلق المري فهو منهم ؛ وذكر أنهم ابتنوا المجد والسؤدد بثلاثة منهم وهم : الحارث بن عوف بن أبي حارثة بن مرة ؛ كان سيداً في الجاهلية ، وهو قائد غطفان يوم الأحزاب إلى النبي ﷺ ، ثم أسلم وحسن إسلامه وخطب إليه النبي ﷺ ابنته ، فاعتذر بأن بها برصاً فلما قدم عليها وجدها برصاءَ ، وسأل النبي ﷺ أن يبعث معه رجلاً إلى قومه يدعوهم ، فبعث معه رجلاً من الأنصار فقتلوه ، فلم يقدر الحارث على منعه فبعث إليه يعتذر وبدية المقتول ، فقبلها رسول الله ﷺ ودفعها إلى ورثته ، فقال حسان في ذلك :

ياحارِ من يغدرْ بذمة جاره	منكم فإن محمداً لايغدُر
وأَمانة المرّي ما استودعته	مثل الزجاجة صدعُها لايجبر

قصة بنت أوس بن حارثة مع الحارث بن عوف المري

وهو أحد المتحملين الحمالات بين عبس وذبيان هو وابن عمه هرم بن سنان ؛ وسبب ذلك أنه قال يوماً للحارث بن ظالم : هل في العرب من تأنف

أن أتزوج بها ؟ . قال : نعم . قال : من هي ؟ . قال بنت أوس بن حارثة ابن لأم . قال اركب معي إليها . فركب معه فلما رآهما أوس قام فقال : مرحباً بسيد العرب ، ماحاجتك ؟ قال : جئت خاطباً . قال : أنت عندي فوق ذلك . ففهمها الحارث فثنى رأس جمله مولياً ، فدخل أوس على امرأته فقالت : من الراكب ؟ قال : ذلك سيد العرب اليوم ؛ الحارث بن عوف . قالت : مايريد ؟ . قال : يخطب . قالت : ماقلت له ؟ . قال : رددته . قالت : ولم تزعم أنه سيد العرب وترد خطبته عن بناتك ؛ تطلب أحداً أكرم منه ، أم تريد عضلهن ؟ . إذهب فالحقه وزوجه من شاءَ منهن . فخرج أوس في أثره يقول : اربع لي ياحارث. والحارث بن ظالم يستوقفه فيأبى ، ولأْياً ماوقف فردهما وبنى لهما بيتاً ، ثم دخل على بناته فبدأ بالكبرى فاعتذرت ، فقال : بارك الله فيك . ثم بالوسطى كذلك ، ثم أتى الصغرى فقالت : نعم . أنا الحسناءُ وجهاً ، الصنعاءُ يداً . فزوجها منه فلما أصبح قال له الحارث بن ظالم : هل فرغت من أمر عرسك ؟ . يعني الدخول . قال . لا قال : ولِمَ ؟ . قال : قالت أعند أبي وحول بيت أمي !! . فأمر بالرحيل . فلما كانوا في الطريق سأله الحارث بن ظالم فقال له : أفرغت ؟ . قال : لا . قال : ولِمَ ؟ . قال : قالت : تريد أن تجعلني كالأمة المجلوبة ؟! . لاوالله حتى تقيم عند أهلك . فلما قدموا أراد منها فقالت : كنت أسمع أنك سيد العرب ، وأن من أمرك كيت وكيت ، والعرب تتفانى وتتقاتل عن يمينك وشمالك ولا يهمك إلا أمر النساءِ ؟! . فلما أصبح دعا ابن عمه هرم بن سنان فقاما بالصلح بين عبس وذبيان ، وتحملا بحمالات بينهما . وفي ذلك يقول زهير :

تداركتما عبساً وذبيان بعد ما ... تفانوْا ودقوا بينهم عطر منشم

والثـاني : هرم بن سنـان ممدوح زهـير وهـو أَحـد أجواد العرب في الجاهلية ؛ وهم ثلاثة كما ذكر كتاب الغرر : هرم بن سنان وحاتم الطائي وكعب بن مامة الإيادي ، ولما أكثر زهير في مدحه وأكثر هو من إعطاءِ زهير قال زهير : والله لاأمدحه بعدُ . فقال هرم : والله لايسلِّم علي إلا أعطيته . وكـان زهـير إذا أتى النـادي وفيهم هرم يقول : عموا صباحاً غير هرم ، وخيركم تركت . ويعطيه عبداً أو وليدة أو فرساً . وقال عمر يوماً لبعض ولد زهير : مافعلت الحلل التي كسا هرم بها زهيراً أباكم؟ . قال : أبلاها الدهر. قال عمـر: لكن الحلل التي كسـاهـا أبـوكم هرمـاً لم يبلهـا الـدهـر، لقـد فني ماأعـطاكم وبقي ماأعطيتموه . وأبوه سنان بن أبي حارثة ؛ فُقِدَ وطلبوه في الآفاق فلم يوجد وفي ذلك يقول زهير :

إن الـــرزيــة لاررزيــة مثـلهــا ماتبـتـغـي غطفـان يوم أَضلّت

يقال أنه هوي امرأة فتفاقم به حبها فهام على وجهه . وتزعم بنو مرة أن الجن استطابته فأدخلته بلادها واستفحلته لكرمه . ومما مدح به زهير هرماً قوله :

إلـيـك أعـمـلتُهـا فتـلا مرافـقـهـا
شهـريـن يحمض في أرحـامـهـا الـعلق

حتـى أنـخـنـا إلى حُلوٍ شمائـلهُ
كالـغـيـث ينـبـت في آثـاره الـورق

من أهـل بيت يرى ذو العـرش فضلهم
يبـني لهم في جنـان الخـلد مرتـفـق

تنـــافس الأَرض موتـــاهـــم إِذا دفـــنـــوا
كما تنـــافس عنـــد الـبـــاعـــة الـــورق

إِن فاخـــروا فخـــروا أَو ناضـــلوا نضـــلوا
أَو قامـــروا قمـــروا أَو سابـقـــوا سبقـــوا

وهي في غير ديوانه . والعرب مقرة بالله وعالمة بالجنة والنار .

والثالث : الحارث بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ ؛ كان من شياطين العرب وفتاكهم وشجعانهم ، وقد قدمنا ماتيسر من أَخباره في قتله لخالد بن جعفر .

وقوله : أَو للؤي عوفهم . . أَلخ . يعني أَن بني عوف بن سعد يزعمون أَن عوف بن لؤي وليس لسعد بن ذبيان ، ولكن كان في رفقة فيها ثعلبة بن سعد فأَبطأَ جمله به ـ أَي بعوف ـ فلم يعرج عليه من الرفقة إِلا ثعلبة أَناخ له جمله وأَنشده البيت ، وحلف عوف لايفارقه بعد ذلك حتى انتسب إِلى أَبيه سعد بن ذبيان ، وذلك معنى قول الناظم :

فَهْـــوَ إِذاً مُذَبْـــذَبٌ بَيْنَ لُؤَيّ
وَبَيْـــنَ سَعْـــدٍ مِثْلُ مَاكَـانَ لِحَيّ

ولكن حبسهم عن قريش أَنهم كانـوا في غطفان في الرتبة العليا من الشرف والسؤدد . قال الحارث بن ظالم حين قتل خالد بن جعفر وتشاءَم به قومه ، فأَنف أَن تكون لقومه عليه مِنّة وأَتى قريشاً لهذا الانتساب وأَنشد :

رفعت السيف إذ قالوا قريش / وبينت الشمائل والعتابا
فما قومي بثعلبة بن سعد / ولا بفزارة الشُّعرِ الرقابا
فقومي إن جهلت بنو لؤي / بمكة علَّموا مضر الضرابا
سفهنا باتباع بني بغيض / وترك الأقربين لنا انتسابا
سفاهة مخلف لما تروى / هراق الماءَ واتبع السرابا

قوله مذبذب بالكسر والفتح ؛ أي متردد بين الانتساب إلى لؤي فيكون من قريش ، أو إلى سعد بن ذبيان فيكون من غطفان ؛ مثل تذبذب لحي بين الانتساب إلى قمعة كما في الحديث ويكون من عدنان ، أو إلى حارثة الغطريف كما هو عند النسابين ، مع اعتبار ضعف الحديث فيكون من قحطان ، ولما قتل الحارث بن ظالم خالد بن جعفر استاق بنو عامر إبلاً لجارة للحارث ، فتبعها الحارث فوجد حالبين يحلبان ناقة منها تسمى اللفاع ، وكانت غزيرة اللبن جداً ، وكانت عند الحلاب تجتر وتدمع عيناها وتصغي برأسها وتتفاجى تفاجي البائل ، فصاح بهما أن خليا عنها . فضرط البائن فقال الحالب : من هذا ؟ . فقال له : است البائن اعلم . فذهبت مثلاً ، والبائن هو الذي يأتي الحلوبة من شمالها :

وَالْبَسْلُ فِيهِمْ أَشْهُرٌ ثَمانِيَهْ
يُحَرِّمُونَهَا شُهُورَ عَافِيَهْ

في القاموس : البسل : الحلال ، والحرام ضده ، وهو هنا الحرام أي تحريم أربعة أشهر مع الأشهر الحرم ؛ وهو في بني مرة بن عوف خاصة دون العرب ، أو معهم غيرهم من غطفان كالنسيء في كنانة يجعلون الأشهر ثمانية لا يتعرضون فيها لأحد ولا يتعرض لهم .

وَمِنْهُمُ ابْنُ عُقْبَةَ الْمَرِيدُ

مُجْرِمُ اسْتَوْزَرَهُ يَزِيدُ

قوله : ومنهم ـ أي من بني مرة ـ ابن عقبة مسلم . والمريد : العاتي والبالغ النهاية في العتو . والمجرم : المذنب والجاني والظافر . قال تعالى : ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (١) ولقب به مسلم بن عقبة ؛ ويقال له أيضاً مسرف ، وكلاهما تبديل لاسمه بالشر ، وهو أهل لذلك لاستيزار يزيد الفويسق له ، ولوقعته بأهل المدينة المسماة بالحرة لأنها في حرة واقم ؛ أمّره يزيد على الجيوش وقال له : لاتتعرض لأهل الشام فيما يفعلونه بالمدينة . وكان مسلم يشتكي بطنه ، فقال يزيد : إن مات فالحصين بن نمير مكانه . فلما فرغ مسلم من المدينة ـ لاجازاهُ الله خيراً ـ سار قاصداً مكة وعليها عبد الله بن الزبير ، فمات في الطريق بين مكة والمدينة ، وولى الحصين مكانه على الجيش ، فلم يزل محاصرا ابن الزبير إلى أن أتاه موت يزيد ، فرجع بعد أن أشار إلى ابن الزبير أن يرشيه ويبايعه فلم يفعل فقال : سبحان الله ، أُسارّك وتجاهرني وألاينك وتقاسيني ، وكان لعبد الملك بن مروان صديق من أهل الكتاب يدعى يوسف قال له عبد الملك حين سار جيش يزيد إلى المدينة : ماأعظم جيش عدو الله إلى حرم رسول الله ﷺ . فقال يوسفُ : جيشك والله إلى حرم الله أعظم من جيشه إلى حرم رسول الله . فقال : عياذاً بالله يايوسف . فقال : والله ماقلت شاكاً ولا مرتاباً .

---

(١) سورة القصص : ٧٨

يوم الحرة بالمدينة المنورة

وكـان أهل المدينة بايعوا يزيد في حياة معاوية رضي الله عنه أخذت عليهم البيعـة له ؛ الكاره أكره والمطيع أطاع ، فلما قتل الحسين رضي الله عنـه ، ولعن قتلتـه تضجر أهل المدينة من يزيد وتواعدوا إلى خلعه ، فلم يتوافقوا على ذلك وبعثوا إليه وفداً فأكرم الوفد وأجزل جوائزه ، ولكن أنكروا عليه دينه وما هو عليه من الفسق ، فقدموا على المدينة بخلعه فخلعوه ، إلا ابن عمر وأبا سعيد الخدري وجابر بن عبد الله ، وبايع أهل المدينة عبد الله ابن حنظلة الغسيل ، فقتل فيمن قتل ، وقتل من الصحابة سبعمائة ومن أبناءِ الصحابة ألف أو أكثر ؛ وكان يأخذ الرجل ويقول له : بايع امير المؤمنين على أنك عبد قن ، إن شاءَ أعتق وإن شاءَ استرق . فإن قال : أبايعه على أني حرّ مؤمن قتله ، وإن أقـر بالعبـودية أهانه ونتف شعره وأرسله ، واستباح المـدينـة سبعة أيام ، وقيل لم تبق فيها عذراءُ إلا افتضت ، وبقيت أياماً لم يدخلها إلا الضباع والذئاب . وقيل أن يوم الحرة لم يبق بعده بدري ودخل قوم على أبي سعيد الخدري وقالوا : سمعنا ماأنت عليه فلا نقتلك ، ولكن هات المال ؟ . فقال لهم : ذهب به الذين جاؤ وا قبلكم . ففتشوا الدار فلم يجدوا إلا زوجين من الحمام كان صبيانه يلعبون بهما ، فأخذوهما وضربوه ونتفوا شعره . وخرج جابر بن عبد الله يعثر في القتلى ـ وكان أعمى ـ ويقول : قد خاف من أخافه الله . فسمعه مروان فقال : ماتقول ؟ . فقال : سمعت رسـول الله ﷺ يقـول : «مَنْ أَخَـافَ الْمَدِينَةَ أَخَافَهُ الله» فلم يزل يُضرب ويُنتف شعره إلى أجاره مروان من القتل ، وكان مروان قبل ذلك أميراً على المدينة . وأخذوا سعيد بن المسيب فقال له مسرف : بايعْ أمير المؤمنين على

أنك عبد قن . فقال له كلاماً خارجاً عن الموضوع ، فشهد له مروان وعبد الله بن عمر وغيرهما على أنه مجنون مطبق فأطلقه ، فكان بعد ذلك يعرض عن شاهديه ويقول لمن لقي منهما : أنت شاهد الزور . وقال سعيد بن زيد في يوم الحرة :

فإن تقتلونا عند حرة واقمٍ فإنا على الإسلام أول من قتل
ونحن قتلناكم ببدر أذلةً وجئنا بأسلابٍ لنا منكم نفلْ
فإن ينج منها عاذل البيت سالماً فكل الذي نلقاه من دونها جللْ

وقال فيه الشاعر يرثي يعقوب بن طلحة بن عبيد الله :

لعمري لقد جاءَ الكروسي كاظمًا على خبرٍ للمسلمين فظيعِ
شبابٌ كيعقوب بن طلحة أقفرت منازلهم من دومة وبقيعِ
فوالله ماهذا بعيش فيشتهىٰ هنيئاً ولاموت يريح سريعِ

نسب فزارة بن ذبيان

وَمِــنْ فَزارَةَ بْنِ ذُبْيَــانَ بَنُــو
بَدْرٍ وَفي حَرْبِ الـرِّهَـانِ وَهَنُـوا

فزارة : كسحابة ، منقول من الفزرة وهي أنثى النمر . وبنو بدر : عدة منهم حذيفة وحمل وحصن وزمعة وغيرهم . وحرب الرهان : هو حرب داحس والغبراءِ والخطار والحنفاءِ المشهور . وقوله : وهنوا أي ضعفوا . وسبب حرب الرهان أن قيس بن زهير قام في طلب ثأر أبيه ، الذي قتله خالد ابن جعفر ، فأتى الأنصار يستعينهم ـ واسمهم إذ ذاك بنو قيلة ـ فأعانوه بذات الفضول ، فلما قدم بها على الربيع بن زياد قال له : أرني درعك هذه أنظر فيها . فأعطاه إياها فلما لبسها أبى أن يخلعها ، فأغار قيس بن زهير على مائة ناقة لبني زياد ، فابتاع بها بمكة من قريش السلاح وغيره . وفي ذلك يقول :

ألم يأتيك والأنباءُ تنمى ... بمالاقت لبون بني زياد
ومحبسها على القرشي تشرى ... بأدراع وأسياف حداد

يعني بالقرشي عبد الله بن جدعان .

سبب حرب الرهان بين عبس وذبيان

ثم جاور فزارة يستنجدهم على ثأره ، ثم كان من أمرهم أن تراهنوا على مسابقة فرسي قيس ؛ داحس والغبري ، وفرسي حذيفة بن بدر ؛ الحنفاءِ

والخطار ، فتراهنا على عشرين بعيراً ، وجعلا الغاية مائة غلوة ، والمضمار أربعين يوماً ، والجري من ذات الآصاد ؛ فأرصد بنو فزارة كميناً غلماناً بأيديهم أرغفة ، فقالوا لهم : إن جاءتكم الغبراءُ سابقة فردوها والْطموا وجهها ففعلوا ، وتطالب القوم الرهان فكل منها يدعي سبق فرسه إلى أن تشاحنا ، فبعث حذيفة ابنه لقيس يطلب الرهن فقتله قيس ، وكان الربيع ابن زياد مصاهراً لبني بدر ومجاوراً لهم ، ثم بعث حذيفة فرساناً إلى مالك بن زهير يقتلونه ، وكتم ذلك عن الربيع بن زياد ، فوجده الفرسان مع الربيع يلومه ويقول : العرب تتقاتل وأنت تتعب خيلك على حمار وحش !! فلما أكثر عليه قال : إليك عني ، خيلي كانت تقتل مالك بن زهير . فارتحل الربيع بأهله من ساعته . فلما كان من الغد بعث حذيفة في أثره رهطاً وقال : إن وجدتموه ارتحل البارحة وكسر أواني الخمر فارجعوا ، وإلا فاتبعوه فالحقوه واقتلوه . فوجدوه لم يتريث وكسر أواني الخمر وترك الثقيل وألغاها فرجعوا ، وكان في الليلة التي بعد ارتحاله من بني بدر أخذ مضجعه ، فدنت منه زوجته فقال لها : إليك عني ، وجعل يقول :

أبعدَ مقتلِ مالكِ بنِ زهيرٍ ترجو النساءُ عواقبَ الأطهار
من كان مسروراً بمقتلِ مالكٍ فليأْت نسوتَنا بوجهِ نَهارِ
يجد النساءَ حواسراً يندبْنه بالصبحِ قبلَ تبلُّج الأسحارَ

ولم تزل الحرب بين الحيين إلى يوم جفر الهباءة ، وهو يوم غزت فيه ذبيان عبساً ، فلما هجموا عليهم أمر قيس بن زهير عبساً أن يولوهم أدبارهم ، ويخلوا بينهم وبين النعم والأثاث ، فاشتغلت ذبيان بالغنائم ، فلما ولوا وفرقتهم الغنائم ندب قيس الناس في أثرهم ، فعرف أثر الحنفاءِ فرس

حذيفة ، وحذيفة قد انحاز إلى صخرة ؛ وقف عليها حتى شد حزامه خوف أن يقف على الأرض فيعرف أثره ، فلحقوا بهم قائلين على ماءٍ يقال له الهباءة ، وكانوا أوقفوا ربيئة ينظر على أثرهم الطلب ، فأتاهم وقال : مارأيت على الأثر إلا نعامة . فقال حذيفة : ذاك والله الطلب . فلم يأخذوا السلاح حتى وافاهم شداد بن معاوية ـ أبو عنترة ـ فجعل حذيفة يقول كلاماً لقيس يستعطفه به ، فضرب حمل بن بدر على صدره وقال : اتق مأثور القول . فذهبت مثلاً . وقتل حذيفة وحمل ابنا بدر . وفي قتلهما يقول قيس بن زهير :

شفيتُ النفس من حملِ بن بدر ... وسيفي من حذيفة قد شفاني
فإن أك قد شفيت بهم غليلي ... فلم أقطع بهم إلا بناني

وقال في رثائهما :

تعلَّم أن خير الناس ميت ... على جفر الهباءَة لايريمُ
ولولا ظلمه مازلت أبكي ... عليه الدهرَ ماطلع النجوم
ولكنّ الفتى حمَل بن بدر ... بغىٰ والبغي مرتعه وخيم

ثم اصطلحت ذبيان وعبس فقال قيس بن زهير لقومه : يابني عبس ، شاعكم السلام ، والله لاأنظر إلى وجه ذبيانية ؛ قتلتُ أباها أو أخاها ، فعليكم بالوفاء ، فيه تتعايشون ، وإياكم والظلم فإنه صرع أبي زهيراً . وسار إلى أرض عمان فسكنها وفيها عقبه بعد ذلك .

مِنْهُمْ عُيَيْنَةُ الْمُطَاعُ الأَحْمَقُ

لِوَاؤهُ فَوْقَ الأُلُوفِ يَخْفُقُ

اي من بني بدر وهـو عيينـة بن حصن بن حذيفة بن بدر ؛ واسمه حذيفة ولقب عيينة لشزر في عينيه ، ويكنى أبا مالك وهو من المؤلفة قلوبهم ، قيل أسلم قبل الفتح وشهدها وقيل أسلم بعدها ولم تزل في إسلامه جفوة ، وشهد بزاخة مع طليحة بن خويلد ، وأتي به أبو بكر فجعل الصبيان يضربونه في طرق المـدينة ويسخرون منه ويقولون له : أي عدو الله ، ارتددت بعد إسـلامـك ؟! . فيقول : والله ماأسلمت قط . ومن جفوته أنه استضاف عمرو بن معد يكرب فقال له عمرو : أي الشراب أحب إليك أسقيكه ؟ . قال له عيينة : اسقني شرابنا الأول الذي تعرفنا نتنادم عليه ، فقال عمرو : أو ماحـرّم الله الخمـر ؟! . فقال : متى حرمها ؟ . إنما قال : ﴿**فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**﴾[1] فسكتنا وسكت . ومنها أنه دخل على النبي ﷺ بلا إذن فقال له النبي ﷺ : «**أين الاْذْنُ**» ؟ . فقال : ما استأذنت على أحد من مضر . ثم التفت إلى عائشـة فقـال : من هذه الحمـيراءُ . فقـال ﷺ : «**عَـائِشَةُ أُمُّ الْمُؤمِنِينَ**» قال : ألا أنزل لك عن أجمل منها ؟ . فلما خرج قالت عائشة رضي الله عنهـا : من هذا يارسول الله ؟ . فقال : «**هٰذَا أَحْمَقُ مُطَاعٌ فِي قَوْمِهِ**» وكانت تتبعه عشرة آلاف قناة . وقال ﷺ : «**أُدَارِيهِ لأَنِّي أَخَافُهُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيَّ خَلْقاً كَثِيراً**» . واستأذن يوماً على النبي ﷺ فقال : «**بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَ ةِ هُوَ**» . فلما دخل أحسن معه النبي ﷺ الخلُقَ حتى خرج ، فقالت عائشة : يارسول الله ، قلت ماقلت ثم ألنت له القول ! فقال النبي ﷺ : «**إِنَّا لَنَبَشُّ فِي وُجُوهِ قَوْمٍ وَقُلُوبُنا تَلْعَنُهُمْ**» وفي رواية : لَنَكِشُّ ، ويؤخذ منه جواز غيبة الفَاسق . ودخل يوماً مع ابن أخيه الحر بن قيس على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : والله إنك ياابن الخطاب ماتقسم بالعدل ولاتعطي بالجزل . فغضب

---

(١) سورة المائدة : ٩١

عمر حتى هم بأن يوقع به ، فقال ابن أخيه : ياأمير المؤمنين ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[1] ، فسكن غضب عمر ؛ وكان وقافاً عند كتاب الله . ودخل عيينة يوماً المسجد وفيه النبي ﷺ وأصحابه ، فلما دخل كشف ثوبه فبال فصاحوا به فنهاهم رسول الله ﷺ : وقال : «لَا تَزْرِمُوهُ» فقال : اللهم ارحمني وارحم محمداً ولا ترحم معنا أحداً . فقال ﷺ : «حجرت واسعاً» . ثم أمر النبي ﷺ بماءٍ فصبه على البول .

قوله : المطاع الأحمق : يحتمل أنه إشارة إلى الحديث الذي أجاب به النبي ﷺ عائشة والذي تقدم آنفا ، ويقال : ماساد أحمق إلا عيينة ، وماساد فقير إلا أبو طالب وعتبة بن ربيعة ، ولاساد حليف إلا خنس بن شريق . وقوله يخفق أي يضطرب ويتحرك ؛ يعني لواء عيينة لما ورد أنه يقود عشرة آلاف .

والحر بن قيس هو الذي تمارى مع ابن عباس في صاحب موسى والخضر ؛ وابنه عبد الله بن الحر هو القائل :

فإن تك أمّي من نساء أفاءَها ... جياد القنا والمرهفات الصفائح
فتبّاً لفضل الحر إن لم أنل به ... كرائم أولاد النساءِ الصرائحِ

ومن أولاد عيينة أبان بن عيينة ، وابنه سعيد بن أبان بن عيينة وهو الذي قتله عبد الملك بن مروان مع طلحة بن قيس بن أشيم ؛ وذلك أن كلباً قتلوا من فزارة قتلى كثيرة ، فتلافى عبد الملك أمرهم فتحمل لفزارة نصف الحمالات وضمن النصف الآخر إلى العام المقبل ، ثم إن فزارة أخفرت ذمة

---

(١) سورة الاعراف : ١٩٩

عبد الملك وأوقعوا بكلب ، فأمر عبد الملك الحجاج بن يوسف إذا فرغ من أمر ابن الزبير أن يوقع بفزارة ، فلما فرغ منه احتال إلى أن أتى سعيد وطلحة المذكوران ، فأوثقهما ربطاً وبعث بهما إلى عبد الملك ، فلما أتياه أتاه أبو سويد الكلبي ؛ وكان أبوه ممن قتلته فزارة فقال : ياطلحة ، هل أحسست سويداً ؟ . فقال عهدي به وقد انقطع خراؤه في بطنه . فقال : أما والله لأقتلنك . فقال : كذبت وإنما يقتلني ابن الزرقاءِ ـ وهي بنت علقمة بن صفوان أم عبد الملك بن مروان ـ فقال عبد الملك : صبراً ياحَلْحَلْ . قال :

أَصبرُ من ذي ضاغط عَركْرَكِ　　　أَلقى بواني زوره للمَبْرَكِ

ثم التفت إلى أبي سويد فقال له : يابن الستهاء أجد الضربة ، فقد وقعت بأبيك مني ضربة حتى غرت النجوم في سلحه . فضرب ابن سويد عنقه . ثم قدم سعيد بن أبان بن عيينة فناداه عبد الملك : صبراً ياسعيد فقال :

أصبر من عود بدفينه الحلب　　　قد اثر البطان فيه والحقب

بَعَثَهُ إلَىٰ تَميمٍ النَّبِيّ
وَجَاءَ لِلسَّبْيِ بِهِ إلى الْأبي
قَوْمٌ وَنَادَوْا مِنْ وَرَاءِ الْحُجُراتْ
وَفَاخَرتْ وَأَسْلَمَتْ تِلْكَ الحُماةْ

الضمير في بعثه لعيينة . والسبي : مايسبى من النساءِ والصبيان ، ولا يقال للرجال . والأَبّي : الأَسد والآبي عن الضيم . ويحق ذلك الوصف

لعيينة . والقوم : منهم الزبرقان بن بدر وعمر بن الأهتم والأقرع بن حابس وقيس بن عاصم وعطارد بن زرارة وغيرهم من أشراف تميم ؛ وفدوا على النبي ﷺ في سنة تسع بسبب هذا السبي ، والحجرات : حجرات نسائه أمهات المؤمنين ، جمع حجرة وهي مايحجر عليه من الأرض ونحوه . وهي هنا مساكن أزواجه رضي الله عنهن ، وكان هؤلاءِ القوم جاؤ وا وقت القيلولة

فلم يعلموا في أي الحجرات كان النبي ﷺ فتفرقوا عليها ، وكل واحد قام من وراءِ حجرة ونادى : اخرج علينا يامحمد . فذمهم الله بقوله تعالى : ﴿**أَكْثَرُهُمْ لَايَعْقِلُونَ**﴾[1] . وفي مصحف ابن مسعود : بنو تميم أكثرهم لايعقلون . قاله الثعالبي . والحماة : جمع حام ؛ للرجل الذي يحمي أصحابه . ووصفهم الناظم رحمه الله ، بالحماية لأنها التي أوفدتهم ، يعني أن عيينة بن حصن أمره النبي ﷺ على سرية بعثها إلى حي تميم - كانوا مجاورين لحي من العرب - بعث إليهم النبي مصدقين ، فلما أخذوا الصدقة قالت بنو تميم لمجاوريهم : لم تعطون أموالكم هذه ؟ . قالوا : هي زكاة أموالنا . فعمد بنو تميم إلى الأموال فنهبوها ، فوجدهم عيينة نازلين بالقيلولة وقد سرَّحوا أموالهم ، فهرب منه الرجال وأخذ الأموال والسبي ثم جاءَ الوفد ، فآل أمرهم إلى أن أسلموا وأحسن النبي جوائزهم بعد أن فاخروا الصحابة بالخطب والشعر . وكان خطيب تميم الأقرع بن حابس ، فلما خطب قال النبي ﷺ لثابت بن قيس الأنصاري وكان خطيبه : «**قُمْ يَاثَابِتُ**» . فأجابه ففعل ، فقام شاعر تميم وهو الزبرقان بن بدر فقال :

نحن الكرام فلا حي يعادلنا ... منا الملوك وفينا تنصب البيع

القصيدة .

---

(١) سورة الحجرات : ٤

فقال ﷺ لحسان بن ثابت : قم ياحسان فأجبه : فقال حسان :

إن الـذوائب من فهـر وإخـوتهم ... قد بيَّنـوا سنَّـة للنـاس تتبـع

القصيدة .

فقال الأقرع بن حابس : إن هذا الرجل لمؤتى له ؛ لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم تعلو أصواتنا . وفى هذا الوفد سأل النبي ﷺ عمر بن الأهتم عن الزبرقان بن بدر [وفي أثر مادار بينهما] قال النبي ﷺ : «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْراً» .

وَمِـنْهُـمْ أُمُّ قِرْفَـةٍ وَبَـزُّهَـا ... إِنْ سَبَّتْ افْضَلَ الْأَنَامِ عِزَّهَا

أم قرفة : بالكسر فاطمة بنت ربيعة بن بدر ؛ كانت زوجة مالك بن حذيفة بن بدر . والقرفة : بالكسر رائحة تشبه القرنفل . وبزها : سلبها . وعزها : كان يضرب به المثل يقال : أعز وأمنع من أم قرفة ؛ لأنها كان يعلق في بيتها خمسون سيفاً كلها لمحارمها . يعني أن أم قرفة التي يضرب المثل بعزها هي من بني بدر ، لكنها سلب عزَّها منها سبُّها النبي ﷺ يوم وادي القرى بسرية زيد بن حارثة ، فأمر بها فربطت بحبلين إلى جملين فأرسل كل واحد إلى جهته فشقاها شقين ، وسبوا بنتها فأتوا بها النبي ﷺ فأهداها لخاله والد المسيب حزن . وخئولته للنبي ﷺ انه ابن خال أبيه فهو ابن وهب بن عمرو ابن عائذ وعبد الله بن فاطمة بنت محمد[1] بن عائذ . وقيل أن بنت أم قرفة

---

(١) قوله هنا فاطمة بنت محمد بن عائذ خلاف ماقدمه عند قول الناظم :

فبـنـت عمـرو بن عائـذ الكـرام ... فاطـمـة لآل مخزوم الهمام =

فدى بها النبي ﷺ أسيرين كانا بمكة وهو عندي أصح أو هو الصحيح . وقتل لأم قرفة تسعة بنين مع طليحة بن خويلد يوم بزاخة .

سَمُــرَةُ بْنُ جُنْــدُبٍ فِي الــنَّــارِ
سَقَطَ وَالــنَّــبِــيُّ ذُو إِخْــبَــارِ
بِمَــوْتِــهِ بِالــنَّــارِ وَالْكُــزَازُ قَدْ
عَالَجَــهُ بِالْمَــاءِ فِي الْقِــدْرِ اتَّقَــدْ

أي ومن فزارة من غير بني بدر [1] سمــرة بن جنـدب بن هلال ،

= وقد سلم الشارح له في شرحه وإنما أضاف إلى ذلك أن عائذاً هو ابن عمران بن مخزوم ، ولم يذكر هناك محمداً الذي ذكره هنا ، علاوة على ذلك أننا لم نقف عليه في أي كتاب يتطرق لذكرها ، وهذا ابن سعد في ذكر أمهات آباءِ النبي ﷺ قال : أم عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وعليه فمن أين له أنها بنت محمد بن عائذ ياترى ؟ ! .

(١) سمرة بن جندب بن هلال بن حريج بن مرة بن حزن بن عمرو بن جابر بن خشين وهو ذو الرأسين أو ذو الرياستين ابن لأي بن عاصم بن شمخ بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفـان ، يكنى أبـا سعيد وقيل أبو عبد الرحمن وقيل غير ذلك ، كان حليفاً للأنصـار ، مات أبـوه وكانت أمه امرأة جميلة فسكنت المدينة فخطبت فجعلت تقول : لاأتزوج إلا لمن يكفل لي نفقة ابني سمرة حتى يبلغ ، فتزوجها مري بن شيبان بن ثعلبة فكان في حجره إلى أن بلغ ، وقدم النبي ﷺ المدينة وهو صبي . وقول الشارح أن أهل سمرة هم الذين قالوا : أجزت هذا وإن ولدنا يصرعه غير محفوظ ، بل المحفوظ أن رسول الله ﷺ أجاز ذلك الغلام ، ولما عرض عليه سمرة بعده رده فقال : لقد أجزت هذا ورددتني =

والكُزاز[1]كغُراب أو رمان ، مرض من شدة البرد وهو الرعدة الناشئة عن شدة البرد أخذت هذا الصحابي ، فكان يعالجه بالقعود على قدر مملوء ماءً حاراً إلى أن سقط فيها فمات من ذلك رضي الله عنه ، تصديقاً للنبي ﷺ رآه يوماً مع أبي هريرة ورجل آخر لم أقف على اسمه فقال لهم : «آخِرُكُمْ مَوْتاً بالنَّارِ» . وكان سمرة آخرهم موتاً بعد أبي هريرة بيسير ، وكان أبو هريرة يقول : اللهم إني أعوذ بك من رأس الستين . فتوفي قبيلها ؛ وذلك لما سمع من النبي ﷺ أن على رأس ستين يكون الأمر بيد أُغيلمة من قريش يفعلون كذا وكذا فكان ذلك ولاية يزيد .

أَجَــازَهُ نَبِــيُّــنَــا أنْ صَرَعَــا
أسَــنَّ مِنْــهُ ولَــهُ كَانَ وَعَــى

سَكْــتَــةً إنْ كَبِرَّ أَوْ إنْ تَمَّا
فَاتِحَــةً وَبَــيْنَ الأنْــصَــارِ نَمَا

يعني أن النبي ﷺ يوم أُحد كان يرد من لم يبلغ خمسة عشر ويجيز من بلغها ، ورد عدة غلمان منهم عبد الله بن عمر وعرابة بن أوس وزيد بن ثابت وسعـد بن عتبـة ، واسترد رافع بن خديج فقال له : احلم إن رافعاً كان

= ولـو صارعتـه لصرعته . فقال النبي ﷺ : «فَدُونَكَهُ فَصَارِعْهُ» . فصارعه فصرعه سمرة فأجازه النبي ﷺ وكان ذلك يوم أُحد . ا . هـ . انظر أُسد الغابة والإصابة .

١ ـ المعروف أن الكزاز مرض جرثومي ، من أعراضه التشنج .

رامياً . فأجازه ، فقال أهل سمرة وكان رده : يارسول الله ، ابننا يصرع هذا الـذي أجـزته . فأمرهما فتصارعا فصرعه سمرة فأجازه أيضاً . وكان وعى وحفظ أي حفظ سكتتين ؛ إحداهما إن كبر تكبيرة الاحرام والثانية إن تم الفـاتحة . فأنكرهما عليه عمران بن حصين فكتبا إلى أبي بن كعب فقال : صدق سمرة . وهو من الحفاظ المكثرين ، وبالسكتتين أخذ الشافعي ، أما الأولى فكان يقرأ فيها دعاءَ الاستفتاح ، والثانية ليقرأ فيها من لم يدرك دعاءَ الاستفتـاح[1] الفاتحة لاشتغاله بالدعاءِ حين قراءَة الامام الفاتحة ، وقوله : وبين الأنصار نما أي نشأ . يعني أنه كان حليفاً لهم وولد بينهم ونشأ إلى أن مات رضي الله عنه ، وكان يقول : كنت أحفظ عن النبي ﷺ ومايمنعني من القول إلا أن هناك رجالاً أسنَّ مني . ولي البصرة لمعاوية ثم عزله .

وَرِبْـعِـيٌّ اقْـسَـمَ أَلَّا يَضْـحَكَـا
حَتَّـى يَرَى مَصِـيَرهُ وَنَـسَـكَـا

فَرِيءَ يَضْحَـكُ قُبَيْـلَ الْقَـاصِمَهْ
وَهٰكَـذَا فَلْيَـكُ حُسْنُ الْخَـاتِمَـهْ

---

(١) قوله : والثانية ليقرأ فيها من لم يدرك دعاءَ الاستفتاح الفاتحة . . الخ . لم يوفق فيه ـ غفر الله لنا وله ـ وإنما السكتة الثانية يسكتها الإمام ، قيل ليسترد أنفاسه كما يقول قتادة ، وقيل ليقـرأ من خلفـه فاتحـة الكتـاب ، ولاينـازعوه القراءَة أثناءَ قراءَته لها ، لأنهم مأمورون بالانصـات لقـراءَتـه بقـولـه تعالى : ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ سورة الأعراف : ٢٠٤ . وفي نفس الوقت مأمورون بقراءَة الفاتحة عند من لم يعتبر قراءَة الإمام =

ربعي بالكسر ابن حراش ـ بالمهملة وبالشين المعجمة ككتاب ـ تابعي وأخواه الربيع ومسعود تابعيان أيضاً ، ونسك : تعبَّد ، والقاصمة : أراد بها الموت . يعني أن ربعياً هذا من بني فزارة ، وذكر أنه أقسم أن لايضحك حتى يعلم مايئول إليه من جنة أو نار ، فلما احتضر رآه أخوه يضحك حين غشيه الموت فأفاق وقال لأخيه : أسرعوا فإن رسول الله أقسم لايبرح حتي أقدم عليه . وقوله : وهكذا إلى آخره : معناه الإعجاب والتفخيم لشأن هذا الصالح .

مَنْـظُورٌ النَّاكِحُ مَقْتاً وَحَلَفْ خَمْسِينَ مَالَهُ عَلَى مَنْعٍ وَقَفْ

= قراءَة للمأموم للخروج من عهدة : «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ» لذلك استحب قوم من أهل العلم ـ منهم الأوزاعي والشافعي وأحمد ـ أن يسكت الإمام بعد قراءَة الفاتحة حتى يقرأ من خلفه ولا ينازعه القراءَة . واعلم أنه قد اختلف العلماءُ في القراءة خلف الإمام

فذهب جماعة إلى وجوبها . جهر الإمام أو أسر ، منهم عمر وعثمان وعلي وابن عباس ومعاذ وأبي بن كعب ومكحول والأوزاعي والشافعي وأبو ثور ، فإن أمكنه أن يقرأ في سكتة الإمام وإلا قرأ معه ، وذهب قوم إلى وجوب القراءَة عليه فيما أسر فيه الإمام القراءَة ولايقرأ فيما جهر فيه ؛ منهم ابن عمر وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد ونافع بن جبير والزهري ومالك وابن المبارك وأحمد واسحاق وهو قول للشافعي ، وذهب قوم إلى أنه لايقرأ شيئاً خلف الإمام جهر أوأسر ؛ منهم زيد بن ثابت وجابر بن عبد الله ويروى عن ابن عمر : «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ خَلْفَ الإِمَامِ فَحَسْبُهُ قِرَاءَةُ الإِمَامِ» ـ أخرجه الطحاوي وبه قال الثوري وأصحاب الرأي . انظر شرح السنة للبغوي وبالله تعالى التوفيق .

منظور هو ابن زبان بن غانم من بني بدر ؛ وسمي منظوراً لأنه مكث في بطن أمه سنتين وقال فيه أبوه :

فما جئتَ حتى قيـل ليس بوالـد وسميت منظوراً وجئت على قدرِ
وإني لأرجو أن تكون كهاشم وإني لأرجـو أن تسـود بني بدرِ

وقـوله : الناكح مقتاً ، هو ماكانت الجاهلية تفعله من تزويج الابن زوجة أبيه بعده فنسخته شريعتنا بقوله تعالى : ﴿وَلَاتَنْكِحُوا مَانَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾[1] . والمقت : أشد البغض إلى الله ؛ يعني أن منظوراً تزوج امراة أبيه بعده ، فلما اطلع عليه عمر بن الخطاب أحلفه بعد العصر في المسجد خمسين يميناً أنه ماسمع فيه بأمر قط يحرمه ، ففارقها بكُرْه وفي ذلك يقول :

ألا لا أبـالي اليـوم ماصنع الدهر اذا منـعت مني مليكـة والخمـر
فإن تك قد أمست بعيـداً مزارها فحي ابنـة المـريِّ ماطلع الفجـر

فتزوجت بعده فلقي زوجها فقال : كيف وجدت أثر أيري ؟! .
فقال : كما وجدتَ أثر أير أبيك .

صَاهَـرَهُ أَبُـو خُبَيْـبٍ والْحَسَنْ
وَافْتَـاتَتِ اذْ أَعْطَتْهُ خَوْلَةُ الرَّسَنْ
فَأَنْـجَبَـتْ بِالْحَسَـنِ الْمُثَنَّىٰ
وَبَـعْـدَهُ لِخِطْبَـةٍ مَنْ عَنَّـا

(١) سورة النساء : ٢٢

تَرُدُّهُ تَأَنُّفاً مِنْ حَمَا

بَعْدَ رَسُولِ الْأَمَّةِ الْمُنَبَّإِ

أبو خبيب : هو عبد الله بن الزبير ؛ يكنى به لأنه أكبر أولاده . بشر به عند قدومه من فتح افريقية في خلافة عثمان مع أحد إخوته . مات خبيب تحت سياط عمر بن عبد العزيز حين كان أميراً على المدينة من قبل عبد الملك ، ولا أدري أفي حدّ أو في أدب ، وكان عمر إذا ذكر ببعض أفعاله الكريمة يبكي ويقول : مافعل خبيب ؟ . وافتاتت على أبيها : نكحت بدون أمره . وعنّا : عرض . والتألف : التكبر والاستنكاف عما لا يليق، والحما والحم والحمأ بالتحريك : أبو زوج المرأة وأقارب الزوج أو الزوجة ؛ والمراد هنا الأول لأن رسول الله ﷺ أبو الحسن ؛ لقوله ﷺ : « إِنَّ ابْنِي هٰذَا . . . الحديث» ولخصوصه بتعصيب بني بناته كبني فاطمة وعلي وأمامة ابني أبي العاص بن الربيع وعبد الله بن عثمان ، أما أم كلثوم فإنها لم تلد؛ يعني أن منظوراً صاهره عبد الله بن الزبير على بنته تماضر ، وسبب مصاهرته أنه بعثه الزبير إلى العباس يستعير منه رحلاً ، فوافى العباس قد أطعم فأمره أن يأكل مع الناس فاستضعف أكله فقال له العباس : ذهب بك لين آل أبي بكر ، فمرُ أباك أن يزوجك من الأعراب . فزوجه تماضر بنت منظور ؛ وهي أم بنيه ، وهي التي يقول فيها الفرزدق :

أما البنون فلم تقبل شفاعتهم وشفعت بنت منظور بن زبانا
ليس الشفيع الذي يأتيك متزراً مثل الشفيع الذي يأتيك عرياناً

وكان الفرزدق هربت منه النّوار إلى مكة أيام خلافة ابن الزبير ،

فاستجارت بتماضر بنت منظور زوجة عبد الله ، وجاءَ الفرزدق فاستجار ببني عبد الله ، فكلما أصلحوا من شأن الفرزدق نهاراً أفسدته تماضر ليلاً ، وفي ذلك يقول البيتين . وصاهر منظوراً أيضاً ـ على ابنته خولة ـ سيدنا الحسن ؛ قدمت على أختها تماضر تزورها فتزوجها الحسن بغير إذن أبيها ، فلما سمع بذلك غضب وقال : أمثلي يفتأت عليه ؟ . فركز رايته ولم يبق قيسي إلا دخل تحتها ، فسار بجنوده إلى المدينة فلما قربوا منها بعث له الحسن رضي الله عنه ابنته مع أناس . فلما كانوا في الطريق كلمته بنته وقالت له : أتريد عضلي أم ماذا ؟ . ثم قالت : لمن يريدني بعد ابن رسول الله ﷺ ؟ . قال : صدقت . ولكن نقيم هنا إن كان الرجل يريدنا فسيلحقنا وإلا فالعار أن نرجع إليه . فلما سمع بهم الحسن تبعهم مع عدة من أبناءِ الصحابة فردها معهم ، فولدت له الحسن المثنى ثم بعد الحسن ـ من تعرض لها بالخطبة ـ تقول : ماكنت لأتخذ حماً بعد رسول الله ﷺ . وفي خولة يقول الشاعر :

قفا في دار خولة فاسألاها تقادم عهدها أو هجرتاها
بمحلال كأن المسك فيه إذا فاحت بأبطحها شذاها

قيل لها بعد ماأسنت : كيف أنت إذ قيلت فيك هذه الأبيات ؟ .
فقالت : أحسن من نار القرى في عين التائه الصادي .

ومن فزارة الربيع بن ضبيع الشاعر ؛ قيل أنه عاش أربعمائة وثلاثين سنة ، ولما بلغ ثلاثمائة قال :

إذا عاش الفتى مائتين عاماً فقد ذهب المسرة والغناءُ
فقد أكملتها وازددت أخرى إليها والدهور لها بقاءُ

ومن شعره أيضاً :

أَقفـر من ميـة الجـريـب إِلى الـز
زجين إِلا الـظبـا والـبـقـرا
كأَنها درة منـظمـة من
نسـوة كن قبـلهـا دررا

الى أَن قال :

أَصبحت لا أَحمـل السـلاح ولا أَحمـل رأْس البـعـير إن نفـرا
والـذئـب أَخشـاه إِن مررت به وحـدي وأَخشى الـريـح والمـطرا
من بعـد ما قوة أُسَرُّ بها أَصبحت شيخاً أُعـالـج الكـبرا

وهو جاهلي لم يسلم .
هنا انتهى الكلام على ذبيان وأَتبعه الكلام على:

نسب عبس بن ريث بن بغيض

وَانْسُبْ لِعَبْسٍ عُرْوَةَ بْنَ الْـوَرْدِ

حَفَـدَةَ الْخُـرْشُـبِ خَيْرِ جَدِّ

كان عبد الملك بن مروان يقول : من زعم أن حاتماً أسمح العرب فقد ظلم عروة بن الورد . وقال فيه أيضاً : ماأحب أن لي أباً بأبي إلا عروة بن الـورد . وكـان عروة من الشجعـان والفـرسـان والشعـراء إلا أنه لم يدرك الاسـلام . وكانت له جارية اسمها أم وهب ، وكان استولدها ويحبها حباً شديداً ، فقـدم بها على بني النضـير ، وكـان ينـادمهم ويمـيرونه ويختلف إليهم ، فسقوه الخمر ثم ابتاعوها منه فلما صحا منعوها منه ، وفي ذلك يقول قصيدته التي منها :

سقـوني الخمـر ثم تكنعـونى ... معـاذ الله من كذب وزور
وآخـر معـهـد من أم وهـبٍ ... معـرسنـا فويـق بني الـنضـير

سأل عمر عبسـاً : بم تغلبون الناس ؟ . قالوا : بسيدنا قيس بن زهير ، وشاعرنا عروة بن الورد وفارسنا عنترة . وهذا يدل على أنه أشعر من عنترة . وكان مع كرمه ورئاسته يعد من الصعاليك . ومن شعره في تصعلكه :

أقـول لقـوم بالـكـثيب ترحّلوا ... عشـيـة بتنـا عنـد ماوان رزح
تنالوا المنى أو تبلغوا من نفوسكم ... ومبلغ نفس عذرهـا مثـل مبحح

والحفدة : جمع حفيد والمراد به هنا ابن البنت ؛ لأن بني زياد ؛ وهم ربيعة الواقعة وأنس الفوارس وزيد الحفاظ أمهم فاطمة بنت الخرشب - كبرقع - وهي إحدى المنجبات . سئلت أي بنيها أفضل ؟ . فقالت : ثكلتهم إن أنا أعلم أيهم أفضل ؛ هم كالحلقة المفرغة لايدرى أين بابها . انتبهت ليلة على رجل يريدها فصرخت ببنيها فأرادوا قتله فأخذه منهم الربيع وقال : انجُ بنفسك . وأطلقه منهم ، وقال لهم : إن قتلتموه أو حبستموه حتى يعلم به غيركم تكون لكم سبة آخر الدهر . وكانوا أول حرب الرهان بينهم وبين زهير عداوة بني العم ، حتى نهب منهم أربعمائة ناقة وباعها على مائدة عبد الله بن جدعان بالسلاح كما قدمنا وفي ذلك يقول :

ألم يأتيك والأنباءُ تنمى	بما لاقت لبون بني زياد
ومحبسها على القرشي تشرى	بأدراع وأسياف حداد
كما لاقيت من حمإ بن بدر	وإخوته على ذات الأصاد
فهم فخروا علي بغير فخر	وردوا دون غايته جوادي
جزيتك ياربيع جزاءَ سوءٍ	وقد يجزى المقارض بالأيادي

ولما قتل مالك بن زهير دخلوا في الحرب مشمرين عن ساعد الجد . يعني وانسب لعبس عروة بن الورد وحفدة الخرشب وهم من عبس .

وَابْنُ سِنَانٍ خَالِدُ نَبِيُّهُمْ	وَضَيَّعُوهُ وَالْحُطَيْئَةُ لَهُمْ

يقول : انسب لعبس أيضاً خالد بن سنان ، ويحتمل أن يكون وابن سنان مبتدأ ، وخالد بدل منه والخبر نبيهم ، وقوله وضيعوه ؛ يعني قول النبي ﷺ إن صح : «نَبِيٌّ ضَيَّعَهُ قَوْمُهُ» . روي أنه ﷺ سأل وفد عبس عن

خالد بن سنان فقالوا : مات وترك بنتاً . قال : «**ذٰلِكَ نَبِيٌّ ضَيَّعَهُ قَوْمُهُ**» .
وفي حياة الحيوان للدميري أنه عند موته قال لقومه : إذا دفنتموني تأتي عانة حمر يقدمها عير من أمره كذا وكذا ، فإذا انتهى إلى القبر نبش عند رأسي فإذا رأيتم ذلك فانبشوا عني أخبركم بعلم الأولين والآخرين . فلما دفنوه وانصرفوا عنه جاءَت الحمر كما وصف حتى انتهى ذلك العير إلى القبر فنبش عند رأسه ، فأرادوا أن يخرجوه فأبى أقاربه أو بنوه وقالوا : نخاف أن نعيّر بنبشه .
وقيل : إن خالد بن سنان هو الذي دعا على العنقاءِ فطارت من الأرض وفقدت ؛ وهي طائر عظيم كان يصطاد الصبيان وصغار البقر ، فشكاه الناس على نبي قيل هو خالد هذا فدعا عليه فطار جنسه من الأرض ولم ير بعد ذلك ، فكانت العرب تضرب به المثل للمفقود يقولون : طارت به العنقاءُ . والأصح أنها طائر معروف الاسم مجهول الجسم ، كما في القاموس . قال :

البوم والغول والعنقاءُ ثالثها ... أسماءُ أشياءَ لم تخلق ولم تكن

ولم يجمع على نبوة خالد لقوله ﷺ في عيسى بن مريم : «**لَيْسَ بَيْني وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ**» ، ولذا لم يكفر من سبه ؛ لأن كفر من سب الملَك والنبي مقيد بالمجمع على نبوته أو ملَكيته .

والحطيئة اسمه جرول وكنيته أبو مليكة ؛ أدرك الاسلام وأسلم في عهد رسول الله ﷺ ويدل شعره على ردته وإن كان أسلم بعد ، ولكن في اسلامه جفوة وهو القائل :

أطعنا رسول الله مادام بيننا ... فيا عجباً مابال دين أبي بكر
أيورثها بكراً إذا قام بعده ... فتلكم وبيت الله قاصمة الظهر

ويقال أنه أشعر الشعراءِ لولا مايكدر شعره من الطمع والهجو ، حتى قيل : إنه ماقال بيتا قط الا وهو مشتمل على مدح أو هجو ، وكان مع ذلك بخيلاً يطرد الضيفان عن بيته ويضربهم ويهجوهم ، وبينما هو في غنمه يوماً إذ رأى ضيفاً عند بيته فأتاه فقام له الضيف يزعم أنه إنما جاءَ للاستضافة ، فأهوى إليه عصى في يده فقال له الضيف : ويحك أنا ضيف . فقال الحطيئة : للضيفان أعددتها . وهو القائل :

أعددت للضيفان كلباً ضارياً … عندي وفضلَ هراوة من أرزن
ومَعَاذِراً كِذباً ووجهاً باسراً … وتشكياً عض الزمان الألزن

والأرزن شجر صلب . والباسر : العابس . والزمان الألزن : الضيق الشديد . وعضه : منعه . وكان الحطيئة ينتسب إلى طيءٍ إذ لم ترضه عبس وفي ذلك يقول :

سيري أُمام فإن المال يجمعه … سيْب الإله وإقبالي وإدباري
إلى معاشر منهم ياأُمَامَ أبي … من آل عمرو بُدورٌ غير أشرار

وكان الحطيئة كثير المدح لبني جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ؛ وهم بنو أنف الناقة ؛ وسبب ذلك أنه خرج يريد بني تميم فلقي في الطريق الزبرقان بن بدر ذاهباً بالصدقات إلى عمر بن الخطاب ، فقال له الزبرقان : سْر إلى أهلي وانتظرني عندهم حتى آتيك وهم في بلد كذا ، فإذا قدمت فاسأل عن بيت القمر ابن القمر . فسار الحطيئة حتى نزل بيت الزبرقان بن بدر ، فعلم به بنو أنف الناقة فحسدوا عليه الزبرقان ، فأتوا امرأته فقالوا لها : إن له بنتاً جميلة يريد تزويجها فأساءَت إليه وطردته ، فذهبت به بنو جعفر بن قريع إلى أهليهم فأكرموه ووشوا له في

الزبرقان حتى هجاه ومدحهم ، ومن مدحه لهم قوله :

قوم هم الأَنف والأَذناب غيرهم ... ومن يسوّي بأَنف الناقة الذنبا
قوم إِذا عقدوا عقداً لجارهم ... شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

وكانوا يغضبون من هذا اللقب لأَن أَصله أَن جعفراً جدهم نجر أَبوه جزوراً فقسمها بين نسائه ، فأَرسلت جعفراً أُمه ليأْتيها بنصيبها ، فلم يدرك إِلا رأْس الجزور مع عنقه فقال له أَبوه : شأْنك به . فجعل يجره بين البيوت وجعل الناس يضحكون منه فسمى أَنف الناقة ؛ لأَنه يدخل يده فيه ويجر به العضوين ، فلما مدحهم الحطيئة بهذا البيت ، صاروا يحبون هذا اللقب ويفتخرون به . ومن مدحه لهم قوله :

وإِن التي نكّبتها عن معاشر
علي غضاب أَن صددت كما صدوا

أتت آل شماس بن لأْيٍ وإِنما
أَتاهم بها الأَحلام والحسب العد

أُولئك قوم إِن بنوا أَحسنوا البنا
وإِن عاهدوا أَوفوا وإِن عقدوا شدوا

وَإِن كانت النعماءُ فيهم جزوا بها
وإِن أَنعموا لاكدّروها ولاكدّوا

وتعذلني أَبناءُ سعد عليهم
وماقلت إِلا بالذي علمت سعد

الأَبيات .

ومما هجا به الزبرقان بن بدر قصيدته السينية التي منها :

دعِ المكارمَ لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وهذا البيت هو الذي قال فيه حسان حين استعدى الزبرقان عليه عمر ابن الخطاب ، فسأل عمر عنه حساناً : هل هجاه ؟ . فقال : ماهجاه ولكنه سلح عليه . فحبسه عمر رضي الله عنه حتى قال قصيدته :

بسم الذي أُنزلت من عنده السور والحمد لله أما بعد ياعمر الخ

فأخرجه وحلّفه ألا يهجو أحداً بعد ذلك ، وهذا محل هذه القصيدة لاماقدمنا في بني عجلان ، لأن الشاعر الذي هجاهم هو النجاشي وهو غلط مني وخطأ . ومن قصيدة الحطيئة السينية قوله؛

من يفعل الخير لم يعدم جوازيه لايذهب العرف بين الله والناس

قال كعب الأحبار : وهذا البيت والله في التوارة كما قاله إلا أن في التوراة : بين الناس والله . ومعنى الحطيئة ؛ القصير الدميم . سمي به جرول لأنه كذلك ، وكان قد هجا نفسه بقوله وقد نظر في المرآة :

أرى لي وجهاً قبّح الله خلقه فقبح من وجه وقبح حامله

ولما احتضر الحطيئة دخل عليه الناس يعودونه ، فوجدوه يجود بنفسه ، وكلما سألوه عن شيءٍ أجابهم بما يضحكهم ، فقالوا له : ماتوصينا به لليتامى ؟ . قال : كلوا أموالهم وانكحوا أمهاتهم . فلما اشتدت عليه السكرة أمر أهله أن يفرشوا له فروة على أتان ويحملوه عليها ففعلوا فأنشأ يقول :

لاأحد أذل من حطيئة هجا البنين وهجا البريئة

من لؤمه مات على فريئة

قول الناظم : وَالْحُطَيْئَةُ لَهُمْ : يقدر أن يكون محل الحطيئة بالمهملة ، الخطيئة بالخاء المعجمة غير مصغر ؛ أي الذنب والخطيئة لعبس إذ ضيعوا نبيهم خالد بن سنان ولولا أنه يؤدي إلى إغفال ذكر جرول الشاعر .

وَابْنُ الْيَمَانِ حَبرُهُمْ وَعَنْتَرَهْ
وَدَّ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَىٰ لَوْ أَبْصَرَهْ

وابن اليمان : هو سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما . واليمان اسمه حسيل بن جابر بن عمر بن ربيعة بن جرول بن قطيعة ـ كجُهينة ـ بن عبس . وسمي اليمان لأنه أصاب دماً في قومه ، فدخل في الأنصار لأنهم أصلاً من أهل اليمن وهو حليف الأنصار ، وخيره النبي ﷺ بين الهجرة والنصرة فاختار النصرة ، وليت شعري مامعنى ذلك ؟ . وأول مشاهده أحد ، وقتل أبوه بها ؛ قتله عتبة بن مسعود يظنه من العدو ، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين ، فقال له النبي ﷺ : «خَيْراً فَعَلْتَ» وزاده ذلك عنده . بعثه النبي ﷺ ليلة الخندق ينظر له أمر قريش ، وضمنه منهم ويكون رفيقه يوم القيامة ، ودخل فيهم إلى أن جلس في نادي أبي سفيان فسمع كل مايقولون ، وسمع قول أبي سفيان : ليتعرفْ كل أحد بجليسه . فأخذ بيد من يليه فقال : من هذا ؟ . فقال : أنا معاوية بن أبي سفيان . قال حذيفة : فأتيت النبي ﷺ فوجدته يصلي . وكان يعرف بصاحب سر رسول الله ﷺ لأنه يسّر إليه أخبار المنافقين وأخبار مايأتي من الدهر والأمراءِ . وأما علم[1] السر فأهله أبو بكر وعلي . قاله أبو حامد في الإحياء .

(١) قلت : مايطلق عليه علم السر في عرف الشارح ومحيطه ، هو الاوفاق والعزائم تعمل بواسطتها كمثلث الغزالي ومسبعه وكالمطلسم وكل مافي البوني وكتابه شمس المعارف ومافي

وأمـا سر النبي ﷺ في نفسه فصاحبه عبد الله بن مسعود والله تعالى أعلم . وسئل حذيفة رضي الله عنه : أي الفتن أشد ؟ فقال : أن يعرض عليك الخير والشر ولاتدري أيهما تركب ؟! وقال : لاتقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها . ولم يزل رضي الله عنه يشهد المشاهد في حياة النبي ﷺ وبعده ، وأخذ الراية لما قتل النعمان بن مقرن بنهاوند فكان الفتح على يديه ، وفتح الري والدينورد . وتوفي في أول خلافة علي رضي الله عنه . وأوصى إلى ابنيه صفوان وسعيد أن يكونا مع علي وقتلا معه . والحبر : بالكسر والفتح ، العالم الصالح . قاله في القاموس . قال عبد الباقي الزرقاني في الكلام على اللقطة : الحبر بالفتح وإن صدر القاموس بالكسر عالم أهل الذمة ولا يستعار لعالمنا .

وعنـترة : هو ابن شداد بن معـاوية ، وأبوه شداد فارس جروة هو السابق من طلب عبس إلى بني بدر يوم جفر الهباءة ، وكانت أم عنترة أمة سوداءَ ، ويذكر ذلك في شعره . وهو سادس الشعراءِ الستة ، وكان يذكر مكارم الأخلاق في شعره كقوله :

يخبرْكِ من شهـد الـوقـائـع أنني ... أغشى الوغى وأعفُّ عند المغنم

وقوله :

ولقــد أبِيتُ على الــطوى وأظلّه ... حتــى أنــالَ به كريـم المــأْكــل

= مجربات الديربي من أباطيل ، الله يعلم براءَة أبي بكر وعلي منها رضي الله عنهما وأرضاهما ، بل هذه علوم الشر ، ومثل أبي بكر وعلي ينزه عنها ولا يليق بهما نسبة ذلك إليهما ، ولو صحّ ماعزاه للغزالي لما تجرأ أحد أن يسمي ذلك بعلوم الشر . والله الموفق . وسوف نتكلم على اكذوبته هذه عند عبد الله بن مسعود .

وذكر الولي محمد بن سعيد اليدالي أن النبي ﷺ أُنشد بيت عنترة هذا فقال : «مَاوصِفَ لِي أَعْرابِيٌّ قَطُّ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرَاهُ إِلَّا عَنْتَرَة» . فمن ذلك أخذ النـاظم رحمه الله تعالى قولَه : ودَّ النبي المصطفى لو أبصره . يقول : ومن عبس عالمهم حذيفة بن اليمان ؛ لأنه من علماءِ الصحابة وأكابرهم ، ومنهم أيضاً عنترة الشاعر الذي تمنى النبي ﷺ لو يراه .

وَابْــنُ زُهَــيْرٍ فَارِسُ الْــغَــبْراءِ

وَدَاحِسٍ ذو الَمكْــرِ وَالــدَّهَــاءِ

يعني أن من عبس أيضاً قيس بن زهير صاحب الفرسين المشهورين داحسَ والغبراءِ ؛ والقول أنهما لحمل بن بدر مردود ، وداحس يضرب به المثل يقال : أشأم من داحس ؛ لأن عليه قام الحرب المتقدم . وسمي داحساً لأن أمه جلوى الكبرى فرس لبني ضبة ، لرجل منهم يقال له قرواش بن عوف ، مرت بذي العُقَّال ـ كرُمَّان ـ فرس حوط بن أبي جابر ، وكان أودعه جاريتين من الحي ، فلما رأى جلوى أدلى ، فضحـك شبـاب من الحي فاستحيت الجاريتان فأرسلتا مقوده فنزا عليها فوافق قبلها ، فعرف حوط صاحب ذي العُقَّال ذلك ـ حين رأى عين فرسه ـ وكان شديداً فطلب أرشَ فحله ، فلما عظم الخطب بينهم قالوا له : دونك ماءَ فحلك . فجعل يده في ماءٍ وتراب وأدخل في رحم الفرس حتى ظن أنه قد أخرج الماءَ ، واشتمل الرحم على مائه فنتجها قرواش مهراً فسمي داحساً لذلك ، وخرج كأنه ذو العقال أبوه ، ثم نهبه قيس من بني ضبة أو من غيرهم . والمكر : الخديعة . والدهاءُ : العقل وجودة الرأي . وكان قيس بن زهير من دهاة العرب ، ومن عقبه المساور بن زهير الذي هاجى المُرّار الأسدي ومن هجوه له قوله :

ماسرني أن أمي من أسد وأن ربي ينجيني من النار
وأنهم زوجوني من بناتهم وأن لي كل يوم ألف دينار

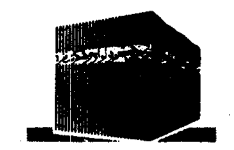
سَأَلَ قَيْسُ بْنُ زُهَيرٍ خالِدَا
ناراً تَكُونُ آيَةً وَشَاهِدَا
وَلَمْ يَضِرْهُ أَنْ عَلَيْهَا دَخَلَا
إِذْ سَأَلُوهُ كَشْفَهَا وَسَأَلَا
مُنْتَظِراً خُروجَهُ وكَشْفَهَا
أَنْ لاَيُنَوِّهَ بِهِ وَنَوَّهَا

يعني أن خالد بن سنان سأله قيس بن زهير وبنو عبس معجزة دالة على نبوته فقالوا له : أخرج لنا من هذا الوادي ناراً تكون آية وشاهداً على نبوتك . فخرجت لهم من الوادي نار فهربوا منها واستغاثوا به أن يكشفها عنهم فقال لهم : إذا دخلتها فلا تنوهوا بي مادمت فيها ، فلا تنادوني باسمي . فلما دخلها وكشفها عنهم جعلوا ينادونه يقولون : خالد . ولعل ذلك تضييعهم له الذي ذكر النبي ﷺ في قوله : «**نبي ضيعه قومه**» [على فرض صحته] والله تعالى أعلم .

وقيل أن ربعي بن حراش بكسرة الراءِ في الأول والحاءِ في الثاني ؛ الذي ذكر الناظم الذي في فزارة ، [قيل إنه] من عبس .

عَبْسٌ وَذُبْيَانُ انْتَهَوْا وَسِلْكُهُمْ
بَغِيضُ رَيْثُ غَطَفَانُ مَلْكُهُمْ

مراده بهذا البيت التنبيه على ماذكر من عبس وذبيان ، وذكر مابينهما وبين غطفان من الآباء ، وهما اثنان بغيض وريث فهما أخوان ابنا بغيض بن ريث بن غطفان . أمَّا اشجع فهو عمهما ؛ [أشجع] بن ريث بن غطفان ، وقوله ملكهم : أي تتميم ، أو أراد أن جدَّ القبيلة كالملك عليهم . وقوله سلكهم : أي نسبهم .



نسب أَشجع بن ريث بن غطفان

وَابْنُ سِنَـــانٍ مَعْقِـــلُ اللَّوْذَعِي   وَصِنْـوُهُ مُؤَمِّـلُ لِأشْجَـعِ

اللوذعي : الظريف والحديد الذهن والفؤاد ، والفصيح اللسان كأنه يلذع بالنـار من ذكـائـه . والصنو : الأخ الشقيق وهو المراد هنا ، والابن والعم ؛ لقد بدأ في ذكر أشجع بابني سنان الصحابيين ؛ معقل ومؤمل ، أما معقل فقد شهد الفتح وكان شاباً تقياً فاضلاً يكنى أبا سنان ، قتله مسرف بن عقبة يوم الحرة صبراً ؛ وكان يومئذ على المهاجرين . وفيه يقول الشاعر :

فأصبحت الأنصـــار تبكي سراتهـا   وأشجـع تبكي معقـل بن سنـان

[ومعنى بيت النـاظم] : أن ابني سنـان معقـل ومؤمل يُنسبان لأشجع ، وينسب لهم أيضاً المذكورون بعدهم :

وَابْـنُ حَرَامٍ زَاهِـــرُ الْبَـــادِيَـــهْ
لِلْمُصْطَفَىٰ أَعْظِمْ بِهَا مِنْ خاصِيَهْ
غَمَّـــضَـــهُ مِنْ خَلْفِـــهِ وَقَـــالَا
مَنْ يَشْـتَرِي الْعَبْـدَ فَعِ الْمَقَـالَا

شهد زاهر بدراً وسكن البادية في حياة النبي ﷺ وكان لا يأتيه إلا بطرفة من طرائف البادية ، حتى قال النبي ﷺ : «**لِكُلِّ حَاضِرٍ بَادِيَةٌ وَبَادِيَةُ آلِ مُحَمَّدٍ زَاهِـرٌ**» وجده النبي ﷺ يوماً بالسوق بالمدينة ، فوضع يديه الكريمتين على

عينيه من ورائه وقال : «مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ» ؟ . فأحس به زاهر وقال : إذاً تجدني كاسداً يارسول الله . فقال : «بَلْ أَنْتَ عِنْدَ الله رَبِيحٌ» . ثم انتقل إلى الكوفة .

وَعَامِرُ بْنُ الْأَضْبَطِ الَّذِي السَّلْمْ
أَلْقَاهُ لِلْجَيْشِ وَغَالَهُ الْحُطَمْ
مُحَلِّمٌ وَالْأَرْضُ إِذْ دَعَا النَّبِي
عَلَيْهِ أَلْقَتْهُ فَلَمْ تَغَيَّبِ

السلم : الانقياد . وقرىء السلام أي التحية . والحطم : الغشوم الظلوم كالحطمة . ومنه الحديث : «شَرُّ الرُّعَاةِ الْحُطَمَةُ» .

محلم بن جثامة وامتناع الارض من أن تقبله

ومحلم ـ كمحدث ـ ابن جثامة الليثي ؛ كان من حديثه أنه كان في سرية ، فتعرض لهم راكب على ناقة جيدة ومعه وطب من لبن ومتاع ، فسلم عليهم وقال لهم أنه يريد النبي ﷺ فرماه محلم وأخذ الناقة وماعليها ، فلما أتوا النبي ﷺ وأخبروه غضب ـ وذلك في طريقه إلى الفتح ـ فتفاقم أمر الناس فتنافس عليه الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن ؛ فالأقرع متعصب للقاتل لأنه من خندف ، وعيينة للمقتول لأنه من غطفان ، والنبي ﷺ في ظل شجرة ، فبينما الناس في شغل من ذلك إذ قبل أهل المقتول الدية فأتوا النبي ﷺ ليستغفر لمحلم فقال : مَااسْمُكَ ؟ . قال : مُحلّم . فرفع ﷺ يديه وقال : «اللّهُمَّ لاَ تَغْفِرْ لِمُحَلِّمٍ» . ثلاث مرات ، فخرج من عنده وهو يتلقى

دموعه بفضل ردائه ، ومات بعد ذلك بسبع ليال ؛ فدفنوه فلفظته الأرض إلى ثلاث مرات ، فوضعوه بين صخرتين ورموا عليه بالحجارة ، فقال ﷺ : **إنَّ الأَرْضَ لَتَنْطَبِقُ عَلَىٰ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ وَلٰكِنْ أَرادَ اللهُ أَنْ يَعِظَكُمْ في جرم مَابَيْنَكُمْ بِمَا أَرَاكُمْ»** وأنزل الله ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ**﴾[1] أي انقاد وأذعن . وقرىء السلام أي التحية . وقيل نزلت في أسامة لما قتل مرداس بن نهيك الجهني فقال له النبي ﷺ : «**هَلَّا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ؟**» . وأخو محلِّم الصعب بن جثامة الليثي صحابي .

ومن أشجع أيضاً نُعيم بن مسعود بن عامر ، الذي شتت الأحزاب ليلة الخندق ، وهو أيضاً الذي نزل فيه : ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ أَنَ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ**﴾[2] . وذلك يوم حمراءِ الأسد ؛ فالمراد بالناس الأولى نُعيم وحده والثانية المشركون . ومنهم أيضاً مسعود بن دخيلة الذي قاد أشجع يوم الأحزاب إلى النبي ﷺ ثم أسلم بعد وحسن إسلامه . ومنهم فالح ابن خلاوة الذي يضرب به المثل في التبري من الأمر يقال : أنا منه فالح بن خلاوة ؛ وذلك أنه قتل أنيساً الأسدي فلما كان يوم الرقم قيل له : هل أحسست أنيساً ؟ . فقال : أنا منه بريء .

ومعنى البيتين : ومن أشجع عامر بن الأضبط الذي ألقى السلم إلى جيش المسلمين فقتله محلم بن جثامة الليثي ، ودعا عليه النبي ﷺ فلم تقبله الأرض .

وهنا انتهى الكلام على الناس الذي هو قيس عيلان .

---

(١) سورة النساء : ٩٤

(٢) سورة آل عمران : ١٧٣

الكلام على قبائل خندف

ثم شرع يتكلم على إلياس عمود النسب ، وذلك صنيعه ؛ يذكر عمود النسب فيؤخره حتى ينسب إخوته فينزل عليه لأنه الأصل والسلك ، والعرب جمانه كما قال :

جُمانُ سِلْكِ نَسَبِ النبيِّ

فقال رحمه الله :

فِي صُلْبِ إِلْيَاسَ لِخَيْرِ الأُمَمِ   تَلْبِيَـةٌ يَسْمَـعُ مَنْ بِالْحَـرَمِ

الصلب : بالضم وبالتحريك الظهر . وإلياس : سمي بذلك لأنه أول من أخذه اليأس وهو داءُ السل . وخير الأمم : النبي ﷺ . والأمم : جمع أُمة للرجل الجامع للخير ، فالنبي ﷺ خير ذلك الجنس ، أو الأُمة كل جيل من كل حي ؛ فالنبي ﷺ خير كل مخلوق . والأُمة كل جماعة[1] أُرسل إليهم رسـول ، فكـل أُمة خيرها رسولها ، وخير كل رسول سيدنا ومولانا محمد ﷺ . والتلبية : هي قول : لبيك ؛ يعني أن جميع من بمكة يسمع إذا

---

(١) الأُمة : لغة تطلق على الرجل الصالح القدوة ، والجماعة من الناس ، والبرهة من الزمن والدين وكل هذه الاستعمالات جاءت في كتاب الله العزيز : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ سورة النحل : ١٢٠ ، ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ سورة فاطر : ٢٤ ، ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ سورة يوسف : ٤٥ ، ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ سورة الانبياء : ٩٢

كان إلياس يلبي تلبية النبي ﷺ في ظهره ، وذلك يدل على إسلام[1] إلياس ، بل على كونه من الأكابر . وإسلام إلياس يدل على إسلام جدوده كما تقدم .

ومن صنيعه رحمه الله [يعني الناظم] أنه إذا كان في القبيلة مكرمة أو قصة دمج ذكر القبيلة في ذكرها .

أَوْلَادُهُ مِنْ خِنْدِفٍ الشَّامِخَهْ ... قَمَعَةُ مُدْرِكَةُ وَطَابِخَهْ

خندف : كزبرج ، لقب زوج إلياس واسمها ليلى بنت حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة ، وسميت خندفاً لأن إلياس لقيها يوماً وهي تخندف ؛ أي تمشي الخندفة ، وهي مشية كالتبختر فقال لها : أين تخندفين ؟ . فقالت : مازلت أخندف في أثركم . وقد خرجوا فنفرت إبلهم من أرنب فأدرك عمر الأرنب فسمي مدركة ، وتصيد عامر الأرنب وطبخها فسمي طابخة ، وقمعها عمير فسمي قمعة . والشامخة : الرافعة بأنفها عزاً . ووصف بها خندفاً لأنها تستحقه ، وكل بني إلياس إذا أراد أن يفتخر بنفسه يقول : من خندف . بل غلب انتسابهم إليها على انتسابهم إلى إلياس .

قَمَعَةُ قِيلَ جَدُّ عَمْرِو بْنِ لُحَيّ ... ذِي الْقُصْبِ فِي حَدِيثِ أَفْضَلِ لُؤَيِّ

قمعة : بالتحريك وسكنه للضرورة لقب عمير بن إلياس .

---

(١) من أين دلالته ـ لو صح ـ على إسلام إلياس ؟! وإذا فرضنا أن إلياس كان مسلماً فأين يدل إسلامه على إسلام بنيه ؟ ! . أو ليس نوح كان مسلماً ، والقرآن صريح في كفر ابنه ؟ . تخبط هذا وحز في غير مفصل . والله الموفق .

والقصب : بالضم المعى . والحديث الذي يعني قوله ﷺ في ذكر عمرو بن لحي : «رَأَيْتُهُ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ وَأَشْبَهُ النَّاس به أَكْثَم بْنُ الْجَوْنِ» . فقال أكثم ابن الجون : أيضرني ذلك الشبه ؟ قال : «لَا أَنْتَ مُؤْمِنٌ وَهُوَ كَافِرٌ» . وأول الحديث : عمرو بن لحي بن قمعة ، ثم إن صح الحديث فلا عبرة بكلام النسابين القائلين أن لحيًا بن حارثة الغطريف والد الأوس والخزرج ، لكن قال بعض أنه ابن حارثة بالتبني وأن حارثة خلف على أم لحي بعد قمعة فتبناه ، وهذا القول جامع بين الحديث وكلام النسابين .

أَوَّلُ مَنْ حَمَلَ أَكْيَاسَ الْحَـرَمْ لِكُفْرِهِ عَلَىٰ عِبَادَةِ الصَّنَمْ

الأكياس : جمع كيّس أي العاقل ، يعني أن عمرو بن لحي هو أول من دعا أهل الحرم إلى عبادة الأصنام ؛ لأنه كثير الأموال كثير الإنفاق .

وَأَدْخَـلَ اللَّذَيْنِ أَخْـرَجَهُـمَا إِذْ أَحْـدَثَـا فَمُسِخَـا رَبُّهُـمَا
وَصُلِبَـا عَلَىٰ الصَّفَـا لِيَتَّعِظْ عَلَىٰ الـزِّنَـا بِمَكَّـةٍ كُلُّ يَقِظْ

يعني أن من كفر عمرو بن لحي أن جرهماً قيل أحدث منهم رجل وامرأة في الطواف ـ أي تلامسا عن ريبة ، وقيل زنيا ـ فمسخا حجرين لعظم حرمة الحرم ، فأخرجهما أهلهما أي جرهم وصلبوهما على الصفا ليتعظ ؛ أي ليتذكر وينتهي عن الزنا ونحوه كل يقظ ؛ أي كل متنبه غير نائم عن العواقب ، والرجل اسمه إساف ـ ككتاب أو سحاب ـ ابن عمرو ، والمرأة اسمها نائلة بنت سهل ؛ فَجَرا في الكعبة فمسخا حجرين ، وقال عمرو بن لُحَي : حقهما أن يعبدا . فعبدهما . قيل أدخلهما وقيل وضع أحدهما على الصفا والآخر على المروة ، وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة ثم عبدتهما قريش من بعده ، وأول

عبادة عمرو بن لحي الأصنام ؛ أنه خرج إلى العماليق فوجدهم بالشام يعبدون الأصنام ، فاستوهبهم منها فأعطوه واحداً قيل هو هُبَل ؛ صنم قريش الذي قال له أبو سفيان : اعْلُ هُبل . فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : «**قُولُوا لَهُ : الله أَعْلَىٰ وَأَجَلُّ**» ، فقدم به مكة .

مَلَكَ أَرْبَعِينَ أَلْفاً فَسَمَلْ
عَنْ شُكْرِهَا أَعْيُنَ عِشْرِينَ جَمَلْ
وكَادَ يُعْبَدُ فَكُلَّ مَا أَمَرْ
بِهِ مِنَ الْمُخْتَلَقَاتِ يُبْتَدَرْ

يعني أن عمرو بن لحي ـ مع ابتداعه عبادة الأصنام ، وحمله العرب وذوي العقول من أهل مكة على الكفر ـ أعطاه الله مالم يعط غيره من الأموال ؛ حتى إنه ملك أربعين ألف ناقة استدراجاً له وإملاءً ـ حسبنا الله ونعم الوكيل ـ فزعم أن شكر ذلك أن يسمل أي أن يفقأ عن كل ألف عين فحل ، فسمل عيون عشرين جملاً شكراً للأربعين الألف كالزكاة ، قال تعالى : ﴿**سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ**﴾[1] وقال جواباً لقول المترفين الكافرين : نحن أكثر أموالاً وأولاداً : ﴿**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ**﴾[2] . مطيعاً كان كعثمان وعبد الرحمن بن عوف وأنس بن مالك وطلحة بن عبيد الله وغيرهم من الصحابة والصالحين

---

(١) سورة الأعراف : ١٨٣

(٢) سورة سبإ : ٣٦

بعدهم ، أو عاصياً كعمرو بن لحي والوليد بن المغيرة وغيرهما إلى الآن ؛ لأن الدنيا لاتزن عند الله جناح بعوضة كما قال ﷺ والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً﴾[1] . وكاد الناس يعبدون عمرو بن لحي لمساعدة الدنيا له بكثرة الأموال ، ولأن الناس أعوان من أعانته دولته ، ولكثرة إحسانه إليهم كان يطعم أهل المواسم ويكسوهم كلهم ، وينفق كثيراً إلى أن أحبته القلوب لأنها جبلت على حب من أحسن إليها ، وأفعال الأبدان منقادة إلى أهواءِ القلوب ، فبسبب ذلك كان الناس يبتدرون كل ماأمر به مما اختلقه ولو خالف ماكانوا عليه من الدين ومكارم الأخلاق .

كَالْوَصْلِ وَالْبَحْرِ وكالتَّسْيِيب
وَكَالْحِمَايَةِ وَكُلِّ رَيْبِ

وَتَصِلُ الْأَخَ الْعَنَاقُ وَتَقِي
مِنْ ذَبْحِهِ لِآلِهَاتِ الْأَخْرَقِ

بَحِيرَةٌ فَعِيلَةٌ مِنْ بَحَرَا
تُشَقُّ طُولاً أُذْنُهَا بِلَا امْتِرَا

إِنْ وَلَدَتْ عَشْراً وَلِلذُّكُور
يَحِلُّ لَحْمُهَا عَلَىَ الْمَسْطُورِ

---

(١) سورة الزخرف : ٣٣

وسَـــيَّــبُــوا لِنَــاقَــةٍ وَقَــادِمِ
تَقَــرُّبــاً كَالْـعِتْقِ فِي الْعَــظَائِمِ
وَالْفَحْـلُ يُحْمَىٰ ظَهْـرُهُ إِنْ وَلَـدَا
وَلَــدُهُ إِنْ يُضْــنَ فِيــمَا وَرَدَا

البحر : في اللغة الشق ويكون ضد الوصل . والتسييب : الإهمال . والحماية : الوقاية . والريب : الشك وهو أصل السوءِ . والعَناق : الأنثى من أولاد المعــز . والأخــرق : الأحمق . وأراد به عمـرو بن لحي وآلهتـه الأصنام . ثم شرع في تفسير مختلقاته فقال : وتصل الأخ العَناق يعني أنهم بنو فعيلة ـ بمعنى فاعلة ـ من وصل ، وذلك أن الشاة إذا ولدت ذكراً وأنثى قالوا : وصلت أخاها . فلم يذبح الذكر لآلهتهم . وقيل : هي شاة تلد ذكراً ثم أنثى فلا يذبحون أخاها من أجلها ، فإن ولدت ذكراً قالوا : هذا قربان لآلهتنا . وقيل الوصيلة : من الشياه التي ولدت ستة أبطن عَناقين عَناقين ، فإذا ولدت في السابعة عَناقاً أو جَدياً قالوا : وصلت أخاها . فلا يشرب لبنها إلا الـرجـال . وبحيرة : فعيلة بمعنى مفعولة من فعل بَحَرَ ، وفسر ذلك بقوله : تُشق طولاً وتترك مشقوقة غير مقطوعة فيكون ذلك اسمًا لها . بلا امترا : أي بلا شك ، وهو تتميم قوله : إن ولدت عشراً . يحتمل فتح الهمزة من أن فتكـون مصدرية للتعليل ، أي تبحر لأجل ولادتها عشرة أبطن ، ويحتمل كسر همزتها على أنها شرطية أي تبحر الناقة إن ولدت عشراً ؛ وفي شرعهم أن البحيرة يأكل لحمها الرجال ويحرم على النساءِ ، وجمع البحيرة بُحُر ، وقد توجد منها إبل كلها بُحُر . قال الشاعر يصف روضة :

بعـــازب الـنـبـت يرتـــاح الـفـؤاد له
رأْدَ الـــنـهـــار بأصـــوات من الـنـعـــر

والأزرق الأخضب السربـال منتصب
قيـــد العصى فوق ذيَّـــال من الـزهـر

فيـــه من الأخـــرج الـــوضـاح قرقـرة
سدَّ الـــديـــار بوسْط الهجمـــة البُحُـر

وقوله : وسيبوا الناقة : أي واختلقوا أيضاً السائبة ؛ وهي الناقة تهمل فلا تركب ولا تمنع من كلإ ولا ماءِ النذر ، أو إذا نقُه أحدهم من مرض أي برىءَ بعضَ البرُء أو أفاق من مرضه ، أو قدم من سفر بعيد أو نجا من حرب أو مشقـة ، وإنـما يفعلون ذلـك تقـرباً كما نفعل نحن بالأمور العظام من العتق . واختلقـوا الحـماية : وهي الفحل إذا أدرك نتاجَ نتاجه قالوا حُمي ظهره ؛ فلا يركب ولا يحمل عليه . وكذا إذا ريض ولده ؛ أي ذلل .

نسب خزاعة وذكر قبائلها

وَالْـعُـــرْبُ قَبْـــلُ مُتَـــدَيِّـنُـــونَـــا
بِمِـــلَّةِ الْخَــلِيـــلِ يَعْـــمَـــلُونـــا

وَهْـــوَ أَبُـــو خُزاعَـــةٍ وَأَكْـــثَـــمُ
شَبَّـــهَـــهُ بِهِ الـــنَّـــبِـــيُّ مِنْهُـــمُ

يعني أن العرب ـ قبل مختلقات عمرو بن لحي ـ متدينون ؛ أي أصحاب دين أي إسلام ، يعملون بملة إبراهيم الخليل عليه السلام ، وبقي منها أربع خصال لم تنسخ إلى أن بُعث النبي ﷺ ؛ وهي الحج والنكاح والاغتسال من الجنابة وقِرى الأضياف . والله أعلم .

قال السهيلي : يدل خطاب العرب بالطهارة على أنهم كانوا عارفين لها . قال تعالى : ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّروا**﴾[1] . ولم يصف لهم الطهارة كما وصف لهم الوضوءَ بقوله تعالى : ﴿**إِذَا قُمْتُمْ إِلَىٰ الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ**﴾[1] . ولو كانوا يعرفون الوضوءَ كما يعرفون الطهارة لقال : توضؤوا . قوله : وهو أبو خزاعة ؛ يعني أن قبائل خزاعة وهم : كعب وعدي وسعد ومليح وسلول .

أما كعب : فمنهم عمرو بن سالم الذي استصرخ لخزاعة ـ حين غدرت بهم بنو بكر بن كنانة ـ النبي ﷺ بقوله :

يارب إني ناشدٌ محمداً حلف أبينا وأبيه الأتلدَا

القصيدة ، فقال النبي ﷺ : «**لانَصرَني الله إنْ لَمْ أَنْصُرْكَ**» . وقال وقد استهلت عليه سحابة : «**إنَّ هٰذِهِ السَّحَابَةَ لَتَسْتَهِلُّ بِنصْرِ بَنِي كَعْبٍ**» .

وأما سَعْدٌ : فمنهم بنو المصطلق ـ واسمه حذيفة بن سعد ـ أهل أُمنا جويرية . وسمي المصطلق لحسن صوته ، وهو أول من غنى من خزاعة .

وأمَّا عدي : فمنهم بديل بن ورقاءَ بن عبد العزى الصحابي أسلم يوم الفتح هو وابنه عبد الله وشهدا مابعد الفتح ، وقيل أسلم عبد الله قبل الفتح

---

(١) سورة المائدة : ٦

وكان عبد الله سيد خزاعة ، وكان مع ابن عامر في فتوحه وهو الذي صالحه مع أَصبهان زمن عثمان ، وكان مع علي في الجمل وصفين وفيه يقول :

لم يبق غير الصبر والتوكل ... ثم التمشي في الرعيل الأَول
مشي الجمال في حياض المنهل ... والله يقضي مايشا ويفعل

وكان عليه درعان ومعه سيفان يضرب بهما حتى انتهى إلى معاوية فأزاله عن موقفه هو وأصحابه ، فرموه بالحجارة حتى أثخنوه فقتلوه ، فأقبل عليه معاويه وعبد الله بن عامر وأَلقى عليه ابن عامر عمامته وقال لمعاوية : والله لايمثل به وفي روح . فقال معاوية : وهبناه لك . فكشف معاوية عن وجهه وقال هذا كبش القوم ورب الكعبة . وأَخوه نافع بن بديل قتل بوم بئر معونة وفيه قيل :

رحم الله نافع بن بديل ... رحمة مبتغي ثواب الجهاد

وقوله : وأَكثم هو الى المثلثة أَقرب لأَن المجد أَهمله ولم يقل فيه ذلك ، وذكر آخرين في المثلثة ، ولم يذكر في المثناة معنى يسلط عليه به . قوله : شبهه به النبي ﷺ منهم ، أَي من خزاعة ثم من كعب ، وتقدم هذا التنبيه في حديث عمرو بن لحي .

عِمْـرَانُ الْـمُعَـايِنُ الْمُكَلَّمُ ... قَعِيـدُهُ حَتَّىٰ اكْتَـوَىٰ قَرْمُهُمُ

يقول أَن عمران بن حصين قرم ؛ أَي سيد خزاعة . وهو أَيضاً من كعب ثم من بني غاضرة ، وكـان يرى بعينيه قعيده أَي حفظته . قال تعالى : ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[1] ويكلمهم ويأْنس بهم ،

---

(١) سورة ق : ١٧

حتى أصابه مرض فاكتوى فغابوا عنه ، فقال : يارسول الله مابال قوم كنت آنس بهم وأراهم ؟ . قال : «**لَعلَّكَ اكْتَوَيْتَ**» . قال ﷺ : «**سَبْعُونَ أَلْفاً مِنْ أُمَّتِي لاَحِسَابَ عَلَيْهِمْ ؛ الَّذِينَ لاَيَكْتَوُونَ وَلاَ يَسْتَرْقُونَ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**» . قال القاضي عياض وغيره : ولايختص عدم الحساب الذين لايكتوون ولا يسترقون ، لأن النبي ﷺ تداوى واسترقى من السحر ، وجاءه ذلك من ربه تعالى ، وأمر بالتداوي وبالرقية ، وأمر الله تعالى بالأسباب ولكن لم ينه عن التوكل معها . قال ﷺ لعمرو بن أمية الضمري : «**بَلْ اعْقِلْهَا وَتَوكَّلْ**» . ولو كان في السبب غضاضة لما ربط النبي ﷺ البراق في الحلقة التى كان الأنبياءُ يربطونها فيها . انتهى قول القاضي وغيره بالمعنى والاختصار .

يكنى عمران أبا نجيد ؛ أسلم عام خيبر وكان من فضلاءِ الصحابة ، وكان يحدث عن إسلامه قال : أتيت النبي ﷺ فجعل يحدثنا عن بدءِ الوحي ، فقال قائل : يا ابن الحصين راحلتك انفلتت . فقمت فرأيتها ينقطع من دونها السراب وليتني تركتها . مروياته من الحديث مائة وثمانون . ومات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة ، وكان عبد الله بن عامر استقضاه عليها فاستعفاه ففعل ، وذكر أن الدعاءَ يستجاب عند ذكره ، وأبوه حصين بن عبيد بن خلف بن عبد نهم صحابي ، قال له النبي ﷺ :**مَنْ تَعْبُدُ** ؟ قال : عشرة آلهة . قال : **وَمَا هُمْ وَأَيْنَ هُمْ** ؟ . قال : تسعة في الأرض وواحد في السماءِ ، قال :**فَأَلْغِ التِّسْعَةَ** .

كثيِّرٌ بُدَيْلُ أُمُّ مَعْبَد
دِعْبِلُ هَاجِي الْخُلَفَاءِ الْمُعْتَدِي

يعني أن كثيراً وبديل بن ورقاءَ ، وتقدم الكلام عليه . أُم معبد ودعبل الـذي كان يهجـو خلفاءَ بني العباس ، كل هؤلاءِ من خزاعة ، ومعتدٍ : متجاوز الحد .

ذكر كثير عزة

أمّا كثير : فهو لقبه وهو بالتصغير وكنيته أبو جمعة ، واسمه عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر الخزاعي الشاعر المشهور وكان رافضياً ، وكان يحمق ؛ متكبر جداً ويقال له كثيِّر عزة ينسب إليها لشدة كلفه بها ، وكان معاصراً لجرير والفرزدق وذي الرمة ونصيب ، ومن أحسن شعره في عزة قصيدته :

خليــلي هذا ربــع عزة فاعــقــلا

قلوصيـكــما ثم ابـكيــا حيث حلَّتِ

ومــاكنت أدري قبــل عزة ما البكــا

ولا موجعات القلب حتى تولت الخ .

ومن شعره فيها قوله :

قضى كل ذي دَيْنٍ فوفّى غريمــه وعــزة ممطول مُعَـنّى غريـمهــا

قيل أن أُم البنين بنت عبد العزيز سألتها عن هذا الديْن ، فقالت : وعدته بقبلة فلم أُنجزها . فقالت : انجزي بها وعليّ إثمها . وكان مداحاً لعبد العزيز بن مروان ؛ فمدحه مرة وقال له : تمنَّ . فقال : تجعلني مكان كاتبك . فقال : ويحك هو كاتب وأنت شاعر . ويعدون ذلك من حمقه .

يروى أن عبد العزيز أرسل يوماً إلى عزة فأدخلها بيتاً وأسبل عليها ستراً ، وأرسل إلى كثير فقال له : سلني حاجتك كائنة ماكانت . قال : أرضك كذا ومائة ناقة برعاتها . فقال : هل تريد غير ذلك ؟ . فقال : لا . فقال : ياغلام ارفع الستر . فنظر إلى عزة وأنشأ يقول :

عجبت لتركي خطة الرشد بعدما ... بدا لي من عبد العزيز قبولها
حلفت برب الراقصات إلى منى ... يجوب البلاد نصها وذميلها
لئن عاد لي عبد العزيز بمثلها ... وأمكنني منها إذا لأُقيلها

ومن شعره فيها أيضاً وقد هجرته زماناً ثم حجت ، فلما قفلت من الحج مرت بجمل كثير في مطايا الحجاج فسلمت عليه فسمع بذلك كثير وقال :

حيتكَ عزةُ بعد الهجر وانصرفت ... فحيِّ ويحك من حياكَ ياجملُ
ليت التحية كانت لي فأشكرها ... مكان ياجملُ حُيِّيت يارجل
لو كنت حيَّيْتهَا مازلتَ ذا كرم ... عندي ولا مسَّك الإدلاج والعمل

وفي عبد الملك بن مروان يقول :

إذا همَّ بالأعداءِ لم يثن همه ... حصان عليها نظم دُرٍ يزينها
فلما لم ترى للنهي عاقبة ... بكت فبكى مما شجاها قطينها

ولما أراد عبد الملك المسير إلى مصعب بن الزبير نهته زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية عن المسير ، فلما لم ينته بكت . فبكى لبكائها حشمها فقال عبد الملك : قاتل الله أبا جمعة كأنه شاهد يومنا هذا . ثم قال : عليَّ بأبي جمعة . فقال : إن أنت أخبرتني عن بيتين من شعرك وردا عليّ أخبرتك بما تحدث به نفسك . قال : ماهو إلا أن نهتك عاتكة بنت يزيد عن المسير ،

فلما امتنعت بكت فبكى معها خدمها . قال : صدقت . وأنت تقول لك نفسك : أنا أشقى الناس ، أخرج مع رجل ليس على ديني إلى رجل هو أحب الناس إلي . قال : أنت تقول ذاك ياأمير المؤمنين . وكثير من بني غاضرة وهم من كعب .

ذكر أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية

وأما بديل : فقد تقدم الكلام عليه وأنه من عدي . وأما أم معبد : فهي من بني كعب وهي عاتكة بنت خالد بن منقذ بن ربيعة بن أصرم صاحبة الشاة ، ومن خبرها أن وجدها النبي ﷺ وأصحابه بقديد في فناءِ خيمة فأناخوا فقال ﷺ : «هَلْ مِنْ قِرىً ؟» وكانوا مرملين عليهم آثار السفر جداً ، فقالت : لا والله ، لو كان عندنا لقدمناه لكم . ثم قالوا : ماهذه الشاة التي في كسر الخيمة ؟ . فقالت : شويهة خلفها الجهد . فقال أتأذنين لي في حلابها ؟ قالت بأبي أنت وأمي ، هي أجهد من ذلك ، وإن شئت فاحلبها . فأمر النبي ﷺ فأخرجوها من الخيمة فنفض ضرعها بيده الكريمة فتفاجّت ودرت ، فأمر بعس فحلب فيه حتى ملأه فناوله أبا بكر ، فقال : بل أنت فاشرب يارسول الله فقال : «سَاقِي الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْباً» ثم تناول القوم واحداً واحداً وهم ثلاثة : أبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة ودليلهم عبد الله بن الأُريقط حتى رووا ، ثم حلب في العس فشرب ثم حلب حتى ملأ العس فتركوه عندها وساروا ، فلم تلبث أن جاءَها زوجها يسوق شياهاً يتساوكن هزالاً ـ والتساوك السير الضعيف ـ فقال : ياأُم معبد مابال هذا اللبن عندكم ؟ . والغنم عازبة . فقالت : ماهو إلا أن مر بنا رجل مبارك من أمره كيت وكيت ، فحلب هذه الشويهة حتى أروى أصحابه ثم حلبها فخلف

عندنا هذا الإناءَ مملوءاً لبناً فقال : صفيه ياأُم معبد ، فوصفته فأَحسنت ، فقال : هذا والله صاحب قريش الذي يزعمون أَنه ساحر ، وهو نبي ، والله لأَلحقن به أَو لأَجهدن . فتبعه فلحقه وأَسلم وبايع . وكان آل أُم معبد يؤرخون بهذا اليوم يقولون : يوم الرجل المبارك . وقدمت بعد ذلك أُم معبد المدينة ومعها بني لها صغير فرأَى النبي ﷺ يخطب فأَتاها يشتد يقول : أَي أُماه إِني رأَيت الرجل المبارك . قالت له : أَي بني ذاك رسول الله ﷺ . وبقيت عندهم هذه الشاة إِلى آخر خلافة عمر ، وكانت عام الرمادة عندهم تأْدم لآل أُم معبد وجيرانها ، قاله هشام أَخو أُم معبد وقاله السهيلي وغيره . وقال : اختلف فيها : هل هي عنز أَو نعجة ؟ . والأَصح أَنها نعجة بيضاءُ . انتهى .

وأَما دِعْبِلٌ ـ كزبرج ـ فهو ابن عبد الله بن زيد بن اسماعيل الخزاعي الشاعر المشهور ، وكان مولعاً بالهجو ؛ هجا الخلفاءَ فمن دونهم وطال عمره ، وكان يقول : لي خمسون سنة أَحمل خشبتين على كتفي أَدور بهما على من يصلبني عليهما فما وجدت من يفعل . وهو المشهور بأَبي الشيص ، وكان صديقاً لأَبي البحتري الشاعر ، ومات قبله هو وأَبو تمام فرثاهما بقوله :

قد زاد في كلفي وأَوقد لوعتي ... مثوى حبيب يوم مات ودعبل
أَخوان لم تزل السماءُ بخيلة ... تغشاهما بسماءِ مزن مسبل

ومن خزاعة ثم من بني كعب : بشر بن أَبي سفيان ؛ بعثه النبي ﷺ في غزوة الحديبية عيناً ، قال السهيلي : يؤخذ منه جواز أَن يسافر الرجل وحده إِن مست إِليه الحاجة ، ويفهم من كلام السهيلي أَنه لايجوز إِلا إِذا مست إِليه الحاجة وهو موافق لقوله ﷺ : «**الْوَاحِدُ شَيْطَانٌ**» .

خراش بن أمية الخزاعي
هو الذي حلق رأس النبي ﷺ يوم الحديبية

ومنهم أيضاً خراش بن أُمية ؛ بعثه النبي ﷺ أيضاً يوم الحديبية إلى قريش على جمله الثعلب ، فعقروا الجمل وآذوه ، وهو الذي حلق رأس النبي ﷺ يومئذ . ومنهم ذو الشمالين عمير بن عبد عمرو الذي شهد بدراً فاستشهد بها .

ومنهم معتب بن عوف الذي يقال له ابن الحمراءِ ، هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً وآخى النبي ﷺ بينه وبين ثعلبة بن حاطب . ومن خزاعة أيضاً أبو كبشة الذي تشبه قريش به النبي ﷺ . ومنهم أيضاً أبو غبشان . ومنهم أيضاً قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة ؛ ولد أول سنة من الهجرة وقيل عام الفتح ، وأتى به النبي ﷺ فدعا له فكان ذا فقه وعلم ، وأبوه ذؤيب بن حلحلة صحابي بعث معه النبي ﷺ الهدي إلى مكة وقال له : «**إِنْ عَطَبَ مِنْهُ شَيْءٌ فَانْحَرْهُ وَخَلِّ بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَهُ**» .

أَول رأس في الاسلام
حمل من بلد إلى بلد رأس عمرو بن الحمق

ومنهم عمرو بن الحَمق ـ والحمق : ككتف : الخفيف اللحية ـ شهد مع علي حروبه ثم فر من زياد وأتى الموصل فدخل في غار فنهشته حية فمات ، وبعث صاحب الموصل برأسه إلى زياد فبعث به زياد إلى معاوية . وهو أول

رأْس في الإسلام حمل من بلد إلى بلد . وذكر السهيلي قولاً بأن أول رأْس حمل في الإسـلام رأْس أبي عزة الجمحي . قلت : ولـو صح ذلـك لما كرهه [1] الفقهاءُ . ومن خزاعة بالولاءِ وتميم بالنسب وزهرة بالحلف سيدنا خبَّاب بن الأرت ؛ قيل أنه تميمي النسب ، أصابه سباءٌ فبيع من خزاعة بمكة وأعتقته امرأة من خزاعة فحالف بني زهرة .

هنا انتهى الكلام على قمعة .

---

(١) قوله رحمه الله : لوصح ذلك لما كرهه الفقهاءُ ، لعله فاتت عليه ملاحظة أن أبا عزة مات كافراً والعياذ بالله ، وإن الذي كرهه الفقهاءُ التمثيل بالمسلمين وحمل رؤ وسهم بعد حزها وتركها غير مدفونة ، فكلها أعمال تتنافى مع حرمة المسلم . وبالله التوفيق .

نسب مدركة بن إلياس

ثم شرع في أخيه مدركة عمود النسب ، وخالف عادته فقال رحمه الله :

مُدْرِكَـــةٌ مِنْهَـــا هُذَيْـــلُ الَّـــذِي
مِنْـهُ خُنَـاعَـةُ الَّتِي مِنْهَـا احْتُـذِي
أُصَيْـــلُ شَوَّقَ الـنَّـبِـيَّ مَكَّـتَــهْ
وَزَوْجَـــهُ بِوَصْـــفِـــهِ فَأَسْكَـتَــهْ

خُنَاعَةُ : كثمامة ابن سعد بن هذيل واحتذي : قطع منها . أُصيل : ـ كزبير ـ ابن عبد الله ، أي قبيلته التي هو منها هذيل كأنه قطع منها . ويحتمل أنه قطع منها بسابقة الإسلام . وزوجه : يعني أُمنا عائشة رضي الله عنها ؛ قدم أُصيل من مكة إلى المدينة فوجد النبي ﷺ مع عائشة فقال له : «**كَيْفَ تَرَكْتَ مَكَّةَ**» ؟ . فقال : تركتها حين ابيضت أَباطحها وأَحجن ثمامها وأَغرب إذ خرها وأَمشر سلمها . فقالت عائشة : اسمع مايقول أُصَيْل . فقال النبي ﷺ : «**أُسْكُتْ يَاأُصَيْـلُ شَوَّقْتَنَـا**» . وقيل أَن عائشـة هي التي سأَلته كيف تركت مكة ؟ . فقوله : حين ابيضت أَباطحها ؛ يعني أَنها مطرت فبيضت السيول أَباطحها وأَنقتها من الأَوساخ . وقوله : وأَحجن ثمامها أَي خرجت حجنته ؛ وهي التي تخرج من رأْس العود . وقوله : وأَغرب إذخرها : صار مثل لون الغراب وهو الجناح الأَسود والشعر الأَسود . وقوله أَمشر سلمها : صارت فيه المشرة وهي الخوص أَو هي نعومة الأَغصان .

وَمِنْ هُذَيْـلٍ صَاحِبُ السَّـوَادِ

وَالسِّرِّ وَالسِّـوَاكِ والْـوِسَـادِ

وَالنَّعْـلِ وَالسِّـتْرِ لَدَىٰ الْمُغْتَسَـلِ

وَالْاذْنِ فِي الْمَجْلِسِ مَالَمْ يُعْزَلِ

وَهْـوَ ابْنُ مَسْعُـودٍ مُبَشِّرُ النَّبِي

بِرَأْسِ عَمْـرو بْنِ هِشَـامٍ الْغَبِي

السواد : الشخص . والسر هنا : سر النبي ﷺ في نفسه ، كان يفشي إليه مايريد أن يفعل ، ومن يريد غزوه ويوري لغيره ، وأما سره لحذيفة فهو إخباره له بما سيكون من الفتن ونحوها إلى يوم القيامة ، وإفشاء أسرار المنافقين وتعيينهم ، حتى كان عمر إذا دعي لجنازة لايخرج إليها حتى يخرج حذيفة ، لعلمه أنه يعلم المنافقين من غيرهم . وأما علم السر الذي هو علم الحقيقة فلم يرمز به إلا إلى أبي بكر [1] وعلي ، ولذلك كانت طريقتاه إليهما : أما الجيلية فإلى أبي بكر ، وأما الشاذلية فإلى علي . والله تعالى أعلم ومعتمدي في هذا مااقتطفت من كتب أهل الحقيقة .

---

(١) قوله رحمه الله وغفر لنا وله : وأما علم السر الذي هو علم الحقيقة فلم يرمز به إلا إلى أبي بكر وعلي . . الخ . كلام ينقصه التحقيق ، وتتجلى فيه ظاهرة حسن الظن بالناقل التى باض المبتدع بموجبها وفرّخ في بلد هذا الشارح ؛ إن قطر شنقيط [موريتانيا] لصلاح أرضية أهله وقابليتها لكل مايلقى فيها ، يتقبلون كل ماوجد في كتاب ويقولون : هذه مسألة كتابية . ظناً منهم أنه لايتهيأ للتأليف ولاتعكف المطابع إلا على طبع مانقح وأشرف على =

= تنقيح شوائبه من هو أهل ليؤتمن على ذلك ، ولذلك ربما يلاحظ القارىء بعضاً من عزو الشيخ حماد يقول فيه : انتهى من كثير من الكتب . وهل يقتنع محقق بمثل هذا ؟ . لذلك وقع الشيخ في شرك أهل الباطل الذين يفرقون بين الشريعة والحقيقة ، ويزعمون ضلالاً وبهتاناً أن سر الحقيقة مما خصَّ الرسول ﷺ به أبا بكر وعلياً رضوان الله عليهما ، وهنا أُسجل أنه لأول مرة في حياتي أطلع على أن أهل طريقة صوفية يدعون رفعها لغير علي كرم الله وجهه ورضي عنه ، فقد ذكر الشيخ حماد أن طريقة عبد القادر الجيلاني مروية عن أبي بكر رضي الله عنه ، والذي كان عندي ، ولست عمدة في ذلك المجال ، أن طريقة الشيخ عبد القادر الجيلاني مروية بسند إلى الحسن البصري عن علي رضي الله عنه ، وعلى كل حال فقد ذكر الشارح هنا أن السر الذي هو الحقيقة اختص رسول الله ﷺ به أبا بكر وعلياً رضي الله عنهما ، وها أنا أنقل لك ماتقطع بموجبه على بطلان اختصاص علي رضى الله عنه بشيء من العلم دون الناس ، ففي صحيح مسلم مانصه : حدثنا زهير بن حرب وسريج ابن يونس كلاهما ، عن مروان قال زهير : حدثنا مروان بن معاوية الفزاري حدثنا منصور ابن حيان حدثنا أبو الطفيل عامر بن واثلة قال : كنت عند علي بن ابي طالب فأتاه رجل فقال : ماكان النبي ﷺ يسُّر إليك ؟ . قال : فغضب وقال : ماكان النبي ﷺ يُسُّر إلي شيئاً يكتمه الناس ، غير أنه حدثني بكلمات أربع قال : فقال : ماهن ياأمير المؤمنين ؟ . قال : قال : لعن الله من لعن والده ، ولعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من آوى محدِثاً، ولعن الله من غير منار الأرض . قال النووي ج ١٣/ ص ١٤١ قوله : إن علياً غضب حين قال له رجـل : ماكان النبي ﷺ يسر إليك إلى آخره ، فيه إبطال ماتزعمه الرافضة والشيعة والإمامية من الوصية إلى علي وغير ذلك .

قلت : وفيه أيضاً الدليل على بطلان ماتزعمه المتصوفة من أن النبي ﷺ خصه دون الناس بعلم السر الذي هو الحقيقة ، وماكان رسول الله ﷺ ليكتم علمًا عن الناس ، أو يختص أحداً دون أحد إن كان مما أُمر بتبليغه ، وإن نسبة ذلك إليه لكفرٌ بواح ، ثم إن =

= الأَصـل عدم اختصـاص أَي من صحـابتـه بتبليغ دون غيره ، وعـلى من يدعي ذلـك الإِثبات ، فإِنه لولا الإِسناد لقال من شاءَ ماشاءَ .

ثم إِن زعم أَن للشريعة باطناً يعرفه الخواص وظاهراً يعلمه أَهل الظاهر ، زعم باطل وخـرافـة لايقـرهـا الـواقـع ، وأَين الحقيقة إِن لم تكن في تحكيم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ؟ . لقد شاع في كثير من كلام الناس قولهم : علم االظاهر وعلم الباطن ، ودخل في هذه العبارات حق وباطل ، فإِن أُريد بذلك علم الأُمور الباطنة مثل علم مافي القلوب والأَحوال والعلم بالغيوب التي أُخبرت بها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، فلا ريب أَن العلم بهذا الإِطلاق ، منه ما يتعلق بالظاهر كأَعمال الجوارح ، ومنه ما يتعلق بالباطن كأَعـمال القلب ، ومنه ماهو علم بالشهادة ، يشهده الناس بحواسهم ، ومنه ماهو علم بالغيب ؛ وهـو ماغاب عن احساس الناس . وأَصل الإِيمان هو الإِيمان بالغيب ؛ وهو ماأَخبرت به الرسل من الأُمور العامة ؛ ويدخل في ذلك الإِيمان بالله وأَسمائه وصفاته وكتبه وملائكته ورسله والجنة والنار واليوم الآخر وماإلى ذلك مما ثبت بالدليل النقلي ، فقد مدح الله الذين يؤمنون بالغيب بقوله تعالى : ﴿**هُدىً لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾ سورة البقرة : ٢ ـ ٣ وذكر تفصيل ذلك الغيب بقوله : ﴿**وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَـلاَئِكَـةِ وَالْكِتَـابِ وَالنَّبِيِّـينَ**﴾ سورة البقـرة : ١٧٧ وقـال تعـالى : ﴿ **وَمَنْ يَكْـفُـرْ بِاللهِ وَمَـلاَئِـكَـتِـهِ وَكُـتُـبِـهِ وَرُسُـلِهِ وَالْـيَـوْمِ الْآخِـرِ فَقَـدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيـداً**﴾سورة النساء : ١٣٦ والعلم بأُصول القلوب كالعلم بالاعتقاد الصحيح والفـاسـد والإِرادة الصحيحة والفاسدة ، والعلم بمعرفة الله تعالى ومحبته والإِخلاص له وخشيته والتوكل عليه والرجاءِ له والحب فيه والبغض والرضا بحكمه والإِنابة إِليه والعلم بما يحمد أَو يذم من أَخلاق الناس ؛ كالسخاءِ والحياءِ والتواضع والكبر والعجب والفخر وأَمثال ذلك قد يقال له علم الباطن .

وأَما العلم الظاهر فهو ظاهر يتكلم به ويكتب ، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة =

= وكلام السلف الصالح ، وهو غالب العلم وأصله ومرجعه كل إليه ، فإن الله أنزل القرآن شفاءً لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ، فاعتقاد القلب أصل لقول اللسان ، وعمل القلب أصل لعمل الجوارح والقلب هو ملك البدن ، كما قال أبو هريرة رضي الله عنه : القلب ملك والأعضاءُ جنوده ، فإذا طاب الملك طابت جنوده وإذا خبث الملك خبثت جنوده . وفي الصحيحين قوله ﷺ : «**أَلَا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**» . أو كما قال ﷺ .

وأما إذا أُريد بالعلم الباطن العلم الذي يبطن عن أكثر الناس أو عن بعضهم فهذا نوعان : أحدهما باطن يخالف العلم الظاهر والثاني لايخالفه . فأما الذي يخالف العلم الظاهر فباطل ؛ فمن ادعى باطناً أو علمًا بباطن يخالف العلم الظاهر كان مخطئاً ، إما أنه جاهل وإما أنه زنديق . وبذلك تعلم أن مايدعيه كثير من الجهلة المدعين التصوف من أن لهم ولأشياخهم طريقاً باطنة توافق الحق عند الله ، ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع ، مستدلاً بمخالفة الخضر لظاهر العلم الذي عند موسى ؛ زندقة وذريعة إلى الانحلال بالكلية من دين الاسلام ، بدعوى أن الحق في أمور باطنة تخالف ظاهره ، ذلك أنه لاطريق إلى معرفة أمر الله ونهيه إلا بالوحي .

قال القرطبي في تفسيره مانصه : قال شيخنا الإمام أبو العباس : ذهب قوم من زنادقة الباطنية إلى سلوك طريق لاتلزم منه هذه الأحكام الشرعية فقالوا : هذه الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأنبياءِ والعامة ، وأما أهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص ، بل إنما يراد منهم مايقع في قلوبهم ، ويحكم عليهم بما يغلب عليهم من خواطرهم . وقالوا : وذلك لصفاءِ قلوبهم عن الأكدار وخلوها عن الأغيار ، فتتجلى لهم العلوم الإلهية والحقائق الربانية فيقفون على أسرار الكائنات ، ويعلمون أحكام الجزئيات فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات ، كما اتفق للخضر ؛ فإنه بما تجلى له من العلوم =

= عما كان عند موسى من تلك الفهوم . وقد جاءَ فيما ينقلون : استفت قلبك وإن أفتاك المفتون .

قال شيخنا رضي الله عنه : وهذا القول زندقة وكفر يقتل قائله ولا يستتاب ؛ لأنه إنكار ماعلم من الشرائع ، فإن الله قد أجرى سنته وأنفذ حكمته بأن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسله السفراءِ بينه وبين خلقه ، وهم المبلغون عنه رسالته وكلامه ، المبينون شرائعه وأحكامه . اختارهم لذلك وخصهم بها هنالك كما قال تعالى : ﴿**الله يَصْطَفِي مِنَ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾سورة الحج : ٧٥ . وقال تعالى : ﴿**الله أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ سورة الأنعام : ١٢٤ وقال تعالى ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ الله النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ**﴾ سورة البقرة : ٢١٣ ، إلى غير ذلك من الآيات . وعلى الجملة فقد حصل العلم القطعي واليقين الضروري ، وإجماع السلف والخلف على أن لاطريق لمعرفة أحكام الله تعالى التي هي راجعة إلى أمره ونهيه ، ولا يعرف شيءٌ منها إلا من جهة الرسل ، فمن قال أن هناك طريقاً أخرى يعرف بها أمره ونهيه غير الرسل ، حيث يستغنى عن الرسل ، فهو كافر يقتل ولا يستتاب ولا يحتاج معه إلى سؤال وجواب ، ثم هو قول بإثبات أنبياءَ بعد نبينا ﷺ الذي قد جعله الله خاتم أنبيائه ورسله فلا نبي بعده ولا رسول .

وبيان ذلك ؛ أن من قال : يأخذ عن قلبه ، وأن مايقع فيه حكم الله تعالى ، وأنه يعمل بمقتضاه ، وأنه لايحتاج مع ذلك إلى كتاب ولا سنة ، فقد أثبت لنفسه خاصة النبوة! . فإن هذا نحو ماقاله ﷺ : «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي**» . . . الحديث . ا . هـ . منه

قال شيخنا العلامة المغفول له ـ أمير المؤمنين في المعقول والمنقول ـ الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار في أضواءِ البيان جـ ٤ ص ١٦١ مانصه : ومايستدل به بعض الجهلة ممن يدعي التصوف على اعتبار الإلهام من ظواهر بعض النصوص كحديث : «**اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ**» لادليل فيه ألبتة على اعتبار الإلهام ، لأنه لم يقل أحد ممن =

= يعتـد به أن المفتي الـذي تتلقى الأحكام الشرعية من قبله ـ القلب ـ بل معنى الحديث التحذير من الشُّبه لأن الحرام بيِّن والحلال بيِّن وبينهما أُمور مشتبهة لايعلمها كل الناس ، فقد يفتيك المفتي بحلّية شيءٍ وأنت تعلم من طريق أُخرى أنه يحتمل أن يكون حراماً ، وذلك باستناد إلى الشرع ، فإن قلب المؤمن لايطمئن لما فيه شبهة ، والحديث كقوله : «**دَعْ مَايُرِيبُكَ إِلَىٰ مَالاَ يُرِيبُكَ**» وقوله ﷺ : «**البِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالإِثْمُ مَاحَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيهِ النَّاسُ**» رواه مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه إلى أن قال : ولا شك أن المراد بهذا الحديث ونحوه الحث على الورع وترك الشبهات ـ إلى أن قال : ومما يدل على ماذكرنا كلام أهل الصوفية المشهود لهم بالخير والدين والصلاح . يقول الشيخ أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخراز القواريري رحمه الله : مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة . نقل ذلك عنه غير واحد ممن ترجم له كابن كثير وابن خلكان وغيرهما . انتهى منه بلفظه .

قلت : وعند المتصوفة اليوم أُمور لايقرها الشرع بل يدينها ويدمغها ، منها : أن شيخ الطائفة يأْتيه المغرور تاركاً والديه خلفه ، وأَهل النفقة الواجبة عليه فيقبله للتجرد لخدمته الشخصية ، ضارباً عرض الحـائط بحق الـوالدين ، وهذا خلاف ماكان يفعله رسول الله ﷺ ؛ لقد ثبت في السنة أنه كان يأْتيه المسلم مهاجراً إلى الله ورسوله في أيام قلة المسلمين ومحنتهم وأيام اشتداد حاجتهم إلى المجاهدين في سبيل الله ، فيسأل القادم عليه : «**أَلَكَ وَالِدَانِ أَو أَحَدُهُمَا**» ؟ . فإن قال : نعم ؛ قال له : «**فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**» ويرده إلى والديه . ولقد صح لنا من الخبر عن أَهل تلك الزوايا أن أُمهات يأْتين يترجّوْن رؤ ية أَولادهن فلا يظفرن بذلك ، ويعدن خائبات من حيث جئن ، فلا الشيخ يرحم بهن فيأْمرهم بوصلهن ولا أَولاد بالأَحرى .

ومنها : سرية الوِرْد وأَنه لايجوز أن يعطيه للمريد إلا من يأْذن له الشيخ في إعطاءِ الوِرْد ، وهذا يخالف سنة التبليغ ، فإن الوِرد إن كان ديناً مما بلغه رسول الله ﷺ فإنه ـ بأبي =

= وأمي هو ـ قال : «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» . وقال : «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ» . وقال : «نَضَّرَ اللهُ امْرَءاً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا» أو كما قال ﷺ . وهذه سبحة مابعد الصلاة علمها فقراءَ أمته لما اشتكوا إليه سبْق الأغنياءِ بالدثور ، فلما سمعها الأغنياءُ سبحوها ، فرجع الفقراءُ يبلغونه ﷺ أن الأغنياءَ سبحوا نفس السبحة ، فقال ﷺ : ﴿ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ سورة المائدة : ٥٤ فلو كانت سرية الورد ووجوب أخذه من الشيخ أو ممن أذن له في إعطائه حقاً ، لقال النبي للفقراءِ لما اشتكوا إليه تسبيح الأغنياءِ لها ؛ لكنني لم آذن لهم في اتخاذها . أو ليست سبحة مابعد الصلاة ورداً ؟ ! فأين سرية الورد إذاً ؟ ! .

ومنها : مايسمونه بصلاة أهل الأحوال ؛تأخذهم أصوات وحالات في الصلاة المفروضة تتنافى مع قوله تعالى : ﴿وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ﴾ سورة البقرة : ٢٣٨ ولقد ألف بعض مشائخهم رسالة أسماها (مزيل الإشكال عن صلاة أهل الأحوال) وليته لم يكن فعل ـ وهو الآن صار رهين حفرته ـ فياليت شعري ماذا قال وماذا قيل له ؟! وأما لو شرعنا في تفصيل آداب السلوك عندهم لوجدنا الخطأ البواح الذي لايستطيع مكابر دفعه ؛ من ذلك ماذكره الشيخ ماءُ العينين في كتابه : (نعت البدايات) في الكلام على آداب المريد حول الصفحة الخامسة : إن المريد لاينبغي له أن ينكر على شيخه بقلبه ولو يراه مخالفاً لظاهر الشرع ، لئلا يحبط عمله ، أو كلمة نحوها ، وهذا مخالف لما جاءَ في الحديث الصحيح : «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذٰلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ» أو كما قال ﷺ . وذكر أيضاً من آداب المريد أن يستحضر الشيخ في قلبه أثناءَ أدائه لورده . فتأمل هذه ماأشنعها وماأقربها من الشرك

إلَّا يكُنْها أو تكنه فإنه ... أخوها غذته أمه بلبانها

ولقد يتلاعب الشيطان بهؤلاءِ إلى حد أنه ينزل لهم االشيخ منزلة من لايستحيل عليه =

= شيءُ ، وحكاية من هذا النوع أستطردها على سبيل المثال :

تحكي طائفة من الطوائف أن شيخهم أتى أهله بعد موته مراراً وتكراراً إلى أن حملت منه ، وولدت منه ولداً ينسبونه إليه . وهذه الحكاية سمعتها غير ما مرة يذكرونها على سبيل الكرامة ، فهل ينطلي مثل هذا الفجور إلا على من طمس الله بصيرته والعياذ بالله ؟! . ولو تتبعنا الفضائح التي ترتكب لديهم من هذا النوع لطال علينا .

ومن ظواهرهم التي تخالف السنة ؛ التزامهم بأن يولّوا الحلقة دائمًا ابن الشيخ وإن كان أجهل وأفسق من حمار أبيه ، فبمجرد موت والده يبايع ويرقى المنصة ، ولابد أن يبالغوا فيه قائلين أنه ليس دون والده . وقليل منهم من يتولى بعده ابن أخيه أو نحو منه ، وإنما قلت : إن هذه الظاهرة تخالف السنة لأن رسول الله ﷺ انتقل إلى الرفيق الأعلى وفي حلقته أهل قرابته : ابناه الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، ووالدهما ابن عمه شقيق أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ،وفيها كذلك عمه صنو أبيه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، فعدل المسلمون عن هؤلاءِ ابتغاءَ مرضاة الله ، وسعياً في مصلحة المسلمين إلى رجل من تيم بن مرة ؛ فبايعوا لأبي بكر رضي الله عنه ، ثم أبو بكر تركها في رجل من عدي ابن كعب، وفي الحلقة من نسله الجبال الراسخة ، ثم عمر تركها شورى في بقية العشرة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، وإن من ذريته لعبد الله بن عمر ومن قرابته لسعيد بن زيد بن نفيل رضي الله عنهم أجمعين .

فما بال هذه الحلقات والزوايا التي يدعي أصحابها وروادها أنها يبتغى بها وجه الله والدار الآخرة ، ان لاتجري خلافتها على هذا النمط ؟! . ولكن الجواب الذي يفرض نفسه هو أنها مؤسسات تجارية قام أصحابها بتأسيسها ابتزازاً لأموال الناس ، وتسخيراً للأيدي العاملة لمصالحهم الدنيوية ليس إلَّا ، وآدابهم السلوكية تشهد . قال في تائية االسلوك :

وقــدم فتــوحــاً إذْ عليــه مدارهــا　　　فإن طريــق الـشيــخ بذل الـعــطيــة =

= ومن قولهم المأثور في ذلك : اعطونا مافي الجيوب نعطكم مافي الغيوب ، وعلى هذا النمط من الدجْل الشائن الفاضح الذي يتهيأ لصاحبه بواسطة مايستدرجه الله به من تحقيق فتن يلقيها الشيطان تارات على لسان صاحبهم يصنفونها من باب كرامات الأولياءِ ، وماشعروا أن الفرق بين كرامة الولي ومعجزة النبي هو التحدي بها ، وإذاً فما بال أناس يؤمنون بالله واليوم الآخر ويدينون بأن النبوة ختمت بمحمد ﷺ يتحداهم رجل في أواخر القرن الرابع عشر للهجرة قائلاً : من فضل الله علينا أننا إن فعلنا كذا وقع كذا . ـ ويقع مايقوله أمام الجمهور ـ فما بال هؤلاءِ لايقومون بتصنيف عمليته تلك من باب السحر أو الدجل المستدرج صاحبه ؟ . أو ليس الفرق بين المعجزة والكرامة التحدي ؟ .

لقد شاع في القطر الموريتاني أن شيخاً من أرسخ الناس قدماً في هذا الموضوع ، وقعت هناة من أمير الناحية نحوه ، فقام مريدوه وأهل خاصته يحرضونه عليه ويقولون : ألا تدعو عليه ؟ . ألا كذا . ألا كذا ؟ . فقال لهم والجمهور الحاضر يسمع : إن من منّ الله علينا أني اذا غضبت ومددت أصبعي إلى هذه الشجرة غضبان لاشتعلت النار فيها . ومدّ أصبعه إلى شجرة تنضب في وسط ماءِ غدير بجنبه فاشتعلت النار فيها فعلاً . وإن هذا هو الاستدراج بعينه ، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وحيث إن هذا الداءَ قديم فلابد من نقل بعض مايقول فيه أهل القدم الراسخة في العلم ؛ فأقول وبالله توفيقي وعليه توكلت وإليه أنيب :

في القرطبي عند الكلام على قوله تعالى : ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾ سورة الأعراف : ١٥٠ جـ٧/ص ٢٨٨ مانصه :

وقد استدل بعض جهال المتصوفة بهذا على جواز رمي الثياب إذا اشتد طربهم على المغني . ثم منهم من يرمي بها صحاحاً ، ومنهم من يخرقها ثم يرمى بها ، قال : هؤلاءِ في غيبة فلا يلامون ، فإن موسى عليه السلام لما غلب عليه الغم من عبادة قومه العجل ، =

= رمى الألواح فكسرها ، ولم يدر ماصنع . قال أبو الفرج ابن الجوزي : من يصحح عن موسى عليه السلام أنه رماها رمي كاسر ؟! . والذي ذكر في القرآن ألقاها ، فمن أين لنا أنها تكسرت ؟ . ثم لو قيل تكسرت ، فمن أين لنا أنه أراد كسرها ؟! ثم لو صححنا ذلك عنه قلنا : كان في غيبة حتى لو كان بين يديه بحر من نار لخاضه ، ومن يصحح لهؤلاءِ غيبتهم وهم يعرفون المغني من غيره ويحذر أحدهم من بئر لو كانت عندهم ؟ . ثم كيف تقاس أحوال الأنبياءِ بأحوال هؤلاءِ السفهاءِ ؟! وقد سئل ابن عقيل عن تواجدهم وتخريق ثيابهم فقال : خطأٌ وحرام ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال ، فقال له قائل : فإنهم لايعقلون مايفعلون . فقال : إن حضروا هذه الأمكنة مع علمهم أن الطرب يغلب عليهم فيزيل عقولهم ، أثموا بما أدخلوه على أنفسهم من التخريق وغيره مما أفسدوا ، ولا يسقط عنهم خطاب الشرع لأنهم مخاطبون قبل الحضور بتجنب هذا الموضع الذي يفضي إلى ذلك ، كما هم منهيون عن شرب المسكر ، كذلك هذا الطرب الذي يسميه أهل التصوف وَجْداً ، إن صدقوا أن فيه سكر طبع ، وإن كذبوا أفسدوا مع الصحو ، فلا سلامة في الحالين ، وتجنب مواضع الريب واجب . انتهى منه بلفظه .

ثم إن من عادة هؤلاء رفع الصوت بالذكر ، وقد يكون ذلك جماعات ، وحكم الشرع الطاهر أن ذلك منهي عنه ، ففي الصحيحين : «**يَاأَيُّهَا النَّاسُ ارْبِعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَاتَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِباً إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعاً بَصِيراً**» أو كما قال ﷺ .

وفي ذلك يقول القرطبي في تفسيره جـ٧/ ص **٢٢٣** عند قوله تعالى : ﴿**أُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ سورة الاعراف : **٥٥** مانصه : قال : قوله تعالى : ﴿**أُدْعُوا رَبَّكُمْ**﴾ هذا أمر بالدعاءِ وتعبدٌ به ، . ثم قرن جل وعز بالأمر صفات تحسن معه ، وهي الخشوع والاستكانة والتضرع ، ومعنى «**خُفْيَةً**» أي سراً في النفس ليبعد عن الرياء ، =

= وبذلك أثنى على نبيه زكريا عليه السلام إذ قال مخبراً عنه : ؟﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ سورة مريم : ٣ ، ونحو قول النبي ﷺ : «خَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِي وَخَيْرُ الرِّزْقِ مَايَكْفِي» ، والشريعة مقررة أن السر فيما لم يعترض من أعمال البر أعظم أجراً من الجهر ، وقد تقدم هذا المعنى في البقرة ، وقال الحسن بن أبي الحسن : لقد أدركنا أقواماً ماكان على الأرض عمل يقدرون على أن يكون سراً فيكون جهراً أبداً . ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاءِ فلا يسمع لهم صوت ، إن هو إلا الهمس بينهم وبين ربهم ، وذلك أن الله تعالى يقول : ﴿أُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾ وذكر عبداً صالحاً رضي فعله وقوله فقال : ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ انتهى منه بلفظه .

وقال القرطبي أيضاً جـ٧/ ص ٣٥٥ عند قوله تعالى : ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾ سورة الاعراف : ٢٠٥ ودل هذا على أن رفع الصوت بالذكر ممنوع على ماتقدم في غيرما موضع . ا . هـ منه بلفظه .

وقال القرطبي أيضاً جـ١١/ ص ٢٣٧ مانصه : وسئل الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله : مايقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية ؟ . واعلم ـ حرس الله مدته ـ أنه اجتمع جماعة من رجال ، فيكثرون من ذكر الله تعالى وذكر محمد ﷺ ثم إنهم يوقعون بالقضيب على شيءٍ من الأديم ، ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشياً عليه ، ويحضرون شيئاً يأكلونه ، هل الحضور معهم جائز أم لا ؟ . افتونا مأجورين يرحمكم الله . وهذا القول الذي يذكرونه :

ياشيخ كفَّ عن الذنوب ... قبل التفرق والزلل

واعمل لنفسك صالحاً ... مادام ينفع العمل

أما الشباب فقد مضى ... ومشيب رأسك قد نزل

وفي هذا ونحوه . =

= الجواب : يرحمك الله ، مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة ، ومالاسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري ؛ لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار ، قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون ، فهو دين الكفار وعُبّاد العجل ، وأمّا القضيب فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى ، وإنما كان يجلس النبي ﷺ مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار ؛ فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور في مساجد المسلمين وغيرها ، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ، ولايعينهم على باطلهم . هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي واحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين . وبالله التوفيق ، انتهى منه بلفظه .

على أن التصوف الذي كان عليه الجنيد وفرقته ـ كما ينقل عنهم ـ هو التمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ والمثابرة على مجاهدة النفس في سبيل تطبيق ماجاءَ في هذين الوحيين المقدسين ، غير خارجين عنهما ولا مبتدعين طقوساً دينية غيرهما ، أماما يفعله متصوفة اليوم من التنبلة والتواكل وتزهيد مريديهم في الدنيا مع شدة حرصهم على تحصيلها والانهاك في اقتنائها ، فإن ذلك ليس من التصوف في شيءٍ . إن هؤلاءِ المتصوفة يأتون بأمور هي في ظاهرها من جنس الدين ، متوّجينها باعتقادات فيها وفيمن ينتمي إليها تجعل من لم يتصف بها غير كامل الدين عندهم ، وعليه فقد جعلوا هذه الأوراد تكملة لدين الله تعالى ، بعدما مضت قرون عديدة على نزول قوله تعالى : ﴿**أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً**﴾ سورة المائدة : ٣ . وقوله تعالى : ﴿**مَاكَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَىٰ وَلٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ سورة يوسف : ١١١ وقوله تعالى : ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ سورة النحل : ٨٩ . وقوله تعالى : =

= ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ سورة العنكبوت : ٥١ وقوله تعالى : ﴿مَافَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ سورة الأنعام : ٣٨ . وقوله تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ سورة الإسراء : ٩ . وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ سورة الأنعام : ١١٤ وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ سورة الاعراف : ٥٢ . فلو تأمل هؤلاءِ الذين يزيدون في الدين ماليس منه قوله تعالى : ﴿فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ والحال أنهم مقرون ببلاغته ، وأن علوم العالمين جميعها تتلاشى وتضمحل في جنب علم الله تعالى ، لعلموا أن القرآن قد تكفل ببيان مافيه صلاح المعاش والمعاد ، ونظام الدين والدنيا على أكمل وجه وأبلغه ؛ حيث تولى تفصيله العليم الخبير الذي لايعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، ولعلموا كذلك أنه لامحل لزيادات في الدين لم يكن عليها رسول الله ﷺ ولا الصحابة رضوان الله عليهم ولا التابعون لهم بإحسان . وقد قال مالك بن أنس ـ رحمه الله تعالى ـ كما رواه عنه ابن الماجشون : من ابتدع بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة . أُنظر الاعتصام للشاطبي .

أخرج الحسين بن مسعود البغوي بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : خط لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال : «هٰذَا سَبِيلُ اللهِ» . ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله وقال : «هٰذِهِ سُبُلٌ عَلَىٰ كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» وقرأ : ﴿وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ =

= تَتَّقُونَ﴾سورة الأنعام : ١٥١ . وهذا الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، والطبري والحاكم وصححه وأقره الذهبي .

وأخرج البغوي أيضاً بسنده عن العرباض بن سارية قال : صلى بنا رسول الله الصبح فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال قائل ، يارسول الله . كأنها موعظة مودع فأوصنا . فقال : «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْداً حَبَشِيّاً ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافاً كَثِيراً فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**» . وهذا الحديث أخرجه أحمد في المسند ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، والدارمي ، وقال الترمذي : هذا الحديث حسن صحيح .

قال البغوي : وقوله : «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافاً كَثِيراً**» إشارة إلى ظهور البدع والأهواءِ ـ والله أعلم ـ فأمر بلزوم سنته وسنة الخلفاءِ الراشدين ، والتمسك بها بأبلغ وجوه الجد ، ومجانبة ماأحدث على خلافها .

وأخرج البغوي كذلك بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ أَحْدَثَ فِي دِينِنَا مَالَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**» . وهذا حديث متفق عليه ، وأخرج كذلك عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال : «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ**» . وثبت عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : «**إِنَّ بَنِي اسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَىٰ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً ، قالوا : من هي يارسول الله ؟ . قال : مَاأَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**» ورواه معاوية وقال : « **ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ** ؛ =

= وَهِيَ الْجَمَاعَةُ ؛ وَأَنَّهُ سَيَخْرُجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَىٰ بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَىٰ الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ ، لَايَبْقَىٰ مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مِفْصَلٌ إِلَّا دَخَلَهُ»

وهذا الحديث أخرجه أحمد في المسند وابو داود في السنة . ـ وأخرج البغوي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي نَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ» . وهذا الحديث أخرجه مسلم ، قال البغوي : قد أخبر النبي ﷺ عن افتراق هذه الأمة وظهور الأهواءِ والبدع فيهم ، وحكم بالنجاة لمن اتبع سنته وسنة أصحابه رضي الله عنهم .

فإذا تقرر في ذهنك أن الشريعة جاءَت كاملة لاتحتمل الزيادة ولا النقصان ، وذلك بما وقفت عليه من أدلة الكتاب والسنة على كمالها وأن النبي ﷺ لم يوص بالتمسك بشيءٍ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى غير كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وسنة خلفائه الراشدين وذلك بقوله :«تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي : كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي»أو كما قال ﷺ ، وقوله : «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي خُذُوهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ» أو كما قال ﷺ .

فإذا كان ذلك كذلك ، فالمبتدع إنما محصول قوله بلسان حاله أو مقاله : أن الشريعة لم تتم ، وأنه بقي منها شيءٌ يجب أن يستدرك ، ومماأظن أن أحداً يدَّعي الاسلام يستطيع أن يقول ذلك . وقد تقدم قول ابن الماجشون : سمعت مالكاً يقول : من ابتدع بدعة في الإسلام يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة ؛ لأن الله تعالى يقول :﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً . ا . هـ . من الاعتصام للشاطبي .

وجدير بالذكر أن هذه الأوصاف وهذا النقد إنما هو في الطوائف التي لا تشتمل بدعها =

= على اعتقادات تكفر بها ، أما أولئك الذين يعتقدون وحدة الوجود ومايإلى ذلك من الزيغ والإلحاد في أسماءِ الله وصفاته ، وأما أولئك الذين يفضلون بعض أذكارهم على كذا ختمة من القرآن ، أما هؤلاءِ وأمثالهم فلا ندنس صحفنا بالبحث عنهم ، بل نضرب عنهم الذكر صفحاً فقد كفونا مئونة البحث بما يظهرونه من معتقداتهم الساقطة ، وعلى كل إنه فيما أعتقد ، يوجد قاسم مشترك بين كل أصحاب البدع مهما كان نوعها وهو اعتقادهم في أنفسهم أنهم أهدى من محمد ﷺ حيث إنهم استدركوا على شريعته ماعليها من نقص !!

إن المبتدع إذا لم يجرؤ على النطق بذلك فقد نطقت حاله به ، ومعلوم أن مايفهم من حال الشيءِ كلام ذو دلالة يحكم بها في اللغة العربية .

على أننا أصبحنا في طمع لبعض هذه الطرق أن تكون من السنة لما نسبه الشيخ حماد ابن الأمين لما يسميه كتب أهل الحقيقة ؛ من أنها مروية عن أبي بكر وعلي رضي الله عنهما ، إلا أن شيئاً واحداً لازال عقبة كأداءَ في وجه ذلك الإثبات وهو وجود السند ، وعلى فرض وجوده فإن العلل له بالمرصاد ، ونبين منها الآن مخالفة ماقد يوضع من سند لطريقة ما من هذه الطرق ، التي رمز بها لخصوص أبي بكر وعلي ، مخالفة ذلك للحديث الصحيح عند مسلم ؛ من حديث الصحابي الجليل أبي الطفيل عامر بن واثلة ، أن علياً رضي الله عنه غضب لما سأله الرجل : هل سرّ إليك رسول الله ﷺ بشيءٍ ؟ . وأجاب بالنفي البات ، ومنها الاضطراب ؛ فقد كنا نسمع أن ورد القادرية رواه الحسن البصري عن علي وها هو حماد يفيدنا بنسبته إلى أبي بكر رضي الله عنه ، فكان الحديث بذلك - إن وجد - مضطرباً . وعلى كل حال فحري بعبادة ذات سند أن تعتبر ، ولكن بعد وضع السند في المختبر وسلامته من عواقب الاختبار ، وعلى فرض رواية هذا الورد عن الحسن البصري يرويه عن علي رضي الله عنه تكون هذه الرواية معلولة بالإرسال ؛ لأن المحققين من أهل نقد الحديث حكموا على الحسن البصري بأنه لم يرو شيئاً عن أحد من البدريين ، وحكموا كذلك على =

= مراسيل هذا الطود الشامخ العلامة بأنها كالريح المرسلة ، بعكس ماحكموا به على مراسيل سعيد ابن المسيّب ، قال ابن حجر في تهذيب التهذيب جـ٢ / ص٢٦٦ : سئل أبو زرعة : هل سمع الحسن أحداً من البدريين ؟ . قال : رآهم رؤية ، رأى عثمان وعلياً . قيل : هل سمع منهما حديثاً ؟ . قال : لا . رأى علياً بالمدينة وخرج علي إلى الكوفة والبصرة ولم يلقه الحسن بعد ذلك ، إلى أن قال : وقال علي بن المديني : لم ير علياً إلا ان كان بالمدينة وهو غلام ، إلى أن قال في ص ٢٧٠ : وقال الدار قطني : مراسيله فيها ضعف . وقال الحافظ في التقريب جـ ١ / ص ١٦٥ مانصه : كان ثقة فقيهاً فاضلاً مشهوراً ، وكان يرسل كثيراً ويدلس . قال البزار : كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم فيتجوز ويقول : حدثنا وخطبنا . يعني قومه الذين حدثوا وخطبوا بالبصرة . ا . هـ . محل الغرض منه .

أما شيخ هذه الطائفة الذي تنتسب إليه ، فقد بحثنا عن ترجمة له في الكتب الموثوق بها فوجدنا ترجمة له في طبقات الحنابلة لابن رجب ، وها أنا أُثبت مانقلته منها هنا لعل الذي يطلع عليها من المنتسبين إليه يثوب إلى رشده فيتأسى به رحمه الله تعالى ؛ هو عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله جنكي دوست بن أبي عبد الله الجيلي ثم البغدادي ؛ شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشائخ وسيد أهل الطريقة في وقته ، محيي الدين أبو محمد صاحب المقامات والكرامات والعلوم والمعارف والأحوال المشهورة .

وبعض الناس يذكر نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ فيزيد بعد أبي عبد الله بن يحيى الزاهد ابن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون ، ولد سنة تسعين وأربعمائة أو إحدى وتسعين بكيلان ، وفد على بغداد شاباً فسمع منها الحديث من أبي غالب بن الباقلاني وجعفر السراج وأبي بكر بن سوسن وابن بيان وأبي طالب بن يوسف وابن خشيش وابن الزيني ، وتفقه على القاضي أبي سعد المخرمي وأبي الخطاب الكلوذاني ، وقيل أنه قرأ أيضاً على ابن عقيل والقاضي أبي الحسين ، وبرع في المذهب [الحنبلي] والخلاف =

= والأصول وغير ذلك ، وقرأ الأدب على زكريا التبريزي ، وصحب الشيخ حماد الدباس الزاهد ودَرَّسَ بمدرسة شيخه المخرمي ، وأقام بها إلى أن مات ودفن بها . قال ابن الجوزي : كانت هذه المدرسة لطيفة وفوضت إلى عبد القادر فتكلم على الناس بلسان الوعظ ، وظهر له صيت في الزهد ، وكان له سمت وصمت وضاقت المدرسة بالناس ؛ كان يجلس عند سور بغداد مستنداً إلى الرباط ويتوب عنده في المجلس خلق كثير ، فعمرت المدرسة ووسعت وتعصب في ذلك العوام ، وأقام فى مدرسته يدرس ويعظ إلى أن توفي . وذكره ابن السمعاني قال : إمام الحنابلة وشيخهم في عصره ؛ فقيه صالح دين خيّر ، كثير الذكر دائم الفكر سريع الدمعة ، كتبت عنه وكان يسكن بباب الأزج في المدرسة التي بنوْا له .

وسمعت أبا الحسن بن التبان الفقيه البغدادي يقول : إن مدرسة عبد القادر كانت للقاضي المخرمي ، فلما فوضت إلى عبد القادر أراد أن يوسعها ويعمرها فكان الرجال والنساءُ يأتون بشيءٍ فشيء إلى أن عمرها ؛ فاتفق أن امرأة مسكينة جاءَت بزوجها ـ وكان زوجها من العملة الروزجارية وقالت لعبد القادر : هذا زوجي ولي عليه من المهر قدر عشرين ديناراً ، ووهبت له النصف بشرط أن يعمل في مدرستك بالنصف الباقي وقد تراضينا على هذا ، فقبل الزوج ذلك ، وأحضرت المرأة الخط وسلمته إلى عبد القادر ، فكان يستعمل الزوج في المدرسة وكان يعطيه يوماً الأُجرة ويوماً لا يعطيه ؛ لعلمه أن الرجل فقير محتاج ولا يملك شيئاً ، إلى أن علم أن الزوج عمل بخمسة دنانير فأخرج عبد القادر الخط ودفعه إلى الزوج وقال : أنت في حل من الباقي . قال ابن رجب : قلت : ظهر عبد القادر للناس وجلس للوعظ بعد عشرين وخمسمائة ، وحصل له القبول التام في الناس واعتقدوا ديانته وصلاحه وانتفعوا به وبكلامه ووعظه ، وانتصر أهل السنة بظهوره واشتهرت أحواله وأقواله وكراماته ومكاشفاته ، وهابه الملوك فمن دونهم . ذكر الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ الشافعية أنه لم تتواتر كرامات أحد من المشائخ إلا الشيخ عبد القادر زمان =

= كراماته نقلت بالتواتر . إلى أن قال : ولكن جمع المقرىءُ ابو الحسن الشطنوفي المصري في أخبار الشيخ عبد القادر ومناقبه ثلاث مجلدات ، وكتب فيها الطم والرم ، وكفى بالمرءِ كذباً أن يحدث بكل ماسمع ، وقد قرأت هذا الكتاب ولايطيب لي أن أعتمد على شيءٍ مما فيه فأنقله منه إلا شيئاً مشهوراً معروفاً من غير هذا الكتاب ، وذلك لكثرة مافيه من الرواة المجهولين ومافيه من الشطح والطامات والدعاوى والكلام الباطل مما لاتليق نسبته إلى الشيخ عبد القادر ، ثم وجدت الكمال جعفر الأدفوني قد ذكر أن الشطنوفي نفسه كان متهمًا فيما يحكيه عن عبد القادر في هذا الكتاب بعينه . إلى أن قال : وللشيخ عبد القادر رحمه الله كلام حسن في التوحيد والصفات والقدر وفي علوم المعرفة موافق للسنة ، له كتاب الغُنية لطالبي طريق الحق . وهو معروف ، وله كتاب فتوح الغيب ، وجمع أصحابه من مجالسه كثيراً ، وكان متمسكاً في مسائل الصفات والقدر ونحوهما بالسنة ، مبالغاً في الرد على من خالفها . قال في كتابه الغُنية المشهور : وهو بجهة العلوّ مستو على العرش محتو على الملك محيط علمه بالأشياءِ

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ سورة فاطر : ١٠ ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ سورة السجدة : ٥ ولايجوز وصفه بأنه في كل مكان ، بل يقال إنه في السماءِ على العرش كما قال : **﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾** سورة طه : ٥ . وذكر آيات وأحاديث إلى أن قال : وينبغي إطلاق صفة الاستواءِ من غير تأويل ، وأنه استواءُ الذات على العرش ، قال : وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أُنزل على كل نبي أُرسل بلا كيف ، وذكر كلاماً طويلاً ، وذكر نحو هذا في سائر الصفات .

توفي رحمه الله ليلة السبت تاسع ربيع الثاني إحدى وستين وخمسمائة للهجرة . وعاش تسعين عاماً . انتهى باختصار من طبقات الحنابلة للعلامة ابن رجب . قلت : ولي من التعليق =

وقـــولي : لم يرمـز ، لأنهم قالـوا : لم يتكلم فيه إلا برمـز وإيماءٍ . وروي [1]أنـه ﷺ قال : «**عَلَّمَنِي رَبِّي ثَلَاثَـةَ عُلُومٍ ؛ عِلْمٌ أَمَـرَنِي بِإِفْشَـائِهِ وَعِلْمٌ أَمَرَنِي بِكِتْمَانِهِ وَعِلْمٌ خَيَّرَنِي فِيهِ**» أَو كما قال ﷺ . أَما الذي أَمره بإِفشائه فظاهـر أَنَ يكون علم الظاهر ، وأَما الذي خيره فيه فيشبه أَن يكون علم الحقيقة ؛ لإِيمائه به إِلى بعضٍ وكتمانه عن بعض ، وكل ذلك نصيحة منه ﷺ وأُداءٌ للأَمـانة ، وأَما الذي أَمره بكتمانه فما يعلمه سواه غير الله ، وحاشى رسول الله ﷺ أَن يخالف أَمر ربه حياً وميتاً .

= على ترجمة هذا العلامة القدوة أَني أَهيب بمن يدعون اتباعه والتعلق به وبمبادئه أَن لايتعلقوا بأَكاذيب الشطنوفي المصري عليه ، ومانسب إِليه من أَراجيف هو براءٌ منها براءَة الشمس من اللمس . فما بال أَتباع عبد القادر الجيلاني يعطلون صفات الله تعالى وينبذون ماخلده شيخهم وقدوتهم الشيخ عبد القادر في كتابه الغُنية ؟! . إِني أَرى شخصياً أَن من يقوم بشتى أَنواع البدع المدونة في بروتوكولات القادرية الحالية ؛ من آداب سلوك وتوقيت لعبادات لم يثبت لها توقيت عن رسول الله ﷺ وفي نفس الوقت يعطلون صفات الله ويؤ ولونها بما يحلو لهم ، مما يسول الشيطان لهم به ، أَقول : إِن هؤلاءِ هم أَولى بالانتساب إِلى الشطنوفي المصري منهم إِلى الشيخ القدوة عبد القادر الجيلاني . والله ولي التوفيق .

ويتحصل من هذا البحث أنه لافرق بين الحقيقة والشريعة ، وأَن النبي ﷺ لم يخص أَحداً من أَصحابه ولا أَقاربه ولا أَحداً من أُمته بعلم دون غيره ، والعلم عند الله تعالى .

(١) قلت هذا الكلام مردود من نفسه ؛ فكيف تصور رمزه به من دون كلام به ؟ . ومعلوم أَنه لا تجوز عليه خائنة الأَعين ومنها الرمز والاشارة ، وقد تقدم حديث أَبي الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه عند مسلم الذي ينفى فيه علي رضي الله عنه نفياً باتاً أَن يكون النبي ﷺ أَسر إِليه شيئاً أَو أَسره لأَحد . ونقل الشيخ محمد الخضر بن مايابا الجكني في مشتهى =

= الخارف في الكلام على نسبة الكتمان للنبي ﷺ مانصه : نقل عن ابن حزم مانصه : إعلموا أن دين الله تعالى ظاهر لاباطن فيه ، وجهر لاسر تحته ، كله برهان لامسامحة فيه ، واتهموا كل من يريد أن يتبع بلا برهان ، وكل من ادعى أن للديانة سراً وباطناً فهو دعاوى ومخارق ، واعلموا أن رسول الله ﷺ لم يكتم الشريعة كلمة فما فوقها ، ولا أطلع أخص الناس به من زوجة أو ابنة أو عم أو صاحب على شيءٍ كتمه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم ، ولا كان عنده عليه السلام سر ولا رمز ولا باطن غير مادعا الناس كلهم إليه ، ولو كتمهم شيئاً لما بلَّغ كما أُمر . ومن قال هذا فهو كافر . فإياكم وكل قول لم يبن سبيله ولا وضح دليله ، ولا تعوجوا عما مضى عليه نبيكم ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين . انتهى بحرفه بواسطة نقل مشتهى الخارف .

قال الشيخ محمد الخضر : وماذكره من كونه ﷺ لم يخص قريباً بشيءٍ من الوحي كائناً من كان ؛ هو ماروواه البخاري عن أبي جحيفة قال : قلت لعلي : هل عندكم كتاب خصكم به رسول الله ﷺ ؟ . قال : لا ، إلا كتاب الله تعالى ، أو فهم أُعطيه رجل مسلم ، أو مافي هذه الصحيفة ، وكانت معلقة بمقبض سيفه . قال : قلت : ومافي هذه الصحيفة ؟ . قال : العقل وفكاك الأسير ولايُقتل مسلم بكافر . ا . هـ .

وفي رواية للبخاري في الجهاد : هل عندكم شيءٌ من الوحي ؟ . قال : لا ، إلا ما في كتاب الله . قال في فتح الباري : وإنما سأله أبو جحيفة عن ذلك لأن جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أن عند أهل البيت ـ لاسيما علياً ـ أشياءً من الوحي خصهم بها النبي ﷺ لم يطلع غيرهم عليها . ومثل حديث أبي جحيفة ماأخرجه ابن أبي حاتم عن عنترة قال : كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما فجاءَ رجل فقال : إن ناساً يأتوننا فيخبروننا أن عندكم شيئاً لم يُبْده النبي ﷺ للناس . فقال : ألم تعلم أن الله تعالى قال : ﴿**يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**﴾ والله ماورثنا رسول الله ﷺ سوداءَ ولا بيضاءَ . ا . هـ . منه . =

= وفي المواهب اللدنية : وعصمته عن الكذب وخلف القول ، منذ نبأه الله تعالى وأرسله قصداً أو غير قصد ، واستحالة ذلك عليه شرعاً وإجماعاً ونظراً وبرهاناً ، وأجمعت الأُمة على أن الرسل يجب في حقهم تبليغ ماأُمروا بتبليغه ، ويستحيل عليهم كتمان شيءٍ من ذلك عمداً أو نسياناً ولو حرفاً أو كلمة ، لأنهم إذا كتموا كلمة كان ذلك في حقهم ككتم الجميع ، ولذا قال جل من قائل : ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَاأُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[1] سورة المائدة : ٦٧ . أ . هـ . منه .

وروى البخاري في التفسير تاماً وفي التوحيد مقطعاً ، ومسلم في الإيمان والترمذي والنسائي في التفسير من حديث مسروق قلت لعائشة : ياأُمتاه ، هل رأى محمد ربه ؟ . فقالت : لقد قفَّ شعري مما قلت ، أين أنت من ثلاث من حدثك بهن فقد كذب ؛ من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب . ثم قرأت : ﴿لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ سورة الانعام : ١٠٣ وقرأت : ﴿وَمَاكَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ سورة الشورى : ٥١ . ومن حدثك أنه يعلم مافي غد فقد كذب . ثم قرأت : ﴿وَمَاتَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً﴾ سورة لقمان : ٣٤ . ومن حدثك أنه كتم فقد كذب . ثم قرأت : ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ سورة المائدة : ٦٧ ، زاد مسلم في روايته : ولو كان محمد كاتماً شيئاً مما أُنزل إليه لكتم هذه الآية : ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ﴾ إلى قوله : ﴿والله أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾سورة الأحزاب : ٣٧ انتهى منه بتصرف قليل . =

= ولقد ثبت عنه ﷺ قوله « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه مَاتَركْتُ شَيْئاً يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُكُمْ عَنِ النَّارِ إِلَّا أَمَرْتُكُمْ بِهِ ، وَمَا تَرَكْتُ شَيْئاً يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ وَيُبَاعِدُكُمْ عَنِ الْجَنَّةِ إِلَّا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ** » .

وأما ماذكره حماد رحمه الله بقوله : وروي أنه ﷺ قال : علمني ربي ثلاثة علوم . . الخ . فهو كلام مردود من نفسه . وقال في هذا الخبر محمد بن عبد الباقي الزرقاني في شرحه على المواهب : قال الشامي في نقل كلام المصنف هذا : وهو كذب بلا شك . والعجب من النعماني حيث أورد الروايتين بطولهما ساكتاً عليهما قائلاً : ولايستبعد وقوع كل هذا في ليلة واحدة . ا . هـ .

قال الشيخ محمد الخضر في المشتهى : ولأجل عدم صحة هذا الطرف من حديث الإسراءِ جعل المفسرون جميعاً والمتكلمون في علم الكلام آية التبليغ عامة في جميع ما أوحي إلى النبي ﷺ به من الشرائع والأسرار اللائقة وغيرها . انتهى محل الغرض منه .

ويطيب لي هنا أن أسجل إعجابي بالعلامة ـ المحقق الموحد العالم المتبحر ، سيف الله المسلول على المبتدعين والمعطلين وأهل الخرافة أجمعين ، علامة أوائل القرن الرابع عشر للهجرة الشيخ سيديا بابا بن الشيخ سيديا محمد بن الشيخ سيديا الأبياري ، حيث إنه ورث رئاسة هذه الطوائف عن أبيه عن جده ، بيد أن الله عصمه فكان أشد الناس إنكاراً عليهم وكشفاً لعوراتهم ، على الرغم من تقديسهم له واعتقادهم فيه لأنه الوارث لحلقة أسلافه . ولله دره حيث يقول تحذيراً منهم وتبيناً لعوارهم :

آمن أخيّ واستقم ... ونهج أحمد التزم

واجتنب السبل لا ... تغررك أضغاث الحلم

لاخير في دين لدى ... خير القرون قد عدم

أحدثه من لم يرد ... نص بأنه عصم =

= من بعـدمـا قد أُنـزلت «الْيَـوْمَ أَكْـمَلْتُ لَكُمْ»

وبـعـد ماصـح لدى جمع لدى غديـر خم

يعـني رحمـه الله بقـولـه : ماصـحَّ لدى جمع لدى غدير خم ؛ خطبتـه ﷺ بغـدير خم في طريقـه إلى حجـة الـوداع التي يقـول فيهـا : «وَالَّـذِي نَفْسِي بِيَـدِهِ مَاتَـرَكْـتُ شَيْئـاً يُقَـرِّبُـكُـمْ إِلَىٰ الْجَـنَّـةِ وَيُـبَـاعِـدُكُـمْ عَنِ النَّارِ إِلَّا أَمَرْتُكُمْ بِهِ» . الحديث المتقدم فلله دره من عالم سني مدافع عن السنة .

ومثله في وراثة حلقة أهل التصوف العلامة الفَّاه ـ بتشديد الفاءِ ـ ابن الشيخ المهدي التنواجيوي ، فإنه كان صاعقة على أهل الباطل ، ولقد كانت مداولات بين شيخ بعض هذه الـطوائف وبـين ابن عمنا وشيخ مشائخنا المختار بن بونا الجكني ، فقال المتصوف للعلامة ابن بونا أنه سوف يسلبه ماعنده من إيمان ، فقال السني :

أسيـدنـا المختـار لاتـك مفـرطـاً وإيـاك والتفـريط إعْـدل وأقسـطا

فكـونـك ذا مال وجـاه ورتـبـة علت في قلوب النـاس لم يمنع الخطا

وكـوني لم أذكـر كذكـرك لم يكـن ليمنعني التـوفيق من مانـح العـطا

أتـسـلبـني ؟! والله ماشـاءَ مثبـتي إذاً كنت في تعـظيم نفسـك مفـرطـا

ولقد افتخر بعض مشائخ المتصوفة على شيخ مشائخنا ؛ أن امرأته دخلت عليه يوماً ولباسها يقطر ماءً ، فسألها فقالت ، وهي في تخوم الصحراءِ الافريقية ، أن غريقاً استغاث بها فذهبت إليه ونشلته من البحر وأنقذته ، فأجابه الشيخ المختار بن بونا بأن ذنوب النساءِ أكثر من أن يفتخر أحد بها ، وهذه المرأة التي أبديت لي حالتها ، خرجت من بيت زوجها بدون إذنه ، وسافرت العدوي بدون محرم ، وحصلت الخلوة بينها وبين أجنبي ، فما بالك تفتخر بذنوبها ؟! . اللهم إنا نعوذ بك من طمس البصيرة .

يعني : ومن هذيل الذي قال له النبي ﷺ : «**لَايُفَارِقُ سَوادِي سَوَادَكَ أَي شَخْصُكَ سَوَادِي حَتَّىٰ أَنْهَاكَ**» . وكان يقال له : صاحب السواد ، وهو أَيضاً صاحب سره كما قدمنا ، وصاحب سواكه كلما أَراد الاستياك أَتاه به . وكان يحفظ عليه وساده ويأتيه به ، وكان يلبسه نعله ويعلق النعل في ذراعه ، ويستره ويحفظه إِذا أَراد أَن يغتسل ، ويوقظه إِذا نام ويمشي أَمامه . وقوله : والإِذنُ في المجلس مالم يُعْزَل ؛ يعني أَنه كان النبي ﷺ يقول له : «**إِذْنِي لَكَ مَا لَمْ أَعْزِلْكَ عَنِّي**» . أي حتى أَقول لك اخرج عني في هذه الساعة ، والله تعالى أَعلم .

وقوله : وهو ابن مسعود . أَي وهذا الذي هذه أَوصافه عبد الله بن مسعود بن غافلٍ ـ بالفاء والمعجمة ـ ابن حبيب بن جمح بن غارب بن مخزوم ابن صاهلة ، أَبـو عبـد الرحمن ، أُمه أُم عبد ؛ كنيت به لأَن قريشاً كانوا يقولون له : ابن أُم عبد بنت عبد بن عبد وُدّ . أَسلم قديمًا وهاجر الهجرتين ، وشهد بدراً والحديبية وصلى للقبلتين وكان حليفا لبني زهرة ، وسبب إِسلامه أَنه كان يرعى غنمًا لعقبة بن أَبي معيط ، فمر به النبي ﷺ فقال : «**هَلْ فِي غَنَمِـكَ مِنْ لَبَنٍ**» قال : نعم . ولكنني أَمـين . قال : «**خُذْ لِي شَاةً حَائِلاً**» قال : هنـا عنـاق حدحسـة ومابها لبن . فأَخذها فمسح النبي ﷺ موضع الضرع فتدلى ، فدرت عليه لبنا غزيراً ثم قال للضرع : اقْلُصْ . فترفع ، فأَسلم [ابن مسعود] وقال : هل أَتبعك ؟ قال : «لا ، حَتَّىٰ أَظْهَرَ» .

وقوله : مبشر النبي . أَلخ . يعني أَنه وجد يوم بدر أَبا جهل بين القتلى وبه رمق فقال له : هل أخزاك الله ياعدو الله ؟ . قال : عال عني وأَخبرني لمن الدائرة ؟ . قال : لله ولرسوله وللمؤمنين . فأَراد أَن يحز رأسه فقال :

أبلغ عني صاحبك هذا وافعل ماتريد . قال : أبلغه عني أني ماعاديته قط مثل هذه الساعة ، قال ابن مسعود : فحززت رأسه فأتيت به النبي ﷺ فقلت : أبشر يارسول الله ، هذا رأس عمرو بن هشام . فقال : «**آلله الذي لاإله إلا هو**» . فقلت : آلله الَّذي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ . فلما أبلغته مقالته قال «**وَيْحَهُ كَفَرَ بِي حَيّاً وَمَيْتاً**» . وكان عبد الله بن مسعود مع جلاله في غاية القصر يواريه الجالسون ، أمره النبي ﷺ أن يصعد شجرة فنظر أصحابه إلى حموشة ساقية فضحكوا فقال رسول الله ﷺ : «**إِنَّهُمَا فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُد**» . وشهد له النبي ﷺ بالجنة ، قال فيه : «**خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ**» . منهم عبد الله بن مسعود . وكان النبي ﷺ يقرأ القرآن على جبريل في كل سنة مرة ، فقرأه عليه في السنة التى توفي فيها مرتين ، وحضرهما عبد الله بن مسعود فعرف مابدل وما أحكم ، وكان يقول : مانزل شيءٌ من القرآن إلا وأنا أعلم في أي شيءٍ نزل ، وماأحد أعلم بكتاب الله مني ، ولو أعلم أن أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلّغنيه الإبل لأتيته . ثم استحيا فقال : وماأنا بخيركم . وبعثه عمر معلمًا إلى الكوفة وكان يقول فيه : كنيف مليءٌ علمًا . والكنيف : تصغير كنف ؛ تصغير تعظيم ، والكنف : مايجعل فيه الراعي متاعه . واستأذن عليه فتيان من قريش يطلبان العلم قبل طلوع الشمس فأذن لهما ، فلم يدخلا حتى استأذنا مرة أخرى ، فدخلا فقال لهما : مالكما لاتدخلان حين أذنّا لكما ؟ . قالا : نخاف أن يكون أحد من أهل البيت نائم . فقال : لقد ظننتم بآل أم عبد سوءاً . ثم قال : انظري لي ياجارية . هل طلعت الشمس ؟ . فقالت : نعم . قال : الحمد لله الذي أنقذ آل أم عبد من هذا اليوم . ودخل عليه عثمان رضي الله عنهما يعوده في مرضه فقال له : ماتشتكي ؟. قال : ذنوبي . قال : وماتشتهي ؟. قال : رحمة ربي . قال :

ألا أدعو لك طبيباً ؟ قال : الطبيب الذي أمرضني . قال : آمر لك بعطاء ؟ . قال : لاحاجة لي فيه . قال : لبناتك من بعدك . قال : لاتخشى على بناتي الفقر إني أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْوَاقِعَة كُلَّ لَيْلَة لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبداً**» . ولما جمع عثمان القرآن أمر بجميع المصاحف أن تحرق أو تخرق ، فأبى هو بمصحفه وقال لتلاميذه : غلوا مصاحفكم ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة . وتوفي رضي الله عنه في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين ، وأوصى الزبير أن يصلي عليه ويدفنه ليلاً ففعل ، فعاتب عثمان الزبير على أن لايعلمه . وقيل صلى عليه عمار وقيل عثمان .

وَمِـــنْ بَنِي أَدٍّ سَلِيـــلِ طَابِــخَــهْ
ضَبَّـةُ إِحْـدَىٰ الْجَمَـرَاتِ الـرَّاسِخَهْ
وَالْجَـــمَـــرَاتُ مَاعَــدَاهَــا عَبْسُ
آلُ الَمــدَانِ لَانُــمَــيْرُ الــنِّــكْسُ

السليل : الولد . والراسخة : الثابتة . والنكس : بالكسر الضعيف . يقول : ومن بني أد بن طابخة ؛ ضبة أبو بني ضبة الذين هم إحدى الجمرات الراسخة ، أي الثابتة ؛ يعني جمرات العرب الثلاث وهي : ضبة هؤلاءِ وبنو عبس وبنو الحارث بن كعب بن المدان ، وليس منهم نمير النكس ، أي الضعيف يعني الحيي كما زعموا مكان عبس . وهؤلاءِ سموا بالجمرات من بين العرب لأن امرأة من العرب رأت في المنام أنه خرج منها ثلاث جمرات من فرجها ، فتزوجها كعب بن المدان فولدت له الحارث ؛ جدبني كعب أشراف اليمن ، ثم تزوجها أد بن طابخة فولدت له ضبة ؛ جد

بني ضبة أُولي البأس والنجدة ثم تزوجها بغيض بن ريث فولدت له عبساً فرسان العرب ، ولبني ضبة تعرف النجدة والبأْس وهم القائلون :

نحن بنو ضبة أَصحاب الجمل   والموت أَحلى عندنا من العسل
نحن بنو الموت إِذا الموت نزل   لاعار في الموت إِذا حان الأَجل

والجمل الذي يعنون العسكر ، جمل عائشة المسمى به يوم الجمل ؛ وقطعت على خطامه يومئذ من بني ضبة سبعون يداً . وتزعم نمير وبعض العرب أَن ثالثة الجمرات نمير لاعبس ، قال شاعرهم الراعي :

نميرٌ جمرة العرب التي لم   تزل في الحرب تلتهب التهابا

أَسَعْدٌ امْ سُعَيْدٌ الْمَثَلُ في
سَلِيلِي الْجَمْرةِ ضَبَّةَ الْحَفِي
إِذْ خَرَجَا وَلَمْ يَؤُبْ سُعَيْدُ
فَاسْتَشْأَمُوا بِهِ وَذَا الْفقيدُ
أَهْلَكَهُ الْحَارِثُ ثُمَّ افْتَخَرَا
بقَتْلِهِ لِضَبَّةٍ إِذْ لاَيَرَىٰ
أَنَّ أَباهُ ضَبَّةٌ فَقَتَلَهْ
وَسَبَقَ السَّيْفُ الْعِتَابَ أَرْسَلَهْ

الحفي : المكرم . وسُعيد هذا قيده بعضهم بصيغة تصغير سعد ولم يذكر فيه المجد ذلك . يعني أَن المثل السائر في العرب «أَسعد أَم سَعيد» أَصله

أن سعداً وسعيداً ـ ابني ضبة أحد الجمرات ـ خرجا في طلب إبل فرجع سعد ولم يؤب سعيد أي لم يرجع ، ومن ذلك استشأم به العرب ؛ يقولون في الأمر يسألون : أخير هو أم شر ؛ أسعد أم سعيد ؟ . فإذا كان خيراً قيل سعد ، لأنه رجع . وإذا كان شراً قيل سعيد لأنه لم يرجع . وهذا المفقود قتله الحارث ابن كعب بن المدان ؛ أخو ضبة لأمه ، جاهلاً له ، ثم بعد ذلك بينما الحارث وضبة يتحادثان إذ هبطا وادياً فقال الحارث : لقيت بهذا الوادي فتى من أمره كيت وكيت ، إلى أن عرفه ضبة ، فقتلته وسلبته هذا السيف ـ وهو يفتخر بذلك ـ فأخذ ضبة السيف وقتل به الحارث ، ولو ظن الحارث أولاً أن الفتى ابن ضبة ماقتله لأنه ابن أخيه ، ثم لو علم بعد ذلك ماأخبر به ضبة ، وقوله : سبق السيف العتاب ؛ أي لما قتل ضبة الحارث . قيل له في ذلك فقال : سبق السيف العذل ، فأرسلها مثلاً .

القول في الرِّباب

عَبْـدُ مَنَـاةٍ بْنِ أَدٍّ تُنْسَـبُ
لَهُ الـرِّبَـابُ زُمَـرٌ تَرَتَّـبُـوا
مَعَ تَمِيـمٍ وَهْـيَ ثَوْرٌ عِجْـلُ
تَيْـمٌ عَدِيٌّ ضَبَّـةٌ وَعُـكْـلُ

يعني أَن أَدّ بن طابخة ينسب له ضبة الجمرة كما تقدم ، وليس بضبة ابن عبد مناة بن أَدّ بن طابخة الذي هو من الرباب ، بل هو عمه كما يأْتي قريباً إن شاءَ الله ، وعبد مناة تنسب له قبائل الرباب ؛ وسموا بذلك لأَنهم تعاقدوا مع تميم بأَنهم أَدخلوا أَيديهم في رب وتحالفوا بذلك ، فكانوا من قبائل تميم العظام . قال جرير :

يعـد الـنـاسبـون إلى تميم ... بيـوت المجـد أَربعـة كبـاراً
يعـدون الـربـاب وآل سعـد ... وعـمـراً ثم حنـظلة الخيـارا
ويـذهب بينهـا المرئي لغـواً ... كما أُلْغيت في الـديـة الحوارا

وهي ست قبائل كما عد في النظم ، وعكل [هم] بنوعوف بن وائل بن عوف بن عبد مناة ، حضنتهم أَمة يقال لها عكل فسموا بها ، ومنهم النمر بن تولب العكلي الصحابي ، وفد على النبي ﷺ وقال :

إنـا أَتينـاك وقـد طال السفـر ... نقـود خيـلاً ضمَّـراً فيهـا صعـر

نطعمها اللحم إذا عز الشجر ... ياقوم إني رجل عندي خبر
الله من آياته هذا القمر ... والشمس والشعرى وآيات أُخر

الأبيات .

وهو القائل أيضاً :

أودى الشباب وحب الخالة الخَلَبة ... وقد برئت فما في الصدر من قلبة
وقد تثلم أنيابى وأدركني ... قرن علي شديد فاحش الغلبة
وقد رمى بسراه اليوم معتمداً ... في المنكبين وفي الساقين والرقبة

الخالة : أي الخيلاء . والخلبة : جمع خالب للنساءِ . ويعني بالقرن : الهرم . ومدح النبي ﷺ ومن حديثه : «**صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ وَثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ يُذْهِبْنَ وَغَرَ الصَّدْرِ**» . ومن عكل أيضاً خزيمة بن عاصم بن قطر ؛ أسلم واستعمله النبي ﷺ على صدقات قومه . ومن عكل أيضاً الذين اجتووا المدينة ؛ وهم بنو عرينة من القحطانية ، أو بعضهم من عكل وبعضهم من عرينة ،وبعث النبي ﷺ عشرين فارساً في أثرهم أمر عليها كرز بن جابر [الفهري] فلحقهم وجاءَ بهم مردفين ، وفقد النبي ﷺ لقحة من الإبل يقال لها الحَنَّا فسأل عنها فقيل له نحروها ، فسمل أعينهم قصاصاً وتركهم في الحرة مستلقين يستسقون ولايسقون حتى ماتوا ؛ للحرابة أو لارتدادهم ، وكان أحدهم يلقي لسانه في الأرض يكدها به ليجد بردها . واستشكل هذا لأن المرتد لايمنع من السقي والإطعام ، فقيل أنهم لاحرمة لهم كالكلب العقور ، وقيل أن النبي ﷺ لم يعلم بذلك ، وأما سمل أعينهم أو تكحيلها بمسمار النار وغرز الشوك في ألسنتهم ، وكل مافعل بهم فهو قصاص لأنهم فعلوه بالراعي أو الراعيين ـ على أنهما اثنان ـ وليس بالمثلة المنهي عنها ، لأن المثلة ما كان ابتداءً من غير جزاءٍ . وقيل أيضاً أن تعطيشهم قصاص لهم لأنهم أعطشوا

آل البيت ، لأنهم كانت تأتيهم من اللقاح قربتا لبن فعطشوا فقال النبي ﷺ : «اللهُمَّ أَعْطِشْ مَنْ أَعْطَشَ أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكَ» . ومن الرباب ثم من بني عدي بن عبد مناة ذو الرمة الشاعر ؛ غيلان بن عقبة ابن نهيش ـ كزبير ـ وسيأتي في النظم . فالشيخ رحمه الله ذكره في جملة تميم لأن الرباب يعدون لتميم كما مر .

وَانْسُبْ لِثَوْر الَّذِي مَا اسْتَوْدَعَا
حِجَاهُ مَعْلُوماً فَخَانَ مَا وَعَى
وَهْوَ سَمِيُّ ابْنِ عُيينَةَ الْعَلَمْ
مَوْلَى بَنِي هِلَالٍ النَّدْبِ الْحَكَمْ

الحجا : العقل . والفطنة . قال ذو الرمة :

خليلي لارسم بوهبين مخبر ولاذو حجا يستنطق الدار معذر

ذكر الامام سفيان الثوري

وعى : حفظ . والندب : الظريف . يقول : وانسب لثور بن عبد مناة بن أدّ الذي هو من الرِّباب ؛ الإمام سفيان الثوري ، أحد الأئمة المشهورين . وقوله : مااستودعا حجاه . . الخ ، نظم به ماقال سفيان : مااودعت قلبي شيئاً فخانني . يعني أنه مانسي شيئاً قط علمه . وعبر الناظم بالحجا وهو العقل عن القلب ؛ لأن قول سفيان : قلبي ، يعني به العقل ، لأن القلب محل العقل على المشهور ، ومنتزهه الدماغ كما قال أبو الحسن اليوسي ، جمعاً بين قولي مالك وأبى حنيفة . وقوله : وهو سمي ابن عيينة ،

يعني أن اسمه واسم ابن عيينة واحد ؛ يقال لهما السفيانان ، وهما معاصران لمالك والشافعي ، ومراسيلهما تقارب مراسيل ابن المسيب التي لها حكم الاتصال ، ثم وصف ابن عيينة بالعلم والصلاح وبولاية بني هلال ، وبالندب أي الظريف وبالحكم أي العاقل المجرب ذو الحكمة ، وأما الثوري فهو سفيان بن سعيد ، يضيق الكاغد ويكل القلم عن مناقبه ، ريءَ سفيان الثورى في المنام فقيل له : مافعل الله بك ؟ . فأنشد :

نظرت إلى ربي عيــانــاً فقــال لي	هنيئــاً رضائي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قوّاماً إذا الليل قد دجا	بعــبرة محزون وقــلب عمــيــد
فدونــك فاخـتر أيَّ قصر تريـده	وزرني فإني منــك غيرُ بعــيــد

نسب مُزينة

مُزَيْنَـةُ أُمُّ بَنِي عَمْـرِو بْنِ أَدّ وَفِي رَبَـابَـة الـرِّبَاب قِيلَ عُدْ

شرع يتكلم على مزينة ؛ وهي قبيلة ذات علو وشرف قائمة وحدها ، وقيل تربوا مع إخوتهم المتقدمين من بني عبد مناة بن أدّ وذلك قوله : وفي ربابة الرباب قيل عُدْ . وهم بنو عثمان أو أوس ابني عمرو بن أدّ ، نسبوا إلى أمهم مزينة بنت كلب ، وقيل إن مزينة اسم أبيهم .

وَالْإِخْـوَةُ الـسَّبْعَـةُ مِنْ مُزِينَـهْ

مُزَيْـنَـةُ الـتَّـيْسِ لِأَدٍّ زِيـنَـةْ

إِذْ هَاجَـرُوا لِطَيْـبَـةٍ وَلَا تُرَى

لِغَـيْرِهِـمْ وَفَـتَـحُـوا لِلأُمَـرَا

وقوله : والإخوة ، يعني بني مقرّن ـ كمحدث ـ الذين تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ، لما قال لهم النبي ﷺ في غزوة تبوك : «**لَاأَجِدُ مَاأَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ**» . يعني أنهم زينة لبني أدٍّ بن طابخة لأنهم هاجروا السبعة الى المدينة ولم تكن لغيرهم من العرب ؛ سبعة إخوة هاجروا وهم : النعمان بن مقرن ونعيم وضرار وحذيفة ومعقل وسنان وسويد . وقوله : وفتحوا للأمراءِ ؛ لأن النعمان كان بيده لواءُ مزينة يوم الفتح ، وبعثه عمر بثلثي أهل الكوفة إلى نهاوند وقال لهم : إن قتل النعمان فإن حذيفة مكانه . وفتح أصبهان ثم أتى نهاوند فقال : يامعشر المسلمين ، شهدت رسول الله ﷺ إذا لم يقاتل أول

النهار أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر . وقال : إني أهز الراية ثلاث مرات فإذا هززت الثالثة فاحملوا عليهم ولايلوي أحد على أحـد . فلما هز الثالثة حمل فحمل الناس فكان أول صريع ، وأخذ الراية حذيفة ففتح الله عليه وذلك يوم الجمعة ، وبكى عليه عمر لما نعي له . وأما نعيم فكان من وجوه الصحابة ووجوه مزينة وكانت له فتوح كثيرة ، وأما ضرار فكان مع خالد في الحيرة ، وسموا مزينة التيس لأنهم أسروا ثابت بن المنذر ابن حرام ـ والد حسان ـ وأبوْا أن يأْخذوا في فدائه إلا تيساً ، فامتنع أهله من ذلـك خوف السب به ، فبعث إليهم ثابت أن اعطوهم ماطلبوا . فأتوهم بتيس فقال لهم ثابت : خذوا أخاكم واتركوا لهم أخاهم . فسموا لذلك مزينة التيس .

وَمِنْ مُزَيْنَـةَ إِيَـاسُ الـذَّكِي وَذُو الْبِجَـادَيْنِ وكَعْبُ الزَّكِي

إياس بن معاوية القاضي

الذكي : العاقل والسريع الفطنة . والبجاد : الكساءُ غير الجيد . والـزكي : الصالح . يقول : ومن مزينة إياس بن معاوية الذكي المشهور بالذكاءِ ، وعبد الله بن عبد نُعْم ذو البجادين ، وكعب بن زهير ، أمَّا إياس ابن معاوية فمن ذكائه أن الناس اجتمعوا لرؤ ية الهلال ، وفيهم أنس بن مالـك وهو شيخ ، فقال : انظروا إليه فقد رأيته . فنظر الناس كلهم فلم يروه . وأنس يقـول : انـظروا إليه . فجاءَه إياس من خلفه فغطى حاجبيه وقال : ياعم أتراه ؟! . فقال : لا . فعلم إياس أن أنس إنما رأى شعرة من حاجبه طالت وانعطفت . ومن ذكائه أيضاً أنه نظر يوماً إلى رجل يدور في

الناس فقال : هذا الرجل غريب وهو يطلب عبداً ، وهو أيضاً معلم صبيان ومن أهل واسط . فأتوا بالرجل فسألوه فاذا هو كما قال ، فقالوا : ماذا ؟! . قال : أما أنه غريب فلأنه لا يأنس إلى أحد . وأما أنه ينشد عبداً فلأنه يأتي العبيد ويقف عليهم . وأما أنه من أهل واسط فعلى ثيابه لون أرضها . وأما أنه معلم صبيان فكان يجلس إليهم . ومن ذكائه أنه قال يوماً لجلسائه : هذه الصخرة تحتها حية . فقلبوا الصخرة فوجدوها ، فقالوا له : بم علمت أن تحت الحجـر حية ؟ . قال : أحسست ندى فيها ولا يكون الندى إلا من نفَس . ورأى يوماً نسوة سمعن ذعراً . فقال : إحداهن مرضع وأُخرى حامل والثالثة عذراءُ . وسئل عن ذلك ، فقال : إن المرأة إذا سمعت الفجع تضع يدها على أعز ماعندها ؛ فرأيت المرضع وضعت يدها على ثدييها ، والحامل وضعت يدها على بطنها ، ووضعت العذراءُ يدها على حرها . ويضرب المثل بذكائه ، قال أبو تمام :

في حلم أحنف في ذكاءِ إياس

وهو من التابعين ، ومنهم من ذكره في الصحابة ، وإنما ذكره ابن حجر في القسم الرابع من الإصابة الذي ينفي عنه الصحبة .

وأمّا ذو البجادين ؛ فقد حبسه أهله حين أسلم في بجاد وضيقوا عليه ، ثم هرب منهم إلى النبي ﷺ فلما دنـا منـه شق بجاده نصفين فاتزر بواحد وارتدى بالآخر . وغزا مع النبي ﷺ تبوك فمات في الطريق وألحده النبي ﷺ ومعـه أبـو بكـر وعمر ، فرأى ابن مسعود الضوءَ نحوهم فظن أنه من نار أوقدوها ، فسار نحوهم فوجد النبي ﷺ واقفاً في القبر يقول : «**أَدْلِيَاهُ عَلَيَّ**» . وقال : «**اللهُمَّ إِنِّي أَمْسَيْتُ رَاضِياً عَنْهُ فَارْضَ عَنْهُ**» وإذا الضوءُ منه . قال ابن مسعود : فتمنيت أن أكون صاحب الحفرة .

كعب بن زهير وسبب إسلامه

وأمَّا كعب بن زهير ، فإن النبي ﷺ أهدر دمه وأمر بقتله ، فبلغه ذلك وضاق عليه أمره ، فلما رجع النبي ﷺ من الطائف أتى المدينة ليلاً فنزل على رجل من جهينة ـ كان صديقاً له ـ فأتى به المسجد حين صلاة الصبح فأشار له إلى النبي ﷺ ، فقال له : يارسول الله ، إن كعب بن زهير بلغه أن من أتاك تائباً مسلمًا تعفو عنه ، فجاءَ تائباً مسلمًا فهل أنت تعفو عنه ؟ . قال : نَعَمْ . فقال : أنا كعب بن زهير . فقام إليه رجل من الأنصار فقال : يارسول الله ، دعني أضرب عنقه . فنهاه عنه وبايعه ، ثم جعل ينشد : بَانَتْ سُعَادُ .

ويروى أن النبي ﷺ قال له : وَمَنْ سُعَادُ ؟ . فقال له : إحدى بنات عمي يارسول الله . فلما أتمها رمى إليه رسول الله ﷺ بردة كانت عليه ، وذلك قول الناظم رحمه الله :

خَوَّلَهُ النَّبِيُّ بُرْدَةً عَلَىٰ
بَانَتْ سُعَادُ وَغَلَتْ كُلَّ الْغَلا

خوله : أعطاه تفضلاً . وقوله : على بانت سعادُ ، أي جائزة ومجازاة عنها حين أنشدها بين يديه ﷺ ثم بعد ذلك غلت في الثمن كل الغلاءِ . وكان كعب لايلبسها إلا تبركاً بها ؛ فلما ولي معاوية سامها منه بعشرين ألف درهم فقال : ماكنت لأبيع ثوباً مس جلد رسول الله ﷺ بالدنيا . فلما توفي كعب اشتراها معاوية من ورثة كعب بثلاثين ألف درهم ، وقيل أنها البرد الذي

تداوله الملوك بعد ذلك ، وهذه القصيدة لما أَنشدها كعب بين يدي النبي ﷺ عدها العلماءُ حديثاً لا يستحسن عليها غيرها من الشعر ، وأردت إيرادها تبركـاً بها وإِعجاباً بها وهي : بَانَتْ سُعَادُ أَلخ . . وتوجد الحكمة في شعر كعب بن زهير كقوله :

لو كنت أَعجب من شيءٍ لأَعجبني ... سعي الفتى وهـو مخبوءٌ له القدر

يسعى الفتى في أُمور ليس يدركها ... فالـنفس واحـدة والهـم منتشر

والمــرءُ ماعــاش ممدود له أَجـل ... لاتنتهي العـين حتى ينتهي الأَثـر

وكقوله :

إِن كنـت لاتــرهـب شتـمـي لما ... تعـرف من صفحي عن الجـاهل

فاخش سكــوتي إذ أَنــا منصت ... فيــه لمسمــوع خنى القــائــل

فســامــع الــذم شريــك له ... ومــطعــم المــأْكــول كالآكــل

ومــن دعَــا الــنــاس إلى ذمــه ... ذمــوه بالحــق وبــالــبــاطــل

وكان ابنه عقبة شاعراً ، وابن ابنه العوام بن عقبة شاعراً مجيداً ومن شعره :

أَلا ليت شعـري هل تغـير بعدنا ... ملاحـة عيني أُم عمـرو وجيـدها

وهــل بليت أَثــوابهـا بعـد جدة ... فيـاحبـذا إِخـلاقهـا وجـديـدهـا

يعني بالأَثواب العهود ؛ أي هل بقيت على عهدها أَم لا ؟ .

وأَبو سُلمى أَيضاً أبو زهير شاعر ـ وهو بضم السين ـ وليس في العرب

سُلمى بضم السين غيره .

ومن مزينة مرة بن إياس الصحابي جد إياس الذكي ؛ فهو ابن معاوية ابن مرة . ومنهم معاوية بن معاوية ؛ قيل أن أباه معاوية بن مقرِّن وليس من الذين هاجروا المذكورين في النظم ، وبنو مقرن عشرة هاجر منهم السبعة ولم أر إسلاماً للباقين .

معاوية بن معاوية المزني

ولما مات معاوية بن معاوية ، نزل جبريل على النبي ﷺ وقال : يامحمد ،مات معاوية بن معاوية أتحب أن تصلي عليه ؟ . قال : نَعَمْ . فضرب بجناحيه الأرض فلم تبق شجرة ولا أكمة إلا تضعضعت ، فرفع له سريره وصلى عليه وخلفه صفان من الملائكة كل صف سبعون ألفاً ، فقال النبي ﷺ :ياجبْريلُ ، بِمَ نَالَ مُعَاوِيَةُ هٰذِهِ الْمَنْزِلَةَ ؟ .قال : بحبه﴿قُلْ هُوَ الله أَحدٌ﴾ وكثرة قراءته لها .

ومنهم معن بن أوس الشاعر القائل :

لعمرك ماأدري وإني لأوجل ... على أينا تعدو المنية أولُ
وإني أخوك الدائم العهد لم أَحُلْ ... أن ابذاك خصمٌ أو نبا بك منزلُ
أحارب من حاربت من ذي عداوة ... وأحبسُ مالي إن غرمْتَ فأَعْقِلُ

وَانْسُبْ لِمُرٍّ بْنِ أَدٍّ مَازِنَهْ
تَمِيمُهُ وَغَوْثُهُ وَظَاعِنَهْ
أُمُّهُمُ الْحَوْأَبُ بِنْتُ كَلْب
كَلْبِ بْنِ وَبْرَةَ قَرِيعِ الْعُرْبِ

أَمَّـا مازن بن أدٍّ فلا ذكر لهم ، وأَما ظاعنة ففيهم المثل فيما فات : ظعنت ظاعنة . وأَما غوث فهم صوفة الذين كانت لهم إجازة الناس في الحج من المزدلفة ، أَو من عرفة إلى منى وهي الإِفاضة ، يقول صاحبها منهم : أَجيزي صوفة . فإِذا أَجازوا يقول : أجيزي خندف . فـاذا أَفاض خندف أَذن للناس في الإِفاضة . وذلك قول الناظم رحمه الله :

وَالْغَـوْثُ لاَيَفِيضُ دَيَّـارٌ إِلَىٰ مِنىً بِدُونِ أَمْـرِهِمْ وَإِنْ عَلاَ

ديار : أَي أَحد . يعني لايفيض أَحد من عرفة إلى منى حتى يأْذنوا لـه ، وإن علا أَي عظم وعز لأَنها لهم من بين الناس . ومنه قول الشاعر :

ولايـريمون في التعريف موقفهم حتى يقـال أَجيـزوا آل صفـوانـا
مجد بنـاه لنـا قدمـا أَوائـلنـا وأَورثـوه طوال الـدهـر إخـوانـا

وفي القاموس أَنه صفوان .

وأَمَّا بنو مر الذين ذكروا الحوأَب ـ كجوهر ـ بنت كلب وبها سمي الماءُ المعروف . وقريع العرب : سيدهم ، وبه كني كلب بن وبرة ، يعني من ساداتهم .

وَشَرَحْبِيـلُ مِنْهُمُ ابْنُ حَسَنَـهْ رَائِي الْفُتُـوحِ لِلْعَتِيقِ فِي السَّنَـهْ

منهم أَي من الغوث ، وهو ابن عبد الله بن المطاع السهيلي ، واختـلف في تسمية الغـوث وولـده صوفة ، فقيل اسم لكل من ولي من أَمر الكعبة

شيئاً ، وقيل أَن أُم تميم بن مر ولدت نسوة فقالت : لله علي إن ولدت غلاماً لأعبِّدنّه البيت . فولدت الغوث فربطته عند البيت فمرت به وقد أَصابه الحر فسقط . فقالت : ماصار ابني إلا صوفة . ومنهم : أَي من الغوث وهو عبد الله بن المطاع ، وحسنة أُمه وهو قرشي بالحلف قديم الصحبة ، هاجر إلى الحبشة هجرتها الثانية ثم هاجر الى المدينة ، وكان من وجوه قريش ومن وجوه الصحابة ، وقوله رائي الفتوح للعتيق في السِّنَة ؛ العتيق : أَبو بكر . والسنة : النـوم . يعني أَنـه رأى في نومـه الفتـوح التي افتتح أَبو بكر وقصها عليه ، فاستعمله على جيش من جيوشه إلى الشام ، ثم ولاه عمر في خلافته على ربع من أَرباع الشام إلى أَن مات في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة وهو ابن سبع وستين . فهؤلاءِ بنو مر غير تميم .

القول في بني تميم

ابن مر بن أد بن طابخة

أَمَّــا تَمِيمٌ فَهْــوَ كَاهِــلُ مُضَرْ زَيْــدُ مَنَاةٍ ابْنُـهُ قَدِ انْتَشَرْ

وفي الحديث : «تَمِيمٌ كَاهِلُ مُضَرَ وَعَلَيْهِ الْحُمْلَانِ» . والكاهل : الحارك . والحُملان : الحمل وذلك لكثرتهم ؛ وبنو تميم لصلبه ثلاثة : زيد مناة ، وهو أكثرهم قبائل ، وذلك قوله : قد انتشر ، أي كثرت قبائله ، وعمرو والحارث .

فمن زيد مناة بنو سعد بن زيد مناة ، ومنهم الأضبط بن قريع بن عوف ابن كعب بن سعد القبائل ؛ لما أغضبه قومه وارتحل عنهم صار كلما نزل على حي لم يحمده فقال : حيثما أذهب ألقى بني سعد . أو قال : بكل وادٍ بنو سعد ؛ أي الناس كلهم مثل بني سعد . وهو القائل :

لكــل هم من الهـمـوم سَعَــة
والمســا والـصبـح لافــلاح معــه
قد يجمـع المــالَ غيرُ آكــله
ويــأْكــل المــالَ غيرُ من جمعـه
فاقْبــلْ من الــدهــر ما أَتــاك به
من قرَّ عيــشــاً بعــيــشــه نفــعــه

وصِل حبال البعيد إنْ
وصل الحبل واقْصِ القريب ان قطعه
لاتَهِن الفقير عَلَّك أنْ
تركعَ يوماً والدهر قد رفعه

وأخوه جعفر بن قريع هو الملقب بأنف الناقة ، أبو الحي بني أَنف الناقة ؛ وسبب تلقيبه به أَن أباه نحر جزوراً في سنة شهباءَ ، فبعثته أمه إِليه فوجده قد قسمها بين نسائه إلا رأْس الجزور فقال : شأْنك به . فجعل عوداً في الأَنف وجعل يسحبه بين الحي ، فضحكوا منه وسموه أَنف الناقة ، وكان هذا الحي يكرهون هذا اللقب ويعيرّون به حتى مدحهم الحطيئة بقوله :

قوم هم الأَنف والأذناب غيرهم ... ومن يسوّي بأنف الناقة الذنبا
قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم ... شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

فصاروا بعد ذلك يفتخرون به ، وأَجزلوا جائزة الحطيئة وأكثر في مدحهم وأَحسن وأجاد .

مِنْ كَعْبٍ سَعْدِهِ عُطَارِدُ ... مُقَاعِسٌ وَمِنْقَرُ الأَمَاجِدُ

يعني أَن من قبائل زيد مناة أَيضاً ثم من سعد ، بني عطارد وبني مقاعس وبني منقر ـ كمنبر ـ ويعني بالأَماجد بني منقر لأَن فيهم شرف تميم ، ومن بني عطارد كرب بن صفوان الذي كان يفيض بالناس ، بعد أَن كان ذلك في بني الغوث فورثه منهم . قال الشاعر :

ولا يريمون بالتعريف موقفهم حتى يقال أَجيزوا آل صفوانا

ومن عطارد أَيضاً أَبو رجاءٍ ؛ واسمه عمرو بن عبد الله العطاردي ، كان يقول : لم أَر ناساً أضل من العرب ؛ يجيئون بالشاة البيضاءِ فيعبدونها ، فيأتي الذئب فيأْخذها فيجيئون بأُخرى ، وإِذا راأَوا صخرة حسنة جاؤ وا بها وصلّوا إِليها ، وإِنْ رأَوا أَحسن منها تركوها وجاؤ وا بتلك . أَسلم على عهد النبيِ ﷺ ومـات في خلافـة هشام بن عبد الملك ، وهو ابن مائة وعشرين عاماً ، وقال فيه الفرزدق :

أَلم تر أَن النـاس مات كبيرهم وقد عاش قبل البعث بعث محمد

وأَما مقاعس ؛ فمنه ولداه الحارث وعبيد ، فمن الحارث سلامة بن جندل الذي يقول :

أَودى الشبـاب عجيبـاً ذو الأَعاجيب
أَودى وذلـك شأْو غير مطلوب
ولى حثيثـاً وهـذا الشيب يطلبـه
لو كان يدركـه ركض اليعـاقيـب
إِن الـشبـاب الـذي مَجْدٌ عَوا قبـه
فيـه نَلذّ ولالـذات للشيـب

وأَما مِنْقَر : فهو ابن عبيد بن مقاعس ولم يذكر فيه الناظم أَحداً لبني عطارد ولا لمقاعس إلا بني منقر وصفهم بالمجد وذكر لهم رأْساً فقال رحمه الله :

قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ أَخُوهُمْ سُبِيَتْ
بِنْــتٌ لَهُ وَخُــيِّرَتْ إِذْ جُلِبَــتْ

بَيْنَ أَبِـيهَــا والْخَلِيـلِ السَّــابي
فَاخْتَــارَتِ الْخَلِيـلَ عَنْ إِيَـابِ

فَغَــاظَــهُ ذَاكَ وَشَــنَّ وَأْدَا
عَلَىٰ بَنَــاتِــهِ وَسَــنَّ إِدَّا

أخوهم : يعني منقراً منهم قيس بن عاصم الذي قال فيه النبي ﷺ حين قدم عليه في وفد تميم ؛ الذين نادوه من وراءِ الحجرات سنة تسع : «هٰذَا سَيِّدُ أَهْـلِ الْوَبَرِ» وقصة بنته هي أن بني تميم منعوا الإتاوة من النعمان بن المنذر ، فبعث إليهم أخاه ريان بن المنذر فسبى منهن نسوة ، منهن بنت لقيس ابن عاصم ، فلما استرد بنو تميم نساءَهم من النعمان خير النساء بين من سباهن وبين الإياب ـ أي الرجوع ـ إلى أهلهن ، وكل النساءِ اختر ن أهلهن إلا بنت قيس فإنها اختارت سابيها ريان بن المنذر عن الرجوع إلى أبيها ، فغـاظ ذلـك قيسـاً وشن أي صب عليهن الوأد ؛ وهو المعروف المذموم به الكفار ، فسن بذلك إدّاً ـ أي إثما عظيًما ـ ويفهم من هذا أنه أول من وأد ، وليس كذلك إلا أن يكون أول من وأد من قومه . أسلم قيس حين وفد على رسول الله ﷺ لكن قيل أنه ارتد بعد ذلك وتبع سجاح العنبر ية ، ثم أسلم وحسن إسلامه وقال يهجو سجاح ومسيلمة الكذاب :

أَضـحـت نبيتنـا أُنثى نطوف بها   وأَضـحـى انـبيـاءُ الله ذكـرانـا
يالــعـنــة الله والأَقــوام كلهـم   على سجـاحٍ ومن بالكفـر أَغرانا

أَعني مسيلمة الكذاب لا سُقيت   أَصداؤه ماءَ مزن حيثما كانا

وهو ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية ؛ وسبب ذلك أَنه غمز عكنة ابنته وهو سكران ، وسب أَبويه ورأَى القمر فتكلم بها لا يليق وأَعطى الخمار مالاً كثيراً ، وكان مشهوراً بالعقل والحلم ، ومما قال في الخمر

رأَيت الخمر صالحة وفيها   خصال تفسد الرجل الحليما
فلا والله أَشربها صحيحاً   ولاأُشفى بها أَبداً سقيما
ولاأُعطي بها ثمناً حياتي   ولا أَدعو لها أَبداً نديما
فإِن الخمر تفسد صاحبيها   وتجنيهم بها الأَمر العظيما

قيل للأحنف : ممن تعلمت الحلم ؟ . قال : من خالي قيس بن عاصم ؛ رأَيته يوماً بفناءِ بيته يحدث قومه محتبياً بحمائل سيفه ، إِذ أُوتي برجل مكتوف معه آخر مقتول ، فقيل له : هذا ابن أَخيك قتل ابنك . فوالله ماقطع كلامه ولاحل حبوته ، فلما أَتمه التفت إلى ابن أَخيه وقال له : بئسما فعلت ياابن أَخي ، أَثمت وقطعت رحمك ، وقتلت ابن عمك ورميت نفسك بسهمك ، ثم قال لابنه : قم يابني حلّ كِتاف ابن عمك ، ووارِ أَخاك وسق مائة ناقة إِلى أمك دية ولدها فإِنها غريبة ، ثم قال :

أَقول للنفس تَأْساءً وتعزية   إِحدى يديَّ أَصابتني ولم ترد
كلاهما خَلفٌ من فقد صاحبه   هذا أَخي حين يُدعَىٰ وذا ولدي

ولما حضرته الوفاة قال : لاتنوحوا عليَّ فإِن النبي ﷺ لم ينح عليه .

وَأَيْنَ مُحْيِيهِنَّ مِنْهُ صَعْصَعَهْ   جَدُّ الفرزْدَقِ الّذي قَدْ رَفَعَه

قوله : وأَين محييهن ؛ أَي ما أَبعده منه في الفضل . يقال : أَين فلان من فلان ؛ إذا كان أَفضل منه أَو كان على عكسه ؛ لأَن هذا أَماتهن وهذا أَحياهن . وتقدم سبب إماتته لهن ؛ وأَما سبب إحياءِ صعصعة لهن أَنه أَضل ناقتين وخرج في طلبهما ، فبينا هو يسوقهما إذ رفع له فوجد أَهله يئدون جارية ، فاشتراها منهم بالناقتين والجمل الذي كان ينشد عليه الناقتين ، ثم لم يزل يشري الموءُودات بمثل ذلك إلى أَن اشترى كثيراً وردهن إلى أَهلهن ، فلما أَسلم سأَل النبي ﷺ هل ينفعه ذلك ؟ . فقال : لا . وصعصعة هو ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع ، والفرزدق بن غالب بن صعصعة وكان يفتخر بإحياءِ صعصعة للموءُودات لأَنه رفعه في الجاهلية ، يقول مفتخراً على جرير في قصيدته :

ومنا الذي منع الوائدات ... وأَحيا الوئيد فلم تُوأَدِ

قوله : قد رفعه أَي رفع صعصعة إحياؤه الموءُودات . ويحتمل رفع الفرزدق على جرير جده صعصعة لأَنه كان يفتخر عليه به .

مِنْ ابْنِ عَاصِمٍ تَعَلَّمَ الْأَدَبْ
وَالْحِلْمَ الاحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ وَذَرِبْ

يشير إلى ماقدمناه قريباً على قيس بن عاصم من قول الأَحنف : تعلمت الحلم من خالي قيس . . الخ . قوله : وذرب أَي حمل عنه الذرابة أَي الفصاحة والبلاغة ، وذكر هنا الأَحنف وهو ليس من منقر ولكنه من مرة ابن عبيد أَخي منقر بن عبيد ؛ للمناسبة بينه وبين قيس بن عاصم في الحلم والعقل والأدب . واسم الأَحنف الضحاك ـ وقيل صخر ـ وكنيته أَبو بحر ، وكان في رجله حنف فادح وبه لقب ، وكانت أُمه ترقصه فتقول :

والله لولا حنف برجله ماكان في فتيانكم من مثله

وهو ابن قيس بن معاوية بن حضير بن عبادة بن النزال ، وأُمه باهلة . أَدرك الإسلام ولم ير النبي ﷺ ، وحبسه عمر بالمدينة سنة ثم قال له : ماحبستك إلا لأَعلم هل أَنت بريءٌ من النفاق ؟ فوجدتك بريئاً منه . وروي أَنه اشتكى إليه رجل وجع ضرس فأَعرض عنه ، فاشتكى إليه فقال له : ياأَخي لي ثلاثون سنة وأَنا فاقد البصر من إحدى عيني ولم يشعر بذلك أَحد . يأْمره بالكتمان للمرض . وكان يقول : ماطلبت شيئاً قط إلا أُعطيته . فقيل له : ولم ذلك ؟ قال : لأَني لاأَسأَل المحال . وذكر أَبو العباس المبرد في الكامل في باب جامع في الأَخبار أَن الأَحنف يحمل الحمالات بين تميم وبين شيبان ، فجعل يجمعها في الناس ، فذكر له حي من تميم بنجد فأَقبل إليهم فأَناخ عند شيخ كبَّار فسأَله عن شأْنه وخبره وسأَله عن النبي ﷺ وعن أَبي بكر وعن عمر ، فلما أَصبح أَعطى مائة عقال لمائة راع كلهم أَمره أَن يعقل ناقة ، ولم يعلم الشيخ من أَي تميم هو . ولا تحصى مناقب الأَحنف ؛ ومنها الشجاعة لما استنجد يزد جرد خاقان ملك الترك لتدمير المسلمين للفرس ، قال خاقان : إني بريءٌ من الظلم ، ولكن لا يستنجدني أَحد إلا أَنجدته . فأَعطاه جيوشاً ، فساروا . فلما دخلوا العراق سمع بهم المسلمون فشق عليهم ذلك ، وكانت عادتهم أَن أَشجعهم يأْخذ طبلاً ويتقدم به ، فيأْتي إلى مكان مرتفع فلم يزل يضربه حتى تأْتيه الجيوش ، فسمع المسلمون طبلين لهم كل واحد في مكان ، فانسل الأَحنف من بين الناس ولم يشعر به أَحد ، فأَقبل نحو أَحد الطبلين فأَتى صاحبه وقتله وكسر طبله وساق فرسه ، وأَقبل نحو الآخر وفعل به مثل ذلك وصبح فرسيهما عند المسلمين ، فبعثت جنود الترك إلى خاقان بذلك فقال : إني لأَعلم أَن أُولئك لايغلبون لمطاوعتهم لنبيهم ؛

نهاهم عنا ماتركناهم . فاسترد جنوده .

وَهْــوَ حَفِيــدُهُ وَالْأَهْتَــمُ هَتَمْ

وَالــدَ عَمْــرو ابْنِ عَمِّــهِ الْخِضَمْ

وهو : أي الأحنف . حفيده : أي قيس بن عاصم . وفيه نظر لأن أم الأحنف من باهلة ـ كما قدمنا ـ إلا أن يكون الناظم رحمه الله بنى على قول الأحنف : تعلمت الحلم من خالي قيس بن عاصم . لأن من كان له خال يكون حفيده ، إلا أن تكون للأحنف خؤولة في بني منقر فهي التي يعني ، لأن قيساً سيدهم بل سيد أهل الوبر ؛ كما قال ﷺ وكما قال الشاعر يرثيه :

عليك سلام الله قيس بن عاصم ... ورحمته ماشاءَ أن يترحما
فما قيس هُلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدّما

وقوله والأهتم هتم : أي هتم قيس الأهتم أبا عمرو بن الأهتم ؛ ضربه بقوس فهتم أي كسر ثنيتيه . وفي القاموس أنه هتم يوم الكلاب . واسم الأهتم سنان بن خالد . وقوله : ابن عمه ، يعني أن عمرو بن الأهتم ابن عم قيس بن عاصم . وقوله : الخضم ، يعني أن عمرو بن الأهتم كان يضرب به المثل في البلاغة والشعر والجمال والجود ؛ ومن بلاغته ماقال فيه النبي ﷺ : «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْراً» . وذلك أنه سأله عن الزبرقان بن بدر حين قدمت وفودهم عليه وكانا في الوفد ، فقال عمرو : الزبرقان مطاع في أدانيه ، شديد العارضة في قومه ، مانع لما وراءَ ظهره . فقال : يارسول الله ، إنه ليعلم مني أكثر من ذلك ولكنه حسدني . فقال عمرو : أما والله إن الزبرقان لزمر المروءَة ضيق العطن لئيم الخال أحمق الولد . ثم قال : والله

ماكذبت في الأولى ، ولقد صدقت في الثانية ، ولكني رضيت فقلت أحسن ماعلمت ، وغضبت فقلت أقبح ماعلمت . فقال النبي ﷺ : «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْراً» . وكان يدعى المكحل لجماله ، ومن شعره :

ومستنبح بعد الهجوع دعوته وقد خان من سار الشتاءَ طروقُ

إلى قال :

لعمرك ماضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

ذكر غيلان ومية

مَيَّـــةُ مِنْ قَيْسٍ وَذُو الـتَّـمِيمَـــةِ
لِفَـــزَعٍ عُلِّقَـــهَـــا بِرُمَّـــةِ
لأَدّ الاَّ أَنَّـــهُ أَشْـــعَـــارُه
مُشْـــعِـــرَةٌ أَنَّ تَمِيـــمًا دَارُهُ

وهي [مية] بنت عاصم [١] بن طلبة بن قيس بن عاصم ، وتكنى أم ثور . والرمة . بالضم وتكسر قطعة من حبل وبها لقب هذا الشاعر ، واسمه غيلان بن عقبة بن نهيش ـ كزبير وبنون وهاءٍ ، وآخره شين معجمة ـ ابن مسعود بن حارثة ، واختلف في سبب هذا اللقب ، فقيل أنه كان به فزع وهو صغير فكتبت له تميمة وعلقت عليه بقطعة حبل ، وقيل أنه أول يوم رأى فيه مية كان في رهط ، فرفعت لهم بيوت فمال إليها ليشرب فأتى بيتاً فيه امرأة معها جارية ، فاستسقى المرأة ماءً فقالت : اسقه يامية . فجاءَته بماءٍ وكان على

(١) في الأصل عندي : مية بنت هلال بن طفلة بن قيس بن عاصم ولكن ماأثبته أصح .

كتفه قطعة حبل فقالت : اشرب ذا الرمة . وكانت قد سلبته منذ رآها ، فخرج وهو يقول :

قد سلبــت أُخــت بني لبــيــد قلبـي ومـن سهـم ومـن ولـيــد
رأت غلامَــيْ سفــر بعــيــد يدّرعــان الـليــل ذا الـصــدود

ثم كان من أمره ماكان حتى ضرب به المثل وسمي بها . وتشبب أيضاً بنسـوة أُخـر منهن ؛ خر قَاءُ ؛ امـرأة من بني البكاءِ وهم من بني عامر بن صعصعة ، وذكره الناظم رحمه الله هنا تبعاً لذكر مية ، وحقه أن يذكر في نسبه وهو الرباب .

ومن منقر أيضاً منازل بن ربيعة ؛ وهو الذي يقال له اللعين فعلق به ، وهو شاعر ومن شعره يجاوب رؤ بة :

أبا الأراجيز ياابن اللؤم توعدني وفي الأراجيز خلت اللؤم والخورا

ومنهم أبو العلاءِ المنقري وقد كان صديقاً لذي الرمة ، ولما مات ذو الـرمة صادقه أخوه . ومنهم الحارث بن شريح ؛ كان مع قيس بن عاصم وعمرو بن الأهتم في وفد تميم على النبي ﷺ حين نادوه من وراءِ الحجرات وفاخروا وأسلموا وأحسن ﷺ جوائزهم ومنهم القُلاحُ بن حَباب القائل :

أخـا الحـرب لبّـاسـاً إليها جِلالَها ولـيس بولّاج الخـوالف أعقــلا

وهو القائل أيضاً :

أنـا القُـلاحُ بن حَبـاب ابْنُ جَلا أبــو خنــاثـيـر أقــود الجـمــلا

والخناثير : الدواهي . ومن بني مرة بن عبيد أخي منقر المذكور قبيل الأحنف بن قيس ، وليس الأحنف من منقر وإنما هو من إخوتهم بني مرة بن عبيد ومنقر بن عبيد . ومن مرة غير الأحنف جارية ابن قدامة الصحابي ،

يقال له محرق لأنه حرق داراً على ابن الحضرمي وأصحابه وهم سبعون ، بعثهم معاوية إلى أهل الكوفة يحرضهم على غزو علي ، فحرق عليهم داراً من دور الكوفة . ومنهم الفقيه أبو بكر الأبهري . ومنهم سيدنا خباب بن الأرت وسيأتي الكلام عليه إن شاءَ الله في ذكره في قريش .

مِنْ مَالِكِ بْنِ سَعْدِهِ الرَّبَائِعُ حَنْظَلَةٌ وَمِنْهُمُ الْيَرَابِعُ

سعده : أي سعد بن زيد مناة بن تميم . والربائع : جمع ربيعة وهم ربيعة المجدوع بن مالك وربيعة الوسطى بن حنظلة بن مالك . وربيعة الصغرى ابن مالك بن حنظلة بن مالك كلهم عم الآخر ، ومثلهم في ذلك الثعالب كلهم عم الآخر ؛ ثعلبة بن رومان وثعلبة بن ذهل بن رومان وثعلبة بن جدعان بن ذهل بن رومان وقوله : منهم الربائع أي من حنظلة ؛ لأن يربوع بن حنظلة أخو ربيعة الوسطى . ويقال لبني حنظلة هؤلاء حنظلة الأكرمون .

وَهْيَ كُلَيْبٌ وَرِيَاحٌ ثَعْلَبَهْ غُدَانَةٌ وَعَنْبَرٌ ذو الْمَثْلَبَهْ

وهي أي اليرابع ؛ كليب بن يربوع ورياح بن يربوع وثعلبة بن يربوع وغدانة وعنبر ابنا يربوع . ومن بني يربوع واقد بن عبد الله الصحابي حليف آل الخطاب أول قاتل في سبيل الله ؛ قتل عمرو بن الحضرمي في سرية ابن جحش آخر يوم من رجب بنخلة ، وهو موضع بين مكة والطائف ، وفي ذلك يقول أبو بكر رضي الله عنه ، وقيل عبد الله بن جحش :

تعدون قتلي في الحرام عظيمة وأعظم منها لو يرى الرشد راشد

صدودكم عما يقول محمد وكفر به والله راع وشاهد

ومنها :

سقينا من ابن الحضرمي رماحَنا بنخلة لما أُوقد الحرب واقد

دماً وابن عبد الله عثمان بيننا ينازعه غُل من القد عاند

أسلم قبل دار الأرقم وشهد بدراً وما بعدها ، وتوفي في خلافة عمر رضي الله عنه .

ومن يربوع ابنا نويرة مالك ومتمم كمعظم ـ وقال ابن خلكان كمحدث ـ وبعثهما النبي ﷺ على صدقا ت قومهما ، وكان مالك من سادات تميم فلما سمع بوفاة رسول الله ﷺ فرق الصدقات على قومه ، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد يقاتل أهلِ الردة ؛ وكان يبيت الحي فإذا سمع فيهم الأذان عدل عنهم وإذا لم يسمعه أوقع بهم ، ولم يسمعه في الحي الذين منهم مالك ، فكان يكلمه ويقول له : قال لك صاحبك . وتوفي صاحبك ـ يعني رسول الله ﷺ ـ فقال خالد : أو ليس بصاحبك ياعدو الله ؟ وأمر ضرار بن الأزور بقتله ، وفي ذلك يقول متمم :

نعْم القتيل إذا الرياح تناوحت خلف البيوت قتلت ياابن الأزور

أدعوته بالله ثم غدرته لو هو دعاك بذمة لم يغدر

يقال أن خالداً تزوج امرأته أم متمم وبنى بها تلك الليلة ، فقال عمر لأبي بكر : ارجم خالداً . فقال إن كان خالد لمتأولاً ـ أي ماكان خالد إلا متأولاً ـ إن نافية واللام بمعنى إلا على حد : ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[1] . على أحد التأويلين . وشهد على إسلام مالك رجلان من الأنصار ؛ ثابت بن قيس وعباد بن بشر لاترد شهادتهما ، وخالد سيف الله

(١) سورة الطارق : ٤

سله على أعدائه . ومن مراثي متمم لمالك ـ وقد تزوج امرأة من الأنصار ـ ولم يتوافقا :

أقـول لهنـد حين لم أرض فعلهـا أهذا دلال الحب أم فعل فارك ؟
أم الصرم ماتبغي فكـل مفـارق سواءٌ علينـا فقـده بعـد مالـك

وقال له عمر : وددت أني رثيت أخي زيداً بمثل مارثيت به أخاك . قال متمم : لو علمت أن أخي صار إلى ماصار إليه أخوك مارثيته . وقال في مدحه نثراً : كان أخي يركب الجمل الثفال بين مزادتين غير معدلتين في ليلة باردة ، وهو يقود الفرس الحرون وعليه الشملة الفلوت ويصبح يتبسم . ومما يحكى عن مالـك أنـه أسر له أسـير فقـدم على الحي الـذين أسروه وهم لايعـرفونه ، فلم تبق منهم امرأة إلا تطلعت لرؤيته لجماله ، فأناخ بالبيت الذي عنده الأسير ، فاجتمع الناس فلم يزل يحدثهم ويتعجبون من حسنه وحسن حديثـه ، فلما أحضر الغداءُ نظر إلى الأسير فقال : من هذا ؟ . قالوا : أسير . قال : حلوه حتى يأكل معنا . فأطلقوه فأكل معهم ، ثم أرادوا أسره فقال : اتركه قد أكل معنا فصار منا . فكان ذلك تسريحاً له .

ذكر جرير بن خطفة اليربوعي

ومن كليب بن يربوع جرير بن عطية بن الخطفي ؛ مهاجي الفرزدق والأخطل والراعي وغيرهم . روي أنه سأله رجل : من أشعر الناس ؟ . فدعا أباه عطية فخرج إليه واللبن يسيل على لحيته فقال : هذا ، ضن أن يمس لبن العنز الإناءَ فكان يحلبها في فيه ، فأشعر الناس مَن هذا أبوه . وأفحم سبعـين شاعـراً . وكان هو والفرزدق ـ على مهاجاتهما ـ يصطحبان

كالمتصادقين لاعداوة بينهما ولاشحناء ، ويهجو أحدهما الآخر وهو معه في مجلس ويضحكان ؛ ومن ذلك أن جريراً كان يهجو الراعي بقصيدته التي وضع بها نميراً ، فلما انتهى إلى قوله:

ترى برصاً بمجمع اسكتيها

وكان الفرزدق جالساً فغطى عنفقته فقال جرير :

كعنفقة الفرزدق حين شابا

ـ فخرج الفرزدق يضحك ويقول : اللهم اخزه . ومن شعره في عبد الملك يخاطب أمه :

ثقي بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح

الى أن قال :

أَلَسْتُم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

فقال عبد الملك : أترضى أمك ياجرير مائة بكرة من إبل كلب سود الحدق ؟ . قال : نعم ياأمير المؤمنين ولكن من يرعاها ؟ . قال : غلامان أو غلام وجارية ، وزاده قدحاً من ذهب . ولما مات الفرزدق رثاه بقوله :

لعمري لئن كان المخبِّر صادقاً لقد عظمت بلوى تميم وجلَّت
فلا حملت بعد الفرزدق حرة ولاذاتُ حمل من نفاس تعلَّت

فقيل له : أترثيه وقد هاجاك أربعين عاماً ؟! فقال : والله ماتسابَّ رجلان ولاتناطح كبشان فمات أحدهما إلا وتبعه الآخر عن قريب . فمات بعده بأربعين .

ومن رياح سحيم الشاعر القائل :

أنــا ابن جلا وطــلاع الثنــايــا متى أضــع العــمامــة تعـرفـوني
وإن مكــانــنــا لبــني نمــير مكــان الليث من وسط العـرين
فلو أنــا على حجــر ذُبــحــنــا جرى الــدميــان بالخبر اليقــين
دعــي ماذا علمــت فأتــقــيــه ولــكــن بالمــغــيــب فنبئيني

وقيل أن سُحيماً عبد حبشي اشتراه عبد الله بن أبي ربيعة لعثمان ، فقال له : لاتفعل فإنك إن أدنيته شبب بنسائك وإن أبعدته وخوفته هجاك ، فرده لأهله . ثم إنه هوي بنت مولاه فقال فيها :

عمــيرة ودعْ إن تجهــزت غاديــاً كفى الشيب والاسلام للمرء ناهياً
توســدني كفــاً فتـثـني بمـعصم علي وتحــوي رجلهــا من ورائيــا
وهـبـت شمال آخــر الليـــل قرة ولاثــوب إلا درعـهــا وردائيــا
فما زال ثوبي طيبــاً من نسيمهــا إلى الحول حتى أنهج الثوب باليا

وأما ثعلبة بن يربوع فهم الذين يعني جرير بقوله :

أثعلبــة الفــوارس أم ريــاحــا عدلت بهم طهيــة والخشــابــا

فمنهم ثعلبة بن أرقم القائل :

كرب القلب من جواه يذوب حين قال الوشاة هند غضوب

وأما غدانة ـ بضم الغين ـ ابن يربوع فهم الذين يعني الشاعر بقوله :

بني غُدانة ماإن أنتم ذهبٌ ولا صريفٌ ولكن أنتم الخزف

ذكر سجاح بنت الحارث التي تنبأت

وأما عنبر بن يربوع أهل المثلبة فمنهم سجاح بنت الحارث وقيل بنت أوس . والمثلبة هي تنبؤ أختهم واتباعهم لها ، وتبعها كثير من تميم . وأخوالها

من تغلب وغيرهم من ربيعة ؛ تنبأت في زمن مسيلمة الكذاب ثم أسلمت في زمن معاوية وحسن إسلامها . فلما تبعها من تبعها قصدت إلى مسيلمة إذ سمعت به ، وسجعت في ذلك أسجاعاً ، فلما أتته قال لها : أبعدي أصحابك . ففعلت ، فضرب لها قبة عظيمة وطيبها بالبخور واجتمعا فيها وقال لها : ماأوحي إليك ؟ . فقالت له : ماأوحي إليك أنت ؟ . فقال : ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى أخرج منها نسمه تسعى من بين صفاق وحشا . وقالت أيضاً : وماأنزل اليك ؟ . قال : أن الله خلق للرجال أفراجاً ، وجعل النساءَ لهن أزواجاً فيولجون فيهن إيلاجاً ثم يخرج مايشاءُ منهن إخراجاً ، فينتجون لهن إنتاجاً . فقالت : نشهد أنك نبي . فقال : هل لك أن أتزوجك ؟ . قالت : نعم . قال : فقد جعلت صداقك صلاة العتمة وصلاة الصبح ؛ أضعهما عن أصحابي وأصحابك . ثم قال لها : هل لك أن أرتجز ؟ . فقالت : نعم . فقال : ألا قومي إلى النيك فقد هيأنا لك المضجع ؛ فإن شئت ففي البيت وإن شئت ففي المخدع ، وإن شئت سلقيناك وإن على أربع ، وإن شئت بثلثيه وإن شئت به أجمع . فقالت : به أجمع فهو للشمل أجمع . فقال : وبذلك أوحي ، فأقامت عنده ثلاثة أيام ثم انصرفت إلى قومها .

ومن العنبر بن يربوع الخشخاش بن الحارث العنبري ، له ولبنيه الثلاثة صحبة . ويروى عنه قال : أتيت النبي ﷺ ومعي ابني فقال : «**تجني عليه ولايجني عليك**» ومنهم أيضاً ذؤيب بن شعثن ـ أو شعثم بالميم ـ كان اسمه الكلاع فسماه النبي ﷺ ذؤيباً ، وكانت له ذؤابة طويلة ، ويكنى أبا ذريح [أو أبا رهم] نزل البصرة .

مِنَ الْحَنَـاظِـلِ الخِشَـابِ دَارِمُ

طُهَيَّـةُ أَخُـوهُمُ الْأَلَائِمُ

الحنـاظل : جمع حنظلة ؛ يعني القبائل : أي من قبائل حنظلة بن مالـك بن سعـد بن زيد مناة بن تميم بن دارم . وقبيلات الخشاب وطهية أخوهم ، أي أخو الخشاب ودارم بنو مالك بن حنظلة ، والألائم جمع الأم ، أما الخشاب فثلاث قبائل وهم ربيعة ورزام وكعب ، ويقال لبني كعب : ذئاب الغضا . وأما دارم فاسمه بحر بن مالك ، وسمي دارماً لأن أباه أتاه قوم من العرب في حمالة ، فناداه : يابحر إيتني بخريطة المال . فأتاه بها يدرم تحتها أي يقارب خطوه في عجلة . وأما طهية فهم الأسود وعوف وحبيش بنو مالك بن حنظلة ؛ عرفوا بأمهم طهية بنت عبد شمس . وقوله : الألائم يشعر بإعراضه عن ذكر أحد من طهية ولا من الخشاب . ومن بني مالك بن حنظلة بن مالك ، بنو العدوية . ومنهم يعلى بن أمية بن أبي عبيد ، ويقال : ابن أمية ؛ وهى أم أبيه حضنته فنسب إليها ؛ أسلم عام الفتح هو وأبوه . قال أبـوه أمية لرسـول الله ﷺ : يارسـول الله ، بايعنـا على الهجـرة ، قال : « **لَاهِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ** » . وشهد يعلى حُنيناً والطائف وتبوك . استعمله أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ، وكان عظيم الشأن عند عثمان ؛ فقام في نصرته جداً . أعان الزبير بأربعمائة ألف ، وحمل سبعين رجلاً من قريش ، واشترى العسكر لعائشة بمائتي دينار ، وهو الجمل المسمى به اليوم ، وقيل إنه لما تجهز سقط عن بعيره فانكسرت فخذه ، وقيل إن ذلك عبد الله بن أبي ربيعة . وكلاهما كان عاملاً لعثمان ، ثم إن يعلى بعد أن شهد الجمل مع عائشة كان مع علي رضي الله عنه ، لما تبين له أنه بريءٌ من دم عثمان . وأنه على الحق ،

وشهد معه صفين وقتل بها ، وكان معروفا بالسخاءِ .

مِنْ دَارِمٍ مُجَاشِعٌ وَنَهْشَلُ
وَعُدَسٌ حَاجِبُهُ الْمُحْتَمِلُ
مِائَةُ نَاقَةٍ طَعَاماً حَمَلَتْ
بِقَوْسِهِ يَرْهَنُهَا فَقُبِلَتْ

شرع يتكلم في بني دارم في تخليط لايسلم من الغلط ؛ لقوله في الحناظل : وهي البراجم معهما ، ودارم ليسوا من البراجم وإنما هم إخوتهم ؛ لأن البراجم من أولاد حنظلة ، ولذكره لعنبر بن عمرو بن تميم في جملة زيد مناة ؛ وإنما أبوهم العنبر بن عمرو بن تميم ، وسيأتي إن شاءَ الله . وأما قبائل دارم فهي : مجاشع ونهشل والأحلاف بنو عبد الله بن دارم - وهو أعزهم بل أعز بيت في تميم - فهؤلاءِ المشهورون من قبائل دارم ، بل هم المعروفون . أما مجاشع : فمنهم الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع ، قال السهيلي : سمي الأقرع لسؤدده ، من القريع وهو السيد . وقال غيره : لقرع كان برأسه ، وهو من حكام العرب ، إليه يتحاكمون ويتنافرون . قال جرير بن عبد الله البجلي ، وقد تنافر إليه مع رجل من اليمن .

ياأقرع بن حابس ياأقرعْ إن يصرع اليوم أخوك تصرعْ

وهو ممن أعطاهم النبي ﷺ مائة من الإبل يوم الفتح تألفاً ، وشهد الفتح وحنيناً والطائف ، وشهد مع خالد حرب العراق ، ثم استعمله ابن عامر على جيش ووجهه إلى خراسان فأصيب هو والجيش . وكان من السادات

في الجاهلية والإسلام ، وكان اسمه فراس وابن عمه صعصعة بن ناجية بن عقال . وأعين بن ضبيعة بن عقال الذي عقر الجمل بأُمنا عائشة رضي الله عنها يوم الجمل .

وأما نهشل : فمنهم بنو حازم الذي يقول أحدهم :

إذا مضر الحمـراءُ كانت أرومتي   وقـام بنصري حازم وابـن حازم
عطست بأنفٍ شامـخ وتنـاولت   يداي الثـريـا قاعـداً غير قائم

روي أن الفرزدق قال له : والله لتعطينها أو لأنبشنَّ أُمك من قبرها . قال له : خذهما لابارك الله لك فيهما . وكان االفرزدق يقول مكان حازم وابن حازم : دارم وابن دارم .

وأما الأحلاف : فمنهم المنذر بن ساوى ملك البحرين ، الذي أرسل له النبي ﷺ العلاءَ بن الحضرمي بكتاب فأسلم . ومنهم سكين بن عامر الدارمي الشاعر .

وأمـا عُدَسٌ : فهو ابن عبد الله تحالف الأحلاف عليه فصاروا يداً واحدة عليه ؛ حاجب بن زرارة بن عدس ولقيط بن زرارة بن عدس الذي أسرتـه بنـو عامر في حرب جبلة فأبى أن يطعم شيئاً ، وكانوا يفتحون فاه ويصبون فيه فيمجه حتى مات جوعاً وعطشاً .

وقوله : وعدس حاجبه المحتمل ، أشار إلى أن حاجب بن زرارة قدم علي كسرى فاستأذن عليه فقال : من أنت ؟ . قال رجل من العرب . فلما جلس بين يديه قال من أنت ؟. قال سيد العـرب . فقال : أنت بالباب تقول : رجل من العرب . والآن تقول سيد العرب ! ! قال : كنت بالباب من

العرب ، فلما جلست معك صرت سيدهم . فأعجبه ذلك وملأ فاه دراً . فقال له : ماحاجتك ؟ . قال : إن بلادنا أجدبت ، وأريد أن تأذن لبني تميم يرعون العراق ، وأحتمل لك مائة ناقة تحمل الطعام . فقال كسرى : وماترهنني ؟. قال : حاجب قوسي . فضحك منه الحاضرون ، فقال كسرى : العربي لايسلم قوسه . فقبلها . فرعت تميم العراق حتى أخصبت بلادهم فرجعوا إليها ومات حاجب ، وأخذ بنوه مائة ناقة تحمل الطعام فقدموا بها على كسرى وأخذوا قوس أبيهم . وقيل إنه قال له : تعطيني مائة ناقة تحمل الطعام ، فإذا صرت إلى أهلي بعثت لك بثمنها . وقوله عدس ألخ . حاجب : أي حاجب بني عدس وهو ابن زرارة بن عدس ، وابنه عطارد بن حاجب الصحابي ، كان في وفد المشهور سنة تسع .

وَمِنْ مُعَاوِيَةَ بِالْإِخَاءِ
وَرِثَهُ وَصَاحِبُ الصَّفَاءِ
لِلْمُصْطَفَىٰ وَفِي ثِيَابِهِ يَطُوفْ
وَهْوَ عِيَاضُ بْنُ حِمَارٍ الْعَطُوف

وقوله : ومن معاوية إلى آخره : أي ومن دارم أيضاً الذي ورثه معاوية بالمؤاخاة وهو الحتات ـ بتاءين منقوطتين باثنتين من فوق ـ [وهو] ابن يزيد بن علقمة بن سفيان بن مجاشع ، وفد على النبي ﷺ فآخى [1] بينه وبين معاوية ابن أبي سفيان ، ثم زمن الإمساك فر من علي إلى معاوية ، فلما مات ورثه

(١) هذه الحكاية في النفس منها شيءٌ لأن معاوية إنما أسلم عام الفتح بعد نسخ المؤاخاة . فالله تعالى أعلم بهذه الحكاية .

معاوية بتلك الأُخوة . وكان الصحابة حين آخى النبي ﷺ بينهم يتوارثون بها إلى أن نزل : ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[1] . فرجعت الموارثة بالأرحام كما في التنزيل ، وفعل معاوية هذا ـ ولعله مما يقال فيه ـ مذهب صحابي لأنه خالف النص ، والصحابة رضي الله عنهم مجمع على عدالتهم ، وهو كإراقة عمر [الطعام] اللبن على وجه من غشه . ومعاوية رضي الله عنه إمام وكاتب وحي رسول الله ﷺ ، وفي هذه الموارثة يخاطب الفرزدق معاوية بقوله :

أَبوك وعمي يامعاويُ خلَّفا ... تُراثاً فتحتاز التراث أَقاربه
فما بال ميراث الحُتات أَكلته ... وميراث صخر جامد لك ذائبه

وليس الفرزدق يعني بقوله عمي أَنه أَخو أَبيه ، وإِنما يعني أَنه ابن عمه وأَسن منه ؛ كما تقول العرب لمن هو أَسن : ياعم ، ويقول الكبير ياابن أَخي . والفرزدق أَيضاً لايريده لنفسه ، لبعده عن بني الحتات عبد الله وعبد المالك ومازن . ومن شعر الحتات قوله :

لعمرو أَبيك فلا تكذبَن ... لقد ذهب الخير إلا قليلا
لقد فُتن الناس بعد النبي ... وأَبقى ابن عفان شراً طويلا

ومن دارم أَيضاً صاحب الصفا أَي المصادقة للنبي ﷺ في الجاهلية ؛ ومن مصادقتهما أَنه إذا قدم مكة يطوف في ثياب النبي ﷺ لئلا يطوف عرياناً ويترك ثيابه في الحطيم فتكون اللقى . وهو أَي صاحب مصادقة النبي ﷺ والطواف في ثيابه . وهو عياض بن حمار بن أَبي حمار بن عقال بن سفيان بن مجاشع الصحابي . والعطوف الشفيق .

---

(١) سورة الانفال : ٧٥

وَهْيَ الْـبرَاجِمُ وَعَنْـبرُ الَّـذِي

بِالـذُّلِّ عَابَـهُ بَلِيغُـهُ الْبَـذِي

البراجم في اللغة تكاميش ظهور الأَصابع ، ولاأَدري لم سميت به هذه القبائل ، وفي الحديث : «وَمِنْ آدَابِـهِ غَسْلُ الْـبرَاجِمِ وَالرَّواجِبِ وَهْيَ مَاتَحْتَ الْأَظَافِرِ وَبُطُونِ الْأَصَابِعِ » قوله : وهي يعني الحناظل ولكن ليس دارم منهم ، ومن البراجم عمير بن ضابىء الذي حبسه عثمان ابن عفان بالمدينة في جناية فقال :

ومن يك أَمسى بالمدينة رحله   فإِني وقيار بها لغريب

ثم أَمر به عثمان ليؤدبه ، فشد سكيناً بساقه ليقتل بها عثمان ، ففطن له عثمان فأَحسن أَدبه وأَطلقه فقال :

هممت ولم أَفعل وكدت وليتني   تركت على عثمان تبكي حلائله

وقائلة : إِن مات عمرو بن ضابىء   لنعم الفتى تخلو به وتواصله

وقائلة : لايبعد الله ضابئاً   إِذا الخصم لم يوجد له من يقاوله

ثم دخل على عثمان يوم الدار ، فوطىءَ على ضلعه فكسرها ، فلما ولي الحجاج العراق ودخل الكوفة وصعد المنبر بها وخطب ، فلما نزل مر به عمير ابن ضابىء فجعل يأْمر الناس بالطوع له ويحضهم ، فلما ذهب قال له إِنسان : أَيها الأَمير أَتعرف هذا ؟ . قال : من هو ؟. قال : عمير بن

ضابىء الـذي كسر ضلع عثمان . فاستـرده وأمـر بقتله . وهو أول قتيل للحجاج بالعراق . ثم إن الحجاج جهز الناس إلى المهلب في قتال الأزارقة ، فقال عبيد الله بن الزبير الأسدي :

تجهـزْ فإمـا أن تزور ابن ضابىءٍ عمـيراً وإمـا أن تزور المـهلبـا
هما خطتـا خسف نجـاؤك منهـما ركـوبـك حوليـاً من الثلج أشهبا

ذكر وافد البراجم

ومن البراجم الذي فيه المثل : « إن الشقي وافد البراجم » وأصله أن عمرو بن هند حلف ليحرقن مائة من دارم بأخيه سعد بن المنذر ؛ وكان مات فيهم غيلة لما أتـاهم يطلب فيهم إتـاوة أخيه عليهم ، فحـرق منهم تسعة وتسعين ، فشم برجمي رائحة القطر من لحوم الناس ، فظنه شواءً صنعه الملك فعدل إليه ليرزأ منه ، فكمل به الملك المائة من دارم ، وحين رآه الملك قال له : ممن أنت ؟ . قال : من البراجم . فقال : إن الشقي وافد البراجم .

هنا انتهى كلامه على قبائل زيد مناة بن تميم ، الذي ذكر أنه انتشر إلا قوله الآتي في بهدلة ، وذكره الأقرع والفرزدق لدارم .

ومن قبائل زيد مناة بن تميم امرؤ القيس الذين يهجوهم ذو الرمة ، ولم أقف على ذكر أحد منهم في الصحابة ولا في غيرهم .

ومن بني حنظلة بن مالك ، ابن سعد بن زيد مناة بالولاءِ الزاهد العالم الولي سيدنا عبد الله بن المبارك المروزي ـ الذي تسأل الرحمة عند (1) ذكره ـ أبـوه من الـترك كان عبـداً لرجـل من همدان ، فاشتراه رجل من تميم ،

(1) قوله : الذي تسأل الرحمة عند ذكره غلو كبير ، فإن الرحمة تسأل في كل وقت وفي كل مناسبة . والله تعالى الموفق .

فاستعمله على ضيعة له ، وأتاه غير ما مرة فلم يجده ينقص شيئاً فقال : ماهذه الضيعة على حالها ألم تأكل منها ؟ . قال : لم تأمرني بذلك . فلم يزل يجربه فوجده في غاية الورع ، فأتى زوجته فقال لها : لابد أن أزوج مباركاً ابنتي . فعتقه وزوجه ابنته فجاءت بعبد الله .

ومن بني ربيعة ، ابن مالك بن سعد ، وهو ربيعة الجوع ، وهو الأكبر من الربائع ؛ علقمة الفحل بن عبدة بن النعمان أحد الشعراءِ الستة .

ومن سعد بن مالك بن سعد أخي ربيعة الجوع رؤ بة وأبوه العجاج بن رؤ بة - الراجزان المشهوران - كانا من أعراب البصرة ؛ لقي العجاج أبا هريرة ، ودخل على عبد الملك بن مروان فقال لهم : ياعجاج بلغني أنك لاتقدر على الهجاءِ . فقال : ياأمير المؤمنين ، من قدر على تشييد الأبنية أمكنه خراب الأخبية . فقال : ومايمنعك من ذلك ؟ . قال : إن لنا عزاً يمنعنا من أن نظلم أحداً ؛ وهو الأدب البارع والفهم الناصع . وإنه لنا حلماً يمنعنا من أن نظلم وهو الأدب المستطرف والطبع التالد . فقال عبد الملك : لكلماتك أشعر من شعرك ، لقد أصبحت ياعجاج حكيماً . قال : ومايمنعني من ذلك وقد أصبحت نجي أمير المؤمنين .

ومن قبائل سعد بن زيد مناة حميد بن مالك ؛ وهو حميد الأرقط الشاعر . ومنهم الأسود بن سريع بن حمير السعدي الصحابي . قال : غزونا مع رسول الله ﷺ فأوصى أن لاتقتل الذرية . قالوا : يارسول الله ، إنهم أولاد المشركين . قال : «**أَوَلَيْسَ خِيَارُكُمْ بِأَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ ؟ . مَامِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ وَإِنَّمَا أَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**» . وكان شاعراً ، وأظنه الذي يقول :

أمـا تريـن وقـد قطعـتني عذلاً ماذا من الفضل بين البخل والجود

لايعدم السائلون الخير من خلقي إمـا نوالاً وإمـا حســن مردود

إلا يكن ورِق عنـدي أَجـود به للخـابـطين فإني لينّ الـعـود

وقوله : عنبر الذي . . . الخ . يشبه أَن يكون أَراد عنبر بني يربوع ، لأَنه المتقدم والذي عابه شاعره البذي الفاحش بالذل ، بلعنبر بن عمرو بن تميم على ماعندنا ، لأَن مازناً هو أَشرف إخوته بني عمرو بن تميم ، والبذي عاب أَهله بالذل هو قرط بن قريط بن أُنيف ـ كزبير ـ شاعر جاهلي ؛ أَغارت بنـو ذهـل بن شيبـان على إبله ، في حرب بينهم وبين تميم ، فلم يستطع تخليصها فجعل يقول :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي بنـو اللقيـطة من ذهل بن شيبانا

إذاً لقـام بنصري معشر خشـن عنـد الحفيـظة أَن ذو لوثـة لانـا

لكنَّ قومي وإن كانـوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيءٍ وإن هانا

يجزون من ظلم أَهل الظلم مغفرة ومن إسـاءَة أَهـل السوْءِ إحسانا

كأَن ربـك لم يخلق لخشـيـتـه سواهمُ من جميـع النـاس إنسـانا

ياليت لي بهمُ قومـاً إذا ركبـوا شنـوا الإِغـارة فرسـانـاً وركبـانا

قوم إِذا الشرأَبـدى ناجـذيـه لهم طاروا إِليـه زرافـات ووحـدانـا

لايسأَلـون أَخـاهم حين يندبهم في النـائبـات على ماقـال برهـانـا

وَالْحَبَـطَاتُ مِنْ تَمِيمٍ عَمْـرُهُ وكُلُّهُمْ كَانَ وَضِيعـاً قَدْرُهُ

يقول : إذا أَردت أَن تعرف الحبطات من تميم ، فهم من عمرو بن تميم بنو الحارث بن مالك بن عمرو ، وسمي الحبط ـ بالسكون ويحرك ـ لعظم بطنه : داءٌ يأْخذ البهيمة إذا أَكلت الخفر أَول ماينبت فتنتفخ ويعظم بطنها .

وسمي به هذا الرجل لعظم بطنه ، وكل بنيه وضيع القدر في تميم ، ولم أقف لهم على مشتهر غير عبادة بن الحصين بن أوس .

مِنْ عَمْـرِو أَيْضـاً الْحَكِيمُ أَكْثَمُ

هِنْـدُ أَبُـو هَالَـةَ سَيِّـدُهُـمُ

يعني أَن من عمرو بن تميم أَيضاً بعد الحبطات أَكثم ـ بالمثلثة ـ ابن صيفي . وقوله : الحكيم ، يعني إنه كان من حكماءِ العرب في الجاهلية ؛ وهـو جد حكيم العبـاسيين في الإِسلام . القاضي يحيى بن أَكثم ـ بالمثلثة أَيضاً ـ ولي القضاءَ وهو ابن ثمان عشرة سنة ؟ وسأَله يوماً رجل قضى عليه ، فأَراد أَن يحطه فقال : أَصلح الله القاضي كم سنّه ، فقال : ثمان عشرة ؛ سن عتّاب بن أسيد حين ولاه النبي ﷺ قضاءَ مكة . فأُفحم الرجل . وكان مع علمه يذكر باللواط إذ لاسلامة من الخلق . وسمع المأْمون برجل تنبأَ فقال ليحيى : اذهب بنـا إليه . فركبا فأَتياه متنكرين فجلس المأْمون عن يساره وجلس يحيى عن يمينه . فقال له المأْمون : متى عهدك بجبر يل ؟ . فقال : آنفاً . قال : فما قال لك ؟ . قال : يأْتيك رجلان ، الذي يجلس عند يمينك هو أَلوط أَهل زمانه . فضحك المأْمون وقال : أَشهد أَنك نبي . وفيه يقول الشاعر :

تقـول: سل المعروف يحيى بن أَكثم   فقلت : سليه رب يحيى بن أكثما

وقوله : هند أَبو هالة سيدهم ، أَي سيد بني عمرو بن تميم ، وإِنما سوده الناظم لتزوجه أُمنا خديجة قبل النبي ﷺ وهو هند أَو مالك بن النباش ابن زرارة الأسيدي حليف زهـرة ، وكان شاعراً جداً وكان مداحاً لنبيه بن الحجاج السهمي ، وفيه يقول قصيدة ذكرناها في شرح الغزوات .

حنظلة الكاتب

ومن بني أُسيد بن عمرو بن تميم حنظلة بن الربيع بن صيفي ، ابن أخي أكثم الحكيم ، كتب لرسول الله ﷺ . قالت امرأته ترثيه :

تعجبت هند محزّنة ... تبكي على ذي شيبة شاحب
إن تسأليني اليوم ماشفّني ... أُخبرْك قولاً ليس بالكاذب
إنَّ سواد العين أُودى به ... حزن على حنظلة الكاتب

تخلف عن علي يوم الجمل ومات في خلافة معاوية . وهؤلاء من أُسَيِّد ابن عمرو ـ وأُسيد بتشديد الياءِ وقيل يخفف ـ قال شاعرهم :

حولي أُسَيِّد والهجيم ودارم ... فإذا رجعت فحول بيتى خُضَّمُ
تحتي الأغر وفوق جسمي نثرة ... زغف ترد السيف وهو مثلّم

وخضم كبقم قيل إنهم بنو العنبر ، سموا بذلك لكثرة أكلهم .
والهجيم أيضاً قبيلة من بني تميم .

وَالْحَارِثُ ابْنُهُ رَبِيبُ الْمُصْطَفَىٰ
أَوَّلُ مَقْتُولٍ نَمَتْهُ الْحُنَفَا
وَأَوَّلُ الْكَفَرَةِ ابْنُ الْحَضْرَمِي
عَمْرِو قَتِيلِ وَاقِدٍ الْخَذِمِ

ابنه : أي أبي هالة . وربيب المصطفى ﷺ لأنه ابن خديجة . ونمته : نسبته وعزته إليهم . والحنفاءُ : الصحابة لأنهم على الملة الحنيفية ؛ ملة

ابراهيم عليه السلام . والحنفاءُ جمع حنيف لصحيح الميل إلى الإسلام الثابت عليه . وذكر الحارث هذا وقصته الشهاب أحمد بن حجر في كتابه الإصابة قال : لما نزل : ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[1] . طاف النبي ﷺ بالبيت وهو يدعو قريشاً إلى الإسلام ، فقاموا يضربونه فصرخت صارخة ، فأتاه ربيبه فحال بينهم وبينه ، فلم يزالوا يضربونه حتى مات بضربهم ، فكان أول مسلم قتله المشركون . كما أن أول كافر قتله المسلمون عمرو بن الحضرمي الذي قتلته سرية عبد الله بن جحش ، وتولى قتله واقد بن عبد الله اليربوعي حليف آل الخطاب . والخذم : القاطع . وبنو الحضرمي : حلفاءُ عتبة بن ربيعة ، واسم أبيهم الحضرمي عماد .

بنو الحضرمي

وهم : العلاءُ بن الحضرمي الصحابي الصالح ، أرسله النبي ﷺ إلى المنذر بن ساوى التميمي ملك البحرين ثم استعمله عليها ، واستعمله عمر على البصرة فمات قبل الوصول بأرض لاماءَ بها ، ومعه ركب فيه أبو هريرة ، فتركوه غير مدفون فوجدوا الماءَ قريباً ، فرجعوا إليه ليغسلوه فوجدوه ابتلعته الأرض . وكان مجاب الدعوة خاض البحر بكلمات وهي : ياحليم ياعليم ياعلي ياعظيم . فلم يغرق شيءُ ممن معه . ومن بني الحضرمي عامر الذي استنشده أبو جهل يوم بدر ثأره ، لما همت قريش بالرجوع ، فانكشف وواجه يقول : واثاراه . وكان من المؤلفة قلوبهم ؛ أعطاه النبي ﷺ من غنائم حنين . ومنهم الصعبة بنت الحضرمي أم طلحة بن عبيد الله ، أسلمت وهاجرت وكانت قبل عبيد الله بن عثمان تحت أبي سفيان بن حرب فطلقها وفيها يقول :

(١) سورة الحجر : ٩٤

إني وصعبة فيما يرى　　بعيدان والودُّ ودٌّ قريبْ
فيا آل قصي ألا تنظروا　　إلى الوبْر صار الغزال الربيبْ
وإلَّا يكن نسب ثابت　　فعند الفتاة جمال وطيبْ

ولما قتل عمرو بن الحضرمي تفاءَلت اليهود على المسلمين فألًا كانت عقوبته عليهم . قالوا : عمرو عمرت الحرب ، وواقد وقدت الحرب ، والحضرمي حضرت الحرب . فكان شؤم كل ذلك عليهم . والله أعلم .

بِذَكَرَيْنِ هَالَةَ وَهِنْدِ

نَجْلَي أَبِي هَالَةَ قَبْلَ الْمَهْدِي
جَاءَتْ خَدِيجَةُ وَمِنْ عَتِيق
بِبِنْتِهَا هِنْدُ عَلَىٰ التَّحْقِيقِ
هِنْدُ ابْنُهَا وَاصِفُ خَيْرُ الْعَالَمِيْنْ
وَهِنْدُهُ لِمُصْعَبٍ خَيْرُ مُعِيْنْ
وَأُمُّهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ الخِضَمْ
زَائِدَةَ القَرْمِ الْهُمَامِ بْنِ الأَصَمْ

لما ذكر لعمرو بن تميم أبا هالة ، ذكر له ابنيه الذكرين من أُمنا خديجة قبل أن يتزوجها النبي ﷺ ؛ وهما هالة وهند الصحابيان ، أما هالة فلم أقف له على مشهور خبر إلا أن له ابناً سمي هند روى عنه ، وأما أخوه فقتل يوم الجمل مع علي ، وكان فصيحاً مشهوراً بالفصاحة ، وهو صاحب حديث وصف النبي ﷺ ، رواه عنه الحسن والحسين وغيرهما . وجاءَت قبل أبي هالة

من عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ـ وهو أبو عذرها ـ ببنتها هند ، التي تسمى الطاهرة أم محمد بن الطاهرة ، وهو محمد بن صيفي بن رفاعة بن عائذ بن عتيق الله بن عمرو بن مخزوم . وقوله : وهنُده لمصعب خيرُ معين : يعني مصعب بن الزبير ؛ قتل معه يوم قتل مصعب بن الزبير المختار ابن أبي عبيد .

أم أمنا خديجة بنت خويلد

ثم استطرد ذكر أم خديجة لما ذكر بنيها ، فقال : وأُمها ـ أي خديجة ـ هي فاطمة بنت زائدة بن الأصم ؛ أحد بني معيص ـ كأمير ـ ابن عمرو بن لؤي ، ووصف زائدة بالثلاثة الأوصاف لأنه جد أمنا خديجة ؛ فالخضم كخدب ؛ السيد الحمول المعطاءُ ، وهو خاص بالرجال . والقرم : السيد . والهمام : العظيم الهمة ، وهو خاص بالرجال أيضاً . وقيل في موت هند بن أبي هالة غيرما قدمنا من أنه قتل يوم الجمل مع علي ، وهو أنه مات بطاعون البصرة ، ومات يوم موته خلق كثير ، فاشتغل الناس بجنائزهم عن جنازته ، فرأت نادبته ذلك فصاحت : واهند بن هنداه ، واربيب رسول الله . فطرح الناس جنائزهم وأتوا جنازته ورفعوها على أطراف الأصابع .

ومن تميم النضر بن شميل ـ العالم المشهور ـ كان بالكوفة فشيعه ثلاثة آلاف تلميذ له ، فلما أرادوا الرجوع عنه قال : شيعكم الله ياأهل الكوفة ، والله لو وجدت من يتكفل لي بدينار كل يوم مافارقتكم . فلم يجبه أحد ، وخرج إلى خراسان فأصاب بها أموالاً كثيرة .

قطري بن الفجاءة

ومن مازن بن عمرو قطري بن الفجاءَة الخارجي ؛ خرج زمن مصعب ابن الزبير فمكث عشرين سنة يسلم عليه بالخلافة ، ويحاربه الحجاج بالمهلب ابن أبي صفرة ، وأكثر أيامهم يظهر فيها قطري . وله في ذلك أشعار جيدة منها قوله :

يارُبَّ ظل عقــاب قد وقيت به ... مهري من الشمس والأبطال تجتلد

ورب يوم حمى أرعيت عقــدتــه ... خيلي اقتصاراً وأطراف القنا قُصُدُ

أعشى بني مازن وخبره مع معاذة

ومنهم أعشى بني مازن ، ولا تجاوز الكتاب ذلك من نسبه ، واسمه عبد الله وسيأتي في النظم قريباً ؛ كانت عنده امرأة من بنات عمه يقال لها معاذة ، فغاب عنها ليمتار فهربت بعده ، فاستجارت برجل من بني الحر بن مازن بن عمرو يقال له مطرف بن بهصل ، أعز في قومه من الأعشى ، فأتى الأعشى النبي ﷺ فأنشده :

ياسيــد النــاس وديـان العـرب ... إني نكـحت ذربـة من الــذرب

خرجت أبغيهـا الـطعام في رجب ... فخـلفـتــني بنــزاع وهــرب

أخلفت الـوعـد ولـطَّت بالـذنب ... وهــن شر غالــب لمن غلب

فكتب النبي ﷺ إلى مطرف أن يردها عليه ، فأتى المرأة وقال لها : لامـرد لكتـاب رسـول الله ﷺ . قالت : نعم ، ولكن خذ لي الأمان من زوجي ، فإني أخاف أن يعاقبني . قال : أما هذه فنعم . فأخذ لها الأمان

وأمره أن يترضاها . فقال : إن شاءَت بالعطاءِ وإن شاءَت بالشعر ، فاختارت الشعر فقال :

لعمرك ماحبي معاذة بالذي ... يغيره الواشي ولا قدم االعهد

ولا سوءُ ماتأتى به إذا زها ... غواة رجال إذ يناجونها بعدي

ومن تميم عَسْعَسُ بن سلامة ـ بفتح العين ـ حديثه أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ أتى الجبل يتعبد ففقد ، فطلب فأُتي به النبي ﷺ فقال : يارسول الله ، إني نذرت أن أعتزل فأتعبد . فقال النبي ﷺ **«لاَيَفْعَلْهُ أَحَدُ مِنْكُمْ . ثلاث مرات ، فَلَصَبْرُ أَحدِكُمْ سَاعَةً مِنْ نَهارٍ في بَعْضِ مَوَاطِنِ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ عِبَادَتِهِ خَالِياً أَرْبَعِينَ عَاماً»** .

المستوغر بن ربيعة المعمر

ومن تميم أيضاً المستوغر بن ربيعة المعمَّر ، عاش ثلاثمائة عام وأدرك النبوة وهدم رُضىً ـ بيتاً كانت ربيعة يعظمونه ـ ومما يحكى من تعميره أنه رآه رجل يقود شيخاً فانياً فقال : ارفق به فطالما رفق بك . فقال : ماتراه مني ؟ . قال : جدك . فقال المستوغر : لا بل هو ابن ابني . فقال : الرجل مارأيت كاليوم مستوغراً . فقال : أنا المستوغر . وسمي المستوغر بقوله :

ينش الماءُ في الربلات منها ... نشيش الرضف في اللبن الوغير

وَعِزُّ كعْبٍ وَتَمِيمٍ بَهْدَلَهْ
وَرِجْلُ ذِي الْبُرْدَيْنِ ذَا تشْهَدُ لَهْ

كعب : يعني كعب بن سعد بن زيد مناة . وذو البردين : عمرو بن أحيمر. وتميم : الواو عاطفة بمعنى بل . وعز كعب بن سعد بل وعز بني تميم في بني بهدلة بن عوف بن كعب . وذا : مبتدأٌ خبره تشهد له . والمشار إليه كون عز تميم في بني بهدلة . وقوله : رجلٍ ؛ أَي وقصة رجل ذي البردين . ولا يعني الرجل التي قال صاحبها : من أزالها عن مكانها ؛ لأَن القوة توجد في العزيز والذليل . وإنما يعني القصة التي فيها ذكر الرجل ؛ وهي أَن النعمان ابن المنذر وفدت عليه وفود العرب ، فأَخرج إليهم بردي عمه عمرو بن هند فقال : ليقم أَعز العرب فليأْخذهما . فقام إليه عمرو بن أُحَيْمر فأَخذهما ولم ينازعه أَحد . فقال له النعمان بن المنذر : بمَ أَخذتهما ؟ . فقال : إنك قلت : أَعز العرب ، وعز العرب في مضر ثم في خندف ثم في تميم ثم في سعد ثم في كعب ثم في بهدلة ، ومن أَنكر هذا من الناس فلينافرني . وسكت الناس . فقال النعمان : هذه عشيرتك كما تزعم ، فكيف أَنت وأَهل بيتك ؟ . فقال : أما أَهل بيتي ؛ فأَنا أَبو عشرة وأَخو عشرة ، وعم رجال وخال رجال . وأَما أَنا في بدني فهذا شاهدي . فوضع قدمه على الأَرض وقال : من أَزالها عن مكانها فله مائة ناقة . فلم يقم إليه أَحد . فذهب بالبردين فسمي بهما . وإنما أَخر بهدلة عن مكانها وهم من بني سعد بن زيد مناة الذين بدأَ بهم ، ليذكر أَنهم أَعز تميم كأَنه يقول : ولتعلم أَن تميمًا هؤلاءِ أَعزهم بنو بهدلة ؛ لأَن منهم الزبرقان : واسمه الحصين بن بدر ، ولقب الزبرقان لجماله ؛ لأَن الزبرقان القمر ، ويقال له : القمر بن القمر . وقيل : سمي الزبرقان لأَنه لبس عمامة مزبرقة ، أَو لأَنه لبس حلة فراح إلى نادي قومه فقالوا : زبرق حصين . وقد قدمنا وفوده على النبي ﷺ وإسلامه . واستعمله النبي ﷺ على صدقات قومه ، فكان من أَصحاب النبي ﷺ وولاته ، وهو سيد بني بهدلة

ومن سادات تميم ، وذكره الناظم في ذكر شعراءِ تميم فقال :

مِنْ مُفْلِقِيهَا الـزِّبْـرِقَـانُ الْبَهْدَلِي

كَذَاكَ ذُو الآثَـارِ مِنْهَا النَّهْشَـلِ

قولـه من مفلقيها يعني تميمًا ؛ من أَفلق الشـاعـر إذا أَتى بالشعـر العجيب . ولما أَنهى الكلام على قبائل بني تميم شرع يذكر بعض شعرائهم ، وبدأَ بالزبرقان أَيضاً لأَنه من قبيلة بني بهدلة . ومن شعره قصيدته التي في مفاخرة الوفد لرسول الله ﷺ وأَصحابه إذ هو شاعر الوفد ، وخطيبهم الأَقرع ابن حابس ـ وقيل عطارد بن حاجب بن زرارة ـ فلما أَنشد القصيدة وهي :

نحن الكـرام فلا حيّ يعـادلنا ... منـا الملوك وفينـا تنصب البيعُ

وكم قسرنـا من الأَحيـاءِ كلهم ... عنـد النهاب وفضـل العـز يتبع

ونحن نطعم عند القحط مطعمنا ... من الشـواءِ إذا لم يؤنس القـزع

أَمـا ترى النـاس تأْتينا سراتهم ... من كل أَرض هوينـا ثم نصطنع

فننحـر الكـوم عبطاً في أَرومتنـا ... للنـازلـين إذا ماأُنـزلـوا شبعـوا

فلا ترانـا إلى حي نفـاخـرهـم ... إلا استقـادوا وكان الرأْس يقتطع

إنـا أَبينـا ولا يـأْبى لنـا أَحـد ... إنـا كذلـك عنـد الفخـر نرتفـع

فأَمر النبي ﷺ حسان أَن يجيبه فقال :

إن الـذوائب من فهـر وإخـوتهم … قد بينـوا سنـة للنـاس تتبـعُ

يرضى بها كل من كانت سريـرته … تقـوى الإلـه وكـلَّ الخير يصطنع

لا يـرفـع الناس ما أَوهت أُكفهم … عنـد الـدفـاع ولايوهون مارقعوا

قوم إذا حاربـوا ضروا عدوهـم … أَو حاولوا النفع في أَشياعهم نفعوا

خذ منهم ماأَتـوا عفواً إذا غضبوا … ولا يكن هُمك الأَمـر الذي منعوا

سجيـة تلك منهـم غير محدثـة … إن الخـلائق فاعلم شرهـا البِـدَع

إن كان في الناس سباقون بعدهم … فكـل سبق لأَدنى سبقهم تبـعُ

إن سابقوا الناس يوماً فاز سبقهم … أَو وازنـوا أَهل مجد بالندى مَتَعوا

كأَنهم في الـوغى والمـوت مُكْتَنِـعُ … أُســد ببيشـة في أَرسـاغهـا فدع

أَكــرم بقـوم رسـولُ الله شيعتهم … إذا تفـاوتت الأَهــواءُ والشيـعُ

أَهــدى لهم مدحتي قلب يؤازره … فيـما أُحب لسـان حائـك صَنَـع

فلما فرغ منها قدَّم الوفد الأَقرع بن حابس أَن يخطب فخطب ، فأَمر النبي ﷺ ثابت بن قيس أَن يجيبه ، فلما أَجابه قال الأَقرع : إن هذا الرجل لمؤتى له ؛ لشـاعـره أَشعـر من شاعـرنـا ، ولخطيبه أَخطب من خطيبنا ، ولأَصواتهم تعلو أصواتنا .

قوله : كذاك ذو الآثار منها : أَي من مفلقي تميم ؛ وهو الأَسود بن لقيط بن زرارة ، سمي ذا الآثار لأَنه إذا هجا قوماً ترك فيهم آثارا . وقوله

النهشلي فيه نظر ؛ لأن لقيط بن زرارة لم يكن من بني نهشل ، وإنما هو من بني عُدُس ، وعدس ونهشل أخوان ابنا دارم ، إلا أن يكون هذان الاسمان لغير لقيط من زرارة العدسي .

جَرِيــرُ يَرْبُــوعٍ مُتَــمِّــمُــهُــمُ
أعْشَــى بني مَازِن عَمْــرو مِنْهُمُ

أي ومن شعراءِ تميم أيضاً جرير بني يربوع ؛ وهو جرير بن عطية بن الخطفي ، وتقدم بعض الكلام عليه ، وهو من كليب بن يربوع ، وله يقول الفرزدق :

إذا قيــل أي الـنــاس شر قبـيلة — أشــارت كليب بالأكف الأصابع
فواعـجـبــاً حتـى كليـب تسبني — كأن أبــاهــا نهشــل ومجــاشــع

ويحكى أن أمـه رأت في المنام ـ وهو في بطنها ـ أنها ولدت حبلاً من شعر ، فجعل يثب على الناس ويلتوي على عنق كل أحد ، فعبر لها أنها تلد شاعراً هجاءً للناس . وسمي جريراً لأن الجرير في اللغة هو الحبل ، وممن هاجى من الشعراءِ الفرزدق والراعي بقصيدته التي وضع بها قبيلته بني نمير ، منها :

فغض الـطرف إنــك من نمـير — فلا كعـبــاً بلغــت ولا كلابــا

ومن هاجى الأخطل بقوله :

ماأنت بالحكَم الـتُّرضَى حكـومته — ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل

والصلتان العبدوي أو العدوي وغير وغير حتى قيل إنه أفحم سبعين شاعراً .

وقوله متممهم : يعني يربوعاً ، وتقدم الكلام عليه كما تقدم الكلام على الأعشى .

وَالأَقْــرَعُ بْنُ حَابِسِ الْفَــرَزْدَقُ
لِدَارِمٍ وَدَارِمُ الْمُــحَــرِّقُ
حَرَّقَ مِنْهُــمْ مِائَــةً جرا أَخِيــهْ
كَمَّلَهَــا بالــبُرْجُمِيِّ الْمُعْتَفِيــهْ

يعني أن من شعراءِ تميم أيضاً الأقرع بن حابس ، وتقدم ماتيسر من الكلام عليه ، وهو من حكام العرب الذين يتحاكمون إليهم ويتنافرون في الجاهلية ومن رؤسائهم ، ومن أعظم رئاسته منازعته مع عيينة في خبر عامر ابن الأضبط ومحلم بن جثامة ، والنبي ﷺ جالس ؛ حين قتل محلم عامر بن الأضبط ، فكان عيينة يحمي عنه لأنه من أشجع ، وأشجع من غطفان وهم قبيلة عيينة والأضبط ، والأقرع يحمي عن محلم بن جثامة لأنه من كنانة الذين هم من خندف ، وتميم قبيلة الأقرع من خندف، حتى رضيت أشجع بالعقل وتقدم بعض هذا .

همام بن غالب الفرزدق

ومن شعـرائهم أيضاً الفرزدق ، وهو والأقرع من بني دارم . واسم الفـرزدق همام بن غالب بن صعصعـة بن ناجية بن عقـال الذي تقدم ، والفرزدق في اللغة ؛ القطعة من العجين ، وبها لقب لجهامة وجهه ، وكان أول أمره هجاءً للناس ، ويكثر في شعره ذكر المعاصي بالنساءِ إلا أن له شرفاً ،

قال محرم بن هبيرة الفزاري : مارأيت أشرف من الفرزدق ؛ هجاني أميراً ومدحني أسيراً ؛ وذلك أنه لما ولي العراق من جهة بني مروان ، قال فيه الفرزدق يخاطب الوليد بن عبد الملك :

أمير المؤمنين وأنت عدل ... أمين لست بالطبع الحريص
أوليت العراق ورافديه ... فزارياً أجذَّ يد القميص
ولم يك قبلها راعي مخاض ... ليأمنه على وركي قلوص

قوله : رافديه يعني الكوفة والبصرة . وقوله : أجذَّ يد القميص يرميه بالسرقة ؛ أي السارق يقص يد قميصه، وكانت العرب ترمي فزارة بنكاح النوق؛ وذلك قوله : ليأمنه على وركي قلوص . ودخل الفرزدق يوماً على سليمان بن عبد الملك ، فأنشده أبياتاً من أسخف شعره ، فقال له سليمان : لابد من إقامة الحد عليك ؛ لأنك أقررت عندي بالزنا وأنا إمام ، فقال الفرزدق : كتاب الله يدرؤه عني . قال تعالى : ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَالاَ يَفْعَلُونَ﴾[1] وأنا قلت مالم أفعل . فتبسم سليمان وقال : أولى لك . ودخل يوماً على سليمان فاستنشده من شعره ، وإنما أراد سليمان أن يمدحه فأنشده :

وركب كأن الريح تطلب عندهم ... لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخطبون الريح وهي تلفهم ... إلى شعَب الأكوار ذات الحقائب
إذا آنسوا ناراً يقولون : ليتها ... وقد حضرت أيديهم نار غالب

يعني أباه ، فغضب سليمان حتى رأى الحاضرون الشر في وجهه ، فقال نصيب : إن شاءَ أمير المؤمنين أنشده من رويّه . فقال : نعم . فقال :

---

(١) سورة الشعراء : ٢٢٦

أَقــول لركـب قافـلين لقيـتـهم قفـا ذات أَوشـال ومـولاك قارب
قفــوا خبروني عن سليـمان إِنني لمعــروفــه من آل ودان طالــبُ
فعـاجـوا فأَثنـوا بالـذي هو أَهله ولو سكتوا أَثنيت عليك الحقائب

فالتفت سليمان إلى الفرزدق وقد سري عن وجهه فقال : وما تقول فيه ؟ . قال : هو أَشعر أَهل جلدته . قال سليمان : وأَهل جلدتك . ومن شرف الفرزدق ومما يظن به الخير ، قصيدته التي امتدح بها علياً زين العابدين ابن الحسين بن علي رضي الله عنهم ؛ وسببها أَن هشام بن عبد الملك حج ، فرأَى النـاس مقبلين على زين العابدين بالإجلال والهيبة ، فغضب لذلك حسداً وقال : من هذا ؟ . فقال الفرزدق : هذا سليل حسين نجل فاطمة بنت الرسول الذي انجابت به الظلم :

هذا ابــن خير عبــاد الله كلهــم
هذا الـتـقـيُّ الـنقي الـطاهــر العلم
هذا الـذي تعـرف البـطحـاءُ وطـأَتـه
والـبـيـت يعــرفــه والحــل والحــرم
يكــاد يمـــسكـــه عرفــان راحـتــه
ركــن الحـطيـم إِذا ماجــاءَ يستـلم
وليس قولـك : من هذا ؟ . بضـائره
العــرب تعـرف من أَنكـرت والعجم

فغضب عليه هشام وحبسه ، فلما سمع زين العابدين القصيدة بعث بمال إلى الفرزدق فرده وقال : لم أُرد بها العوض من الدنيا . فرده زين العابدين

وقال : لاينقص هذا من أجرك وإنا أهل البيت لا نعود فيما وهبناه . فأخذه الفرزدق . ويدخل بعض الرواة في القصيدة بيتين ليس منها وهما :

يغضي حياءً ويغضي من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم
في كفه خيزران ريحه عبق في كف أروع في عرنينه شمم

وإنما هما للحزين الدؤ لي ؛ في عبد الله بن عبد الملك بن مروان .

وكانت للفرزدق بنت عم تسمى النوار ـ فوكلته على نفسها فزوجها منه ، فامتنعت منه وهربت إلى عبد الله بن الزبير ـ وهو بمكة في خلافته ـ فاستجارت بزوجته تماضر بنت منظور بن زبان ، وتبعها الفرزدق فاستجار ببني عبد الله بن الزبير ، فكان بنو عبد الله يصلحون له شأنه فتفسد ذلك تماضر بالليل ، فقال في ذلك :

أما البنون فلم تقبل شفاعتهم وشفّعت بنت منظور بن زبانا
ليس الشفيع الذي يأتيك متزرا مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

ثم توافقا بعد ذلك وولدت له . وفيها يقول :

حنَّت نوار ولات هنّا حنتِ وبدا الذي كانت نوار أجنتِ

ويروى أنه كان يراود امرأة عن نفسها فتمتنع ، فهددها بالهجاءِ فاشتكت الى نوار فقالت لها : عديه بما يريد منك ، وواعديه مكاناً ووقتاً ثم ائتيني . ففعلت معه ذلك وجاءَت النوار فأخبرتها ، فأخذت لباسها فلبسته وأتت مكان الموعد في وقته ، فجاءَ الفرزدق يظنها المرأة فواقعها ، فلما فرغ تراءَت له النوار وجعلت تسبه وتخزيه ، فقال لها : سبحان الله ماأبردك حلالاً وأطيبك حراماً . وتنسك الفرزدق في آخر عمره ، وجمعته يوماً مع الحسن البصري جنازة فقال الفرزدق : ياأبا عبد الله ، أتدري مايقول الناس ؟ . يقولون جمعت هذه الجنازة خير الناس يريدونك ، وشر الناس يريدونني .

فقال الحسن : لستُ بخير الناس ، ولستَ بشر الناس ولكن ياأبا فراس ـ وهي كنية الفرزدق ـ ماأعددت لمثل هذا اليوم ؟ . فقال : شهادة ألاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ وخمس نجائب لايدركْن ؛ يعني الصلوات .

وكانت عند سليمان بن عبد الملك أسارى من الروم ، فقدمها يوماً للقتل ، وكان يدفع كل واحد لرجل يقتله ـ وكان الناس يتفاخرون بكيفية القتل ـ فقدم واحداً للحسين بن زيد فضربه فأبان رأسه ويده وقطع الغل فقال سليمان : والله ماضربته بسيفك ولكن بحسبك . ودفع آخر للفرزدق وأعطاه سيف الحارث بن ظالم فقال : لاأضربه إلا بسيف جدي مجاشع . فأعطاه إياه فضربه ولم يقطع شيئاً ، فضحك الحاضرون فقال : كأني بابن المراغة ـ يعني جريرا ـ يقول :

بسيف أبي زغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

وأنا أقول :

وهل ضربة الرومي جاعلة لكم أباً عن كليب أو أباً مثل دارم
كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها وتقطع أحياناً مناط التمائم

وافد البراجم مرة أخرى

ثم استطرد فعلة عمرو بن هند لدارم ، وذكر البرجمي الذي كمل به دارماً مائة . وقوله : ودارم مبتدأ والمحرق مبتدأ آخر خبره جملة حرق الفعلية والمحرق وخبره خبر دارم ؛ والقصة أن عمرو بن هند حلف ليحرقن مائة من دارم بأخيه سعد بن المنذر ، وكان للمنذر ابنان كل منهما يسمى بعمرو ، فنسب كل منهما إلى أمه ليمتاز عن أخيه ؛ وهما عمرو بن هند وعمرو بن مامة

الذي كان يحاربه على الملك إلى أن مات في ذلك . وأما ابن هند فاستقام له الملك وبقي فيه إلى أن مات حتف [1]أنفه ، فقام فيه ابن أخيه النعمان بن المنذر ، وكان سعد بن المنذر مسترضعاً في دارم ، فقتل فيهم غيلة فحلف أخوه عمرو بن هند ليحرقن منهم مائة جراءَ أي لأجل أخيه ؛ يقال : فعلت كذا جراءَك وجرّاك ـ مشددة وممدودة ومكسورة كذلك ـ أي من أجلك . فأخذ منهم تسعة وتسعين فحرقهم وبقي عليه الموفي ، فمر واحد من البراجم فأشم رائحة لحوم الناس وشحومهم فظن أن الملك أطعم ، فقصده ليرزأ من طعامه ، فلما رآه وسأل عنه قيل من البراجم فقال : إن الشقي وافد البراجم . فألقاه في النار ليكمل به المائة فيبر يمينه ، والمستعفيه : الطالب رزقه أو فضله . ومن خبر هذا البرجمي صارت تميم تعير بحب الطعام فقيل :

إذا مامات ميت من تميم ... وسرك أن يعيش فجيءْ بزاد
بتمرٍ أو بلحم أو بخبز ... أو الشيءِ الملفف في البجاد

دخل الأحنف بن قيس على معاوية ، فأراد معاوية ممازحته ، فقال : ما الشيءُ الملفف في البجاد ؟ . فقال له الأحنف بن قيس : السخينة ياأمير المؤمنين . والسخينة طعام كانت قريش تصنعه في المجاعة ، وكانوا يعيرون به حتى كانوا يسمون به ؛ قال رجل من هوازن يوم حنين :

ياشدّة ماشددنا غير كاذبة ... على السخينة لولا الليل والحرم

وجواب الأحنف لمعاوية من الأجوبة المسكتة . كما قال له عقيل بن أبي

(١) كيف يتفق هذا وماذكره في ترجمة عمرو بن كلثوم التغلبي أنه هو الذي قتل عمرو بن هند ؟ .

طالب ـ أي لمعاوية ـ حين قال له : إنكم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم . فقال له عقيل : كما إنكم معشر بني أمية تصابون في بصائركم . وقال يوماً لرجل من اليمن : ماأحمق قومك حين ولوا عليهم امرأة! . فقال له الرجل : وأحمق منهم قومك حين قالوا : ﴿**اللهُمَّ إنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ**﴾[1] الآية . ولم يقولوا : فاهدنا إليه .

ويشبه هذا ماوقع للفرزدق ورجل من فقعس لقيه ، فقال له الفرزدق : ممن أنت ؟ . فقال : من فقعس . فقال : كيف تركت القنان ؟ . قال تركته يساير لصاف ، يشير الفرزدق إلى قول الشاعر :

ضمن القنان لفقعس سوءاتها إن القنان بفقعس لخبير

ويشير الفقعسي إلى قول الشاعر :

وإذا تسرك من تميم خصلة فلما يسوؤك من تميم أكثر
قد كنت أحسبهم أسود خفيّة فإذا لصاف تبيض فيه الحمر

والقنان جبل لفقعس يذكره زهير في قوله :

جعلن القنان عن يمين وحزنه وكم بالقنان من محل ومحرم

ولصاف جبل لتميم .

حكاية الاعرابي المحاربي مع الامير الهلالي

ودخل أعرابي من بني محارب على عبد الله بن يزيد الهلالي وقد بات بقرب غدير فيه الضفادع فقال : ماتركتنا شيوخ محارب البارحة ننام ؛ يشير

(١) سورة الانفال : ٣٢

به إلى قول الأخطل الشاعر

تنق بلا شيءٍ شيوخ محارب ... وماخلتها كانت تنق ولاتبري

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت ... فدل عليها صوتها حية البحر

فقال : أصلح الله الأمير ، أضلت برقعاً لها فهي في ابتغائه ؛ يشير إلى قول الشاعر :

لكل هلالي من اللؤم برقع ... ولابن هلال برقع وقميص

وسمي عمرو بن هند محرقاً لتحريقه دارماً ، وقيل سمي محرقاً لفساده في الأرض ، ويسمى أيضاً مضرط الحجارة .

هنا انتهى الكلام على تميم مع تخليط فيه أو قرب تخليط ، وهل يصح الكلام عليهم بلا تخليط لكثرتهم ؟! وكانت العرب تضرب الأمثال بكثرتهم ؛ وقالت ليلى الأخيلية : كاثر بتميم . ولذلك كانت فيهم القبائل أهل العز وأهل الكرم والجود في الجاهلية والإسلام ؛ منهم في زمن الفقهاءِ يحيى بن أبي يحيى التميمي ، عالم الأندلس كله ، تلميذ الإمام مالك بن أنس . وفيهم القبائلِ اللئام رعاءُ الشاءِ لاغير ، ولم أقف على ذكر أحد منهم بمكرمة ما ، ومنهم أهل الرئاسة والكرم في الجاهلية ؛ كحاجب ولقيط ابني زرارة وأشباههما ، ومنهم من جمع رئاسة الجاهلية والصحبة كالأقرع بن حابس وصعصعة بن ناجية وقيس بن عاصم والأحنف بن قيس والزبرقان بن بدر وغيرهم ممن لايحصى .

الفهرس

الموضوع	الصحيفة

الموضوع	الصحيفة

الموضوع	الصحيفة

الموضوع	الصحيفة

الموضوع	الصحيفة

الموضوع	الصحيفة

الموضوع	الصحيفة

الموضوع	الصحيفة

الموضوع	الصحيفة

رقم الايداع بدار الكتب القطرية
٣ لسنة ١٩٨٥

